



جامعة القدس المفتوحة
عمادة البحث العلمي

تاريخ الأدب الصيني

بقلم: هيربرت أ. جايلز

ترجمه إلى العربية: أ.د. سامي مسلم



جامعة القدس المفتوحة

عمادة البحث العلمي

تاريخ الأدب الصيني

هيربرت أ. جايلز ترجمة: أ.د. سامي مسلم

تاريخ الأدب الصيني

فيما السياسة الدولية تأخذ منحىً يتركز على المحيط الهادئ، وفيما تأخذ الصين مركز المسرح، فنحن في الغرب علينا أن ننظر أكثر إلى ما في الصين إن كان لا بد لنا أن نفهم بشكل أفضل هذه الأمة المرموقة. وبالتالي يصبح كتاب تاريخ الأدب الصيني، دون شك أفضل مقدمة أساسية للأدب الصيني الذي أعطى العالم الشعر الغرائبي وآداباً كلاسيكية مثل «القرد» و«مختارات من كونفوشيوس»، وأعمال تشوانغ تسو، وغيرها من الكتابات تمتد عبر زمن يزيد عن 2500 سنة أو أكثر.

هذا الكتاب هو أول تاريخ عام للأدب الصيني موجود في أي لغة، بما فيها الصينية، وهو يبقى لهذا اليوم دون منازع، غني بالحكمة النقدية، فإنه يغطي جميع الأزمان في التاريخ الصيني بدءاً من الزمن الاقطاعي قبل الزمن المسيحي وحتى سلالة تشينغ (المانشو) التي انتهت في 1912.

البروفسور جايلز كان أحد أعظم المختصين بالدراسات الصينية (sinologist) الذين أنتجهم الغرب حتى الآن، فجميع كتاباته لها أساس عملي بما أنه عاش ربع قرن من الزمان في صين المانشو وبعدها أصبح بروفسوراً للدراسات الصينية في جامعة كامبريدج، في إنجلترا.

كتابه غني بترجماته الرقيقة الخاصة به، وقد أخذ بعين الاعتبار كل أنواع الأدب الصيني: النثر، الشعر، الرواية، القصة القصيرة، الدراما، والكتابات العلمية، تم ترتيب المادة زمنياً في ثمانية كتب والتي بدورها قسمت إلى فصول من المواضيع. إن وصول البوذية، إلى الصين، واختراع الطباعة، وغيرها من الأحداث الهامة تم شرحها بطريقة شيقة. وكل من يقرأ هذه المقدمة الرائعة سيكون تواقاً إلى المزيد من المنتج الأدبي للصين.

إن تاريخ الأدب الصيني يزودنا بكبسولة لتقودنا عبر 2500 سنة من الثقافة الصينية. مهما كان الأدب القديم يبدو بعيداً للأخلاق الصينية اليوم، فإن الأدب التقليدي يزودنا بالفعل بمفتاح إلى الصين الحديثة والشيوعية الصينية إن هذه الأمة المكتظة بالسكان، والتي تمثل أقدم الحضارات الحية في العالم، لم تزل بالفعل قريبة من فلسفتها وقيمها.*

بقلم: هيربرت أ. جايلز

مع مقدمة لطبعة 1973

بقلم الدكتور تيرنس بارو،

ISBN 978-9950-404-00-7



9 789950 404007

* إن اسم الكتاب والكاتب يقدمان على صفحة الغلاف بالحروف اليابانية.

تاريخ الأدب الصيني



تاريخ الأدب الصيني ترجمه إلى العربية: أ.د. سامي مسلم

الناشر:

عمادة البحث العلمي

جامعة القدس المفتوحة

الماصيون- رام الله/فلسطين

ص.ب: 1804

هاتف: +970-2-2984491

+970-2-2952508

فاكس: +970-2-2984492

بريد الكتروني: Sprgs@qou.edu

تصميم وإخراج فني:

أ. نور صالحة

الجامعة غير مسؤولة عن المواد المنشورة بالكتاب، حيث أنها تمثل رأي الباحث (المؤلف).

حقوق الاقتباس والترجمة والتصميم والطبع والنشر محفوظة للناشر 1439هـ/ 2017. ©

تاريخ الأدب الصيني

بقلم

هيربرت أ. جايلز.

حاصل على الماجستير، ودكتوراة في الحقوق، (جامعة إبردین).

CHARLES E. TUTTLE COMPANY

Rutland, Vermont and Tokyo, Japan

الطبعة الأولى 1901 وطبعة (تاتل) الأولى 1973

المحتويات

الصفحة	
7	تهديد: بقلم أ.د سامي مسلم
11	مقدمة تيرينس بارو
18	ملاحظات بيبولوجرافية
19	استهلال هيربرت أ. جايلز
21	الكتاب الأول - عصر الاقطاع (600-200 قبل الميلاد).
23	الفصل: I - العصور الخرافية - الحضارات الصينية القديمة - اصل الكتابة.
26	الفصل: II - كونفوشيوس - الكلاسيكيون الخمسة.
53	الفصل: III - الكتب الأربعة - منسيوس.
62	الفصل: IV - الكتاب المتعددون.
67	الفصل: V - الشعر - النقوش.
73	الفصل: VI - الطاوية - «طاو ته تشينغ».
91	الكتاب الثاني- سلالة الهان. (200 قبل الميلاد - 200 بعد الميلاد)
93	الفصل: I - الإمبراطور الأول - حرق الكتب - الكتاب المتعددون.
108	الفصل: II - الشعر.
115	الفصل: III - التاريخ - صناعة أو تأليف المعاجم.
121	الفصل: IV - البوذية.
127	الكتاب الثالث - السلالات الصغيرة (200-600 بعد الميلاد).
129	الفصل: I - الشعر - الأدب المتعدد.
149	II- العلم والمعرفة الكلاسيكيان.
153	الكتاب الرابع - سلالة تانغ (600-900 ميلادية).

155	الفصل: I - الشعر.
213	الفصل: II - الأدب الكلاسيكي والعام.
229	الكتاب الخامس - سلالة سونغ (900-1200 ميلادية).
231	الفصل: I- اختراع طباعة القوالب.
233	الفصل: II - التاريخ - الأدب الكلاسيكي والعام.
251	الفصل: III - الشعر.
259	الفصل: IV - المعاجم - الموسوعات - الطب الشرعي .
265	الكتاب السادس - سلالة المونغول (1200-1368 م).
267	الفصل: I - الأدب المتعدد- الشعر.
275	الفصل: II - الدراما.
294	الفصل: III - الرواية.
305	الكتاب السابع - سلالة مينغ (1368 - 1644م).
307	الفصل: I - الأدب المتنوع، المادة الطبية - موسوعة الزراعة.
321	الفصل: II - الروايات والتمثيلات والمسرحيات.
338	الفصل: III - الشعر.
345	الكتاب الثامن - سلالة المانشو (1644 - 1900م).
347	الفصل: I - لياو تشاي - هونغ لو منغ.
388	الفصل: II - الإمبراطوران كانغ هسي وتشيان لونغ.
394	الفصل: III - الأدب الكلاسيكي والمتنوع - الشعر.
423	الفصل: IV - أدب الحائط - الصحافة - الفكاهة والمرح - الامثال والحكم.
436	ملاحظات بيبليوغرافية

بقلم أ. د. سامي مسلم

ولد هيربرت الان جايلز Herbert Alan Giles في 1845 وتوفي في عام 1935 عن عمر ناهز التسعين عاماً. وقد خلف لنا مجموعة من الكتب والدراسات والقواميس التي شكلت اللبنة الأولى في مدماك المعرفة باللغة والآداب الصينية.

عندما وقع كتاب جايلز "تاريخ الأدب الصيني" بين يدي جذبني إليه. ولم أنفك عن قراءته حتى انتهيت منه فأصبح مرشداً لي في الأدب الصيني وذلك منذ عصر الإقطاع حتى عام 1901 العام الذي نشر به هذا الكتاب لأول مرة. وقد سحرني بأسلوبه اللغوي بالإنكليزية لسلاسته وبساطته، مع أن جايلز خريج المدرسة الفيكتوريانية التي سادت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. واتسمت بالجمل المعقدة والكلمات الرنانة.

كان هذا الكتاب سهل المنال. فهو مقسم إلى ثمانية كتب، كل كتاب مقسم إلى فصول، أطولها كان الكتاب الأول الذي تضمن ستة فصول اشتملت فيما اشتملت عليه كنفوشيوس، ومنسيوس والطاوية، والكتاب الثاني اشتمل فيما اشتمل عليه على فصل عن البوذية، ومن هنا نلاحظ أن الديانة المسيحية والديانة الإسلامية لم ينتشرا في الصين مثلما كان نصيب تعالم الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية التي تدجنت وانتشرت في الصين.

يقف الكاتب في تاريخ الأدب الصيني عند سنة 1900، ودفع بالكتاب للطباعة في سنة 1901. والكتاب مقسم بعد ذلك إلى السلاطات التي حكمت الصين كالتالي

الفترة الاقطاعية، وسلالة الهان، ثم السلالات الصغيرة، ومن بعدها سلالة تانغ، وهي أعظمهم جمالاً في الشعر والأدب، ثم سلالة سونغ وهي أكثرهم متانة، وسلالة المنغول ثم سلالة مينغ وأخيراً سلالة المانشو.

التحق جايلز بالخارجية البريطانية، فأرسل في 1867 إلى الصين كمساعد قنصل عام ثم ترقى إلى قنصل عام، وبقي في هذا المنصب حتى أنهى عمله في الصين في عام 1892 حيث عاد إلى إنجلترا.

كانت الدراسات الصينية في ذلك الوقت تعتبر من الدراسات غير الجذابة بالنسبة للطلبة فلم يتعدى عدد الطلاب الذين التحقوا بالدراسات الصينية أصابع اليد الواحدة. أما كرسي الدراسات الصينية في جامعة كيمبردج فقد وقع على جايلز في عام 1897 الذي قبله في السنة نفسها.

وهنا لا بد من ذكر الأستاذ توماس فرانسيس وويد Thomas Francis Wade الذي ولد في 1818 وتوفي في 1895. وأهمية السيد ويد تنبع من أنه أول من اهتم باللغة الصينية وقدم لها مع جايلز لغة مبسطة معروفة بـ Wade - Giles ويد - جايلز وهي اللغة السابقة للغة البن ين Pin Yin. وكان أول من شغل كرسي الدراسات الصينية في جامعة كيمبردج حتى وفاته في 1897. ومن بعده، عرض الكرسي على الأستاذ جايلز فقبله. وقد استفاد جايلز من الكتب التي تركها ويد لدائرة الدراسات الصينية وعددها 4304 أربعة آلاف وثلاثمائة وأربع مجلدات من الأدب الصيني.

كان جايلز مولعاً بالدراسات الصينية وبالتأكيد بالصين نفسها. فبعد أن استلم الدراسات الصينية في الجامعة المذكورة انبرى ليثبت جمال الثقافة الصينية وعمقها، بعيداً عن الصور المقولبة التي كانت شائعة عن الصينيين في ذلك الوقت من أنهم سائقوا درجات النقل ومن أنهم يوضعون في مصاف الكلاب كما ظهر في إعلان علق على باب مطعم من المطاعم "ممنوع دخول الكلاب والصينيين." فكان جل اهتمام جايلز هو أن يؤنس الصين بشكل إنساني.

إن ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية هو صرخة ضد المترجمين الذين بالتأكيد رأوا الكتاب أو وقع في أيديهم فأشاحوا وجوههم عنه، ونحن، كما يثبت التاريخ كان توجهنا دائماً كخلافة عربية إسلامية، إلى الشرق. ففتحت كثير من الدول حتى وقفنا على بوابات فرغانة أي سينج يانج على حدود الصين الشرقية. ونحن أضعنا فرصة هامة في باب تلاقح الثقافات كما جاء في القول المشهور ”أطلبوا العلم ولو في الصين.“

كما أن هذا الكتاب الذي وضعه جايلز هو الأول من نوعه الذي يؤرخ ببساطة والتزام لتاريخ الأدب الصيني بشكل سلس وكما بينا أعلاه. حتى تاريخ إصدار هذا الكتاب في 1901 لم يكن هناك أي كتاب يجمع بين دفتيه الحوادث الأدبية من اكتشاف الكتابة، والشعر والأدب والفنون، ومسرحيات الأوبرا وغيرها، والدراما مثل حلم المقصورة الحمراء، *The Dream of The Red Chamber*، والقواميس واكتشاف الطباعة وتأليف الموسوعات والقصة القصيرة، فازددتُ بها شغفاً. وسألت في عدد من المكتبات أو أصحابها، وفي مراجع كشافات الكتب القديمة، عن الكتاب فلم أجد لترجمته إلى العربية أي وجود. فقررت ترجمته. وهكذا يكون هذا الباحث قد ترجم عدداً من الكتب الصينية التي تعتبر أنها أسدت للشعب الصيني خدمة جلية للتعريف بالوجه الحضاري للثقافة الصينية. وهذه الكتب هي:

1. أغنس سميدلي، الطريق العظيم: حياة تشو ده وعصره، ترجمة د. سامي مسلم، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية 1982.
2. الدكتور هاشم بهبهاني، سياسة الصين الخارجية في العالم العربي 1955 - 1975، ترجمة د. سامي مسلم بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1984.
3. لاو تسه / تشانغ تسه، كتاب التاو، بيروت، دار المدى للثقافة والنشر، 2002. راجع د. سامي مسلم الكتاب الأول من هذا النص بعنوان تاو تسي تشينغ لاو تسه. يضاف إلى ذلك، أن الكاتب كتب العديد من المقالات العلمية والأكاديمية عن الصين. وقام بتقريب أي مرجعة عدد من المقالات عن بعض الروايات الصينية المعاصرة.

ومن أجل ذلك كله عرضتُ ترجمة هذا الكتاب التي قمت بها على أ. د. يونس عمرو، رئيس جامعة القدس المفتوحة. فرحب بهذا الإقتراح ورآها مهمة جلييلة خاصة لقلة المراجع العلمية في هذا المجال باللغة العربية، ووافق كذلك على نشر هذا الكتاب بترجمته العربية. فله الشكر على إتاحة هذا العمل للقراءة والاستفادة من قبل الطلاب والأساتذة في الجامعة وفي غيرها.

وأود أن أشكر كل من السيدة سناء الشعبي لطباعة المخطوطة المترجمة، والسيدة نور صالحية على المونتاج والتصميم الذي قامت به، كما وأشكر كلاً من السيد عصام الديك على التدقيق الذي أجراه على نص الترجمة والسيد أحمد نجم لتدقيقه المخطوطة.

مقدمة تيرينس بارو

كل حقل من حقول المعرفة العلمية المتبحرة لديه عمل كلاسيكي رائد ملهم، لا يمكن أن يكون مندثراً. فكتاب تاريخ الأدب الصيني، بقلم البروفيسور هيربرت ألان جايلز، هو كتاب من هذا النوع. منذ طباعته أول مرة في عام 1901 أصبح حتى هذا الوقت التاريخ الرسمي الوحيد للأدب الصيني باللغة الإنكليزية. فالكتاب غني بالحكمة الناقدة وبالحقائق. فقد تم تأليفه كملخص ممنهج في ثمانية كتب، كتاب لكل فترة كبيرة من الأدب الصيني.

إن اليأس من تطبيق العدالة في استعراض أدبهم الضخم، وإنجاز هذه المهمة بطريقة ترضي مواطنيهم، كانت عملية أما تَبَطَّت الأدباء الصينيين أو أنهم لم يشعروا أبداً بالحاجة إلى منظر بانورامي. ومهما تكن الحقيقة، فإنها بشكل عام صحيحة من أن الباحثين الأجانب يمكنهم أن يتجاسروا في الدخول إلى دراسات الثقافات التي لا تخصهم بثقة قلما تجدها لدى الباحثين المحليين الذين يكونون مربوطين بتراثهم مما يمنعهم من اتخاذ نظرة أوسع. يقوم جايلز بنجاح باستكشاف سلسلة طويلة من الأدب الصيني في كتاب صغير واحد تماماً مثلما فعل مجايله دبليو. جي. استون قبل سنتين في 1899 بكتابه كتاب تاريخ الأدب الياباني.

إن تحصيل المعرفة الصيني بعد أن تم تأسيسه قبل 2500 سنة، اتبع طريق الاستقرار الكونفوشيوسي، وحتى قدوم شيوعية القرن العشرين أقيم النظام الاجتماعي على الروابط الأسرية. والأخلاق الطهرانية كانت دائماً قوية، كما هي الآن في الصين الحديثة إلا ان المذهب الجنسي في الآداب والفنون الصينية له تراث طويل مع فترات من الإزهار مثل سلالة مينغ كما هو مبين ومصور في كتاب فنون المذهب الجنسي الصيني بقلم بوردي لاي وغيره).

جرت العادة أن يتم أولاً اختبار المرشحين لامتحانات الدولة في موضوع شخصياتهم

ثم يتم إعطاؤهم أوراق امتحان كتابية أو خطية يشكل فن الخط والأسلوب فيها أهمية قصوى. وكانت الشهادات تمنح لهم على ثلاث مستويات من التحصيل تماماً مثل منح درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في الجامعة العصرية. لكن في الصين القديمة كان التحصيل الأدبي يضمن للدارس مركزاً حكومياً، وأكثر الأفراد موهبة يحصل على أعلى المناصب. وفي عيون الصينيين لا توجد مكانة تقارن مع مكانة العالم ورجل الآداب، والإداري الحق كان دائماً رجل تعليم. إن تأثير هذا التراث كان لجذب الموهوبين للإدارة من كل طبقات الشعب بغض النظر عن غناهم أو فقرهم. إن الشعب الصيني بما عليه من أمور عملية على وجه الأرض، أدرك أن الموهبة تخترق جميع مستويات المجتمع، وأنه يجب إعطاؤها الفرصة، وهنا وجدت ديمغرافية الإدراك التي أثمرت أكثر الثمار تنوعاً وأطولها حياة في أي آداب علمية. (للتعرف على اختيارات مفيدة من الكتابات الصينية. أنظر كتاب وليام ماك نوتون بالإنكليزية: الأدب الصيني: مقتطفات مختارة من الأزمنة الغابرة حتى الوقت الحاضر).

لم تحظ كل الكتابات على الموافقة الرسمية، وبالفعل فقط تلك التي تم الموافقة عليها حظيت بالأهمية، أي المقالة الرسمية (تشوان تشي Chuan Chi) والمناقشات الفلسفية (بينغ هوا Ping Hua). القصص والحكايات لم تعتبر من الآداب وكان المثقفون يعتبرونها تحويلة عن مستوى القصة الشعبية. إن تأليف الرواية أو القصص القصيرة لم تفد أبداً أي إنسان لمنصب حكومي. وكان البروفيسور هيربرت جايلز من بين قلة أدركت الأهمية الأدبية للحكايات الصينية وعلى وجه الخصوص كما ظهرت في لياو تشي (Liao Chi) لـ بو سونغ لينج (Pu Sung Ling) ذاك الرجل من سلالة مانشو الذي شكل في زمانه فشلاً أكاديمياً بسبب «إهماله للطريق المتبع في الدراسات الأكاديمية.»

ولد هيربرت جايلز في أكسفورد، إنجلترا، في عام 1845 بعد ثماني سنوات من اعتلاء الملكة فيكتوريا العرش حيث حكمت حتى مماتها في 1901. كان دم جايلز دماً فيكتوريا عبر عن الدراسة العلمية الجامعة لعصر كان واثقاً ومجتهداً ومهتماً بجميع مناحي الإمبراطورية البريطانية. إن أسس التعليم الجامعي الشرقي المعاصر

وضعها فيكتوريون عظماء بمن فيهم السير إدوين أرنولد Sir Edwin Arnold ، السير ريتشارد ف بيرتون Sir Richard. F. Berton بويس ماذرز Powys Mathers ، دبليو ج استون W.G.Aston ، هـ. أ. جايلز، H.A. Giles وغيرهم من الرجال الذين زاجوا بين العمل الدبلوماسي والمتابعات العلمية.

في 1867، بينما لا يزال شاباً، ذهب جايلز إلى بكين (باي جينغ) للالتحاق بالعمل القنصلي البريطاني، بعد ذلك عين نائب قنصل في جزيرة باغورا (1880) وشنغهاي (1883) وبعدها عين قنصلاً في تام سوي (في تايوان 1885)، ونيغ بو (1891). ثم غادر الصين عائداً إلى إنجلترا عام 1892. السنوات التي امضاها في الصين كانت هادئة على وجه العموم، فقد انتهت حرب الأفيون وثورة التاي بنغ بينما لم تأت بعد ثورة الملاكمين أو ثورة اللبوكسرز. والشيعوية كانت بحاجة إلى خمسين سنة أخرى حتى تأتي. جرب جايلز الصين القديمة بطريقة حميمة حيث كانت الأخلاق التقليدية ومدونة السلوك كما هي منذ ألفي سنة. فاليوم لا ندرك كم كانت الصين متخلفة تكنولوجياً خلال القرن التاسع عشر. إن العقود المتأخرة من القرن الذي كان يعيش فيه جايلز تمتعت بهدوء مضطرب في البلد الذي كان تاريخه يسجل القلاقل بدلاً من السلام.

إن الميزة الفريدة لتاريخ الأدب الصيني وترجماته الدقيقة يمكن أن تعزى لتجربة جايلز العملية والحميمة مع الصين والصينيين بالإضافة إلى خبرته النادرة مع اللغة الصينية. هذه التجربة وهي سلاسته باللغة الصينية وأسلوبه الأدبي المباشر بالانكليزية، سمحا له أن يصل إلى الدقة اللغوية ونقل روح النص الأصلي. عندما توفي جايلز في سن التسعين في كيمبريدج في 1935 كان قد صرف خمسين سنة وهو يكتب عن موضوعات صينية. فقد خرجت من قلمه الخصب كتب عن كيف تدرس أو تتعلم اللغة الصينية، وكاتالوجات عن الكتب الصينية، وأعمال عن الديانة التقليدية الصينية وعن الفولكلور وعن كلمة تشوناغ تسو (Chuang Tsu). وهو معروف أيضاً بالكتاب المعجمي ويد - جايلز Wade - Giles صاحب كتابة رومنة Romanization المقاطع الصينية (أي كتابتها بالأحرف الإنكليزية).

زود القدر بالفعل جايلز بفرص غير اعتيادية لمتابعة الدراسات الصينية. لقد جرب الصين في الأزمنة الجيدة، وعندما عاد إلى إنكلترا حصل على كرسي الدراسات الصينية في جامعة كيمبريدج - وهي فرصة سمحت له التركيز والكتابة. لم يحصل جايلز على مردود مالي في البداية، لكنه حصل بعد ذلك على أجر بسيط فقط لأنه في هذه السنوات كان التدريس العلمي لا علاقة له بالمال. كل من لم يستطع إلى ذلك سبيلا لا يمكنه أن يصبح استاذاً لمواضيع مغمورة. كان التلاميذ قلة - لم يعط أيّ منهم أهمية للدراسات الصينية - وبالتالي كان وقت الفراغ لديه واسعاً لكي يقرأ ويكتب في أجواء من السلام الأكاديمي لبلدة جامعية أخاذة. كان الأستاذ السابق لجايلز، وهو السير ت.ف. ويد، قد ترك للجامعة مجموعة كبيرة من الكتب الصينية والتي كانت ذات فائدة كبيرة لجايلز. في ذلك الوقت، بالفعل لم يوجد أي مكان في العالم، بما فيه الصين، يمكن له أن يتبع رغبات عالم متمرس ذو خبرة ليكتب في الموضوع الصيني. وعلى ضفاف نهر كام (نهر يخترق مدينة كيمبريدج - المترجم)، كان بإمكانه التأمل دون إزعاج في عظمة الصين وفنونها. وما تراث من الدراسات الصينية في كيمبريدج أنتج موسوعة جوزيف نيدهام العلوم والحضارة في الصين، هذه المجلدات التي تتحدث بسلطة عظيمة، وغيرها من الأعمال الثمينة.

إن الافتتان بالصين نزل على الغرب بعد أن قام ماركو بولو، في القرن الثالث عشر بوصف الثراء في بلاط كوبلاي خان. لقد عرف العالم الغربي عن الصين قبل ماركو بولو بفترة طويلة من خلال الحرير، والتوابل، والبورسلان (الخزف) التي وصلت الشرق الأوسط من خلال طرق الجمال الصعبة عبر المناطق الداخلية في آسيا. أن ثروات الصين الثقافية هي ذات منفعة دائمة للإنسانية، إلا أنها ظهرت مؤخراً في الغرب. حتى دخول القرن التاسع عشر لم تجر أي ترجمات جوهرية، وكان البروفيسور جايلز من بين الرواد الذين فتحوا الطريق لفهم الأدب العظيم. وقد تبعه في ذلك عصابة مميزة من الرفاق بمن فيهم آرثر ويلي Arther Waley، جيمس لج James Legge، ت.ل. كرانمر بينغ T.L. Cranmer - Byng لورانيس بينيون Lawrence Binyon، بيرتون واتسون Barton Watson، وغيرهم الذين عملوا على جبهات عريضة من الفن الصيني. وقام الآن العلماء ومؤرخوا الفنون،

وعلماء الآثار بوضع صورة أخاذة لفنون الصين كحضارة مستدامة لأكثر من 4000 سنة، إذ أخذنا بعين الاعتبار بدايتها قبل سلالة شانغ. وعلم الآثار قد كشف لنا أن المزيد قادم.

إن فنون الصين كثيرة، لكن آدابها هي التي تحترم تقليدياً. إن طبقة المثقفين في الصين، خلال معظم تاريخها، استمتعت برعاية الأباطرة والنبلاء الذين كلفوهم بتصنيف كتب في الشعر والرسم، والجغرافيا، وغيرها من المشاريع، في أغلب الأوقات لكي يدخل اسمهم التاريخ كرجال للثقافة. إلا أن هناك أوقاتاً من المد والجزر في التاريخ الأدبي الصيني، مع وجود اتفاق عام أن سلالة سونغ (-1270 960) تمثل العصر العظيم في الأدب الصيني الذي يقارن بالمعنى اليونان الهيلينية، وانكلترا الاليزابيثية والعصور العظيمة للآداب الهندية. فالهند ساهمت كثيراً بالحضارة الصينية بطريقة مباشرة، وخاصة من خلال إرسال فلسفة البوذية والتي تم إرسالها بدورها إلى اليابان. فالبوذية وصلت الصين قبل ألفي سنة لكن كان لوصول الراهب الهندي **بودي دارما Bodhidharma** عام 520 بعد الميلاد أن وضعت أسس لمدرسة **تشان Chan** أو **زن Zan** في الصين، والتي كان لها عبر اليابان تأثير على الفكر الغربي في القرن العشرين. لقد ساهمت الصين بالاختراقات الكثيرة في العالم التي جعلت من الحضارة شيئاً ممكناً، على وجه الخصوص الورق، أنواع الطباعة المنقولة والبارود.

حتى السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية كان الغربي العادي يعتقد أن الصينيين يشكلون أمة من العتالة - رجال صفر، ومبهمون لا تقدر أن تكون أفضل من خدم كجنس بشري من الصبيان الذين يجرون العربات ومن الطباخين. ويقال أن النوادي الخاصة الكولونيالية والمطاعم في شنغهاي علقوا إعلانات تقول: ممنوع دخول الكلاب والصينيين. لكن الزمان تغير في العقود الأخيرة. إن تفوق الإنسان الغربي في الغرب كما في الشرق لم يعد مقبولاً في حياة الشرق الأوسط أو في الشرق الأقصى. بالحقيقة قد يكون من الممكن أنه مثلما انتمت القرون الخمسة الماضية للإنسان الغربي فالقرن الحادي والعشرين سينظر إلى الإنسان الشرقي في صعود من خلال نهضة الصين واليابان. مثل هذا الانتقال للسلطة يمكن أن يكون سليماً

إن كان هناك تفاهم متبادل خاصة في هذه المنطقة التي للكتب فيها دور فريدة. إن الانتقال العام للسلطة الاقتصادية والعسكرية، من أمم العالم القديم لأوروبا إلى أمم العالم الجديد (للمحيط) الهادئ، قد تم بالفعل أمام أعين كل من تخطى أربعين سنة فما فوق وقد هز الثقة السابقة لكثير من الغربيين في مستقبل ثقافتهم المعنية.

على وجه الخصوص تمثل الصين مشكلة للديمقراطيات الغربية التي تفاجأت أن تكون بلد لها مثل هذه الثروة من الأدب والفنون والفلسفة تتجه إلى الحل الشيوعي. لكن التغيرات الحقيقية التي حصلت في الصين لم تكن جذرية. إن طريقة الحياة الشيوعية ما هي إلا واحدة من ثلاث أممات عظيمة من الفكر الصيني أي: التطابق الكونفوشيوسي مع الاحترام الكريم لأرواح الأسلاف، والصوفية الطاوية مع حرية الاختيار الفردية المطلقة والمدروسة الواقعية في القانون التي تقوم «على الحقائق الواقعية في العالم كما هي موجودة الآن» لكي نقتبس من هان فاي تسو Han Fei-Tzu. هذا النمط الأخير هو الصيغة الشيوعية القديمة للنظام الاجتماعي حيث يقوم فيه المواطن الفرد بالتنازل عن مصالحه الخاصة لصالح رفاهية الدولة. بهذا المعنى فإن الشيوعية في الصين ليست جديدة. مثلاً إن كتاب «كتاب اللورد شانغ The Book of Lord Shang» يصف «مجتمعاً يكون فيه الناس مسؤولين بشكل متبادل عن بعضهم البعض.» إن الشيوعية الصينية كيفت نفسها مع تعاليم كارل ماركس والتطبيقات الروسية للمجتمع الذي تم إعادة تشكيله لكن النماذج الأساسية موجودة في أدب العترات التي انقضت. إن المثل الواقعية القديمة تم وضعها في أطر حديثة مع إضافات القرن العشرين بالطبع. إن السيطرة الأجنبية والفوضى الاقتصادية وتقاليدهم الاستملاكية القمعية حولت هذه النقلة إلى نمط قديم. إن صفة الواقعية تقع في أساس الشخصية الصينية. في أي مجتمع باسيفيكي من الجزر البعيدة في البحر الجنوبي إلى أي بلدة ميناء ومدينة في آسيا ترى الصينيين المجتهدين يعملون بينما الآخرون نيام وترى الصينيين لا يهتمون بميزات الحياة العادية.

يرى البروفيسور جايلز بوضوح الإنجازات النسبية لكل من العترات المتعددة.

فيصف سلالة سونغ بالعصر الذهبي للأدب الصيني مع التحفظ على أن شعر سلالة تانغ يتفوق على أفضل شعر لسلالة سونغ. أما سلالة مانشو التي عاش فيها جايلز فهو يدينها في كتابه **جواهر الأدب الصيني-Gems of Chinesc Litera-ture** (الصادر في شنغهاي 1922). على أنها بالكاد تمر من حدود المقالة والأبيات الشعرية المتكلفة مما يعطي الانطباع من أنه كان نوعاً ما غير متسامح طيلة الوقت مع زمنه. إن حكمه النقدي مع أنه غالباً ما يكون قاسياً، في أغلب الأوقات، لا يزال صحيحاً حتى الآن. إن التسلسل الزمني للعترات الذي وضعه أصبح بالياً وذلك بسبب التقدم في علم الآثار على مدار السبعين سنة الماضية. وبناءً على سلطة الموسوعة البريطانية **Encyclopedia Britannica** الصادرة في 1970 وعلى أساس البحث التاريخي فإن التواريخ التالية ستخدم بشكل أفضل قارئ هذا الكتاب:

تشانغ Chang أو ين Yin: حوالي 1123-1776 قبل الميلاد.

تشو Chou: حوالي 256-1122 قبل الميلاد.

تشين 207-221 Chin: قبل الميلاد.

هان 202 : Han قبل الميلاد - 221 بعد الميلاد.

العترات الستة 589-221 Six Dynasties م.

سوي Sui 889-618 م.

تانغ Tang 906-618 م.

السلالات الخمسة والدول العشرة. 960-907 Five Dynasties and Ten States.

سونغ Song: 1279- 966 م.

يوان Yuan: 1368-1280 م.

مينغ Ming: 1644-1368 م.

تشينغ Ching 1912-1644 م.

ملاحظات بيلوغرافية

ولد هيربرت ألان جايلز في أكسفورد، إنجلترا عام 1845، وبعد عمر مديد دام حتى التسعين من عمره توفي في كيمبريدج في 1935. كتب عن المواضيع الصينية لمدة خمسين عاماً التي كان أسسها على معرفته الصحيحة للغة الصينية وربع قرن من الخبرة الشخصية عاشها في الصين.

وفي ريعان شبابه التحق جايلز بالخدمة القنصلية البريطانية في بكين في 1867 وبعدها خدم في كثير من المواقع حتى عام 1892 عندما عاد إلى إنجلترا.

كانت الدراسات الصينية في أدنى مستويات السلم (الأكاديمي) في الجامعات البريطانية خلال أواخر القرن التاسع عشر، لكن الاستدرة كانت موجودة وبالتالي أخذ جايلز كرسي اللغة الصينية في جامعة كيمبريدج في 1897. كان عدد الطلاب قليلاً لكن الكتب كانت كثيرة. كما أن الحياة المتروية لبروفيسور في كيمبريدج منحت جايلز فرصة غير محدودة للكتابة. الكتب تدفقت من قلمه. إن معرفته الراسخة باللغة الصينية وطلاقته باللغة الإنكليزية أعطيا بعضاً من أوضح وأرشق الترجمات في الأدب الصيني. في 1922 منحت الجمعية الآسيوية الملكية جايلز الميدالية الذهبية التي كانت تمنحها مرة كل ثلاث سنوات وقد حملت معها تقريضاً يقول «أكثر من أي عالم حي قام بأسننة الدراسات الصينية.»

عمل البروفيسور جايلز عن حق ليكشف للشعوب الناطقة بالانكليزية في العالم عمق وجمال الثقافة الصينية. ففي عصر كان يعتبر الصينيين مخلوقات غرائبية وبالتالي مبهمين وسخفاء فقد حقق جايلز فهماً أفضل لعظمة الصين على مر العصور. إن كتاب **تاريخ الأدب الصيني** هو واحد من أكثر الإنجازات الأدبية الباقية لجهوده وبالتأكيد هو مساهمة فريدة في الدراسات الصينية. إن عمل البروفيسور جايلز سيعطى دون شك اهتماماً متجدداً كلما كسب دور الصين في العالم الحديث أهمية متزايدة.

الدكتور تيرينس بارو

استهلال هيربرت أ. جايلز

هذه هي المحاولة الأولى التي جرت في أي لغة، بما فيها الصينية، لإنتاج تاريخ للأدب الصيني.

إن العلماء المحليين، بانتقاداتهم التي لا تنتهي وتثمينهم للأعمال الفردية، يبدون كأنهم لم يتصوروا مطلقاً أي شيء من هذا النوع، مدركين بلا شك بأسهم المر، من وجهة نظر صينية بإحراز أي نجاح مقارنة في مسح تاريخي عام حول الموضوع. إن الصفة الضخمة للأدب التي كانت قائمة قبل قرون ستة قبل العصر المسيحي واستمرت دون انقطاع حتى هذا التاريخ قد تكون أعطت فترة استراحة للكتاب الذين يهدفون للكمال. أما بالنسبة للطلاب الأجانب فهم يبدأون من أساس مختلف. يمكن ان يقال دون إجحاف، أن أي عمل قد يكون غير كافٍ لمطالبات أي جمهور محلي، يسلم لقراء الإنكليزية كمقدمة في الحقل الضخم الذي يمتد بعيداً.

عملاً باقتراح السيد غوس Gosse الذي أدين له بكثير من الإيماءات الثمينة فإني خصصت قسمًا كبيراً من هذا الكتاب للترجمة وبالتالي فقد مكنت الكاتب الصيني من التحدث عن نفسه حينما سمحت بذلك الترجمة. وقد أضفت هنا وهناك، ملاحظات للكاتب المحلي حتى يتمكن القارئ من تكوين فكرة حول وجهة نظر يقيم الصينيون منها انتاجهم.

يبقى لي أن أقول أن الترجمات ترجماتي، باستثناء بعض الفقرات من كتاب لجّ Legge «الكلاسيكيات الصينية Chinese Classics» وقد أشرت لها حينما وردت.

كيمبردج، أكتوبر (تشرين الأول) 1900

هيربرت أ. جايلز

الكتاب الأول
عصر الإقطاع 200-600 قبل الميلاد

الفصل الأول

العصور الخرافية - الحضارة الصينية الأولى - بداية الكتابة

إن تاريخ بداية كل الأشياء تمت حسابته بشكل جميل، من قبل المؤرخين الميقاتيين الكرونولوجيين الصينيين. قبل كل شيء كانت هناك فترة حيث كان فيها اللاشيء موجوداً، مع أن بعض المتحمسين حاولوا العمل بفترة تسبق ذلك. تدريجياً، أخذ اللاشيء على نفسه شكل ومحدوديات الوحدة، يمثله نقطة في مركز الدائرة. وهكذا نشأ الجوهر الفرد، السبب الأول، الهالة، أو روح العصر، أو أي شيء يريد الفرد أن يسميه.

بعد عصور لا تحصى، صرفها على ما يبدو بعمل لا شيء، فإن الجوهر الفرد انقسم إلى مبدئين اثنين، واحد ناشط والآخر ساكن، واحد إيجابي والآخر سلبي، الضوء والظلمة، الذكر والأنثى. إن تفاعل هذين المبدئين الاثنتين نجم عنه إنتاج كل شيء كما نراه نحن في العالم حولنا قبل 2.269.380 (مليونين ومائتين وتسع وستين ألفاً وثلاث مائة وثمانين سنة). هكذا كانت باختصار نظرية خلق الكون.

إن المؤرخين الصينيين الأكثر رزانة يكتفون بالبدهء بإمبراطور خرافي بدرجة كافية حكم قبل 2800 سنة قبل التقويم المسيحي. إن مزاولة الزراعة، واختراع المركبات ذات العجلات والفنون الأكثر بساطة للحضارة الأولى يتم نسبتها إلى هذه الفترة، أما بالنسبة للطالب الأوروبي المتجرد فهي فترة خرافة واسطورة؛ بالحقيقة نحن لا نعرف الكثير عنها. وكذلك لا نعرف الكثير، في المعنى التاريخي، عن الحكام المتعددين الذين تظهر أسماءهم وتواريخهم في الجداول الزمنية للألفيتين السابقتين. وبالواقع حتى قدوم القرن الثامن قبل الميلاد لا يمكننا التحدث عن التاريخ. لأسباب سوف نوضحها حالياً أن القرن السادس قبل الميلاد يشكل نقطة بداية مريحة لطلاب الآداب الصينية.

في ذلك الوقت، كانت الصين محصورة في مساحة صغيرة نسبياً تقع في معظمها بين النهر الأصفر شمالاً ونهر اليانغ تسه جنوباً. لا أحد يعلم من أي مكان ينحدر الصينيون. البعض يقول بالنظرية الساحرة بأنهم كانوا مهاجرين من أكاديا - Acca dia التي تقع في مملكة بابل القديمة؛ وغيرهم، نسبوهم إلى قبائل إسرائيل الضائعة. ويبدو أن لا أحد فكر من أنهم قد أتوا، ربما، من السهول الخصيبة الموجودين فيها. وعلى ما يبدو بالفعل أنها قد تكون مسلّمة اثنولوجية من أن كل جنس أتى من مكان ما خارج أرضه. وعلى كل حال فصين القرن الثامن قبل الميلاد تشكلت من عدد من الدول الإقطاعية، يحكمها النبلاء، ويظهرون الولاء للدولة المركزية التي كان على رأسها ملك. والعلامة الخارجية للخضوع كانت البيعة والجزية، لكن الولاء قد يكون أكثر لفظياً منه حقيقة، كل دولة هي عملياً مملكة مستقلة، إن هذا الوضع كان السبب وراء الغيرة المتبادلة. وفي كثير من الأحيان كان وراء الحروب الدموية، التي كانت فيها الدول تكره بعضها البعض تماماً بطريقة شديدة مثل أثينا وسبارطة.

وبخلاف ذلك، كانت هناك حضارة ملموسة عظيمة في الدول القديمة في تلك الأيام الأولى. وكان مواطنوها، عندما لم يشغلوا في قطع رقاب بعضهم البعض ينعمون بأمن معقول لحياتهم وممتلكاتهم. عاشوا في بيوت ذات بناء جيد، لبسوا الحرير أو الأقمشة المنسوجة في البيت، لبسوا الأحذية المصنوعة من الجلد، وحملوا الشمسيات والمظلات. جلسوا على الكراسي أو استخدموا الطاولات، ركبوا العربات وعربات بدولابين، وتنقلوا بالقوارب، وتناولوا طعامهم من الصحون والأواني الخزفية، ربما كانت خشنة لكنها كانت تفوق الصواني الخشبية التي كانت دارجة الاستعمال حتى زمن قريب في أوروبا. وقاسوا الزمن بالمزولة وكان لهم في العصر الذهبي شجرتان للتقويم شهيرتين وصلنا منهما أشكال تمثيل استعاراتية منحوتة تاريخها يعود لحوالي (150) سنة قبل الميلاد. إحدى هاتين الشجرتين كانت تنتج ورقة كل يوم لمدة خمسة عشر يوماً بعدها كانت تسقط الورقة يومياً على مدار الخمسة عشر الأخرى. ومع نمو هاتين الشجرتين في ساحة الدار كان من الممكن أن يعرف المرء بنظرة واحدة ما هو اليوم من الشهر وما هو الشهر من السنة، لكن

الحضارة أثبتت أنها لم تكن ملائمة لنموها واندثر هذا النوع كلياً.

في القرن السادس قبل الميلاد كان الصينيون يملكون لغة مكتوبة كافية تماماً لأكثر التعبيرات المتعددة للفكر الإنساني، وبالْحَقِيقَة كانت مشابهة لخطهم الحالي، مما سمح بين أمور أخرى لتعدّلات محدّدة في الشكل نجم عن إحلال الورق والفرشاة المصنوعة من وبر الجمال محل ألواح البامبو وأقلام ستايلوس القديمة **Stylos**. إن المراحل الفعلية التي تم التوصل لها في هذه النقطة بعيدة جداً وغير معروفة لدينا. كان للصين كادموسها¹ الخاص بها في شخصية فرد ما قبل التاريخ المسمى **تسانغ تشييه (Tsang Chieh)** الذي قيل عنه أنه كان لديه أربعة أعين وأخذ فكرة اللغة المكتوبة من علامات مخالب الطيور التي تتركها على الرمال. وعندما أنهى مهمته أمطرت السماء قمحاً وخلال الليل نامت الأرواح الشريرة. وقبل هذه الأحداث، لم يكن لدى الإنسانية أي نظام غير الطريقة البدائية لربط الحبال أو تثليم العصي ليسجلوا الأحداث أو للتواصل مع بعض عن بعد.

فيما يتعلق بأصل اللغة المكتوبة للصين فإن الاختراع بعيد كل البعد عن الصحة. يبدو من المحتمل أنه في عصور ما قبل التاريخ كان الصينيون، مثلهم مثل الشعوب الأخرى، قد بدأوا يرسمون رسومات بدائية للشمس والقمر والنجوم، للفرد نفسه، للشجر وللنار والمطر، ويبدو أنهم اتبعوا ذلك بصور (إيديوغرام) من أنواع مختلفة. ما هي المسافة التي قطعوها في هذا الاتجاه لا يمكننا إلا تخمين ذلك. بالمقارنة يوجد أفراد مصورون بوضوح وصور يمكن إيجادها في كتابات الألفيتين الماضيتين: لكن التحقيقات التي أجراها لسنوات كثر السيد ل. سي. هوبكينز **L.C. Hobkins** قنصل جلالته في تشي **فو Che Foo** ويقترب الآن من الانتهاء منه، تشير أكثر فأكثر إلى حقيقة أن اللغة المكتوبة سيعترف بها يوماً ما على أنها تطورت من رموز مصورة. وعلى أي حال، من المؤكد أنه في تاريخ مبكر عقب الفترة الخرافية «للحبال المربوطة» و«التثليم» نجد في الوقت الذي لا تزال فيه الرموز التصويرية قليلة نوعاً ما أحد المنظمين العباقرة قد وصل إلى تخوم المبدأ اللفظي أو النطقي التي هي النقطة التي انطلق منها التطوير السريع للغة المكتوبة، كالتي نجدها الآن، ستكون مسألة سهلة.

1 أي الشخصية الخرافية وهو كادموس مؤسس مدينة طيبة اليونانية/ المترجم.

الفصل الثاني

كونفوشيوس - الكلاسيكيات الخمسة

ولد كونفوشيوس في سنة 551 قبل الميلاد. ويمكن اعتباره مؤسس الأدب الصيني. خلال السنين التي قضاها بالوظيفة كخادم حكومي، والسنين التي قضاها يعلم ويتجول كمنفي، وجد الوقت لينقذ للأجيال القادمة عدداً من المِزَن الأدبية الثرية تعود للعصور القديمة جداً وأن ينتج على الأقل كتاباً أصلياً له. إن من غير الممكن التأكيد أنه قبل زمانه كان هناك شيء ما بالمعنى المفهوم بالأدب العام. يبدو أن اللغة المكتوبة كانت تستخدم أساساً لأهداف الإدارة. لكن كثيراً من التعبيرات، من الأيام الأولى، حتى لا نقول من أيام الخرافة، كان الحكام ملزمون بالكتابة في وقت ما، ومثل هذه التي كانت مفقودة تم جمعها بعناية وحررت من قبل كونفوشيوس وشكلت ما هو معروف لدينا بكتاب التاريخ أو شو تشينغ (Shu Ching). الوثائق التي شكلت هذا العمل كان عددها ما مجموعه مائة وثيقة وكانت تغطي فترة امتدت من القرن الرابع والعشرين إلى القرن الثامن قبل الميلاد. إنها تعطينا ومضات عن العصر الذي سبق كونفوشيوس إن لم يكن في الواقع أبكر من ذلك مثلما يدعون. أول وثيقتين، مثلاً، تشيران إلى الإمبراطورين ياو Yao وشون Shun الذين امتد حكمهما من 2357-2205 قبل الميلاد الذي يسمى العصر الذهبي للصين. وإننا نقرأ فيه كيف أن الملك الأول «وحد الأجزاء المتعددة تحت حكمه بروابط من السلام مما مكن أن تسود اتفاقيات المصالحة بين الشعوب ذوي الشعر الأسود.» وكان هذا قد تنازل لصالح شون الذي وصف على أنه حكيم عميق جداً، وذكي، ومخلص. إضافة إلى ذلك فنحن نعلم كذلك إلى أنه تم اختياره بسبب بره العظيم بوالديه مما مكنه من العيش بتناغم مع والد غير مبدئي وزوجة أب مراوغة وخادعة وأخ غير شقيق متعجرف، وفوق كل ذلك أن يؤثر بمثله في الإصلاح المقارن لشخصياتهم المتعددة.

بعد ذلك نأتي إلى شخصية مشهورة جداً أسست سلالة هسيا Hsia في عام 2205 قبل الميلاد ويعرف باسم أو العظيم Great Yu. انه هو الذي نجح، في فترة حكم الإمبراطور شون، بالتعامل مع طوفان مدمر، كان يشار له بطوفان نوح والذي قيل عنه في (كتاب) تسو تشوان Tso Chuan، «كم هي إنجازات (أو) عظيمة، وكم هي طاقته الممجدة بليغة! ولولا (أو) لكان يجب أن نكون سمكا». التالي هو نصه (ترجمة لج Legge):-

«كانت مياه الطوفان تبدو على أنها تهاجم السموات، ومن خلال مساحتها الشاسعة ضمت الجبال وغطت التلال مما جعل الناس مندهشين ومغلوبين على أمرهم، لقد ركبت وسائل النقل الأربعة الخاصة بي (العربة والقوارب والزلاجات، وحدائي ذي المسامير) وقمت في كل التلال، وأنا سائر، بقطع الغابات، وفي الوقت نفسه أطلعنا، مع (أو) الجموع كيف يمكنهم الحصول على اللحم من أجل أن يأكلوا. وفتحت ممرات للجداول على طول المقاطعات التسع وأدرت مجراهم إلى البحر. وعمقت القنوات والأقنية وأدرت مجراها إلى الجداول، وفي الوقت نفسه، قمت إلى جانب تشي Chi ببذر القمح وأطلعت الجموع كيف يمكنهم الحصول على طعام الجدد والعمل بالإضافة إلى اللحوم حتى يأكلوا. وحشنتهم أيضاً على تبادل ما عندهم مع ما ليس عندهم وأن يتخلصوا من مخزونهم الذي جمعوه. وبهذه الطريقة حصل الناس كلهم على القمح ليأكلوا وجميع الدول بدأت تخضع للحكم الرشيد.

جزء بسيط من كتاب التاريخ مكتوب شعراً:-

«الناس يجب أن يكونوا معززين ولا يجب أن يكونوا مضطهدين.

الناس هم جذر البلد،

وإذا كان الجذر ثابتاً سيكون البلد آمناً.

القصر (مكان) جامع للشهوة.

والبلد (مكان) جامع للصيد.

نبيذ غني، وموسيقى ساحرة.

وأسقف مرتفعة وحوائط منحوتة،

إذا أعطيته واحدة من هذه

فلا يمكن أن تكون النتيجة إلا الدمار.»

من تاريخ تأسيس سلالة هسيا Hsia تم تناقل عرش الإمبراطورية من الأب إلى الأبن، ولم يعد هناك تنازل لصالح الحكماء الشرفاء. يعالج القسم الرابع من كتاب التاريخ انحطاط حكام هسيا واستبدالهم النهائي عام 1766 قبل الميلاد من قبل تانغ الكامل، مؤسس سلالة شانغ، بحلول 1122 قبل الميلاد سقط ملوك شانغ كذلك من المزايا الملكية لمؤسسهم إلى درجة أكثر انخفاضاً من الذل والرذيلة. ثم قام واحد من أكثر الإبطال نقاءً وأكثرهم احتراماً في التاريخ الصيني، عرف شعبياً باسم التطويب الخاص به، ون وانغ Wen Wang، كان حاكماً وراثياً لإمارة تقع في مقاطعة شانسي Shensi الحديثة وفي 1144 قبل الميلاد، تمت إدانته بالخطورة على العرش، تم القبض عليه، وزج به بالسجن، حيث أمضى سنتين، منشغلاً بكتاب المتغيرات Book of Changes، الذي سزجج إليه حالا. وبعد فترة استسلم الإمبراطور إلى تدخلات الناس متراجعاً أمام هدية محظية جميلة وعدد من الأحصنة البديعة، فأطلق سراحه وعهد إليه بشن الحرب على القبائل الحدودية، حتى يومه الأخير من حياته، لم يتوقف أبداً عن الاحتجاج على قسوة وفساد العصر، ولا يزال اسمه معتبراً كأحد أمجد الناس في تاريخ الإمبراطورية. وقد كان من نصيب ابنه، الذي كان يعرف باسم وو وانغ Wu Wang الانقلاب على سلالة تشانغ وتقلد العرش كاملك الأول لسلالة شانغ التي كانت لها الديمومة لمدة ثمانية قرون. التالي هو خطاب من قبل الأخير أمام تجمع كبير من النبلاء الذين كانوا يميلون ضد أسرة شانغ. إن الخطاب محفوظ، بين أمور أخرى، في كتاب التاريخ، وتم تأريخه في العام 1133 قبل الميلاد (ترجمة ليج):-

إن السماء والأرض هي الوالدان لكل المخلوقات، ومن بين كل المخلوقات فالإنسان

أكثرها موهبة. ومن بين الرجال يصبح المخلص والذكي والألمعي ملكاً عظيماً، والمملك العظيم هو والد كل الناس. أما الآن، فإن شو Shou، ملك شانغ لا يحترم السماء العليا وينزل المصائب بالشعب. وقد ترك نفسه للسكر والتهور في الشهوة. وقد جرؤ على ممارسة الظلم القاسي. بالإضافة إلى جميع المجرمين فقد عاقب أيضاً جميع أهلهم. لقد وضع الناس في مناصبهم على أساس مبدأ الوراثة. وقد عمل في سعيه للحصول على القصور، والأبراج والمقصورات والكبارى، وأحواض البرك، وكل هذا التبذير وغيره الجرح الأكثر إيلاًماً لكم، أنتم الناس الذين لا تعدون ولا تحصون، وقد قام بحرق وشواء الوفي والجيد. وقد قام بتمزيق النساء الحوامل. لقد أصاب ذلك السماء العظيمة بالغضب وأولت والذي المتوفى ون Wen باحترام أن يظهر عظمتها، إلا أنه توفي قبل أن يتم العمل.

«وعلى هذا الأساس، أنا، (فا) (Fa) الذي لا يزال طفلاً صغيراً، قمت، من خلالكم، أيها الحكام الوارثون للدول الصديقة، بتأمل حكومة شانغ؛ ولكن شو Shou ليس لديه أية رحمة في قلبه. إنه يبقى مقرفصاً على كعبيه، لا يخدم الله أو الأرواح في السماء والأرض، مهملاً كذلك معبد الأجداد وتقديم القرابين فيه. إن الضحايا والتابعين من الأمة يصبحون جميعاً الضحية للصوص الأشرار، وبالرغم من ذلك فإنه يقول: هؤلاء الناس ملكي، والأوامر هي لي، دون أن يحاول أبداً تصحيح عقله القميء، الآن، السماء، من أجل حماية الناس الأقل حظاً، نصبت عليهم حكماً وحملت كذلك لهم مدربين حتى يتمكنوا من مساعدة الله وتأمين الطمأنينة في أرجاء الإمبراطورية الأربعة. فيما يخص من هو المجرم ومن ليس كذلك، كيف أجرؤ أن أتحدث عن رغباتي الخاصة.

«حيث توجد القوة بشكل متساوٍ، فقس فضيلة الفرعاء، وأينما توجد الفضيلة بشكل متساوٍ، فقس برهم. شو Shou عنده مئات الآلاف من الوزراء الذين لا حصر لهم ولكن هم أيضاً عندهم مئات الآلاف من عقول لا حصر لها: أنا عندي ثلاثة آلاف وزير لكن كلهم عندهم عقل واحد. إن ظلم شانغ Shang هو ظلم كامل، والسماء تعطي الأوامر لتدميره، وإذا لم أمتثل للسماء، فإن خطيئتي تكون بالمقدار نفسه.

«أنا، فا Fa ذلك الطفل الصغير إن عاجلاً أو آجلاً سأمتلئ خشية. أنا توليت المهمة من والدي المتوفي، ون Wen؛ وقدمت ضحية خاصة للرب، وقد قمت بالخدمة المطلوبة مني للأرض العظيمة؛ وعندى جموعكم لتنفيذ العقاب الذي حددته السماء. إن السماء تقوم بتكليف الشعب، وما يبتغيه الناس، ستجد السماء أذنًا صاغية له. هل تساعدوني، أنا الرجل الواحد، لتنظيف كل من على البحار الأربعة (أي في كل المعمورة)، الآن جاء الوقت! دعونا أن لا نضيع ذلك.»

وثيقتان اثنتان من التي تشكل كتاب التاريخ موجهة ضد الترف والسكر. ويبدو أن الناس كانت تريد الانصياع للطلب حتى أبعد مسافة معقولة من وفاة ون وانغ Wan Wang. لقد أصدر الأخير (ون وانغ) قراراً أن النبيذ (وذلك يشتمل على المشروبات الروحية المستقطرة من الأرز، يمكن استخدامه فقط بمناسبات التضحية، وحتى في تلك الحالة يكون ذلك تحت إشراف دقيق، هذا كتب كمبدأ عام من أن جميع المصائب القومية التي تنتهي بسقوط السلالة، يمكن أن تنسب إلى إساءة استعمال النبيذ.

إن كتاب Shih Ching أو كتاب القصائد الغنائية هو عمل آخر يتم حفظه ونحن مدينون لكونفوشيوس للحصول عليه. إنه يضم مجموعة من القصائد الغنائية المقفاة بأوزان مختلفة، في العادة تضم أربع كلمات للسطر، جرى تأليفها بين حكم (أو) العظيم وبداية القرن السادس قبل الميلاد. إن هذه التي يبلغ تعدادها 305 تعرف من ناحية شعبية «بالثلاثمائة» والتي قيل عنها أنه تم انتقاؤها من قبل كونفوشيوس من مجموعة لا تقل عن 3000 قطعة. ويتم ترتيبها تحت أربعة عناوين كالتالي:- (أ) قصائد غنائية عادة تغنى من قبل الشعب في الدول الإقطاعية المتعددة، ويتم إرسالها بشكل منتظم من قبل النبلاء إلى مليكهم ابن السماء. بعد ذلك يتم إرسال القصائد الغنائية إلى الموسيقيين (في البلاط) الإمبراطوري، الذين كانوا يملكون المقدره أن يحكموا من طبيعة التأليف ما هي الأخلاق والعادات السائدة في كل دولة وبالتالي يمكنهم نصيحة الملك وفقاً لذلك فيما يتعلق بالإرادة الجيدة أو الفاشلة (الخيرة أو الشريرة) لكل من حكامه التابعين له. (ب) قصائد غنائية تغنى في الحفلات الترفيهية العادية التي يدعو لها الملك. (ج) قصائد غنائية

تغنى في المناسبات الكبرى عندما يجتمع النبلاء الاقطاعيون مع بعضهم البعض.
(د) قصائد غنائية في المديح والتضحية.

كان كونفوشيوس نفسه يعطي عمله الأهمية القصوى في هذا الاتجاه. وقد سأل ابنه في إحدى المناسبات «هل تعلمت القصائد الغنائية؟» وعندما حصل على جواب بالنفي ما كان منه إلا أن أبلغ الصبي فوراً قائلاً حتى يتم ذلك فإنه لن يكون ملائماً في مجتمع الرجال المثقفين. قد يكون كونفوشيوس حقيقة قد توقع القول المأثور هذا الذي ينسب² إلى فلتشر من سالطون والموجه إلى «رجل حكيم جداً» أي أن من يسمح له أن يؤلف «قصائد غنائية للأمة كلها لا يحتاج الاهتمام بمن سن القوانين لها. وقد يكون هذا الاهتمام من كونفوشيوس أدى إلى هذه الرعاية الأدبية غير العادية فيما يتعلق بالقصائد الغنائية. إن المعلقين القدماء الذين لم يكن في مقدورهم رؤية جمالية الأشعار الطبيعية والبسيطة، والتي وفرت للغة اليوم الحاضر كلمات البيوت غير المحدودة والمخزون الواسع من الأسلوب اللغوي، وفي الوقت نفسه غير قادرة على تجاهل حكم السيد عن عمد، فأخذ يعمل على قراءة أناشيد الريف التي تحمل أهمية أخلاقية وسياسية. وكل واحدة من «الثلاثمائة» الخالدة أجبرت على أن تثمر نوعاً من المعنى الخفي وتشير إلى الدرس الأخلاقي المناسب. أن حذرت فتاة حبيبها أن لا يستعجل:-

«لا أرجوك لا تدخل أيتها السيد!

لا تكسر شجرة الصفصاف خاصتي!

ليس لأن ذلك سيحزنني كثيراً!

لكن، ويا للأسف، ماذا سيقول والديّ؟

أحبك كما أريد

لا يمكنني تحمل التفكير ماذا سيكون ذلك،»-

2 كاتب وسياسي سكتلندي عاش بين 1665-1716 وكان ينادي بعدم ضم سكتلندا إلى بريطانيا. المترجم

فالمعلقون اكتشفوا فوراً أن هذه القطعة تشير إلى نبيل اقطاعي كان أخاه يتآمر ضده، وحتى لا يأخذ الأول عقاباً ملاماً وسريعاً قام بتقديم الاعتذارات لأنه لم يقيم بزيارة الثاني.

وقد تقول سيدة شابة مستقلة أخرى
«إن كنت ستحبني يا عزيزتي يا سيدي
سأرفع تنورتني واقطع النهر من المنخفض
ولكن أن كنت تطردني من كل قلبك
أعرف أنك لست الرجل الوحيد الموجود
يا أيها الأبله الأخرق، الأخرق، الأخرق!»

لم يزل المعلقون لا يريدون أن يظهروا أن هذه الكلمات المباشرة تعبر عن رغبة شعب في دولة صغيرة أن تقوم دولة كبيرة ما بالتدخل وتضع حداً للنزاع القائم في العائلة الحاكمة. بالطبع إن العلماء المحليين متعصبون جداً لتراث المعلقين، لكن طلاب العلم الأوروبيين سينتفعون حتماً أن هم سعوا وراء معنى القصائد الغنائية على امتداد القصائد الغنائية نفسها.

من الممكن أن يكون إدخال هذه السخافات والحماقات نفسها قد ساعد في الحفاظ حتى يومنا هذا على عمل كان يمكن أن يعتبر متواضعاً جداً ليحصل على انتباه العلماء. الصينيون الذين في مقدمة الباحثين، يحفظون ذلك عن ظهر قلب، وكل قطعة منفصلة خضعت للتحقيقات البحثية، حتى لم يعد بإمكان قوة التأويل أن تحدث أكثر من ذلك. يوجد بيت من الشعر، مشهور جداً الذي يقول وفقاً للتعليق الجاري، «إن تعكر نهر تشينغ Ching يظهر من (صفاء) نهر واي Wei.» في سنة 1790 لم يكن الإمبراطور تشيان لونغ Chien Lung راضياً عن هذا التفسير، فأرسل نائبه ليفحص النهرين، وقد عاد الأخير ليقول أن تشينغ كان حقاً صافياً ونهر الواي Wei. «كان عكراً موحلاً مما جعل تأليف السطر يعني بالضرورة «إن نهر تشينغ قد صار عكراً» من نهر واي.»

التالي هو عينة من قصيدة واحدة من القصائد الغنائية، محملة، مثلها مثل
الباقيين، بتفسير سياسي غير معقول، وهي ليست بحاجة إلى أن نقول فيها شيئاً:-

«يبدو أنك شاب بسيط للغاية،

تعرض أشياءك المنسوجة من الحرير³
لكن الحرير لم يكن مطلوباً منك،

فأنا كنت الحرير الذي تطلبه.

معك أنا قطعت المنخفض، وبينما

نحن نتجول لعدة أميال

قلت، لا أرغب بالتأخير،

لكن على الأصدقاء أن يحددوا يوم زفافنا.

أرجو أن لا تسمح لكلماتي أن تسبب ألماً.

لكن مع الخريف تعال مرة أخرى.

«ثم أي كنت أراقب وأنتظر

لأراك تمر عبر البوابة،

وفي بعض الأحيان، عندما كنت أراقب دون جدوى،

دموعي كانت تنهمر مثل المطر المتساقط،

ولكن عندما رأيت حبيبي

ضحكت وبكيت بصوت مرتفع من الفرحة.

لقد قلت أن العرافين قد اعلنونا زوجين،

3 من المفروض أن تكون هذه قطع من الكتان تستخدم كوسيط دوار قبل اختراع العملة. المترجم

‘وبالتالي أحضر العربية، اجبتك،
سأنصرف لكي أكون عروسك.’

«ورقة التوت، لم يأت أجلها بعد،
ومع برد الخريف، لا تزال تلمع في الشمس.
يا حمامتي الأليفة، أنصحك، انتبهي للفاكهة التي تخزي العيون،
آه، يا أنستي الجميلة التي لم تصبح بعد زوجة
لا تستمعي إلى المحبين عندما يقسمون!
الإنسان قد يفعل ذلك خطأ لكن الزمان
سيفرش ظله على جريمته،
المرأة التي أضاعت اسمها
محكوم عليها بالخزي.
«إن شجرة التوت الطالعة على الأرض
تقوم الآن بنفض أوراقها الصفراء.
ثلاث سنوات انزلقت مني
منذ أن شاركتك لأول مرة، فقرك،
والآن، مرة أخرى، ويا للأسف!
عائدا من خلال النهر الضحل أخذت طريقتي
إن قلبي لا يزال لم يتغير، لكنك
قلت كلمات ثبت الآن أنها غير صحيحة،
وتركتيني لتأسف.»

على حب لا يمكن أن يكون لي بعد الآن.

لمدة ثلاث سنوات طويلة كنت زوجك
وعشت حقيقة حياة شاقة،
كنت أنهض باكراً وأنام متأخراً،
وكل يوم يشبه الآخر قد مر عليّ.
لقد قمت بأمانة بالوفاء بدوري،
أما أنت، آه لقد حطمت قلبي.
الحقيقة أن أخوتي لا يريدون أن يعرفوا
وبالتالي ستنسب استهزاءاتهم أكثر
أنا أحزن بصمت وأتأفف
من أن هذا القدر البائس هو قدري.

أواه، يداً بيد لمواجهة الشيخوخة!
بدلاً من ذلك، أنا أقلب الصفحة المرة.
آه على ضفاف النهر الغابرة،
آه على حب الشواطئ الهورية؛
إن ساعات بنايتي، مع شعري
المنفوش، ونحن نتباطأ، هناك.
الكلمات التي تحدثنا بها بدت صحيحة
أنا لم أفكر أنني علي أن أندم

أنا لم أفكر أن الوعود التي قطعناها

لن تربطنا، كليناً، يوماً ما.»

كثير من القصائد الغنائية تتحدث عن الحرب وعن فصل الزوجات عن أزواجهن، وقصائد غنائية أخرى تتحدث عن الزراعة وأخرى غيرها تتحدث عن الزواج والاحتفالات، أما آلام الحياة العادية فقد تمثلت كلياً، ويمكن إضافة الشكاوى المتعددة ضد غلظة الموظفين، لدرجة أن أحد المتحدثين أعرب عن الرغبة أن يكون شجرة دون وعي، دون منزل ودون عائلة. إن الموضوع القديم حول «كُلُّ، اشرب، وكن سعيداً» تم التعبير عنه بالشكل التالي:-

لديك المعاطف والأرواب

لكنك لا تستبدلها،

عندك عربات وأحصنة

لكنك لا تتركب فيها

رويداً رويداً، ستموت،

وغيرك سيسعد بها

عندك باحات وقاعات

لكنها ليست مرشوشة أو مكثّسة،

عندك أجراس وطبول

لكنها لا تقرع أو تضرب.

رويداً رويداً ستموت

وغيرك سيمتلكها.

عندك النبيذ والطعام،

لماذا لا تعزف يوماً على العود الخاص بك،

حتى تسر بها
وتعيش أطول؟
رويداً، رويداً، ستموت،
وغيرك سيأخذ مكانك.

القوائد الغنائية ثمينة على وجه الخصوص كما تعطيه لنا من بصيرة في الأخلاق والعاتات ومعتقدات الصينيين في عصر ما قبل كونفوشيوس، إلى أي مدى ترجع في الزمن لا يمكن التكهن بذلك، إن كسوف الشمس «حادثة من سوء الطالع»، ذكرت في واحدة من القوائد الغنائية كحدث جديد تم في يوم مخصص بتاريخ 29 آب (أغسطس) 775 قبل الميلاد، وتم تعريف هذا الكسوف بهذا التاريخ. الأبيات التالية هي من ترجمة لج Legge لهذه القصيدة الغنائية:-

«الشمس والقمر يعلنان الشر

لأنهما لم يلتزما بمجراهما.

في كل المملكة لا توجد حكومة مناسبة،

لأن الجيدين لا يوظفون.

وحتى ينخسف القمر

ما هي إلا مسألة عادية

أما الآن مع كسوف الشمس

فإن الأمر سيء!»

لم يعتبر قوس قزح من نُدُر الشر، وإنما كمركب غير لائق للقوة المزدوجة للطبيعة:-

«يوجد هناك قوس قزح في الشرق

ولا أحد يجرؤ على الإشارة له،» -

وينطبق ذلك، مجازاً، على النساء التي تعمل ارتباطات غير موفقة.

يبدو أن وضع المرأة لم يتغير عن ذلك الموجود حالياً، في قصيدة غنائية تصف إتمام بناء قصر لواحد من الأمراء القدماء يجري تعريفنا على الغرف فيه،

«هنا سيعيش، هنا سيجلس،

هنا سيضحك، وهنا سيتحدث،» -

حتى نصل إلى غرفة النوم، حيث سيفيق وينادي على الكاهن الكبير ليفسر له حلمه عن الدببة والحيات، وتجري الترجمة (وفقاً للـج) كالتالي:-

«سيولد أبناء له:-

سينامون على الأرائك،

سيتم إلباسهم الأرواب،

وسيكون لهم صولجانات يلعبون بها،

وصياحهم سيكون عال.

وسيزهون بغطاء الركبة الحمراء،

فهو أمير البلاد المستقبلي.

«ستولد له البنات:-

سينمن على الأرض،

سيتم لفهن بالأغلفة،

سيكون لديهن قطع بلاط ليلعبن بها.

وسيحق لهن أن يقمن بعمل خاطئ أو بعمل جيد.

فقط سيفكرن بالمشروبات الروحية وبالطعام،

وبألاً يسبن الحزن لواليهن.»

إن التمييز الذي سجل هو قاس بما يكفي ولعله من غير الضروري أن نجري

مقارنة، كما فعل عدد من الكتاب عن الصين، بين قطع البلاط والصولجان، كما لو أن الأول قطعة خزف مكسورة، ملائمة تماماً للبنات، إن البلاط تم استخدامه في العصور القديمة كثقل يوضع على المغزل، وهنا استخدم فقط ليشير إلى الاتجاه الذي على نشاطات البنت أن تأخذه.

إن النساء عولجن أيضاً في قصيدة غنائية التي تقتفي أثر سوء الحكم القائم بسبب تدخلهن في شؤون الدولة وفي أمور لا تقع ضمن مقاطعاتهن:-

«الرجل الحكيم يبني مدينة،

المرأة الحكيمة تخفض جناحها

بكل امتيازاتها تلك المرأة الحكيمة

ما هي إلا امرأة منحوسة.

المرأة التي لها لسان طويل،

هي درج يقود إلى الكارثة

لأن الفوضى لا تأتي من السماء

وإنما تأتي من النساء.

من بين الذين لا يمكن تدريبهم أو تعليمهم

هم النساء والخصيان.»

حوالي سبعين نوعاً من النبات ذكرت في القصائد الغنائية بما فيها البامبو، والشعير، والحبوب والبلاط، ونبات الحامول، واللوبياء، والقنب، والنبيلة، وعرقسوس، والبطيخ والذرة والفاونيا، والفلفل الحار، والموز الضخم قليل الحلاوة، والكرث، الجرجير والرشاد، وشاي التفاف Sowthistle ونبات متعربش اسمه تريبولوس والحنطة، وحوالي ثلاثين نوعاً من الشجر، بما فيها شجر، الأرز، والكرز، والكستناء والنخيل والبندق، والأبيكي دنيا، والتوت، والبلوط والخوخ، والإجاص، والبرقوق، والصفصاف، وحوالي ثلاثين نوعاً من الحيوانات، بما

فيها الطباء، والغرير، والدب، والخنزير البري، والفيل، والثعلب، والفهد، والقرد، والجراد، ووحيد القرن، والنمر والذئب، وحوالي ثلاثين نوعاً من الطيور بما فيها طائر الكركي والنسر، ومالك الحزين، والعقعق، والأوريول، والسنونو، وطائر أبو قصادة، وحوالي عشرة أنواع من السمك، بما فيها السمك البني، والمرجان، والشبوط، سمكة الحفش النهرية، وحوالي عشرين نوعاً من الحشرات بما في ذلك النمل وزيز الحصاد، وحباحب، والجراد والعنكبوت، والدبور.

ومن بين الآلات الموسيقية التي وجدت في القصائد الغنائية المزمار، الطبل، الجرس، العود، وآلة نفخ بدائية، تسمى «بانديان بايس» ومن بين المعادن وجد الذهب والحديد وبإشارة غير مباشرة للفضة والنحاس، ومن بين الأسلحة والذخيرة الحربية يوجد القوس والنشاب، والرماح، والسيوف والبلطات الطويلة والدروع، وخطافات الخطاطيف، والأبراج على عجلات لتستخدم ضد المدن المحاصرة، وكمامات لأفواه الجنود لمنعهم من الحديث داخل الصفوف عندما يكون هناك هجوم ليلي.

إن فكرة الله أو الكائن الأسمى بارزة بشكل تام في القصائد الغنائية:-

«الله عظيم

يحكم بجلاله.»

وأيضاً،

كم الله عظيم

حاكم الإنسانية

كم هو مروع في جلاله!»

على ما يبدو يوجد في شكل إنسان حيث أنه في أحد المرات نقرأ عن بصمة قدمه، إنه يكره ظلم الدول العظيمة، مع أننا نقرأ في فقرة أخرى:-

«أنظر إلى الله جل جلاله؛

من هو الذي يكره؟»

إنه يريح البأس، وهو لا يرتكب الخطأ، إن «طريقته» صعبة التتبع، إنه يستاء من الخطايا، ويمكن مراضاته بالتضحية.

«أن نعبئ إناء التضحية بالتضحيات،

إن كان في إناء الخشب والبورسلان أو الفخار.

وعندما يصل الشذا إلى العلا،

فإن الله يشم النكهة ويكون راضياً.»

يوجد اقتباس آخر والذي سيكون الأخير وذلك احتراماً لحدود المكان، يظهر الفلاحين والمزارعين، بضوء يبسط:-

الغيوم تتجمع في كتل هوائية

والمطر ينهمر بلطف.

آه، عساه أن يسقى الأرض العامة.

وبعد ذلك يأتي إلى حقولنا الخاصة!

هنا لا تزال بعض حبات الحبوب واقفة.







وهنا ستكون بعض الحزم غير مربوطة؛

وهنا ستسقط حفنة من الحبوب

وهنا ستكون بعض السنابل المهملة

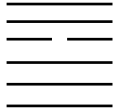
هذه ستكون لصالح الأرملة.

بعد هذه الأعمال من الفترة التي سبقت كونفوشيوس، ولربما أقدمها على الإطلاق، يقع كتاب (I Ching) أو كتاب التغيير. ينسب هذا الكتاب إلى

ون وانغ Wen Wang، المؤسس الحقيقي لسلالة تشو Chou، والذي كان ابنه وو وانغ Wu Wang أول ملك لسلالة طويلة، امتدت من 1122 قبل الميلاد إلى 249 قبل الميلاد، وأنه يتضمن نظاماً مذهلاً من الفلسفة، استخرج بالأساس من ثمانية رسوم تتألف من تركيبات ثلاثية أو ترتيبات لسطر أو لسطر متقطع، إحداهما أو غيرهما، يتم إعادته بالضرورة مرتين، وفي حالتين يعاد ثلاث مرات في التركيبة نفسها. وهكذا قد تكون هناك ثلاثة خطوط ، أو ثلاثة خطوط متقطعة ، وخط متقطع في أعلى  أو أسفل  الخطين ، وخط متقطع بين خطين  وهكذا، حتى يصبحوا ثمانية. وقيل أن هذه الرسومات المزعومة تم اكتشافها قبل ألفي سنة أو أكثر قبل المسيح من قبل الملك فو هسي Fu Hsi الذي نسخها عن ظهر سلحفاة، تم قام بزيادة التركيبة البسيطة لاحقاً إلى أربع وستين خطاً مزدوجاً، وعلى أساس هذا التبديل تقوم التخمينات الفلسفية لكتاب التغيير. كل رسم يمثل قوة ما في الطبيعة، إما نشطة أو كامنة، مثل النار، والماء، والرعد، والتراب، وهكذا.

يتألف النص من أربع وستين مقالة قصيرة يعبر عنها بشكل مبهم أو رمزي، حول موضوعات مهمة، معظمها عن الشخصية الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية ومرتكزة على العدد نفسه من الأرقام المباشرة كل يتكون من ستة خطوط جزء منها اعداد كلية والأخرى اعداد متقطعة، يتبع النص تعليقات تسمى الأجنحة العشرة، ربما تكون من تاريخ متقدم وعادة تكون منسوبة لكونفوشيوس الذي أعلن أنه لو أضيف إلى عمره مائة سنة لكرس خمسين منها لدراسة كتاب التغيير I Ching.

التالي هو عينة (ترجمة لـج).

«النص  يقترح هذا أن يدوس أحدهم على ذنب فمر لا يعضه، فسيكون

هناك تقدم ونجاح.

« 1. السطر الأول، غير متقطع، يظهر (عميلهم) وهو يأخذ مساره المعتاد. إن كان سينطلق إلى الأمام فلن يحصل أي خطأ.

« 2. السطر الثاني، غير متقطع يظهر (العميل)، وهو يأخذ المسار المستوي والهيئ، إنه، إنسان هادئ ووحيد سيملك، إن كان صادقاً ومستقيماً، سيكون له حسن الطالع.

« 3. السطر الثالث، مقطوع، يظهر رجلاً أعور يعتقد أنه يستطيع أن يرى، ورجل أعرج يعتقد أن بإمكانه أن يمشي جيداً؟ رجل يمكنه أن يدوس على ذنب النمر فيعضه. كل هذه تدل على سوء الطالع. سيكون عندنا رجل مستحسن يلعب دور الحاكم العظيم.

« 4. الخط الرابع، غير مقطوع، يظهر (عميله) يدوس على ذنب النمر، فيصبح مليئاً بالحدز القلق، وفي النهاية سيكون له حسن الطالع.

« 5. السطر الخامس، غير متقطع، يظهر (عميلة) مصر على الدوس، ومع أنه سيكون صادقاً ومستقيماً، سيكون هناك أيضاً تهلكة.

« 6. السطر السادس، غير متقطع، يقول لنا أن ننظر إلى المسار كله الذي وطئناه، ونفحص النذر الذي يعطيها ذلك. وإن كانت وافية ودون أخطاء سيحصل حسن طالع عظيم.

« الجناح، — في هذا الشكل السداسي عندنا رمز الضعف يدوس على رمز القوة.

«الشكل الثلاثي المتوازي التحتاني يشير إلى المسرات والرضى، ويجب على القوة المشار إليها أعلاه، وبالتالي، فإنه يقال أنه يدوس على ذيل النمر، الذي لا يعرض، فسيكون هناك تقدم ونجاح.

«السطر الخامس قوي في المنتصف وفي مكانه الصحيح، إن (عميله) يحتل الموقع الذي اختاره الله، ولا يقع في أي اضطراب أو خطأ؛ - سيكون عمله بارعاً.

كما يمكن الاستنتاج بسهولة من القطعة أعلاه بأن لا أحد يعرف بالضبط ما معنى الكلام غير الواضح وغير المفهوم في كتاب التغيير. إن هذا يتم الاعتراف به من قبل الصينيين المثقفين، الذين يتمسكون، على الرغم من ذلك، بشكل عنيد بالاعتقاد أن دروساً مهمة يمكن أن تستخرج من صفحاته إن كان لدينا فقط الفطنة لفهمها. للأجانب نظريات مختلفة حول الموضوع. فقد أعلن د. ليج أنه وجد المفتاح، وبالنتيجة التي سبق أن أظهرناها لكم. المرحوم تيريان دي لا كوبري **Couperie** أخذ موقفاً أشجع ولم يرافقه أي معلق محلي، واكتشف في هذا المجلد الهام من المعجم مفردات قبائل الباك. وكاتب ثالث اعتبره تقويم للسنة القمرية، وهكذا.

يبدو أن كتاب الشعائر **Li Chi** تم جمعه من قبل إبنّي عم، عُرفا باسم **تاي الكبير Elder Tai** و**تاي الصغير Younger Tai** الذين ازدهرا في القرنين الأول والثاني قبل المسيح. من الوثائق الموجودة، يقال أنها تنبع من عند كونفوشيوس وتلاميذه، فقل حَضْر **تاي الكبير** عملاً في 85 قسماً حول ما قد يطلق عليه مجازاً الشعائر الاجتماعية، أما **تاي الصغير** فقد قام بتقليص عددها إلى 46 قسماً. العلماء اللاحقون مثل **ما جونج Ma Jung** و**تشنغ هسوان Cheng Hsuan**، تركوا بصماتهم على هذا العمل ولم يتم الانتهاء من هذا العمل إلا مع اقتراب نهاية القرن الثاني بعد الميلاد. وقتها عرف العمل باسم السجلات **Chi** وليس بالنص **Ching**، وقد خصص هذا اللقب الأخير من قبل التقليديين المحافظين لمثل هذه الكتب كما وصلت إلينا مباشرة من أيدي كونفوشيوس. التالي هو اقتباس (ترجمة ليج):-

قال كونفوشيوس: سابقاً، ومع **لاو⁴ Lao Tan** كنت أساعد في الدفن في قرية **هسيانغ Hsiang** وعندما وصلنا إلى الممر حدث كسوف للشمس. قال لي **لاو**

4 لاو كلمة تبجيل باللغة الصينية وتعني الكبير أو الشيخ أو الرجل العجوز وهي تسبق الاسم / المترجم.

تان، تشيو Chiu ليقف النعش على يسار الطريق، وبعد ذلك دعنا ننوح وننتظر حتى يمر كسوف الشمس. وعندما يحل الضوء سوف نتابع سيرنا. قال إن هذا هو الحكم. وعندما عدنا وانهيينا عملية الدفن، قلت له في الانطلاق بالنعش لا يوجد تراجع. عندما يحدث كسوف للشمس فإننا لا نعلم هل سيمر بسرعة أم لا، ألم يكن من الأفضل الاستمرار بالمسير؟ فقال لي لاو تان يُقرر أمير دولة الذهاب إلى بلاط ابن السماء فإنه يسافر ما دام يرى الشمس. عند غروب الشمس يتوقف ويقدم تضحياته (إلى روح الطريق)، وعندما يكون موظف كبير في مهمة فإنه يسافر ما دام يرى الشمس وعند غروب الشمس يتوقف. أما بالنسبة للنعش فهو لا ينطلق في الصباح الباكر، كما أنه يستريح في أي مكان في الليل، وأولئك الذين يسافرون على ضوء النجوم هم فقط المجرمون وأولئك الذين يحثون الخطى لمراسم الدفن للاحد الوالدين.»

ستجد نماذج أخرى في الفصلين الثالث والرابع.

وحتى حلول زمن سلالة مينغ في 1368 ميلادية، هناك كتاب أقدم كثيراً يعرف بكتاب Chou Li أو شعائر سلالة شو Chou ويعالج أكثر الأمور القانونية كما كان مقترناً باستمرار بكتاب الشعائر وشكل واحد من الكتب المعروفة بالكلاسيكيات الستة. ولا يزال هناك عمل ثالث من المستوى نفسه وكذلك قديماً جداً يسمى I Li. إن محتوياته تعالج أساساً التقيد بالاحتفالات في الحياة اليومية.

وصلنا للتو إلى الكتاب الأخير من الكلاسيكيات الخمسة كما هي معمولة الآن، إلى كتاب تشون تشيو Chun Chiu أو حوليات الربيع والخريف Spring and Autumn Annals ، هذا السجل المتسلسل زمنياً للأحداث الأساسية في دولة لو Lu بين سنوات 484-722 قبل الميلاد هو في العموم يعتبر عملاً من أعمال كنفوشيوس الذي كان أصيل دولة لو. إن القيود فيه هي الأقصر وتشمتم على ملاحظات عن التوغلات، والانتصارات، والهزائم، والأحداث، والجرائم، والاتفاقات، والظواهر الطبيعية.

التالي هي بعض المقتطفات الدالة:-

«في السنة السابعة لحكم دوق تشاو **Duke Chao** في الربيع، توصلت دولة ين **Yen** الشمالية إلى سلام مع دولة تشي **Chi**.

«في الشهر الثالث زار الدوق دولة تشو **Chou**.

«في الصيف، بمناسبة يوم تشيا شن **Chia Shen** في الشهر الرابع، المرافق في 11 آذار- مارس- 594 قبل الميلاد جرى كسوف الشمس.

«في السنة السابعة لدوق تشوانغ **Duke Chuang** (685 قبل الميلاد) في الصيف في القمر الرابع، في منتصف الليل سقط وابل من النجوم مثل المطر.»

يعود اسم الربيع والخريف للعادة القديمة بلصق مع كل إدخال، السنة والشهر واليوم، والموسم الذي حدثت فيه الواقعة المسجلة، الربيع كما يشرح أحد المعلقين بمن فيه الصيف والخريف والشتاء. إنه العمل الذي أشار عليه كنفوشيوس بامتياز على أنه ذلك الذي سيعرفه البشر ويحمدونه عليه، ومانسيوس **Mencius** اعتبره إنجازاً مهماً كتجفيف الإمبراطورية من قبل النهر العظيم أو **Yu** هذا الأخير قال له، «أتم كنفوشيوس الربيع والخريف، فصعق الوزراء المتمردون والأبناء الشريرين.» وبالتالي كما هي الحالة في القصائد الغنائية عمل الطرفاء المحليون على القراءة في النص الجريء كل أنواع المعاني المخبأة، كل إدخال كان من المفترض أن يتضمن الموافقة أو الإدانة، ونتج عن جهودهم فيما هو معروف اليوم بنظرية المديح واللوم. وذهب نقاد سلالة **Han** هان حتى إلى الإعلان عن العنوان بالناقص لأنه «يمدح الربيع مانح الحياة، ويلوم الخريف مهلك الحياة.»

هكذا هو تشون تشيو **Chun Chiu**، وإن كان ذلك كل شيء فمن الصعب القول كيف أن افتخار كنفوشيوس كان يمكن له أن يتم. لكن ذلك ليس كل شيء، هناك شروط للخلاص أو النجاة. أن تكون مرتبطاً كما يقال، بالربيع والخريف وتشكل كما يقال أيضاً جزءاً لا يتجزء من العمل، معروفة باسم **تسو**

تشوان Tso Chuan أو تعليق تسو Tso. أما بالنسبة للكاتب شخصياً الذي تم تسميته أبو النثر، والذي نسب إلى قلمه أيضاً كوو أي Kuo Yu، أو وقائع الدول، فنحن لا نعرف أي شيء عنه سوى أنه كان تلميذاً لكونفوشيوس، إلا أن نثره الوقاد يبقى، وسيظل قائماً، واحداً من أكثر إرث الشعب الصيني تقديراً.

ما عمله تسو Tso هو التالي. أخذ الحقائق المجردة لهذه الحوليات وأعطاهها شكلاً من الحياة والحقيقة بإضافة التعديلات الكاملة لكل حادثة تم تسجيلها. فقام بوصف الحب والكره لكل بطل، ولمعاركهم، واتفاقاتهم ولهوهم وصخبهم، وموتهم، بأسلوب كان دائماً فعالاً وغالباً ما تاخم العظمة. الظروف لما قد يبدو شخصية تافهة يجري توسيعها كحادثة شيقة، ومن حين لآخر يتم إدخال اختيال غريب أو فئات من أدب الأمثال لإعطائها نكهة عابرة خاصة بها. في السنة 21 لدوق هسي Hsi كان في الربيع والخريف المدخل الضعيف التالي:-

«في الصيف حصل جفاف شامل.»

إلى هذه يضيف تسو تشوان Tso Chuan :-

«بسبب ذلك الجفاف رغب الدوق بان يحرق ساحرة. فقال له أحد موظفيه: إن ذلك لن يؤثر في الجفاف. بدلا من ذلك، قم بإصلاح اسوار المدينة وجدرانها، وكُل أقل، وخفف من مصروفاتك، ومارس الاقتصاد الشديد وحث الناس على مساعدة بعضهم البعض. هذا هو الأمر الجوهرى. ما دخل الساحرات في هذا العمل؟ إن كان الله يرغب لها أن تذبج لكان من الأفضل لها أن لا يسمح لها أن تولد. وإن كانت تستطيع أن تسبب في الجفاف، فإن أحراقها سيزيد الأمور سوءاً' الدوق أخذ بهذه النصيحة، وخلال تلك السنة، وبالرغم من وجود الجفاف، إلا أنه لم يكن قاسياً جداً.»

وفي السنة 12 من حكم دوق هسوان Hsuan جاء في الربيع والخريف الثاني:-

«في الربيع حاصر حاكم دولة تشو Chu عاصمة دولة تشنغ Cheng.

وبناءً عليه يضيف تسو تشوان Tso Chuan رواية طويلة حول الموضوع كله، والتي منها نسرد الفقرة المطابقة التالية:-

«في الاندحار الذي حدث تعثرت عربة قتالية تابعة لدولة تشين Chin في قناة ولم تستطع الخروج منها. وبناء عليه نصح رجل من دولة تشو Chu سائق العربة القتالية أن يخرج منصب الأسلحة. هذا خفف على العربة نوعاً ما لكن الأحصنة استدارت ثم نصح الرجل إياه أن يتم تنزيل سارية العلم واستخدامها كرافعة، وأخيراً تم إنقاذ العربة. أه قال سائق العربة للرجل من تشو Chu، لا نعرف الكثير عن الهروب كشعب دولتكم العتيدة.»

يتضمن تسو تشوان Tso Chuan عدداً من الفقرات الممتعة عن الموسيقى، والتي اعتبرها كونفوشيوس عاملاً مهماً في فن الحكم، مما يذكر بآراء أفلاطون المعروفة في الكتاب الثالث من جمهوريته. بخصوص المرض، فإننا نقرأ «إن الحكام القدماء نظموا بالموسيقى». وقالوا أيضاً «إن الإنسان المتفوق لن يستمع إلى المظاهر الخليعة أو إلى الإغراءات»، «إنه يوجه نفسه إلى عودته من أجل أن ينظم تصرفاته وليس لبيسط قلبه.»

عندما ندد المعلم العجوز المعادي للأجانب للمرحوم الإمبراطور تونغ تشيه Tung Chih بالبرابرة كان يقتبس الكلمات من تسو تشوان.

قال أحد الأبطال، الذاهبين إلى المعركة لأصدقائه إن عليه فقط أن يستمع إلى قرع الطبول تعطي الإشارة إلى التقدم لأنه سيهتم كثيراً بعدم سماع الجرس يرن للإنسحاب. وآخر حمل كل رجل من رجاله إلى المعركة حبلاً طويلاً عندما رأى جميع الأعداء حلقوا شعورهم كثيراً. وفي حالة الثالثة، كان بعض الرجال الذين يملكون القوارب يحاولون منع الآخرين عن التدافع وقيل لنا أن أصابع المهاجمين تم قطعها بأعداد كبيرة يمكن أن تلم بحفنتين.

كثير من المبادئ، العملية وغير العملية، يمكن أن نجدها موزعة على (صفحات) تسو تشوان مثل، «يوم واحد من التراخي مع العدو يعني جلب المتاعب لأجيال

وأجيال»، «إن الأدب يمنع أن يستفيد رجل على حساب الآخرين»، «إن المستسلم مثل السارق هو شرير»، «من الأفضل أن تهاجم عوضاً عن أن تتعرض للهجوم.»

عندما عاد الأسطول الفرنسي إلى شنغهاي في 1885، بعد أن تم صدّه بهجوم على الشاطئ في تام سوي Tam Sui، لائم شخص ظريف محلي بيت شعر هزلي يوجد في تسو تشوان Tso Chuan:-

«أنظر العين الجاحظة والأمعاء الجشعة

لقد ترك ترسه بين الأخاديد،

عائد من الحقل، عائد من الحقل

لقد عاد بذقنه ولكن ليس بترسه؛»

ولعدة أيام كان كل صيني يدمدم اللازمة:-

Yu Sai, yu Sai أو ساي، أو ساي

Chi Chia Fu Lai تشيه تشيا فو لاي

هناك تعليقان آخران عن الربيع والخريف، متشابهان ولكن بشكل عام يعتبران أدنى من تسو تشوان Tso Chuan. وقد كتبهما كل من كو ليانغ Ku Liang وكونغ يانغ Kung Yang وكلاهما من القرن الخامس قبل المسيح. التالي هي عينات (ترجمة ليج، قد حذفت تفاصيل غير هامة):-

النص:- «في الربيع، في الشهر الأول للملك، في اليوم الأول للقمر وقعت أحجار في سونغ Sung - خمسة أحجار. وفي الشهر نفسه كانت الطيور الستة التي تصطاد السمك تطير إلى الخلف، مارة بعاصمة سونغ Sung:-

تعليق كو ليانغ يقول:
(ماذا يقول النص، «سقط»،
ثم يقول «الحجارة»؟ كان
هناك أولاً السقوط ثم الحجارة.
وفي «الطيور الستة التي
تصطاد السمك وهي تطير إلى الخلف
مارة بعاصمة سونخ»، ثم
وضع العدد أولاً مما يشير إلى
إن الطيور جمعت سوياً.
إن اللغة أعربت عن احترام
ما تراه العين.
قال المعلم، «الحجارة
هي أشياء ليس لها فكر
وأما الطيور الصيادة،
هي المخلوقات
لها قليلٌ من الذكاء
الحجارة التي لا تملك
الذكاء، ذكرت مع اليوم
الذي سقطت فيه،
والطيور إياها، التي تملك
قليلاً من الذكاء، ذكرت
مع الشهر الذي ظهرت
فيه، الرجل الأعلى (كونفوشيوس)
حتى في مثل هذه الأمور
والمخلوقات لا يسجل الأمور
باندفاع أو عن طيش. إن

تعليق كونغ يانغ يقول:
«كيف يقول النص أولاً» إن
«هناك وقع» وبعد ذلك يذكر «الحجارة»؟
«هناك وقعت الحجارة» هي
سجل لما قد سمع. لقد سمع
صوت شيء ما وقع، وإذا نظرنا
إلى الشيء الذي وقع، فنجد أنه
الحجارة، وعند التدقيق فيها
وجدنا أنها كانت خمسة حجارة.
لماذا يقول النص «ستة».
تم يذكر «الطيور الصيادة»؟
«ستة طيور صيادة
تطير إلى الخلف» هو سجل لما
تمت رؤيته، عندما نظروا إلى
تلك الأشياء كان هناك ستة
منها، وعندما فحصوها كان
سمك صياد، وعندما
فحصوها بتمهل كانت هذه
تطير إلى الخلف.

تعبيراته حول الحجارة
والطيور الصيادة إذا
كانت رقيقة لهذا الحد
فكم بالحري ستكون
بالنسبة للبشر.)

في بعض الأحيان تكون هذه التعليقات على اختلاف مع **Tso**، مثلاً، يقول النص أنه في سنة 689 قبل الميلاد» أجرى حاكم دولة تشي **Chi** نهاية عظيمة لدولته.

إن تعليق **تسو Tso** يشرح الكلمات لتعني لأسباب عاجلة جداً إن الحاكم تنازل عن الحكم، إلا أن **كونغ يانغ Kung Yang** يحمل نظرة مختلفة إنه يشرح الفقرة بمعنى أن الدولة المعنية تلك تم تدميرها تدميراً كاملاً، وتم مسح شعبها بالكامل من قبل حاكم دولة أخرى ثاراً لموت أحد أسلافه في سنة 893 قبل الميلاد تم قتله سلفاً في العاصمة الإقطاعية بسبب افتراء من قبل حاكم معاصر لدولة تشيه **Chi**، إنه من المهم لمرشحي الامتحانات العامة أن يكونوا على معرفة بهذه المتناقضات، لأنه يتم دعوتهم مراراً «لمناقشة، مثل هذه القصص، ودائماً بهدف الوصول إلى التفسيرات القوية المقبولة.

إن الحادثة التالية أخذت من تعليق **كونغ يانغ Kung Yang**، هي مختلفة جداً عن القضية التي رواها **تسو Tso**، بالإشارة إلى الفقرة نفسها:- النص «في الصيف، في الشهر الخامس، عقدت دولة **سونغ السلام** مع دولة **تشو Chu**.» في سنة 587، كان الملك **تشوانغ Chuang** صاحب دولة **تشو Chu**، يحاصر عاصمة **سونغ Sung**. وكان لديه فقط تموين لسبعة أيام، وإذا تم استنفاد، هذا التموين قبل أن يأخذ المدينة، كان يفكر بالانسحاب. ولهذا السبب أرسل جنراله ليتسلق أسوار المدينة ويتجسس على أحوال المحاصرين. وتصادف في الوقت نفسه أن يقوم ضابط في جيش **سونغ** بالمجيء إلى الأسوار والتقى الاثنان. واستفسر الجنرال. كيف تتدبر دولتكم أمورها؟»، اراه برداءة» رد الضابط: نحن في وضع مزر إذ أخذنا نبادل الأطفال بالطعام، وعظامهم تقطع من أجل الوقود، فقال الجنرال «هذا سيء

بالفعل، لكني سمعت أن المحاصرين بينما يطعمون الأحصنة بلقم من أفواههم، فهم يحتفظن بأحصنة ناصحة ليعرضوها على الأجانب. كيف يتم ذلك؟ رد الضابط على هذا الكلام قائلاً «إني سمعت أن الإنسان العالي، عندما يرى سوء طالع آخر يكون قد امتلأ بالشفقة بينما الخسيس يمتلئ بالفرح، وفيك أرى الإنسان العالي، ولهذا قصصت قصتنا عليك. افرح» قال الجنرال يوجد عندنا فقط مؤونة لمدة سبعة أيام وإذا لم نقم باحتلالكم في هذا الوقت، سنسحب. وقال الأخير علينا أن نحتل المدينة قبل أن ننسحب، ليس كذلك 'قال الجنرال' أنا قلت للضابط أنه يوجد عندنا فقط مؤونة لمدة سبعة أيام. اضطرب الملك تشوانغ Chuang من هذه، لكن الجنرال قال، «إن كانت دولة صغيرة مثل سونغ Sung لديها ضباط يقولون الحقيقة فكم بالحري أن يكون عند دولة تشو Chu مثل هؤلاء الرجال؟» كان الملك لا يزال راغباً في البقاء، لكن الجنرال هددته بالمغادرة، وهكذا حل السلام بين الدولتين.»

الفصل الثالث

الكتب الأربعة - منسيوس

لا يوجد صيني يفكر أن يبدأ دراسة الكلاسيكيات الخمسة حتى يتقن ويحفظ في ذاكرته مادة أقصر وأبسط تعرف بالكتب الأربعة.

أول هذه الكتب كما جرى ترتيبها للطلاب هو لون أو Lun Yu أو المختارات، وعمل يضم عشرين فصلاً قصيراً أو كتاباً، يوزع آراء كونفوشيوس على موضوعات عدة، ويعبر عنه فيما هو ممكن بكلمات المعلم Master. إنه يبلغنا تقريباً كل ما نعرفه عن الحكيم، وتكون تلك قد جمعت خلال مئة سنة من وفاته. من صفحاته يبدو أننا نجمع فكرة ما، صورة ظليّة، ربما عن الأخلاقيّ العظيم الذي كانت مهمته على الأرض أن يعلم الالتزام تجاه الجار وتجاه الآخرين والذي صاغ القاعدة الذهبية: «ما لا تريد الآخرين أن يعملوه لك، فلا تعمله لهم!»

ما تم الحث عليه من قبل الكثيرين الذين كان من المفروض أن يعلموا أن الجانب السلبي لهذا المبدأ غير ملائم ليتبوا منصباً في الجانب الإيجابي كما أعطاه يسوع المسيح. لكن بالطبع الاثنان متطابقان، كما يمكن إظهاره من خلال الإدخال البسيط لكلمة «يمتنع»؛ أي أنك لا تريد الآخرين أن يمتنعوا عن نشاط محدد فيما يتعلق بك، وهو ما يعني عملنا إنه ينقل الإعزاز الإيجابي.

عندما سأل تلميذ كونفوشيوس أن يشرح له بر القلوب، أجابه ببساطة «أحبوا بعضكم بعضاً». لكن عندما سئل حول مبدأ يجب على المرء أن يعيد الجيد مقابل الشر كما قال ذلك لـ لاو تسو: Lao Tsu (أنظر الفصل الرابع) أجاب، «ماذا إذن ستعيد مقابل العمل الجيد؟ لا أعد الجيد مقابل الجيد، مقابل الشر، أعد العدالة».

لم يتعب أبداً من التأكيد على الجمال وضرورة قول الحقيقة: «رجل دون صدق!»

لا أدري كيف يكون ذلك.»

«لتجعل للولاء والصدق أهمية كبرى لك.»

«في الحداد، من الأفضل أن تكون صادقاً بدل أن تكون شكلياً.»

«الإنسان وُلد ليكون مستقيماً، إن لم يكن كذلك، ومع ذلك لا يزل على قيد الحياة، فإنه محظوظ أنه نجا.»

«إن الغنى والشرف هو ما يرغب به الإنسان، فباستثناء أن يكون ذلك مع الحق، فهو قد لا ينعم بها.

بالتأكيد كان كونفوشيوس يعتقد بوجود قوة ما، غير مرئية وأبدية، التي خاطبها بشكل مبهم، على أنها السماء، «الذي يقترب إثمًا ضد السماء لا يوجد من يصلي له.» «أنا لا أهتم ضد السماء» وغيرها. إلا أن أعظم معلق عليه تشو هسي **Chu Hsi** شرح أنه «بالسما» كان يعني «الحق المطلق»، وهذا التفسير مقبول من قبل جميع اتباع كونفوشيوس في أيامنا الحاضرة، وفي الوقت نفسه، اعترض كونفوشيوس بشدة على مناقشة الخارق للطبيعة وقال إن مهمته هي باتجاه الأحياء بدلا من الأموات.

وأكد تأكيداً عظيماً على طاعة الوالدين والبر بهما وعلم أن الإنسان هو صاف كلياً عند الولادة، وبعدها يصبح فاسداً نتيجة بيئته.

يعطي الفصل العاشر من **لون أو Lun Yu**، تفاصيل فريدة للحياة اليومية وعادات الحكيم، وهي محسوبة لإثارة ابتسامته بين أولئك الذين لم يظهروا الاحترام لكونفوشيوس كمبدأ أول من المهد فصاعداً، لكنه حصل على إجلال المحبين من قبل الشعب الصيني بشكل عام.

الثاني هي مقتطفات من هذا الفصل الشهير (ترجمة لج):-

«عندما دخل بوابات القصر، كان يبدو أنه أحنى جسده، كما لو كانت (الأبواب) لا تكفي لدخول جسده.

«اعتلى المنصة ممسكاً بروبه بيديه الإثنتين وجسده منحن، وممسكاً نفسه أيضاً
كأنه لا يجرؤ على التنفس.

«عندما كان يحمل صولجان أميره، يبدو أنه كان يحني جسده كما لو لم يكن
يستطيع احتمال وزنه.

«لم يستخدم اللون الأرجواني الغامق أو الأحمر الداكن في حليه على ثيابه، حتى
في تعريه لم يلبس أي شيء أحمر أو مائل إلى الحمرة.

«وكان يطلب أن يكون لباس النوم الخاص به نصف طول جسده.

«لم يأكل الأرز الذي كان قد تأثر بالحرارة أو الرطوبة، فصار حامضاً، ولا السمك
ولا أي لحوم قد خربت، لم يأكل أي شيء فقد لونه أو أي شيء ذو طعم سيء ولا
أي شيء في غير موسمه. لم يكن ليأكل لحوماً لم تقطع بطريقة صحيحة ولا أي شيء
كان يقدم دون المرقة المناسبة الخاصة به.

«عندما كان يأكل لم يتخل أبداً عن الزنجبيل، ولكنه لم يكن يأكل كثيراً».

«وعندما كان يأكل لم يكن يتكلم. وعندما ينام في التخت لا يتكلم أيضاً».

«ومع أن طعامه قد يكون أرزاً خشناً وشوربة خضار، كان يقدم قليلاً منه قرباناً
بأجواء من التبجيل الشديد».

«وعندما تكون فرشته غير مستقيمة فلا يجلس عليها».

«وحصل أن الأسطبل أُحرق عندما كان في المحكمة قال لدى عودته هل جرح
أحدكم؟ ولم يسأل ماذا حل بالأحصنة.

«وعندما أرسل له صديق هدية، وقد تكون عربة وأحصنة، فلم ينحن. الهدية
الوحيدة التي انحنى لها كانت لحم الذبيحة».

«في السرير لم ينم مثل جثة، وفي البيت لم يدع أي سلوك رسمي».

«عندما رأى أي شخص في لباس الحداد، حتى لو كان أحد معارفه، فكان يغير أسارير وجهه، وعندما رأى شخصاً ما يلبس غطاء الرأس، أو شخصاً أعمى، وقد يكون هو في ثياب المنزل، فيقوم بتحيته بطريقة رسمية.»

«وعندما يكون في حفلة ما، حيث يكون فيها طعام وفير، وضع أمامه، يغير أسارير وجهه، فينهض. كذلك على ضوء رعد مفاجئ أو ريح زمهريير كان يغير أسارير وجهه.»

التالي في الترتيب التربوي يأتي العمل الذي عرف باختصار مينيوسوس. هذه تتألف من سبعة كتب مُسجلة أقوال وأفعال رجل يمكن بسبب عبقريته ووفائه أن تنتبج الانتصار النهائي للكنفوشوسية. ولد مينيوسوس في عام 372 قبل الميلاد أكثر بقليل من مائة سنة على وفاة المعلم. وتربى مينيوسوس تحت رعاية أمه الأرملة التي كان اسمها كلمة شائعة حتى يومنا هذا. كطفل عاش معها أولاً قرب مقبرة، وكانت النتيجة أنه بدأ يعيد إنتاج المناظر الرزينة في المسرحيات التي كانت تعرض باستمرار أمام عينه، وبالتالي نقلت أمه إلى بيت آخر قرب السوق، ولم تمض فترة وجيزة إلا ونسي الصغير كل شيء حول الجنازات وبدأ يلعب في بيع وشراء البضاعة. مرة أخرى لم توافق والدته ومرة أخرى غيرت مسكنها، هذه المرة انتقلت إلى بيت قرب كلية، حيث بدأ تقليد المشاهدات الاحتفالية الرسمية حيث كان يتم تعليم الطلاب وهو ما جعل الأم مسرورة جداً وراضية.

فيما بعد، درس على كونغ تشي Kung Chi حفيد كنفوشوسوس؛ وبعد أن اطلع على المخاوف التامة المحكمة أو طريق كنفوشوسوس Way Of Confucius أصبح وفي سن الخامسة والأربعين وزيراً في حكم الأمير هسوان Hsuan صاحب دولة تشي Chi. لكن الأخير لم يرد تنفيذ مبادئه، وبالتالي ترك مينيوسوس مركزه، وأخذ يجول في عدة دول ناصحاً حكامها، بكل ما أتاه من قوة، لكنه امتنع عن الإقامة المستدامة، ثم قام بعد ذلك بزيارة الأمير هوي Hui صاحب دولة ليانغ Liang، ومكث هناك حتى وفاة الملك في سنة 319 قبل الميلاد. بعد هذه الحادثة عاد إلى دولة تشي Chi واستعاد موقعة السابق، في سنة 311 قبل الميلاد شعر مرة أخرى

أنه مضطر للاستقالة من منصبه، تم تقاعد وعاد في النهاية إلى الحياة الخاصة مشغلاً نفسه خلال ما تبقى له من حياة بالتعليم وبتحضير السجل الفلسفي الذي ينسب إليه حالياً. لقد عاش في زمن كان فيه الأمراء الاقطاعيون يتقاتلون على الأنظمة المتنافسة للفدرالية والامبريالية، وحاول هو سدى أن يطبق في عصر الدم والحديد، المبادئ اللطيفة للعصر الذهبي. وكان معياره معيار كنفوشيوس لكن تعاليمه كانت أقل من مستواها وكانت تعالج خير ورفاهية الإنسان من وجهه نظر الاقتصاد السياسي. وقد أطلق عليه بحق تشاو تشي Chao Chi القديس الثاني أو النبي، وهي التسمية التي لا يزال يعرف بها حتى الآن وقد كان مدافعاً صلباً عن تعاليم كونفوشيوس، ويعتبر كذلك سحب البساط من تحت أقدام المدرستين الهرطقيتين لكل من يانغ تشو Yang Chou ومو تي Mo Ti.

التالي هو عينة للنزاع على الألفاظ أو الجدل اللفظي الذي كان يجري في تلك الأيام والذي يفترض أن يكون مينسيوس قد برع فيه. والموضوع الأكثر تفضيلاً هو الطبيعة الإنسانية:-

«قال كاو تسو Kao Tsu يمكن مقارنة الطبيعة الإنسانية بكتلة خشبية؛ والالتزام تجاه الجار بزبدية خشبية. لتطوير عمل الخير والالتزام تجاه الجار من الطبيعة الإنسانية يمكن مقارنته بعمل زبدية من الكتلة الخشبية.

«أجاب مينسيوس على هذا القول، هل يمكنك دون التدخل بالتشكيل الطبيعي للخشب، أن تعمل منه زبدية؟ بالتأكيد لا بد لك أن تستخدم العنف على هذا التشكيل في عملية صناعة الزبدية. وبالتساوي في تحليل الأمر أنك ستسبب العنف للطبيعة البشرية في عملية تطوير عمل الخير والالتزام تجاه الجار. من هنا نستتبع أن جميع الناس سيعتبرون هذه عملاً شريراً عوضاً عن اعتباره عملاً صالحاً.

«قال كاو تسو Kao Tzu، «إن الطبيعة الإنسانية هي مثل الماء المتدفق الذي يجري غرباً أو شرقاً وفقاً لمخرج عمل لها. ولأن الطبيعة البشرية تتعامل دون أكرات مع الصالح أو الشرير تماماً مثل الماء لا يكثرث إذا تدفق من الشرق أو من الغرب.

«أجاب مينسيوس، «بالطبع أن الماء سيجري دون اكتراث باتجاه الشرق أو الغرب ولكن هل سيجري الماء دون اكتراث صعوداً أو نزولاً؟ إن ذلك لا يكون إن ميل الطبيعة البشرية إلى العمل الصالح هو مثل ميل الماء أن يجري إلى أسفل. كل إنسان لديه محابة لصنع الصالح مثل جميع المياه تجري بالطبع إلى أسفل، من خلال رش الماء، قد تتسبب بالتأكيد لها أن تطير فوق راسك، ومن خلال تغيير مجراها قد يمكنك الاحتفاظ بها لاستخدامها على سفوح التلال، لكنك قلما تتحدث عن مثل هذه النتائج على إنها طبيعة الماء، إنها بالطبع نتيجة لقوة قاهرة، وهكذا هي عندما تزيح الطبيعة الإنسانية باتجاه الشر.

قال **كاو تسو Kao Tzo** «إن ذاك الذي يأتي مع الحياة هو الطبيعة.»

فأجاب مينسيوس، «هل تعني أنه يوجد شيء ما كالطبيعة المجردة تماماً مثلما يوجد البياض مجرداً؟»

«أنا اعتقد ذلك» أجاب **كاو تسو Kao Tzo**

فأكمل مينسيوس قائلاً، «مثلاً إن بياض ريشه هو مثل بياض الثلج، أو بياض الثلج مثل بياض الشيب؟»

«أنا أعتقد ذلك»، أجاب **كاو تسو Kao Tzu** ثانية.

«وفي هذه الحالة، أجاب مينسيوس أن طبيعة الكلب هي نفسها كطبيعة الثور، وطبيعة الثور هي نفسها كطبيعة الإنسان.

قال **كاو تسو Kao Tzu**، «إن الطعام وتزاوج الأنواع هي غرائز طبيعية. إن عمل الخير هو عمل ذاتي وفطري، أما الالتزام تجاه الجار هو عمل موضوعي ومكتسب، مثلاً هناك إنسان أعلى مني وأنا أجله كذلك. ليس بسبب أي مبدأ مجرد للأقدمية يوجد موضوعياً في، لكن بالطريقة نفسها التي أرى فيها أهمقاً، فأنا أتعرف عليه

5 الأمهق: شخص أو حيوان وهو وصف للحصان الذي يكون بني البشرة أبيض الشعر
قرنfli العينين / المترجم.

كرجل أبيض لأنه هو كذلك موضوعياً بالنسبة لي. وبالتالي فأنا أقول إن الالتزام تجاه الجار هو موضوعي ومكتسب.

رد مينسيوس، «القضايا ليست متشابهة. إن بياض الحصان الأبيض مما لا شك فيه هو مثل بياض الرجل الأبيض، لكن أولوية أو أقدمية الحصان هي ليست نفسها في أولوية أو أقدمية الإنسان. فهل التزامنا بالأولوية والأقدمية تبدأ وتنتهي مع حقيقة أولوية، أو أقدمية الإنسان الذي هو أعلى مني، أو أم هي لا تتكون من إجلاله بهذه الطريقة.»

قال كاو وتسو Kao Tsu، «أنا أحب أخي لكنني لا أحب أخ شخص آخر. إن التمييز يخرج من داخلي، وبالتالي أنا أصفها بالذاتي أو الفطري. لكنني أجل شخصاً غريباً الذي هو أعلى مني تماماً مثلما أجل شخصاً أعلى مني من بين شعبي. التمييز يأتي من الخارج، وبالتالي سأدعوه بالموضوعي والمكتسب.

رد مينسيوس، «إننا نلتذ بالطعام الذي يطبخه الغرباء تماماً مثلما نلتذ بالطعام الذي يطبخه ناسنا. إلا أن تمديد مبدئكم يجعلنا نحط على استنتاج من أن استحسان الطعام المطبوخ هو كذلك موضوعي مكتسب. التالي هو حوار شهير جرى بين مينسيوس وسفسطائي مشهور وقتها، الذي حاول أن يصطاد بشباكه الأول في حديثه:-

استفسر السفسطائي قائلاً، «أنه من قواعد الإتيكيت الاجتماعي أنه عندما يمرر رجل وامرأة الأشياء من واحد إلى آخر لا يسمحان أن تمس أيديهما بعضهما البعض؟»
«تلك هي القاعدة» أجاب مينسيوس.

«وأردف السفسطائي قائلاً «أفترض الآن أن زوجة أخيك تغرق، هل يمكنه أن يمسك بيدها وينقذها؟»

«وأى شخص لا يفعل ذلك،» قال مينسيوس، يكون قلبه قلب ذئب، أن لا يلمس رجل وامرأة يقومان بتمرير الأشياء من واحد لآخر، أيديهما هو قاعدة للتطبيق

العام. لإنقاذ زوجة الأخ التي تغرق بمسك يدها هو قضية استثنائية بالكامل.»

إن أعمال مينسيوس تزدهم، مثلها مثل مختارات كنفوشيوس بكلام جامع مانع. الأمثلة التالية تبرهن انحيازه التام في السياسة:- «الناس هم أهم شيء، الآلهة تأتي بعدهم بالأهمية، والملك ذو ثقل أقل.»

خسر تشييه Chieh وتشو Chou الإمبراطورية، لأنهم فقدوا الشعب، مما يعني أنهم خسروا ثقة الشعب. الطريقة لكسب الناس هي أن تكسب ثقتهم، والطريقة لفعل ذلك أن توفر لهم ما يحبونه وليس ما هم يكرهون.

هكذا نبذ مينسيوس الفيلسوفين الهرطقيين المذكورين أعلاه:-

«إن أنظمة يانغ تشو Yang Chu ومو تي Mo Ti تملؤ الإمبراطورية كلها. إن كان إنسان ليس تلميذاً للأول فهو تلميذ للثاني. إن أنانية يانغ تشو Yang Chu تستثني إدعاء الملك، بينما حب الغير العالمي للسيد مو تي Mo Ti ينبذ إدعاء الأب. وكل من لا يعترف بإدعاء الملك أو الأب يكون وحشاً همجياً.»

يبدو أن يانغ تشو Yang Chu قد حمل أنانيته إلى الحد الذي لو نفع العالم كله لما كان له أن يفترق عن شعرة واحده من جسده.

«إن الإنسان القديم كان يعرف أنه مع الحياة فقد أتى لفترة وأنه مع الموت سيغادر ثانية عن قريب، لذلك اتبعوا رغبات قلوبهم، ولم ينكروا متع الحياة التي شعروا أنه بطبيعتهم ميالين إليها. الشهرة لم تجربهم، لكنهم اندفعوا فقط بغرائزهم، وانغمسوا في الملذات التي أتت في طريقهم دون سعي وراء اسم لهم أبعد من القبر. فكانوا بذلك بعيدين عن أعين الرقباء بينما في الأسبقية بين الناس أو على طول أو قصر الحياة فهذه لم تسبب لهم أي قلق من أي كان.»

إلا أن مو تي Mo Ti أظهر أنه تحت نظام حب الغير ستختفي كلية جميع المصائب التي يسببها بني الإنسان، كل للآخر، وأن السلام والسعادة للعصر الذهبي سيتم تجديدها.

في كتاب **تا هسيو Ta Hsueh** أو **التعليم العظيم** الذي يشكل الجزء XXXIX أي التاسع والثلاثين من كتاب الشعائر ويعني بالحقيقة التعليم للبالغين، فإننا نجد بين أيدينا مقالة سياسية أخلاقية قصيرة، غير معروف كاتبها، ولكن في العادة تنسب جزئياً إلى **كونفوشيوس** وجزئياً إلى **تسينغ تسان Tseng Tsan** أحد أكثر تلامذته شهرة. في القسم السابق توجد الذروة المعروفة لدينا:-

«إن الناس القدماء، برغبتهم إظهار الفضيلة العظمى في أنحاء الإمبراطورية، بدأوا بالحكم الرشيد في الدول المختلفة. ولتحقيق ذلك، كان من الضروري لهم أولاً دعوة عائلاتهم إلى الاستقامة، فيستهلون ذلك بتهذيب أنفسهم وذلك أيضاً من خلال تقويم القلب، ويستتبعونه بإخلاص الهدف الذي يأتي من تمديد المعرفة، وهذا الأخير يُستخلص من التحقيق في الوجود الموضوعي.

وهاكم مقالة قصيرة أخرى تعرف باسم **Chung Yung تشونغ يونغ** التي تشكل الفصل الثامن والعشرين XXVIII من **كتاب الشعائر**، والذي نقلنا إلى نهاية **الكتب الأربعة Four Books**. وقد ترجم اسمه بشتى الطرق،⁶ جوليان أعطاه تعبير «البيئة المتغيرة» ولج «إلى المذهب الوسطي». وكاتبها يعرف باسم **كونغ تشي Kung Chi** حفيد كونفوشيوس.

يبدو أنه لم يفعل شيئاً أكثر من التوسع في عدد من المبادئ العامة لجده فيما يتعلق بطبيعة الإنسان والتعرف القويم على الأرض. ويغتنم المناسبة لكي يطلق المديح الجياش على كونفوشيوس، وأنهاها بالكلمات التالية:-

«بالتالي فإن اسمه يفيض عن **مملكة الوسط** ويصل البرابرة في الشمال والجنوب. حيثما تسير السفن والعربات، أو أينما يمكن لقوة الإنسان أن تخترق، وحيثما يكون هناك سماء في العلا والأرض في الأسفل، وحينما الشمس والقمر يلقيان الضوء أو أينما يقح الصقيع أو الندى، كل من تجري في عروقه الدماء ويتنفس الشرف يحبونه، وبالتالي يمكن أن يقال أنه نظير الله.»

6 تشونغ تعني الوسط ويونغ تعني سبيل، الأول يعرفه الصينيون «بذاك الذي دون انحراف أو انحياز، والثاني بذلك الذي لا يتغير في وجهته.»

الفصل الرابع الكتاب المتعددون

إن أسماء الكتاب الذين ينتمون لهذه الحقبة من سنة 600 قبل الميلاد إلى سنة 200 قبل الميلاد والأعمال التي نسبت إليهم في مواضيع مختلفة تملأ لائحة طويلة. الكثير من هذه الأعمال الأخيرة اختفت وغيرها كان تزييفاً فاضحاً، بالأساس في القرنين الأول والثاني من زماننا وهي فترة الغرابة معروفة بموجة من التزييف على الجانب الآخر من العالم. أما بالنسبة للكتاب، فسرى لاحقاً بأن الصينيين تهادوا في تأليف عدد منها للعصور القديمة وبعد ذلك يؤلفون المقالات الملائمة. كان هناك **سون تسو Sun Tsu** الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. ويقال أنه كتب كتاب **بنغ فا Ping Fa** أو **فن الحرب** في ثلاثة عشر جزءاً، حيث علقته به قصة غريبة. عندما كان يتناقش في يوم من الأيام مع الأمير **هو لو Ho-lu** صاحب دولة **وو Wu**، سأله الأخير، «أنا قرأت كتابك وأود أن أعرف إن كان بإمكانك تطبيق مبادئه على النساء.» وأجاب **سون تسو Sun Tzu** بالإيجاب، وبناء عليه أخذ الأمير 180 بنتاً من حريمه وطلب من **سون تسو Sun Tsu** أن يتعامل معهن كما يتعامل مع القوات. وفقاً لذلك قسمهن إلى كتيبتين، وعلى رأس كل كتيبة وضع محظية مفضلة لدى الأمير. لكن عندما قرعت الطبول لبدء التمارين، انفجرت البنات كلهن بالضحك. وبناء عليه، ودون تردد أمر **سون تسو Sun Tsu** بقطع رأس كل من المحظيتين. وبالتالي أعاد النظام، وفي النهاية تم رفع القوات إلى مستوى فاعل جداً. التالي هو مقتطف من **فن الحرب**:-

«لو أن الجنود لم يتم اختيارهم بعناية ولم يتدربوا تدريباً حسناً ليطيعوا، لكانت كل حركاتهم مخالفة للقواعد. فهم لن يتصرفوا سويلاً باتفاق. سيفقدون النجاح لأنهم يفتقرون للإجماع. سيكون تراجعهم غير منظم نصفهم سيقاتل بينما النصف الآخر سيهرب. لن يتجاوزوا مع دعوة الجرس أو الطبل، مائة من أولئك لن يصمدوا أمام عشرة رجال مدربين جيداً.»

«إن كانت أسلحتهم غير جيدة سيكون من الأفضل أن لا يأخذ الجنود أياً منها. إن كانت الدروع ليست قوية ولا تقف جنباً إلى جنب، فمن الأفضل أن يكون الصدر عارياً. والقوس الذي لن يصل إلى الهدف لا فرق بينها وبين السيف والنشاب على مسافة طويلة، فالهدافون السيئون من الأفضل لهم أن لا يحملوا النبال، وحتى الهدافون الجيدون، ما لم يجعلوا سهامهم تنغرس، قد يكون من الأفضل لهم أن يطلقوها دون تسديد، قد تكون هذه هفوات جنرالات غير كفتين، خمسة جنود من هؤلاء لا يحاربهم واحد. وعلى الرغم من ذلك، فمن المشكوك فيه إننا نملك أي آثار أصلية من **سون تسو Sun Tsu** أو **كوان تسو Kuan Tsu** أو **وو تسو Wu Tsu**، أو **ون تسو Wen Tsu**، أو أي كاتب غيرهم في الحرب والفلسفة السياسية، والأشياء المتشابهة. والملاحظة نفسها تنطبق على المراجع الطبية الصينية، في معظمها ضخم، وبعضه يرجع تاريخه إلى الأزمنة الخرافية، ولكن دائماً هناك قصور لأن ينجح في أي امتحان بسيط.

أن ار ياه **Erh Ya** أو **الاقتراب من المستوى** هو عمل تمت نسبته إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد. إنه دليل للاستخدام الصحيح للمصطلحات المتعددة، بما فيها أسماء الحيوانات، والطيور، والنباتات... الخ، والتي تم زيادة كثير من الرسومات عليها. صدرت أولاً مع تعليق لـ **كو بو Kuo Po** الذي سنقرأ عنه لاحقاً، وبعض النقاد الصينيين يريدوننا أن نعتقد أن كثيراً من المصورات التي نملكها كانت وقتها موجودة، لكن السؤال كله مغلف بالألغاز.

التالي سيعطي فكرة حول النص:-

«عن المعدن نقول **لو Lou** (مطاردة)، للخشب نقول **كو Ko** (نحفر)، للعظم شيه **Shieh** (نقطع)،» الخ... الخ.

يوجد عدد من الآثار التي تثير الاهتمام من الكاتب **تان كونغ Tan Kung**، الذي ازدهر في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وقد ضم عمله إلى كتاب **الشعائر Book Of Rites**، المقتطفات الثلاث التالية تعطي فكرة عن مجاله:-

1. «في يوم من الأيام رأى أو **تسو Yu Tsu** و**تسو او Tsu Yu** طفلاً يبكي لفقدان والديه. وبناء عليه علق الأول، «لا يمكنني أن أفهم لماذا الحزاني (الذين يحدون على

الميت) عليهم أن يتقافزوا حتى يظهروا حزنهم بينما كان بإمكانهم أن يتخلصوا من هذه العادة، وهنا لديك تعبير مخلص للمشاعر وهو ما يجب أن يكون.»

أجاب تسو أو **Tsu Yu**، «يا صديقي إن الاحتفال بالحزن، بكل ما له من ملابس مادية، يشكل على الفور رادعاً لكل عاطفة في غير محلها وضماناً ضد أي قصور للاحترام المناسب، وبالتالي أن ينفس عن شعور مكبوت هي طريقة البرابرة، إنها ليست طريقتنا.»

«لنفترض التالي: رجل مسرور سيظهر سروره على وجهه، سيغني، سيكون منفعلًا، سيرقص، وكذلك إنسان مستاء سيبدو أنه حزين. سيتنهد وسيلطم على صدره، سينطنط، إن الضبط المناسب لهذه المشاعر، هو عمل مجموعة من الاحتفالات.

يضاف إلى ذلك، أن شخصاً يموت ويصبح موضوعاً للاشمئزاز، إن الجثة منبوذة، وبالتالي يتم تحضير كفن لها وغيرها من أدوات الدفن حتى الناجون يتوقفون عن الاشمئزاز، وبمناسبة الوفاة، تقدم ذبيحة من النيذ واللحم، وعندما يحين بدء موكب الدفن هناك آخر، وبعد الدفن هناك آخر أيضاً. ولكن لم ير أحد مطلقاً روح المتوفي تأتي لتذوق الطعام.

يوجد لدينا عاداتنا منذ القدم، لم يجر نبذها وتركها لأنه، وبالمناسبة الناس لم تنبذ الأموات، ما يمكنك شجبه في أولئك الذين يقومون بالاحتفالات لا يضير الاحتفالية نفسها.»

2. «عندما مات تسو تشو **Tsu Chu**. زوجته وسكرتيه أخذتا يتشاوران فيمن يدفن معه، كل شيء تم تسويته قبل وصول أخاه تسو هينغ **Tsu Heng**، ثم أعلماه قائلين، «إن المتوفي بحاجة إلى شخص يرعى شؤونه في العالم السفلي. ونحن نسألكم أن تنزل مع جسده إلى القبر، فأجاب تسو هونغ **Tzu Heng** «دفن الأحياء مع الأموات لا يتماشى مع الشعائر القائمة، ولكن ما تزال كما تقولون، الحاجة إلى شخص ليهتم بأمور المتوفي ومن أفضل من زوجته وسكرتيه؟ إن كان يمكن تفادي هذا المأزق الطارئ كلية، فأنا على استعداد؛ إن كان الجواب بالنفي، فإن هذا العمل سيقع عليكما، أنما الإثنين. منذ ذلك الوقت فصاعداً بطلت هذه العادة.

3. «عندما كان كونفوشيوس يقطع جبل تاي **Tai** سمع امرأة تبكي وتنتحب قرب

قبر. وبناء على ذلك أرسل أحد تلامذته ليسأل ما الأمر؟ فقام تلميذه بسؤال المرأة قائلاً، «لقد أصبت بحزن عظيم وقع عليك حتى تنفذي هذا الحزن عنك بهذه الطريقة؟» فأجبت المرأة، بالفعل هو كذلك. لقد قتل حموي هنا من قبل نمر، وبعده قتل زوجي، والآن قتل ابني بالطريقة نفسها. 'لكن لماذا لا تذهبين من هنا؟' استفسر كونفوشيوس. «إن الحكومة ليست قاسية، أجابت المرأة. هناك!» صاح المعلم ونظر إلى تلامذته قائلاً تذكروا ذلك. الحكومة السيئة أسوأ من النمر.»

الفيلسوف **هسون تسو Hsun Tsu** الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد معروف على نطاق واسع بأرائه الهرطقية حول طبيعة الإنسان، مما وضعه في موقف معارض مع مذهب كونفوشيوس، الذي دافع عنه بحرارة مينسيوس. الفقرة التالية، التي لا تحمل التصديق بها، تتضمن فحوى هذه المقولة:-

«بطبعه، الإنسان شرير. إن كان إنسان ما جيداً فإن تلك هي نتيجة اصطناعية. فلأن حاله هي ما هو عليه فإنه يتم التأثير عليه أولاً وقبل كل شيء بالرغبة بالربح. وبالتالي يسعى للحصول على ما يستطيع، دون أن يأخذ بعين الاعتبار جاره. ثانياً، أنه يميل إلى الحسد والكراهة. وبالتالي أنه يسعى لتدمير الآخرين أما الولاء والحق يتم وضعهما جانباً، ثالثاً أنه عبد لشهوائيته الحيوانية، وبالتالي يقترف الفظائع ويحيد عن طريق الواجب والحق.

«وبالتالي إن التطابق مع النزعة الطبيعية للإنسان تقود إلى كل أنواع العنف والفوضى وفي النهاية إلى البربرية، فقط في ضبط النفس في القانون والتأثيرات الأخلاقية العظيمة يصبح الإنسان ملائماً ليكون عضواً في مجتمع منظم باستمرار.

من هذه المنطلقات يبدو أنه أصبح ظاهراً أن الإنسان بطبعه شرير وأنه إن كان الإنسان جيداً فإن تلك هي نتيجة اصطناعية.

إن **هسياو تشينغ Hsiao Ching** أو **برّ الوالدين الكلاسيكي** ينسب جزئياً إلى كونفوشيوس وجزئياً إلى **تسنگ تسان Tseng Tsan** مع العلم أنها ترتد إلى تاريخ أقدم من ذلك بكثير. واعترافاً منا بأن برّ الوالدين هو بالأساس المفتاح للحضارة الصينية، فإننا نعتزف أنه مخيب للآمال أن لا أجد أي شيء عن الموضوع سوى كراس فقير يحتوي على جمل عادية ورديدة تعطي

الانطباع أنها كتبت لتملاً الفراغ. إن المقتطف القصير التالي يفى بالعرض:-

«قال المعلم، هناك ثلاثة آلاف اعتداء يمكن أن نوجه لهم العقوبات الخمسة ولا يوجد أي واحد أفضح من أن يكون المرء غير بار.

«عندما يكبت الحاكم، أي عندما ينكر عليه سلطانه، وعندما ننكر سلطة الحكماء، أي عندما ينكر القانون كله، وعندما يطرح بر الوالدين جانباً أي عندما ننكر مبدأ المودة. فهذه الثلاثة تمهد الطريق للفوضى.»

إن تشيا أو Yu، أو أقوال كونفوشيوس العائلية، هو عمل بعنوان أخاذ، نسب من بعضهم إلى التلاميذ المباشرين لكونفوشيوس، الذين كما هو الآن، يعتقد من العلماء المحليين، أنه تم تأليفه من قبل وانغ سو Wang Su، وهو موظف متعلم مات في سنة 256 ميلادية. يبدو أن هناك عمل أقدم منه حمل العنوان نفسه لكن كم كان العمل الأخير مديناً له أو قائماً عليه يبدو أن ذلك سيبقى غير معروف.

وعمل آخر مخز هو لو تشيه تشون تشيو Lu Shih Chun Chiu أو الربيع والخريف لصاحبه لو بو واي Lu Pu- Wei الذي مات في سنة 235 قبل الميلاد، وكان الابن المزعوم للإمبراطور الأول (انظر الفصل السابع) إنه يشتمل على معلومات كثيرة من التاريخ المبكر للصين الذي لا شك أن جزءاً منه، قائم على الحقيقة.

وأخيراً، من بين الكتب الزائفة يمكن أن نذكر كتاب مو تيان تسو تشوان Mu Tien Tsu Chuan وهي رواية عن رحلة خرافية من قبل ملك من ملوك سلالة تشو Chou من المفترض أنها تمت حوالي الألف قبل الميلاد. الملك للأسف يخاطب بلقبه بعد الوفاة، والكتاب كتب على ما يبدو في القرن الثالث الميلادي ليتلاءم مع جملة وجدت في لبيه تسو Lieh Tsu (انظر الفصل السادس) مفادها أن الحاكم المعني بالفعل قام برحلة مثل هذه للغرب.

الفصل الخامس الشعر - النقوش

إن الشعر الذي يمثل الفترة الواقعة بين موت كونفوشيوس والقرن الثاني قبل الميلاد، هما عالمان متباعدان. ولا يوجد شيء يشبههما في المدى كله من الأدب الصيني. إنها تثير كثيراً من التصريحات المحلية حول الفن الشعري مما قد يترك معناها غير واضح. فالشعر تم تعريفه من قبل الصينيين على أنه «الإحساس معبراً عنه بالكلمات»، وهو تعبير قد لا يكون أقل ملائمة من تعبير **ووردز ورث Words** **worth** «تعبير منفعل». وقد قالوا «إن الشعر لا يعرف أي قانون». وكذلك قالوا «إن الناس القدماء افترضوا أن قيمة البراعة في الشعر أن يكون المعنى خارج الكلمات وأن على القارئ أن يحزره.» من هذه القوانين الثلاثة يمكن القول أن القانون الثالث هو الذي بقي حتى هذا اليوم. لكن في القرن الرابع قبل الميلاد انغمس **تشو يوان Chu Yuan** ومدرسته في الأوزان الشاذة غير المنتظمة والمتطرفة التي انسجمت جيداً مع آرائهم الشاذة غير المنتظمة والمتطرفة. إن شعرهم كان نثراً أصبح فيه مس من الجنون. لقد كان يعطي التلميحات والاستعارات بشكل كبير، والآن كثير منه، لولا التعليقات لكان غير مفهوم البتة.

كان **تشو يوان Chu Yuan** من نوع الوزير الوفي. وكان يتمتع بالثقة الكاملة للأمير حتى استنزفت في نهاية المطاف، غيرة ومؤامرات معارضية موقعه في الدولة. بعدها كان قد ألف **لي ساو Li Sao** **الوقوع في المشاكل**، حيث امتد الجزء الأول منه لحوالي 400 بيت، بدأه من ولادة الكاتب وكان يصف رعاية الفضيلة وجهوده الجادة لترجمة المبادئ إلى ممارسة. وبعد أن أحبط من الفشل، قام بزيارة قبر الإمبراطور **شون Shun** (أنظر الفصل الثاني) مكرساً نفسه للصلاة حتى في نهاية المطاف تظهر له عربة عنقاء وتنين يحملانه ليفتش عن طريقته المثلى بعيداً عن نطاق البشرية - وعربة الشمس تتحرك ببطء لتنيهه بشكل أطول على الطريق،

والقمر يقود في المقدمة والرياح تدفع من الخلف، - حتى تصل إلى قصر الله. ولأنه لم يستطع الحصول هنا على تصريح للدخول فإنه يبحث عن ساحر مشهور، الذي يشير عليه بالثبات في موقعه ويستمر في البحث. بعد ذلك يجد نفسه محاصراً بغيوم عظيمة وأقواس قرح مبهرة وفي أجواء من موسيقى الزخارف التي لها طنين مرتبطة بعربته يبدأ من طريق الحليب ماراً بالقطب الغربي، فيصل إلى منابع النهر الأصفر، وبعد برهة من الزمن يرى مجدداً موطنه، لكن دون أن يكتشف الأغراض التي يبحث عنها.

محبط من خيبة الأمل وغارق في فقدان الحظوة مما جعله لا يهتم بالعيش أكثر من ذلك، ذهب إلى دفة نهر **مي لو Mi Lo**. هناك التقى بصياد سمك الذي بادره بالقول، «الست أنت صاحب المعالي الوزير؟ ما الأمر الذي أتى بك إلى هذا الممر؟» أجابه **تشون يوان Chun Yuan** قائلاً، «العالم فاسد ويمكنني لوحدي أن أنظفه، هناك كلهم سكارى، بينما أنا وحدي صاح. لذلك تم طردني.» «أواه»، قال الصياد، «الحكيم الحقيقي لا يتقاتل مع بيئته، وإنما يؤقلم نفسه معها. إن كان العالم، كما تقول فاسداً، فلماذا لا تبقى قريباً منه وتقوم بتنظيفه، إن كان الناس كلهم سكارى لماذا لا تشرب معهم وتعلمهم كيف يمكن تجنب الإسراف؟» وبعد حوار آخر، جدف الصياد بعيداً، وأمسك **تشو يوان Chu Yuan** بحجر كبير في يديه والقى بنفسه في النهر ولم يُر منذ ذلك الحين، هذا حدث في الخامس من الشهر الخامس، وأخذ شعب **تشو Chu** بعد ذلك يحتفلون بهذا اليوم في مهرجان سنوي عندما يأتي الأرز ومكعبات البامبو ويرمى بها في النهر كتضحية لروح بطلم العظيم. وهكذا هو أصل مهرجان قارب التنين العصري، الذي من المفترض أن يكون بحثاً في جسد **تشو يوان Chu Yuan**.

توجد عينة جيدة عن أسلوبه بالقصيدة القصيرة المعنونة «عبقري الجبل» إنها واحدة من «تسع أغان». والتي تشكلت مع غيرها من القطع الأخرى في الأسلوب نفسه، وتم ترتيبها تحت العنوان العام لي ساو **Li Sao**، كالسابق أعلاه.

يظهر لي أن هناك عبقرى فى التلال، تغطىها الوسيتارية⁷ ويتمنطق بها اللبلاب⁸ وعلى شفاهه ابتسامة، ومحياه ساحر، ويمتطي نمرأاً أحمر، والقطف الوحشية تركض فى الخلف مستلقى فى عربة ومعه رايات من الكاسيا، ومغطى بالسحلبية، ومطوق بالأزاليا، ويختار من الرائحة العطرة حتى يترك وراءه ذكرى فى القلب، إلا أن الأيكة التى أعيش فيها مظلمة ولا يصلها قطعياً نور النهار. الممر إلى هناك خطير وصعب التسلق. لوحدي أقف على رأس التلة بينما تسبح الغيوم تحت قدمي، وكل شيء حولها ملفوف بالحزن.

«تسمنت الريح الشرقية بلطف، وناعمأً يهطل المطر. وفى انبساطي أنسى البيت فمن هو الذى سيكرمني فى انحداري؟»

إني اقطف العائق⁹ على التلة فى وسط فوضى الصخور وتشابك الكرمة. أنا أكره ذلك الذى جعلني منبوذاً، ولا يوجد له وقت للراحة حتى يفكر فيّ.

«أن أشرب من النبع الصافي الصخري، وأظلل نفسي تحت الصنوبر المتمدد. حتى لو قام باستدعائي لا يمكنني أن أسقط إلى مستوى العالم.»

«عندما يدوي الرعد من خلال المطر الخفيف فقرود الغيون تعول حولي طول الليل. الاعصار يتدفق بشكل متقطع من خلال الشجر الذى يصفّر. وأنا أفكر بأميري، ولكن دون جدوى، فأنا لا أستطيع أن أضع جانباً حزني.»

أحد الشعراء المميزين فى ذلك العصر كان سونغ أو **Sung Yu** الذى لا نعرف شيئاً عنه سوى أنه كان ابن شقيق تشو يوان **Chu Yuan**، ومثل عمه كان رجل دولة وشاعر، المقتطف التالي يعرضه فى مزاج لا يختلف كثيراً عن مرثي لي ساو **Li Sao**.

من بين الطيور العنقاء، ومن بين السمك حوت لويثان

7 هو نبات متعرش ذو زهرعنقودي أزرق أو أبيض أو أوجواني / المترجم.

8 نبات عشبي معترش يلتف على المزروعات والشجر / المترجم.

9 نبات من الفصيلة الشيقية أزهاره جميلة مختلف الألوان / المترجم.

تمسك بأهم المواقع؛
تشق الغيم القرمزي،
العنقاء تمشي الهوينا
السماء الزرقاء فقط فوقها
بعيداً في ميادين الفضاء،
إلا أن عظمة السماء والأرض
غير مهمة لسباق عصفور الشوك.

ولويثان ينهض بقفرة واحدة
يذهب ليرتاح في ثانية،
بينما عمق الوحل مثل سمك المينوه الصغير
محسوب كعمق البحر.

وكما هو الأمر مع الطيور والسمك،
كذلك هو مع الإنسان،
هنا ترتفع العنقاء
هناك يسبح اللويثان...
أنظر إلى الفيلسوف، فهو مليء بالأفكار العصبية
ومع شعلة لا تنطفئ أبداً
تسكن عن رضى لوحدها،
قل لي ماذا يمكن لجماعة فظة أن تعرف عنه؟»

كما قلنا أعلاه أن شعر هذه المدرسة هو غير منتظم وشاذ في موازينه؛ بالحقيقة أنها بالكاد تكون عروضية. إن الشاعر لا ينهي سطره أبداً احتراماً لعدد محدود من التفاعيل، وإنما يطول ويقصر ليتلائم مع مقتضيات فكرة. وبالطريقة نفسها يمكن أن يقفي أو لا يقفي. والقارئ لا يعي مطلقاً الحاجة إلى الفن كما أنه لو كان منساقاً بتدفق اللغة والتتابع السريع للصور الشعرية.

شعراء آخرون عدة، مثل تشيا أي Chia I وتونغ فانغ سو Tung Fang So الذين رعوا هذه الأصول واستثمروا فيها، لكن على مستوى أقل إلى حد ما، فهم ينتسبون إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وبالتالي تداخلت مع فترة يجب أن ينظر لها أنها تبشر بمولد أسلوب جديد وليست مشغولة بتمرير القديم.

ويجب أن نذكر هنا أن الكثير من القطع الصغيرة والتأليفات ذات الأعمال المشكوك فيها - بعضها دون سؤال، قديم جداً - جرى إنقاذها من قبل العلماء الصينيين من مصادر متعددة وكونوا منها مجموعات ملائمة. من هذه يوجد شعر يعرف «بمشورة ياو Yao»، وياو هذا هو الملك الخرافي المذكور في الفصل الثاني الذي كان على علاقة بشون Shun، في العصر الذهبي للصين:-

بقلب مرتعش وبخطوات حذرة،

سر يومياً بمخافة الرب...

مع أن قدمك لن تزل من فوق الجبل،

لكنها قد تزل من فوق التراب.

توجد أيضاً أغنية المزارع أو الفلاح التي تتوسع في السعادة القومية لهذه الأيام الهادئة:-

اعمل، اعمل؛ - منذ شروق الشمس

حتى تغيب الشمس وينتهي اليوم

أنا أحرث المرح

وأجرف التراب،

ويأتي اللحم والشراب كلاهما إلي

إذاً لماذا أهتم بالقوى التي ستأتي؟»

يبدو أن العادة كانت في الأيام الغابرة أن يتم نقش نقوش شاعرية وغيرها، على كل المواد ذات الاستخدام اليومي. على حوض الحمام لتانغ Tang، مؤسس سلالة شانغ Shang في سنة 1766 قبل الميلاد، يقال أنه تم كتابة الكلمات التالية: - «إن كان أحد في أي يوم من الأيام يستطيع أن يعمل من نفسه، رجلاً جديداً، فليعمل ذلك كل يوم.» وبالمثل، حملت مرآة معدنية قديمة الخرافة التالية، «يمشط الإنسان شعره كل صباح: لماذا لا يفعل ذلك بقلبه؟» ويقال أن الأسطر التالية أخذت من مغسلة قديمة:-

«عوضاً من أن تغرق في لجة العالم الفاسدة

أنا أود أن أغرق في مكان لا قعر له

فمن يغرق في لجة العالم الفاسدة

نتمنى أن يبقى في الأعماق النتنة،

أما من يغرق في مكان لا قعر له

قد يأمل أن يطوف على السطح مرة أخرى.»

في هذا الجنس من الأبيات الشعرية، فإن البحر الشعري هو غالباً شاذ والقافية هي ببساطة تشبه الرنين وفق لقوانين علم العروض الشديد الذي أوجد في فترة لاحقة.

الفصل السادس

الطاوية - طاو تيه تشينغ Tao - Te - Ching

نطلب من القارئ أن يبدأ من جديد عند القرن السادس قبل الميلاد. حتى الآن عالجتنا بشكل استثنائي ما يمكن أن نطلق عليه الأدب الأرثوذكسي أو المحافظ أي يخص أو يتبع أو يقوم على القانون الكونفوشيوسي. يبدو أنه من المناسب أن نزيح هذا الموضوع عن كاهلنا قبل أن ندخل في فرع جديد غير مهم كثيراً، لكن أصعب بكثير للمعالجة. هذا الفرع يتكون من أدب الطاوية، أو ذاك الذي تجمع حول ما يسمى بالطاو، أو طريق لاو تسو **The Way of Lao Tzu**، الذي كان ينمو ويتفرع إلى جانب ذلك. الذي أقيم على معايير ومذاهب كونفوشيوس ولو أنه كان من غير الممكن أن نقوم منذ البداية بشرح مما يتكون الطاو في الحقيقة. وفقاً للاو تسو **Lao Tzu** نفسه، «أولئك الذين يعلمون لا يخبرون؛ والذين يخبرون لا يعلمون.» ومن المؤمل به على أي حال، أن نكون بالوقت الذي ننتهي به من هذا الفصل، قد أوصلنا بعض الضوء لمعنى الطاو إلى أذهان أولئك الذين كانوا صبورين كفاية ليتابعوا الحجج.

ولد لاو تسو **Lao Tsu** وفقاً للشواهد، في سنة 604 قبل الميلاد. وإذا حذفنا جميع الإشارات إلى الظواهر الخارقة للطبيعة التي رافقت ميلاده وسنواته الأولى، يبقى القول فقط أننا لا نعلم أي شيء يذكر عنه. هناك سيرة ذاتية قصيرة عن لاو تسو **Lao Tsu** يمكن إيجادها في تاريخ سو ما تشيان **Ssu Ma Chien**، والتي ستعالج في الكتاب الثاني، الفصل الثالث، لكن البراهين الداخلية تشير إلى تطريز أي توشية جرت عليه من قبل أيدي أخرى تماماً كما اعتقدوا أنه من الضروري أن يحرف متحمسون أتقياء في أعمال جوسيفوس فقرة تشير إلى المسيح، هكذا يبدو أن ملاحظة سو ما تشيان **Ssu Ma Chien** الأصلية قد تم التلاعب بها بروية

لتلائم مع متطلبات اجتماع غير موثق بين لاو تسو وكونفوشيوس الذي أدرج فيه فعلياً قول «بالمناسبة أنه غير ذي صلة»، وكم بالأحرى إذا جعلنا كونفوشيوس يقوم بزيارة لاو تسو بخصوص معلومات حول الشعائر، وهو موضوع كان لاو تسو يحتقره. هذه السيرة الشخصية تنتهي بالحكاية العجيبة التالية:-

«استقر لاو تسو لفترة طويلة في تشو Chou لكنه غادرها عندما رأى أن هذه الدولة أخذت تظهر مظاهر الانحلال. عند وصوله الحدود، قال له الحارس، واسمه ين سي Yin Hsi، «إذن أنت سوف تتقاعد التمس منك أن تكتب لي كتاباً. وبناء عليه كتب لاو تسو الكتاب بجزئيه عن الطاو و تي¹⁰ والذي امتد إلى أكثر من خمسة آلاف كلمة. ثم غادر ولا أحد يعلم أين توفي.»

يبدو واضحاً من رواية سو ما تشيان Ssu Ma Chien أنه هو شخصياً لم ير أبداً الكتاب، مع أن أقلية متناقصة لا تزال تعتقد أننا نملك هذا الكتاب في الكتاب المعروف جداً تحت اسم طاو ته تشينغ Tao-Te-Ching.

يجب أن يقال الآن أنه خلال ما يعرف بشكل عام على أنه كتابات كونفوشيوس لم يتم ذكر لاو تسو Lao Tsu ولا مرة أبداً¹¹. أنه كذلك لم يذكر من قبل تسو Tso، صاحب التعليق المشهور، ولا من قبل محرري مختارات كونفوشيوس، ولا من قبل تسنغ تسان Tseng Tsan ولا من قبل مينسيوس. تشوانغ تسو Chuang Tzu الذي كرس كل جهده لعرض وفرض تعاليم لاو تسو Lao Tzu، لم يقم حتى مرة واحدة بالتلميح بأن معلمه قد كتب كتاباً. في عمله نجد رواية لاجتماع كونفوشيوس بلاو تسو لكن ذلك تم دحضه منذ زمن طويل كاحتيال من قبل كل ناقد صيني كفو. تشو هسي Chu Hsi، وشن جو شوي Shen Jo-Shui وغيرهما كثيرون، أعلنوا رفضهم للاعتراف بأصالة الطاو تي تشينغ Tao Te Ching، وكنا عملنا بالواقع إشارات ضمنية لهذا الموضوع هنا لولا الاهتمام الذي دفع نوعاً ما

10 (التي هي نسخة مصدقة أو تعبير عن التاو).

11 إن الإسم لاو تان Lao Tan يذكر في اربع فقرات من كتاب الشرائع، ولكن يتم ابلاغنا بوضوح أن باستخدامه ليس المعني الفيلسوف لاو تسو.

العديد من الطلاب الأجانب المرموقين باللغة إليها ومن الممتع أن تكون مجموعة من تفوهات لاو تسو الأصلية الكثيرة محشورة بين حشو كثيف من التبطين التي لا يمكن أن يُستخرج منها أي معنى سوى من قبل المتحمسين الذين ويا للغرابة يختلفون فيما بينهم. وسنعتي الآن أمثلة قليلة من لاو تسو الحقيقي:-

الطريق (الطاو) الذي يمكن السير عليه ليس الطريق الأبدي.»

«وأظب على أن تتبع الطريق في قلبك، لكن لا تجعل منه فرجة للعالم.»

«بكلمات كثيرة يتم استنفاد خفة الظل، فمن الأفضل أن تحافظ على الطريق

الوسط.»

«مع الجيدين سأكون جيداً. ولغير الجيدين سأكون أيضاً جيداً، حتى أجعلهم

جيدين.»

«كافئ الجرح باللطف.»

«ضع نفسك بالخلف، فتوضع في الأمام.»

«تخلي عن الحكمة وانبذ المعرفة فالناس يستفيدون مائة مرة.»

هذه المبادئ الأخيرة من المفروض أن تصور مبدأ لاو تسو المحبب الذي يقول

بعمل لا شيء، أو كما تم تسميته، **عدم الفعل**، وهو مبدأ لا ينفصل عن اسمه،

وواحد ما يزال يبذل إعجاباً كبيراً على أولئك الأكثر تخيلاً من أبناء وطنه. وقد أعلن

عنه كالتالي:-

«لا تفعل شيئاً، والأشياء كلها ستعمل.»

«أنا لا أفعل شيئاً، والناس تصبح خيرة لوحدها.»

بالعودة إلى الحشو، كما شرحها المرحومان الدكتور تشالمرز ود. لج يمكن أن نأخذ

فقرة هي الآن الفصل السادس:-

تشالمرز:- «إن روح الوادي (مثل الربيع المعمر)، لا تموت أبداً. هذه (الروح) أسميها الهوة - الأم. إن ممر الهوة الأم، أسميه جذر السماء والأرض، دون توقف يبدو أنه يصمد ويتم تشغيله دون جهد.»

لج:- «إن روح الوادي لا تموت، نعم الشيء نفسه.

إنه لغز الأنثى هكذا نحن نسميه.

بوابته التي انطلقوا منها أولاً.

تسمى الجذر الذي خرجت منه السماء والأرض.

إن قوتها تبقى طويلة وغير مكسورة.

تستخدم بلطف ودون لمسة الأم.»

مثل واحد إضافي من ترجمة تشالمرز سوف يقرر مصير الكتاب مع القراء الذين يدعون حد أدنى من الحس من عالم قديم كلاسيكي.

«حيث تركز المياه تكون جيدة للتكيف.

في قلبها، إنها جيدة للعمق.

في العطاء، إنها جيدة للإحسان.

في الحديث، إنها جيدة للبر.»

أن يكون هناك فيلسوف مثل لاو تسو الذي عاش في حوالي الزمن المشار إليه والذي وصلت إلينا أقواله أولاً من خلال التراث ولاحقاً من خلال السجلات المكتوبة والمطبوعة، لا يمكن أبداً أن نشك فيه. إن العمل العظيم الذي عمله تشوانغ تسو **Chuang Tsu** قد يكون كافياً ليثبت هذه النقطة دون إثارة أي شكوك، وفي الوقت نفسه يشكل دليلاً متوفراً لتثمين أقرب لهذا الطاو المراوغ.

ولد تشوانغ تسو **Chuang Tzo** في القرن الرابع قبل الميلاد، وتبوأ مركزاً وظيفياً بسيطاً. يقول المؤرخ سوما تشيان **Ssu Ma Chian** أن تشوانغ

تسو «كتب بهدف ذم المدرسة الكونفوشيوسية ولتمجيد ألغاز لاو تسو....
وتعاليمه تشبه الفيضان الجارف الذي يتمدد وفقاً لإرادته الحرة وبالتالي
من الحكام إلى الوزراء نزولاً، لا أحد يمكن أن يستفيد منه بأي شيء.»
هنا لدينا مفتاح الانتصار لطريق كونفوشيوس على طريق لاو تسو، فالأخير كان
مثالياً بينما الأول شكل نظاماً عملياً للاستخدامات اليومية. ولم يستطع تشوانغ تسو
Chuang Tzu أن يقنع الأمة الصينية التي تتقن حيك الخطط أنه من خلال عمل
اللاشيء سيتم عمل كل شيء. لكنه ورث الأجيال اللاحقة عملاً، بسبب جماله الأدبي
الرائع، تبوأ دائماً مكاناً مرموقاً باستمرار. إنه عمل يحظى بالكثير من الفكر المبدع.
وفي الحقيقة يظهر الكاتب في الأساس كتلميذ يصر على مبادئ أستاذه، لكنه خطط
لتمديد مجال لنقل تكهناته إلى منطقة لم يحلم بها لاو تسو.

لم تصل إلينا أعمال تشوانغ تسو Chuang Tzu كلها، كما لا يمكن اعتبار كل
تلك الأعمال التي تسوق باسمه أصلية. أيد غريبة أضافت في الواقع سدى، فقرات
عديدة وفصول كاملة عدة. لكن لباس الحداد، يقول مثل صيني، لا يمكن تطويله
بذيل كلب. إن لن هسي تشونغ Lin Hsi Chung، الناقد اللامع من القرن السابع
عشر، الذي يجب على جميع الطلاب أن يعودوا إلى مؤلفه، قد بين بلمسة لا تخطئ
أين ترك الأسد (أكله) وأين ابن أوى بدأ (بالأكل).

إن شرف الطبعة الأولى يذهب حقاً إلى روح غير مستقرة من القرن الثالث
للميلاد، يدعى هسيانغ هسيو Hsiang Hsiu، وقد يكون هو مؤسس، على أي
حال عضو، ناد صغير لشعراء مدمني النبيذ الذين أطلقوا على أنفسهم الحكماء
السبعة لحديقة البامبو - الخيزران. إلا أن الموت قطع عليه جهوده، قبل أن ينهي
كتابه عن تشوانغ تسو Chuang Tzu، وقد تم سرقه المخطوطة من قبل كوو
هسيانغ Kuo Hsiang، عالم توفي في سنة 312 ميلادية وأجرى عليها إضافات عدة
قبل نشرها كأنها له.

قبل محاولة تفسير الأسلوب ومجال تشوانغ تسو Chuang Tzu من خلال

المقتطفات سيكون من الجيد أن نختار من أعماله فقرات عدة تعالج صفات الطاو، في أشهر فصل له بعنوان **فيضانات الخريف**، الاسم الذي عرف نفسه به، يكتب تشوانغ تسو **Chuang Tzu** التالي:-

«الطاو ليس له بداية وليس له نهاية.» ويقول في مكان آخر، «لا يوجد مكان لا يوجد فيه.» «الطاو لا يمكن سماعه، إذا سمع فهو ليس الطاو، الطاو لا يمكن رؤيته، إن رؤي، فهو ليس الطاو، الطاو لا يتكلم، إن تكلم فهو ليس الطاو، ذاك الذي ينقل الشكل إلى أشكال هو نفسه لا شكل له، لذلك لا يمكن للطاو أن يكون له اسم (لأن الشكل يسبق الاسم).»

«الطاو ليس صغيراً جداً على العظيم وليس عظيماً على الصغير. وهكذا جميع الأشياء تُحتضن فيه، واسع بالفعل قدرته غير محدودة ولا يسبر غوره.»

«دون أفكار ودون تأملات يمكن معرفة الطاو. دون أن يرتاح في لا شيء دون أن يتماشى في اللاشيء يمكن أن تقبل على الطاو، من خلال متابعة اللاشيء، ومن خلال ملاحقة اللاشيء، يمكن الحصول على الطاو.»

من خلال هذه الفقرات، وأشباهاها كثر، يمكن أن يكون لاو تسو متعاطف مع تلميذه، إن كان بالإمكان أن نستخرج أي شيء ثابت من التراث الشحيح لتعاليم لاو تسو يبدو أننا سنحصل على هذا، على الإنسان أن يبقى فاقد الحس بإمرة إنفاذ قانون أبدي وكلي الوجود (الطاو) وبالتالي إذا أصبح منسجماً تماماً مع بيئته فسيحرز حالة غامضة من المناعة العامة، أبعد من ذلك لن تأخذنا تعاليم لاو تسو، إلا أن تشوانغ تسو **Chuang Tzu**، من خلال مشاكل بسيطة مثلاً قصة سكير يقع من عربة ولا يؤدي نفسه -وهي خرافة عامة منتشرة بين البحارة - لأنه فقد وعيه وبالتالي أصبح متناغماً مع بيئته، انزلق بسهولة إلى صوفية متطورة، في فصله الرائع بعنوان **هوية المتناقضات**، من وجهة نظر الطاو كل الأشياء هي واحد. الإيجابي والسلبي، هذا وذاك، هنا وهناك في مكان ما ولا مكان، الصح والخطأ، العامودي والأفقي، الذاتي والموضوعي، تصبح غامضة، مثل الماء في الماء. «عندما يكون الذاتي

والموضوعي، كلاهما، دون، مثلاً، زمانهما، ذلك يكون المحور الفعلي للطاو. وعندما يمر ذلك المحور من خلال المركز الذي يتجمع فيه اللامحدد، فالإيجابي والسلبي يندمجان كلاهما، في الواحد اللامحدود.» إن هذا التوضع في المركز وهذا الواحد المتمثل بالمطلق اللامحدد كان حتى بالنسبة لتشوانغ تسو **Chaung Tzu** حقيقياً أكثر من اللازم، الواحد أصبح الله والمركز، كما تم تعيينه من قبل الكتاب الطاويين المتأخرين بالنجم القطبي (أنظر الكتاب الرابع، الفصل الأول)، أصبح مصدراً للحياة كلها والمأوى الذي عادت له مثل هذه الحياة بعد أن مكثت على الأرض من خلال تجاهل فروق المتناقضات يجري «تطويقنا في وحدة الله المبيدة. لا تستمع للزمن، ولا للصح والخطأ ولكن إمضِ إلى المدى اللامحدود واجعل مكان راحتك الأبدية هناك.»

إن تكون فكرة الحالة المستقبلية غير المحددة معروفة في عقل تشوانغ تسو **Chuang Tzu** يمكن تجميعها من الفقرات كالتالي أدناه:-

«كيف إذاً سوف أعرف أن الموتى سيتوبون لأنهم تمسكوا بالحياة سابقاً؟»

«أولئك الذين يحلمون بالمأدبة يفيقون على النحيب والحزن. أولئك الذين يحلمون على النحيب والحزن يفيقون على الانخراط في صيد الطرائد، بينما هم يحلمون فهم لا يعرفون أنهم يحلمون. البعض منهم سيقوم بتفسير الحلم ذاته الذي يحلمون، و فقط عندما يستيقظون يعرفون أن ذلك كان حلماً. رويداً رويداً تأتي اليقظة الكبرى، وعندما نكتشف أن هذه الحياة هي فعلاً حلم كبير. المجانين يعتقدون أنهم مستيقظون الآن، ويمدحون أنفسهم لأنهم يعلمون إن كانوا حقاً أمراء أو فلاحين، كونفوشيوس وأنت كلاكما حلم، وأنا الذي أقول أنكم حلم، ما أنا إلا حلم كذلك.»

ينتهي الفصل بفقرة منحت كاتبها كنية إضافية فراشة تشوانغ-**Chaung But**
.terfly

«في مرة، أنا تشوانغ تسو حلمت أنني فراشة، ترفرف هنا وهناك، صدقاً كنت

فراشة، كنت واعياً فقط في تتبع خيالي كفراشة ولم أكن واعياً لذاتي كإنسان، فجأة استيقظت وهناك تمددت، أنا نفسي مرة أخرى. والآن أنا لا أعرف إن كنت وقتها إنساناً يحلم أنني كنت فراشة، أو إن كنت الآن فراشة أحلم أنني إنسان».

تشوانغ تسو Chaung Tzu معجب بالمفارقات، وهو يسر جداً في المكوث على منفعة الأشياء غير النافعة، ويبرهن أن الشجر الذي لا ينمو بشكل جيد أو الشجر الأقل جودة يسمح لها بالوقوف، وأن الخنازير المريضة لا تذبح للتضحية، وإن الأحذب لا يمكن إلا أن يعمل حياة جيدة من خلال الغسيل بينما الجسد المنحني لا يشكل مثلبة لكن ينجو به من كتيبة التجنيد المرعبة في زمن الحرب.

وهمقتطفات مصورة قليلة علينا أن نستودع تشوانغ تسو، الكاتب الذي على الرغم من طريقتة في أعين الكونفوشيوسيين لطالما كان محترفاً جداً لخفة ظله الحادة وأسلوبه الساحر.

1. «كان الوقت وقت الفيضانات بالخريف، كل جدول كان يصب في النهر الذي هاج في مجراه العكر. وضاف النهر انحسرت عن بعضها البعض مما كان من غير الممكن أن تفرق البقرة عن الحصان.

«وقتها، روح النهر ضحكت لسرورها من أن كل جمال الأرض اجتمع لها. ونزولاً مع الجدول ذهب إلى الشرق حتى وصل المحيط، هناك نظر باتجاه الشرق وعندما لم ير حدوداً لموجه تغيرت أساريه. وبينما هو يحملق باتساعه الرحب تنهد وقال روح المحيط، يقول مثل بذيء أن من يستمع إلى جزء من الحقيقة يعتقد أن لا أحد يجاريه، ومثل ذلك المسيء هو أنا.

«وعندما سمعت سابقاً أن الناس ينتقصون من تعاليم كونفوشيوس، أو يستهزؤون من بطولة بو أي Po I، لم أصدق ذلك، أما الآن وقد رأيت عدم نضوب مواردكم-ويل لي كيف لم أصل إلى دياركم، أكان علي أن أكون دائماً وأبداً اضحوكة لهؤلاء المتنورين الشاملين!

«وقد أجابتها روح المحيط، لا يمكنك أن تتحدث عن المحيط مع حيوان شديد البرودة - المخلوق الذي يأتي من مجال أضيّق. لا يمكنك أن تتحدث عن الثلج مع حشرة الصيف - مخلوق الموسم لا يمكنك أن تتحدث عن الطاو إلى شخص متحذلق فمجاله محدود جداً. أما وقد خرجت من الدائرة الضيقة ورأيت المحيط الواسع فقد عرفت تفاهتك، يمكنني أن أتحدث معك عن المبادئ العظيمة.

2. «لم تسمع أبداً عن الضفدع، في البئر القديم؟ قال الضفدع لسلحفاة البحر الشرقي، حقاً أنني مبسوط! أنا أقفز فوق الحاجز حول البئر، وأنا أرتاح في فجوة إحدى الطوبات المكسورة، أما بالسباحة، فإنني أجمع الماء تحت ذراعي، وأغلق فمي، وأغوص في الوحل دافناً قدمي وأصابع رجلي، ولا يشكل أي واحد من الأصداف البحرية، والسلطعونات والشرافغ¹² الذين أجدهم حولي، ندا لي (الزهو ينقر سعادة البئر العتيقة، يقذف تشوانغ تسو Chuang Tzu على كل مياه المحيط!) لماذا لا تأتي يا سيدي لزيارتي؟¹³

«لم تكذ سلحفاة البحر الشرقي أن تنزل رجلها اليسرى حتى التصقت اليمنى، فانكمشت وطلبت أن يتم إعفاؤها، بعد ذلك أخذت تصف البحر قائلة،» إن الألف لي لا تقيس عرضه ولا الألف تتنبأ بعمقه. في أيام أو Yu العظيم كان هناك تسع من عشرة سنوات من الفيضانات، لكن ذلك لم يصف إلى حجمه، في أيام سلالة تانغ Tang حصلت هناك سبعة من ثماني سنوات من الفيضانات لكن ذلك لم يضيّق أمده. لم يتأثر من دورة الزمن، ولم يتأثر من حجم الماء-هكذا هي سعادة البحر الشرقي.»

12 فرخ الضفدع / المترجم.

13 «إلى سمك المنوة الصغير، كل شق وحصى ونوعية وحادثة تصدم الينبوع المحلي الصغير ربما أصبح مفهوماً لكن هل سمك المنوة الصغير يفهم المد والجزر للمحيط والتيارات الدورية، والرياح التجارية والمونسون الخماسين وخسوف القمر...؟» - Sartor Resortus, Natural Supernaturalism .

«سارتور ويسارتوس» تعني الخياط يخطط مرة أخرى هي قصة بقلم توماس كار لايل صدرت في عام 1836 بعد أن نشرت كمسلسل بين الأعوام 1833-1843 في مجلة فريزر - المترجم).

«وعند هذه النقطة، كانت ضفدع البئر مندهشة جداً ولم تعرف ماذا تقول. وواحد لم يصل علمه إلى النطاق الإيجابي - السلبي يحاول أن يفهمني فتشوانغ تسو Chuang Tzu يشبه البعوضة التي تحاول حمل الجبل أو مثل النملة التي تحاول أن تسبح في النهر - كلاهما لا يستطيع النجاح.»

3. «كان تشوانغ تسو Chuang Tzu يصطاد السمك في نهر بو Pu عندما أرسل له أمير تشو Chu موظفين ساميا المستوى ليسأله تولى مسؤولية الإدارة في دولة تشو Chu.

«استمر تشوانغ تسو بصيد السمك، وقال دون أن يدير رأسه، سمعت أن في تشو Chu هناك سلحفاة مقدسة ماتت منذ ثلاث آلاف سنة، وبأن الأمير يحتفظ بالسلحفاة بعناية مغلق عليها في صندوق على مذبح هيكل آبائه، والآن هل ترغب هذه السلحفاة أن تكون ميتة وترى بقاياها محترمة أو أن تكون حية وتهز ذنبها في الوحل؟»
«أجاب الموظفان الساميان، «إنها تود أن تكون حية وتهز ذنبها في الوحل.»

«فصاح بهما تشوانغ تسو Chuang Tzu «انصرفا أنا أيضاً أرغب بهز ذنبي في الوحل.»

4. رأى تشوانغ تسو Chuang Tzu في يوم من الأيام جمجمة فارغة، مبيضة ولكنها لا تزال تحتفظ بشكلها. بعد أن ضربها بكرابجة قال «ألم تكوني مرة مواطناً طموحاً جلبته أشواقه الجامحة إلى هذا الوضع؟ - أو رجل دولة أغرق بلدة بالخراب وهلك في الاشتباك؟ - أو بائساً ترك وراءه تركة من العار؟ أو شحاذاً مات من آلام الجوع والبرد؟ أم هل وصلت إلى هذه الحالة من خلال المجرى الطبيعي للشيخوخة؟

«عندما انتهى من الحديث، تناول الجمجمة فوضعها تحت رأسه كمخدة ونام. في الليل حلم أن الجمجمة ظهرت له وقالت، أنت تتكلم جيداً يا سيدي، لكن كل الذي قلته له علاقة بحياة البشر وبمشاكل البشر، في الموت لا يوجد أي شيء من ذلك، أتود أن تسمع عن الموت؟

«بعد أن أجاب تشوانغ تسو Chuang Tzu بالإيجاب، بدأت الجمجمة بالحديث

قائلة:- «في الموت لا يوجد هناك صاحب سلطان فوق ولا مرؤوس تحت. فوجودنا فقط مرتبط بالأبدية، إن سعادة ملك من الملوك بين الناس لا يمكنها أن تفوق ذلك الذي نستمتع به.»

«إلا أن تشوانغ تسو **Cuang Tzu** لم يفتنع وقال هل لو تغلبت على الله ليسمح لجسده أن يوجد من جديد ويجدد عظامك ولحمك حتى تتمكن من العودة إلى والديك، وإلى زوجك، ولأصدقاء شبابك، هل ستكون مستعداً؟

«وعندما وصل إلى هنا، فتحت الجمجمة عينيها وقطبت حاجبيها وقالت «كيف يمكنني أن أرمي سعادة أعظم من سعادة الملك واختلط مرة أخرى مع الأعمال المتعبة ومشاكل البشر.»

5. «العراف الأكبر لابساً ثوبه الاحتفالي اقترب من الخرائب وهكذا خاطب الخنازير:- «وكيف ترفضون أن تموتوا؟ سوف أسمنكم لمدة ثلاثة شهور. سوف أهدب نفسي لمدة عشرة أيام وأصوم لمدة ثلاثة أيام. سأنثر حشيشاً ناعماً وسوف أضعكم جسدياً على سدر منقوش للأضاحي ألا يرضيكم هذا؟»

«ثم تحدث من وجهة نظر الخنازير فأردف قائلاً، ربما أنه من الأفضل أن تعيشوا على النخالة وتهربوا من الخرائب...»

«وأضاف قائلاً متحدثاً من وجهة نظره هو: «أما الآن فإما أن تتمتع بالشرف وأنت حي لأن الإنسان سيموت عن طيبة خاطر على ترس واقٍ أو في سلة السياف. وهكذا رفض وجهة نظر الخنازير وتبنى وجهة نظره هو. وبالتالي كيف يختلف عن الخنازير؟»

6. «عندما كان تشوانغ تسو **Chuang Tzu** على فراش الموت أعرب تلامذته عن الرغبة بعمل جنازة فخمة له. لكن تشوانغ تسو **Chuang Tzu** قال، «السماء والأرض لتابوتي وأرسل مع الشمس والقمر والنجوم كفناً لدني ودع كل المخلوقات، ترافقني إلى القبر، - أو ليست لوازم الدفن جاهزة للتسليم؟

«وناقش التلاميذ قائلين «إننا نخاف أن تنهش الحدأة آكلة الجيف، جسد معلمنا»، فأجابهم تشوانغ تسو **Chuang Tzu** على ظهر الأرض سأكون طعاماً للحراريش والنمل، فلماذا تسرقون الواحد لتطعموا الآخر.

يمكن الحصول على أعمال ليهه تسو **Lieh Tzu** في مجلدين نحيفين من أي مكتبة صينية. هذان المجلدان يدعيان أنهما يتضمنان كتابات الفيلسوف الطاوي الذي اشتهر عدة سنوات قبل تشوانغ تسو **Chuang Tzu**، ولفترة طويلة من الزمن حظيا باهتمام بالغ على أيدي الطلاب الأوروبيين، الذين لم يدر بخلداهم أي شك في سمتهما الحقيقية. تدريجياً بدأ الشك يحوم حولهما، ثم على أنهما مزيفان والآن أصبح من المعروف أنهما زورا، ربما في القرن الأول أو الثاني الميلادي، فالعالم - وهو بالتأكيد كان واحداً- الذي أخذ على عاتقه أن يزور هذا العمل كان نفسه ضحية لاحتيال غريب. وكان يعتقد أن ليهه تسو **Lieh Tzu** الذي كرس له تشوانغ تسو **Chuang Tzu** فصلاً كاملاً، كان فيلسوفاً حياً من لحم ودم. لكنه لم يكن في الواقع سوى شيء مختلق من الخيال مثل الكثير غيره من شخصيات تشوانغ تسو **Chuang Tzu**، إلا أن هذا الاسم كان أقل عمومية من أولئك الذين يتمادون - أو مجموعة «لا تفعل - شيئاً - لا تقل - شيئاً» وغيرها. الكتاب المنسوب له غريب حقاً أن يحظى بالاهتمام. إنه في مرتبة فكرية وأسلوب أدنى من أعمال تشوانغ تسو **Chuang Tzu**، ومع ذلك، الكتاب يتضمن أموراً تقليدية كثيرة وكثير من التلميحات التي لا توجد في أي مكان آخر. ونحن مدينون للكاتب بقصة، بالطبع مختلفة، عن لقاء كونفوشيوس مع ولدين يتشاجران حول مسافة الشمس عن الأرض. أحدهما قال أنه عند الفجر تكون الشمس أكبر بكثير منها في الظهر وبالتالي يجب أن نكون أقرب كثيراً، لكن الآخر أجابه أنه عند الظهر تكون الشمس أكثر حرارة وبالتالي تكون أقرب منه عند الفجر. واعترف كونفوشيوس بعدم مقدرته على أن يحكم بينهما فاستهزأ به الولدان على أنه دجال، ولكن من كل هذا العمل ربما تكون القطعة الأكثر جاذبية هي القصة القصيرة بعنوان الحلم والحقيقة:-

رجل من دولة تشنغ **State of Cheng** خرج يوماً ما ليجمع المحروقات ففوجئ

بغزال مذعور فلحق به وقتله. ولأنه كان خائفاً أن يراه أحد أسرع بإخفاء الجثة في خندق وغطاها بأوراق نبات عشبي كبير.

وفرح كثيراً بحظه الجيد، وتدرجياً نسي المكان الذي وضع فيه الجثة، واعتقد أنه يجب أن يكون حلاً وأخذ طريقه إلى البيت وأخذ يدندن حول الموضوع في الطريق.

«وفي هذه الأثناء، أنصت رجل إلى كلماته فذهب وأخذ الغزال. فالآخر عندما وصل إلى البيت أخبر زوجته وقال لها أن خطاباً حلم أن عنده غزالاً لكنه لا يعلم أين هو. الآن أنا عندي الغزال وبالتالي أصبح الحلم حقيقة.»

أجابت زوجته: «إذا أنت هو الذي كان يحلم أنه رأى خطاباً. هل حصل على الغزال؟ وهل هناك فعلاً مثل هذا الشخص؟ إنه أنت الذي أخذ الغزال: كيف بالتالي يكون حلمه حقيقة؟» حقاً كما تقولين، وافقها زوجها «أنا عندي الغزال. فبالتالي لا يهم إذًا، إن كان الخطاب حلم بالغزال أم أنا حلمت بالخطاب.»

«وعندما وصل الخطاب إلى بيته انزعج جداً على خسارته لغزاله؛ وفي الليل حلم فعلاً أين كان الغزال وقتها ومن هو الذي أخذه. وبالتالي ذهب في صباح اليوم التالي إلى المكان المشار إليه في حلمه. وهناك كان، فاتخذ بعد ذلك خطوات قانونية لاسترجاع الملكية، وعندما حل وقت المحكمة أطلق القاضي الحكم التالي:- المدعى بدأ بغزال مزعوم. المدعى عليه عنده حقاً الغزال الذي قال المدعي أنه حلم به وهو الآن يحاول الاحتفاظ به، بينما وفقاً لزوجته فكلا الخطاب والغزال ما هما إلا أكاذيب حلم، حتى لا أحد يأخذ الغزال قطعياً. ولكن هنا يوجد غزال الأفضل لكليهما أن تقسمانه بينكما.»

هان فاي تسو Han Fei Tsu المتوفى سنة 233 قبل الميلاد، ترك لنا خمسة وخمسين مقالة لها قيمة كبيرة جزئياً من ناحية إلقائها الضوء على الروابط بين الأقوال الحقيقية للاو تسو والطاو تي تشنغ **Tao Ti Ching** وجزئياً أيضاً على الرسومات التوضيحية العجيبة التي يعطيها لمعنى الأقوال نفسها. لقد كان متمعماً

في القانون وحصل على الحظوة في عيني الإمبراطور الأول (أنظر الكتاب الثاني الفصل الأول)، إلا أن تحريفات منافسيه جلبت له السقوط فانتحر في السجن. لا يمكننا أن نتخيل أنه كان أمامه **الطاو تي تشنغ Tao Te Ching**. إنه يعالج الكثير من أفضل أقوالها التي قد تكون أتت أصلاً من معلم أصيل، مثل لاو تسو الذي كان من المفروض أن يكون، لكن بشكل عشوائي، وليس لو كان أخذها من عمل منهجي. وأكثر من ذلك، فقد أخذت أجزاء من تعليقاته طريقها إلى **الطاو تي تشنغ Tao Te Ching** كنص، مظهرة كيف جُمع هذا الكتاب من مصادر متعددة. وكذلك أنه يقتبس جملاً غير موجودة في **الطاو تيه تشنغ Tao Te Ching**. ويشرح قولاً بسيطاً مثل هذا قائلاً «أن ترى البدايات الصغيرة هو الوضوح في الرؤيا»، - عندما تلفت الأنظار لرجل تنبأ عندما بدأ الطاغية **تشو هسن Chou Hsin** المتوفي سنة 1122 قبل الميلاد استخدم عيدان الأكل المصنوعة من العاج، من أن زمن الرفاهية قد حل، جالباً معه الإباحية والقساوة في أثرها ولينتهي إلى السقوط والموت.

قال لاو تسو، «اترك الأشياء تأخذ مجراها الطبيعي.» ولهذا القول أضاف **هان فاي تسو Han Fei Tsu** «قضى رجل ثلاث سنوات وهو يحفر ورقة شجر من العاج وكانت من الحسن والإتقان التفصيلي أنها تكون مرمية دون انتباه لها في كومة من الورق الحقيقي، لكن لييه **تسو Lieh Tzu** قال: إن كان الله العظيم سيقضي ثلاث سنوات على كل ورقة فسيتوقف الشجر عن إعطاء الظل.»

قال لاو تسو، «إن الرجل الحكيم يأخذ الوقت لترتيب خصلة الشعر.» أضاف **هان فاي تسو Han Fei Tzu** «في يوم من الأيام قال طبيب البلاط **للدوق هوان Duke Huan**، يا صاحب السعادة أنتم تتألمون من النظام العضلي. خذ حذر أو أنها ستصبح مشكلة جدية، «لا» قال الدوق، «أنا لا أعاني من أي شيء.» وعندما غادر الطبيب قال لجلسائه، الأطباء يحبون أن يعالجوا مرضاهم غير المرضى، ويجنون الأموال من الدواء. 'بعد عشرة أيام علق ثانية طبيب البلاط، 'يا سعادتكم أنتم تغوون اللحم، احذر أو أنها قد تتحول إلى مشكلة عويصة، لم يول الدوق اهتماماً بهذا، لكن بعد عشرة أيام لاحظ الطبيب مرة أخرى فقال، «يا سعادتكم عندكم

وجع في الأمعاء، احذر أو أنها ستصبح مشكلة عويصة،» ولم يلقي الدوق الاهتمام مرة أخرى، بعد عشرة أيام، عندما أتى الطبيب، فقد نظر إلى مريضه الملكي وغادر دون أن يقول شيئاً. أرسل الدوق أحدهم ليستفسر ما المسألة، فقال الطبيب له «ما دام المرض لم يزل في العضل كان يمكن مواجهته بالتهيج وباستخدام التطبيقات الساخنة، عندما كان المرض في اللحم فالوخز بالإبر الصينية قد ينفع، وما دام الوجع في الأمعاء كان من الممكن معالجته بالكي، أما الآن فهي في العظم والنخاع، ولا شيء ينفع معها، بعد خمسة أيام شعر الدوق بالآلام تنتشر في كل جسمه وأرسل من ينادي طبيبه، إلا أن الطبيب قد هرب والدوق مات، وبالتالي الأطباء المهرة يهاجمون المرض ما دام في العضل وأسهل التعامل معه.

في النهاية، لكي تنظف هذه المدرسة من الكتاب الطاويين سيكون من الضروري أن تدخل واحداً من الذين كانت حياتهم تخص المرحلة المقبلة. **ليو آن Liu An**، حفيد مؤسس سلالة هان، أصبح أمير **هواي نان Huai Nan**، وعرف هذا باسم **هواي نان تسو Huai Nan Tzu** فيلسوف على شاكلتهم، وبهذا الاسم عرفه الشعب الصيني، كتب كتاباً باطنياً من واحد وعشرين فصلاً، من المفروض أنه لا يزال بحوزتنا إلى جانب كثير من الأعمال الباطنية الأخرى مثل مقالة في الكيمياء القديمة التي لا تزال موجودة. إنه من المؤكد تقريباً أن الكيمياء القديمة لم تكن معروفة لدى الصينيين حتى قرنين أو ثلاثة لاحقاً، عندما أدخلت من الغرب، أما بالنسبة للكتاب الذي اقترن باسمه، فمن الصعب تحديد تاريخ له. مثل أعمال **لييه تسو Lieh Tzu** إنها مثيرة للاهتمام بحد ذاتها، والأهم من ذلك أنها تحدد انتقال طريق لاو تسو النقي والبسيط، الذي حوله **تشوانغ تسو Chuang Tzu** إلى سماوي إلى المعتقدات الفظة. للعصور اللاحقة من السحرة واكسير الحياة. حث لاو تسو أتباعه من البشر أن يحرسوا حيويتهم من خلال التناغم مع بيئتهم. أضاف **تشوانغ تسو Chuang Tzu** دافعاً آخر. «لعبور إلى العالم اللامحدود وتجعل الراحة الأبدية هناك،» والتي تشكل خطوة إلى الخلود ولاكسير الحياة.

يبدأ **هواي نان تسو Huai Nan Tzu** بمقالة طويلة «حول طبيعة الطاو»، التي

يعالج فيها، كما في أماكن أخرى، أقول لاو تسو على طريقة هان فاي تسو. وهكذا قال لاو تسو، «أن لا تقاتل لا يوجد أحد على الأرض يمكن أن يتقاتل معك.» وعلى هذا القوة يضيف هواي نان تسو **Huai Nan Tzu** عندما كان الحاكم الفلاني يحاصر بلدة تابعة للأعداء، وقع جزء كبير من السور، وبناء على ذلك أعطى حاكمها الأوامر للانسحاب فوراً. فقال الأول رداً على احتجاجات ضباطه «أن الرجل المحترم لا يضرب أبداً رجلاً وقع أرضاً، دعهم يعيدون بناء سورهم وبعدها نعيد الهجوم، هذا التصرف النبيل أفرح الأعداء لدرجة أنهم قدموا ولائهم على الفور.

قال لاو تسو، «لا تقيّموا الرجل وإنما قيّموا قدراته.» عند ذلك روى هواي نان تسو **Huai Nan Tzu** قصة جنرال من دولة تشو **Chu** الذي كان يحيط نفسه برجال ذوي مقدرة وحتى أنه قام مرة بتشغيل رجل قدم نفسه على أساس أنه كبير اللصوص، وقد دُهل خدمه وهم مندهشون ولكن بعد فترة وجيزة هوجمت دولتهم من قبل دولة تشي **Chi** وعندما مال الحظ ليس لصالحهم وكل شيء على محك الفقدان، ترجى كبير اللصوص منه السماح له أن يجرب مهاراته. ذهب ليلاً إلى معسكر الأعداء وسرق ستائر تخت الجنرال. وقد أعيدت هذه في صباح اليوم التالي مع رسالة تقول أنه وجدها أحد العسكريين الذي كان يجمع الوقود. في الليلة نفسها سرق كبير اللصوص مخدة الجنرال التي أعيدت مع الرسالة نفسها، وفي الليلة التالية سرق الدبوس الطويل الذي يؤمن الشعر، «يا للسماء،» صاح الجنرال في مجلس الحرب، «في المرة القادمة سيأخذون راسي.» وبناء عليه تم سحب جيش دولة **Chi**.

من ضمن الفقرات التي تلاقي اهتماماً عاماً يمكن أن نقتبس التالي:-

«مرة، عندما كان دوق لو يانغ **Lu Yang** يحارب دولة هان **Han State** واقترب المغيّب بينما المعركة لا زالت محتدمة، رفع الدوق رمحه وهزه باتجاه الشمس فتراجعت ثلاث إشارات من دائرة البروج.»

كانت نهاية هذا الفيلسوف تراجيدية. على ما يبدو أنه تورط بمهمة خيانية

وبالتالي دفع للانتحار دفعا. تقول التقاليد أنه اكتشف بإيجابية إكسير الأبدية وبعد أن شرب منه، وقف شامخاً حتى السماء في وضح النهار. وكذلك، من فرط إثارته أسقط الوعاء الذي يحتوي على هذا الإكسير في ساحة الدار، وأن كلابه ودواجنه- رشفت الرواسب كلها وأبحرت فوراً إلى السماء البعيدة.

الكتاب الثاني

سلالة هان

من 200 قبل الميلاد إلى 200 ميلادية

الفصل الأول

«الإمبراطور الأول» - حرق الكتب - وكتاب متفرقون

لم يكن أدب أي بلد مطلقاً مرتبطاً عن قرب بالتاريخ الوطني مثلما كان ذلك في الصين منذ بداية الفترة التي نحن على وشك دخولها.

الروح الإقطاعية تراجعت منذ فترة والرابط بين الحاكم والتابع ضعف باضطراد حتى توقف عن الوجود. تم أتت الفرصة والرجل. حاكم دولة تشين **State of Chin** القوية، بعد أن غلب تدريجياً واستوعب دولا مثل الدول المتنافسة التي لم يجر ابتلاعها من قبل دولته، وجد نفسه في عام 221 قبل الميلاد سيداً للصين كلها وبالتالي أعلن نفسه إمبراطوراً لها. سلالة تشو **Chou** بكل ما لها من ثمانمائة سنة من الحكم أصبحت شيئاً من الماضي وذاب النسيج الكامل للإقطاع بسهولة.

هذه الكارثة لم تكن غير متوقعة. قبل حوالي أربعين سنة نصح سياسي، يدعى سو تاي **Su Tai**، في يوم من الأيام ملك تشاو **Chao** أن يضع حداً لعداوته التي لا تنقطع لدولة ين **Yen**. وقال له، «هذا الصباح وأنا أقطع النهر رأيت رخوية من الرخويات تفتح صدفها لتتشمس. وفوراً رمى صائد المحار منقاره ليأكل الرخوية ولكن هذه أغلقت صدفها بسرعة وأمسكت الطائر بإحكام. فصاح صائد المحار إن لم تمطر اليوم أو غداً سيكون هناك رخوية ميتة. فردت عليه الرخوية، وأنت إن لم تخرج اليوم أو غداً سيوجد صائد محار ميت. في الاثناء، جاء صياد سمك فحمل الاثنين وذهب. فأنا أتخوف أن تكون دولة تشن **Chin** صائداًنا.»

كان الإمبراطور الجديد من عدة وجوه رجلاً عظيماً، تطورت الحضارة بشكل كبير خلال حكمه القصير. ولكن مرسوماً واحداً كان كافٍ ليلطخ اسمه بالذل والعار وهذا التلطيخ سيبقى ما دام الصينيون يعرفون بأنهم شعب متعلم. في سنة 13 قبل الميلاد جاء وزير مؤمن يدعى لي سو **Li Ssu** وقيل أنه اقترح خطة استثنائية

تم بموجبها شطب إدعاءات العصور القديمة وكأن التاريخ سيبدأ مرة أخرى من الملك الحاكم وبالتالي سيكون مشهوراً مثل الإمبراطور الأول. جميع الآداب الموجودة سيتم تدميرها فقط باستثناء الأعمال التي تخص الزراعة، والطب، والعرافة؛ ويكون العقاب هو التشهير وأربع سنوات من العمل في بناء سور الصين العظيم، الذي كان قد بُدئ بناؤه، والذي تم تشريعه ضد كل من يرفض تسليم الكتب ليتم تدميرها.

وقد نفذت هذه الخطة بكل حماس، تم تدمير الكثير من الكتب الثمينة، وكانت القوانين الكونفوشيوسية قد ضاعت دون إمكانية لإنقاذها لولا وفاء العلماء الذين خبأوا الألواح معرضين أنفسهم للخطر، والذين حفظوها وبالتالي جعلوا من الممكن اكتشافها في القرن اللاحق وترميمهم للنصوص المقدسة، وعدد كبير من المثقفين قيل أنهم قتلوا بسبب عدم انصياعهم حتى قيل أن البطيخ نما في الحقيقة في فصل الشتاء من كثرة الجثث التي دفنت تحته.

كان لي سو Li Ssu نفسه عالماً ومخترعاً مشهوراً للخط المعروف باسم «الختم الأصغر» Lesser Seal الذي كان شائعاً لعدة قرون. التالي من حفل في ذكراه ضد إبعاد النبلاء من البلاد والآخرين من الدول المتنافسة:-

كما أن الأكرات الواسعة تنتج غلة كثيرة، فهكذا الأمة التي تريد أن تكون كبيرة، يجب أن يكون عندها شعب عظيم؛ والجنود حتى يكونوا جريئين فعلى ضباطهم أن يكونوا شجعاناً. لم يتم إضافة ذرة تراب سدى إلى جبل تاي Tai Shan؛ بالتالي الجبل الضخم الذي نراه أماناً. إن أنفه جدول يتم استقباله في حوض المحيط؛ وبالتالي اتساع المحيط اللجاج. والحاكم الفاضل والحكيم هو الذي لا يعنف الجماهير التي تحته. بالنسبة له لا توجد حدود لمملكته ولا فروقات للقوميات. الفصول الأربعة تجعله أغنى، الآلهة تباركه، ومثل حكامنا القدماء لا تمتد له يد إنسان بالمعاداة.» مات الإمبراطور الأول في سنة 210 قبل الميلاد¹⁴ وابنه العليل، الإمبراطور الثاني، كان قد قتل في 207 قبل الميلاد مما أنهى سلالتهم. وقد كسب العرش

14 تجدون رواية الضريح الذي بنى لاستقبال رفاة في الكتاب الثالث من هذا الكتاب.

الخالى شماس سابق الذى أسس بيت هانHan المجيد الذى من أجل ذكره يفتخر صينيو هذه الأيام، وخاصة فى الشمال، بانتمائهم لأبناء الهان Han. ما لبثت أن استقرت الإمبراطورية فى سلام نسبي، وبذلت جهوداً خارقة لفكفكة، على الأقل، بعض الضرر الذى نزل بالأدب الوطنى. أعطى دافع آخر إلى هذه الحركة بحقيقة أنه تحت حكم الإمبراطور الأول، إن كنا نصدق التقاليد، دخلت مواد الكتابة طور تغيير جذري. أضاف جنرال، يدعى، منغ تيان Meng Tien إلى انتصاراته العسكرية، اختراع الفرشاة من وبر الجمل التى يستخدمها الصينيون مثل القلم. إن ألواح البامبو غير الرشيقة والستيالوز أى القليمات أهملت، ووصلت إلينا قطع من القماش أو الحرير تم استخدامها حتى القرن الأول الميلادى عندما اخترع تساي لون Tsai Lun الورق. البعض يقول أن غبرة الطوب والماء قامت بالواجب بداية مكان الحبر. مهما كان من أمر، إن شكل الحرف الصينى المكتوب مرّ بتغيير مماثل ليتلاءم مع المواد المستعملة.

فى هذه الاثناء، تم جلب الكتب من أماكن تخبئتها وبدأ العلماء مثل كونغ آن كو Kung An Kuo، أحد أحفاد كونفوشيوس من الدرجة الثانية عشرة، يعملون على ترميم الكلاسيكيات المفقودة، وقد قام بتحليل نص كتاب التاريخ الذى تم اكتشافه عندما هدم البيت القديم الذى عاش فيه سابقاً كونفوشيوس ونسخ منه أجزاء كبيرة من الخط القديم إلى آخر خط. وكتب كذلك تعليقاً على المختارات وتعليقاً آخر على كتاب البر بالوالدين الكلاسيكي.

تشاو تسو Chao Tso (هلك فى عام 155 قبل الميلاد) الذى كان يعرف بلقبه الشعبى «شنطة الحكمة» كان رجل دولة عوضاً عن كاتب. ولكن لا تزال كثير من مذكراته إلى العرش تعتبر روائح، وقد تم المحافظة عليها لهذا السبب، كتب عن العمليات العسكرية ضد الهون Hun التى ناشد فيها استخدام القبائل الحدودية «البرابرة الذين يحتاجون إلى الطعام والمهارة متحالفون جداً مع الهون Hun.»

وقال أن السلاح هو نقمة والحرب هى شيء مخيف. فبرمشة عين يمكن أن يذل القوي والقوي يذل إلى أسفل الحضيض. فى مقالة له بعنوان عن قيمة الزراعة كتب يقول:-

«تبدأ الجريمة بالفقر، الفقر بعدم كفاية الطعام، وعدم كفاية الطعام يقع في إهمال الزراعة. دون الزراعة الإنسان لا يكون عنده رابط يربطه بالأرض. دون هذا الرابط يغادر هو مكان ولادته وبيته، فهو يشبه بذلك طيور الجو ووحوش الغابة. لا تحصين المدن ولا الخنادق المائية حول الحصون، ولا القوانين القاسية ولا العقاب القاسي يمكن أن يُخضع الروح الجواللة القوية التي فيه.

«من يبرد لا يختبر نوعية القماش، من يجوع لا يتلصقاً في اختيار اللحم. وعندما يحل البرد والجوع على الناس تغادرهم الأمانة والحياء. وكما الإنسان مبني على أن يأكل مرتين يومياً أو يجوع، عليه أن يلبس الثياب أو يبرد. وإذا لم تحصل المعدة على الطعام والجسد على الثياب، فإن حب الأم الأكثر ولعاً لا يمكنه أن يبقي أطفالها إلى جانبها. كيف يمكن إذاً ملك أن يحتفظ برعاياه حوله.

«الحاكم الحكيم يعرف ذلك. لذلك هو يركز جهوده شعبه على الزراعة. يجمع ضرائب بسيطة، وهو يوسع نظام حفظ الحنطة لتوفيرها لرعاياه عندما تضعف مصادره.

إن اسم لي لينغ **Li Ling** (القرنين الثاني والأول قبل الميلاد) معروف لكل تلميذ صيني. كان ضابطاً عسكرياً أرسل على رأس 800 حصان لاستكشاف أراضي الهون **Hun**، وبعد أن تكلفت جهوده بنجاح في هذه الحملة تم ترفيعه إلى قيادة عليا وعمل أيضاً ضد هؤلاء الجيران المتعبين. وبقوة من خمسة آلاف جندي تغلغل في بلاد الهون **Hun** حتى جبل لينغ تشي **Ling Chi** (?)¹⁵ حيث تمت محاصرته بجيش قوامه ثلاثين ألف من جنود الخان، وعندما استعملت قواته كل أسهمها كان مجبراً على الاستسلام. وعلى هذا استشاط الإمبراطور غضباً، وعندما سمع لاحقاً أن لينغ كان يدرّب جنود الخان على فنون الحرب كما يمارسها الصينيون، قتل أمه وزوجه وأطفاله. بقي لينغ حوالي عشرين سنة، حتى وفاته، مع الهون **Hun**، وتم تكريمه كثيراً من قبل الخان الذي زوّجه ابنته. مع الخائن لينغ يرتبط الوطني المعاصر له، **سو وو Su Wu** الذي لاقى مغامرات

15 علامة الاستفهام موجودة في الأصل / المترجم.

غريبة عند الهون Hun. مبعوثون صينيون عدة حبسوا عند الهون Hun ولم يسمح لهم بالعودة، عن طريق الانتقام، مبعوثون من الهون Hun تم حبسهم في الصين. لكن خاناً جديداً أعاد مؤخراً جميع المبعوثين المحبوسين وفي سنة مائة ميلادية أرسل سو وو Su Wu في مهمة سلام ليعيد مبعوثي الهون Hun الذين تم اعتقالهم من قبل الصينيين. بينما هو في بلاط الخان إذ بزملائه المبعوثين ينتفضون وعلى هذا الأساس عملت محاولة لإقناعه ليتخلص من ولائه ويدخل في خدمة الهون Hun، وبناءً على ذلك حاول الانتحار وجرح نفسه بشدة مما استدعى أن يبقى عدة ساعات فاقداً للوعي. ولاحقاً قام بذبح خائن صيني بيديه، ثم بعد أن اكتشفوا أنه لا يمكن إخضاعه، رموا به في الزنزانة وتركوه دون طعام لعدة أيام. لكنه بقي حياً بمص الثلج وبقضم سجادة من الشعر، وفي آخر المطاف اعتقد الهان أنه إنسان غير عادي فأرسلوا به إلى الشمال وجعلوه يرعى الخراف. بعد ذلك أمر لي لينغ Li Ling أن يحاول مرة أخرى من خلال عطايا سخية أن يهز ولاءه الثابت. لكن كل ذلك ذهب سدى. في العام 86 عقد سلام مع الهان وطلب الإمبراطور إعادة سو وو Su Wu. على هذا الطلب أجاب الهان أنه توفي، إلا أن مساعداً سابقاً لسو وو Su Wu طلب من المبعوث الجديد أن يقول للخان أن الإمبراطور قد أطلق النار على أوزة برسالة مربوطة في رجلها، ومنها علم مكان المبعوث الضائع. هذه القصة أذهلت الخان لدرجة أن سو وو أطلق سراحه، وفي سنة 81 قبل الميلاد عاد إلى الصين بعد أن قضى في الأسر تسعة عشر سنة. لقد ذهب هناك في عز شبابه وعاد بعد أن غطى الشيب رأسه وكان رجلاً عجوزاً مكسوراً.

يقال أن لي لينغ Li Ling وسو وو Su Wu قد تبادلا الأشعار عند فراقهما، وهذه يمكن إيجادها مطبوعة في المجموعات تحت اسميهما تبعاً. بعض الشك حام حول واحدة من هذه التي نسبت إلى لينغ Li Ling هل هي أصلية أم لا. وقد أظهر هونغ ماي Hung Mai، ناقد لامع للقرن الثاني عشر أن استخدام كلمة معينة في القصيدة التي كانت جزءاً من الاسم الشخصي لإمبراطور حديث، كانت في ذلك التاريخ ممنوعة. لا توجد وصمة مثل هذه في شعر سو وو، الذي أعطى أيضاً زوجته قصيدة للفراق، تم حفظها، بعدها فيها أنه إذا عاش فهو لن يتأخر عن

العودة، وأنه إذا مات فإنه لن ينساها أبداً. ولكن الأشهر بينها كلها ولا تزال نموذجاً عاماً للطلاب هي قصيدة كتبها لي لينغ **Li Ling** لسو وو، بعد عودة الأخير إلى الصين رداً على نداء ودود له أن يعود أيضاً. وأن أصالة هذه الرسالة كانت موضع الشك من قبل سو شيه **Su Shih** من سلالة سونغ ولكن ليس من قبل أعظم ناقد حديث، **Ln Hsi Chung تشونغ**، الذي أعلن أن المرثي التي فيها تكفي لجعل الآلهة تبكي، وكان لا يمكن أن يأتي من يد أخرى غير يد لي لينغ، بهذا الحكم ليكن الطالب الأجنبي راضياً فيما يلي الرسالة:-

«آه يا تسو تشنغ **Tzu Ching**، آه، يا صديقي، سعيد في الاستمتاع بسمعة مجيدة، سعيد في احتمال اسم لا يفنى، لا يوجد بؤس مثل المنفى في بلاد غريبة بعيدة، القلب طافح من أفكار الاشتياق للبيت أنا عندي كتابك اللطيف، الذي تحييني فيه، في كلام أطف من كلام الأخ وروحي تشكرك عليه.

«منذ ساعة استسلامي، حتى الآن محروم من كل المصادر، جلست لوحدي مع مرارة أحزاني، اليوم كله لا أرى سوى البرابرة من حولي، الجلد والشعر تحميني من الرياح والأمطار، لحم الخرفان والمش¹⁶ أسد بها جوعي، وأطفئ ظمأي، كذلك لا يوجد أي رفاق أضي معهم الوقت. البلد كلها متجمدة بالثلج الأسود، لا أسمع شيئاً سوى عويل ومرارة عاصفة الخريف، التي اختفت بسببها كل حياة نباتية، لا أستطيع النوم ليلاً. أدير وجهتي وأستمع للصوت البعيد، آلات النفخ التتارية، وإلى سهيل الجياد التتارية. في الصباح أجلس وأنصت أكثر، بينما تجري على خدي الدموع، آه، تسو تشنغ **Tzu Ching** من أي مادة صنعت حتى أعمل لا شيء سوى الحزن؟ إن يوم مغادرتكم تركني حزيناً بالفعل. أنا فكرت بأمي التي شاخت وذبحت على عتبة القبر. وتذكرت زوجتي البريئة وطفلي اللذان أدينا بالقدر نفسه القاسي. ومع أنني أستحق الحكم الإمبراطوري إلا أنني أصبحت الآن موضوع شفقة للجميع. إن عودتكم هي فخر وشهرة، بينما بقيت هنا يكللني الخزي والعار. هكذا يتباعد مصير الإنسان.

«ولدت في عالم من التهذيب والعدالة، وسرت إلى بيئة من الجهل الخسيس،

16 المش هو المخيض/ مخيض اللبن/ الحليب الرائب.

وتركت ورائي التزاماتي تجاه مليكي والعائلة مقابل العيش وسط جحافل البرابرة. والآن فإن أطفال البرابرة سيكملون العمل في خطى أجدادي. وبالرغم من ذلك فإن جدارتي كانت عظيمة وذنبني ليس كبيراً. لم أحصل على جلسة استماع منصفة، وعندما أتوقف لأفكر في هذه الأمور فأني أتساءل لأي غرض عشنا؟ وباندفاع واحدة كان بإمكانني أن أزيل عن نفسي أي ملامة: إن حنجرتي المفصولة كانت ستشهد لي بتصميمي، وسينتهي كل شيء بيني وبين بلدي، لكن هل أقتل نفسي، ذلك سيذهب سدى: ما كنت سأضيف شيئاً سوى العار. فوجهت نفسي على الدم والقدح وإلى الحياة في غياب الثقة، يوجد هؤلاء الذين أسأؤوا فهم توجيهي للطاعة، وحثوني لانتهاج مسار النبل، وجهلوا أن الفرخ في بلاد أجنبية هو مصدر فقط لزيادة الحزن.

«آه، تسو تشينغ Tzu Ching، آه يا صديقي، أنا سأتم السجل الناقص لقصة حياتي السابقة. لقد كلفني جلالة المرحوم، مع خمسة آلاف جندي مشاه تحت قيادتي، لأقوم بتنفيذ عمليات في بلد بعيد، خمسة جنرالات إخوة ضلوا الطريق: أنا وحدي وصلت مسرح الحرب، وبتموين لمسيرة كبرى قادت رجالي، وتخطيت حدود الأرض السماوية، ودخلت أراضي الهون Huns الأشداء، بخمسة آلاف رجل وقفت في مواجهة مائة ألف: كان الجنود المشاة مرهقين، وفرسانهم نشيطين خارجين للتو من اصطبلاتهم. ومع ذلك فقد ذبحنا قادتهم وأخذنا راياتهم وبيارقهم وطردناهم إلى الشمال قهقهري وهم في ارتباك شديد. ومحونا آثارهم: فقد اجتحناهم مثل الغبار: وقطعنا رأس جنرالهم. وانتشرت روح عسكرية بين رجالي. الموت معهم في المعركة كان عودة إلى بيوتهم، بينما أنا - تجرأت على التفكير أنني حققت شيئاً ما.

هذا الانتصار تبعه سريعاً انتفاضة عامة للهون، وتم تدريب رجال على استعمال السلاح، وفي نهاية المقام تم اصطفاف مائة ألف من البرابرة ضدي. وزعيم الهون، بنفسه، ظهر مع جيشه هذا وحاصر مجموعتي الصغيرة، التي لا تتكافأ معهم بالقوة، جنود مشاة ضد أحصنة، بالرغم من ذلك، فإن محاربي المنهكين قاتلوا، فالرجل منهم يساوي ألفاً من الأعداء، إذ أنهم مليون بالجراح، الواحد منهم وجميعهم، قاتلوا بشجاعة إلى الأمام، وكان السهل منثوراً بالذين يحتضرون وبالموتى: بالكاد ترك مائة رجل، وهؤلاء كانوا ضعفاء جداً لم يستطيعوا أن يحملوا الرمح

والدرع، بالرغم من ذلك عندما لوحت بيدي وصرخت لهم نهض المرضى والجرحى. لوحوا بنصلات رماحهم وصوبوا باتجاه العدو وطرّدوا خيالة التتار كأنهم مجموعة من الرعاع. حتى عندما بترت أيديهم، أو أسهمهم نفذت كلها، وبعد أن فقدوا أرجلهم الصلبة وأيديهم، تدفقوا صائحين إلى الأمام، كل منهم يرغب أن يكون في الطبيعة، ويبدو أن السماء نفسها والأرض كذلك بدت وكأنها تجتمع حولي، بينما كان محاربيّ يشربون دموعاً من الدماء. كان زعيم الهون **Hun** الذي كان يعتقد أنه يجب علينا أن لا نستسلم على وشك سحب قواته. لكن خائناً مخادعاً أخبره بكل شيء: المعركة استؤنفت ونحن ضعنا.

«حوصر الإمبراطور **كاو تي Kao Ti** وفي ظهره ثلاثمائة ألف رجل في **بينغ تشنغ Ping Cheng**. وكان عنده جنرالات مثل الغيوم، ومستشارون مثل نقاط المطر. إلا أنه بقي لمدة سبعة أيام دون طعام وبالكاد نجا بحياته. فكم بالحري أنا، وقد لاموني من كل حدب وصوب لأنني لم أمت. كانت هذه جرّمتي. آه، **تسو تشنغ Tsu Ching**، ألا يمكنك أن تقول أنه يمكنني أن أعيش من أن أجبن؟ هل أنا واحد يدير ظهره إلى بلاده ولكل أولئك الأعداء علي، مخدوع بأفكار منحطة من الربح؟ لم يكن حقاً دون سبب أنني اخترت ألا أموت. لقد تُقت، كما شرحت في رسالتي السابقة أن أبرهن ولائي لأميري، وعضواً عن أن أموت دون هدف، اخترت أن أعيش لأبني اسمي الجيد. لقد كان من الأفضل أن أحقق شيئاً من أن أفنى. في القديم، لم يقم **فان لي Fan Li**، بذبح نفسه بعد معركة **هوي تشي Hui Chi**، كما أن **تساو مو Tsao Mo** لم يمت بعد عار هزائم ثلاثة. في النهاية تحقق الثأر، وهكذا أنا أيضاً أملت بأن أنتصر. إذا أخذ بالعقاب قبل أن تستكمل الخطة؟ لماذا أُدين لحمي ودمي قبل أن تستكمل الخطة؟ إنه بسبب هذه أرفع وجهي نحو السماء وأضرب على صدري وأسكب دموعاً من دم.

«آه يا صديقي، أنت قلت أن سلالة **الهان House of Han** لا تقصر البتة في مكافأة خادم يستحق. ولكنك أنت خادم هذه السلالة، وسوف لن يناسبك أن تقول كلاماً غير هذا. أما **هسياءو Hsiao** و**فان Fan** ربطوا بالسلاسل، و**هان Han** و**بنغ Peng** سلخوا حتى ماتوا و**تشاو تسو Choa Tso** قطع رأسه. **تشو بو Chou**

Po تم ذمه، وتو بينغ To Bing دفع حياته ثمناً للعقوبة. وغيرهم، كانوا عظماء في جيلهم، استسلموا لدسائس الرجال الحقيرين ودحروا تحت ثقل العار الذي لم يستطيعوا الخروج منه، أما الآن، فإن سوء الطالع الذي حل بفان لي Fan Li وتساو مو Tsao Mo هيمن على عواطف الجميع.

ملاً جدي السماء والأرض شهرةً بمناقبه - أشجع الشجعان. لكن لأنه كان متخوفاً من عداء محظية امبراطورية قتل نفسه في بلد بعيد، وقد تبع موته، انسلاخ عدد من الأخوة الأبطال باشمزاز. هل من الممكن أن يكون هذا، مكافأة الذين تتحدث عنهم؟

«أنت أيضاً يا صديقي، كنت مبعوثاً بعدة ضئيلة في تلك المهمة إلى عرق من اللصوص عندما خذك الخط حتى آخر مورد. ثم أن سنوات الأسر البائسة جميعها انتهت بالموت بين وحوش الشمال البعيد. فأنت تركتنا مليء بالحياة الشابة لتعود إلينا رجلاً مسناً أشيب اللحية، أمك العجوز ماتت وزوجك تركتك لتأخذ آخر. وقليل ما عرف مثل هذا علناً، حتى البرابرة المتوحشون احترموا روحك الوفية: فكم بالحري سيد كل شيء تحت قبة السماء؟ كان يجب أن تكون لك بارونيات من عدة أكرات، وأن تكون حاكماً على إقطاعية من آلاف العربات المجرورة. رغم ذلك يقولون لي أنها كانت مليونيتين سخيقتين ومستشارية دولة من الدول التابعة. ولا حتى قدم في التراب يعوضك عن الماضي، بينما يحصل أصحاب البطانة المدللين أراضي المريكزات من النبلاء التي تتسع لعشرة آلاف عائلة بينما يرضى كل طفيلي جشع في البلاط الإمبراطوري بالمنصب الأفضل في الدولة. إن كان هذا يناسبكم ماذا بإمكانني أن أتوقع؟ ولقد دفعت غالباً الثمن لأنني لم أمت، وأنت تمت مكافأتك ببخل لقاء ولائك الثابت للأميرك. وهذا بالكاد سيجذب الخادم الغائب إلى أرض آبائه.

«وهكذا هو الأمر إذن: إنني غير نادم على الماضي، وقد أكون قصرت في الإيفاء بالتزاماتي إلى الدولة، لكن الدولة قد قصرت في التعبير عن امتنانها لي. وقد قيل قديماً «إن الشخص الوفي، بالرغم من أنه ليس بطلاً، سيفرح أن يموت من أجل

بلده». وأنا مستعد أن أموت بفرح حتى الآن؟ لكن لطخة عدم الوفاء من أميري لا يمكن أن أقدر على مسحها قط. حقيقة، الرجل الشجاع إذا لم يسمح له أن يصنع له اسماً لكان عليه أن يموت مثل كلب في بلاد البرابرة، من سيوجد ليحني الظهر وليثني الركبة أمام العرش الإمبراطوري حيث أقلام الخدم السيئة تخبر عن قصصهم الكاذبة؟

«آه يا صديقي لا تبحث عني أكثر. آه يا تسو تشينغ **Tsu Ching** ماذا أقول؟ أكثر من ألف لي تفصلنا عن بعض إلى الابد. سأعيش حياتي كما لو كانت في عالم آخر: وروحي ستجد مكان راحتها بين شعب غريب. اقبل وداعي الأخير. تكلم بإسمي لمعارفي القدماء واطلب إليهم أن يخدموا مليكهم جيداً. آه يا صديقي كن سعيداً في حضانة عائلتك ولا تفكر فيّ بعد الآن. احرص على أن تهتم بنفسك، وعندما يسمح الوقت والفرصة تلوح اكتب لي مرة أخرى رداً على هذه الرسالة.

«لي لينغ يحييك.»

أحد النماذج الصينية لمساعدة الذات المشار إليها في سان تسو تشينغ **San Tsu Ching** هو أستاذ المدرسة الابتدائية الشهير، والذي سوف نصفه فيما بعد، **لو ون تسو Lu Wen Shu** (القرن الأول قبل الميلاد). ابن سجان القرية أرسله والده ليرعى الخراف، وفي هذه المهمة يبدو أنه قد شكل رقائق لمواد كتابية من خلال ألياف مضفورة أو مجدلة من خلال تثقيف نفسه. ثم أصبح مساعداً في السجن وهناك جاءت معرفة القانون الذي حصل عليه مناسبة جداً له حيث رفع إلى موقع أعلى، وبعدها حاز على اهتمام المحافظ فرقي أيضاً وأخيراً حصل على شهادته وارتقى إلى درجة محافظ. في سنة 67 قبل الميلاد سلم للعرش المذكرة الشهيرة التالية:-

«يا صاحب الجلالة.»

«من بين الحماقات العظيمة العشرة لأسلافنا، واحدة لا تزال على قيد الحياة وتتعلق بسوء إدارة العدالة القائمة.»

«تحت حكم تشين **Chin** كان التعليم محذوفاً. والقوة الغاشمة أزاحت كل شيء»

من طريقها. أولئك الذين زرعوها روح الخير والالتزام تجاه جيرانهم كانوا مكروهين. والتعيينات القضائية كانت الجائزة التي يسعى لها الجميع. ومن قال الحقيقة وصفوا بأنهم أشخاص خبثاء. وبالتالي كل من عمل وفقاً لمبادئ قانوننا القديم وجدوا أنفسهم خارجين عن جيلهم. والكلمات المخلصة عن الاستشارة الجيدة المرفوعة للملك بقيت سخيصة في صدورهم بينما الملاحظات الفارغة عن المديح الزائف لآقت أذنا صاغية من الملك وهدأ قلبه بالصور الكاذبة مستثنية الحقائق الكريهة، فلذلك خسروا صولجان الإمبراطورية من قبضتهم إلى الأبد.

«في اللحظة الحالية ترتكز الدولة على السماحة غير المحددة وخير جلالتمكم. إننا تحررنا من أهوال الحرب ومن مصائب الجوع والبرد. الأب والإبن، الزوج والزوجة موحدين في بيوتهم السعيدة. لا شيء يمنع من جعل هذا عصرًا ذهبيًا سوى الإصلاح في إدارة العدل فقط.

«من جميع الأمانات، هذه هي الأعظم والأقدس. الرجل الميت لا يستطيع أن يعود إلى الحياة، ما تم فصله لا يمكن إعادة جمعه. وعضاً عن سلخ رجل بريء، لكان من الأفضل أن تدع المذنب يهرب. لكن هذه ليست وجهة نظر سلطانتنا القضائية اليوم. ومعهم القمع والقسوة تحسب كإشارات لبصيرة القضاة وتقودهم إلى الغنى، بينما الرفق لا يتضمن شيئاً غير المشاكل. وبالتالي فإن هدفهم الأساسي هو الإحاطة بموت ضحاياهم، ليس لأنهم يمارسون أي ضغينة ضد الإنسانية عامة، وإنما لأن هذه أقصر طريق لمنفعتهم الذاتية. وهكذا فإن أسواقنا ملأى بالدم، ومجرمين يزدحمون في السجون، وعدة آلاف يعانون من الموت سنوياً، هذه الأشياء تجرح الأخلاق العامة وتؤخر حلول العصر الذهبي حقيقة.

«الإنسان يفرح بالحياة فقط عندما يكون تفكيره آمناً، عندما يكون في الشدة فأفكاره تذهب باتجاه الموت، تحت السوط ما هو الشيء الذي لا ينتزع من شفاه المتألم؟ إن عذابه جارف وهو يسعى للهروب بالحديث كذباً. فالمسؤولون يربحون من هذه الفرصة، ويجعلونه يقول الشيء الأفضل الذي يثبت إدانته، ثم حتى لا تلغى الإدانة من قبل المحاكم الأعلى، فإنهم يرتبون بيئة

الضحية لتتوافق مع ظروف القضية، حتى إذا امتلأ السجل، حتى لو قام كاو ياو Kao Yao¹⁷ من بين الأموات، فإنه سيعلم أن الموت ترك هامشاً للجريمة التكفيرية. هذا من أجل أن تضمن العملية المكررة التي تم تبنيها إقامة الإدانة.

«إن قضائنا حتى لا يفكرون بأي شيء آخر. هم هلاك الشعب. يضعون نصب أعينهم أهدافهم الخاصة ولا يهتمون برفاهية الدولة، حقاً إنهم أسوأ مجرمي العصر. وبالتالي يقول المثل جرب السجن على الأرض ولا أحد سيبقى في داخله. واعمل سجاناً بسجن خشبي وستجد السجن واقفاً وحده هناك¹⁸. وأصبح السجن أعظم المصائب، بينما بين أولئك الذين يخرقون القانون، وينتهكون الروابط العائلية، الذين يخنقون الحق، لا يوجد أحد لنقارنهم بذنوب ضباط العدالة أنفسهم.

«عندما تسمح للحدأة أن تربي صغارها دون إزعاج، سيأتي إليها طائر الفينيق ويبنى عشه. لا تعاقب على النصيحة المضللة، وتدرجياً ستنسب الاقتراحات الثمينة متدفة. قال القدماء من الرجال «التلال والأدغال تؤوي العديد من الأشياء الضارة، الأنهار والمستنقعات تحصل على أوساخ كثيرة، حتى أكثر الجواهر دقة لا تخلو من الشوائب. بالتأكيد فإن على حاكم الإمبراطورية أن يتحمل قليلاً من العبث.» لكنني سوف أستثني جلالتك من ذم وسأكون منفتحاً على كل أولئك الذين عندهم شيء يتكلمون فيه، سأجعل حرية الكلام موجودة لدى مستشاري العرش. وسوف أمسح الأخطاء التي سببت سقوط أسلافنا. وسأحترم فضائل ملوكنا القدماء وأجري إصلاحات على إدارة العدل مسبباً الارتباك الشامل لأولئك الذين يشوهون مجراها. عندها حقاً سيتجدد العصر الذهبي على وجه الأرض السعيدة، وسيقدم الشعب دائماً إلى الأمام في سلام وسعادة لا محدودتين كما هي السماء نفسها.

كان ليو هسيانغ (89-80 قبل الميلاد) واحداً من سلالة مؤسس سلالة هان العظيمة. وبعد دخوله الحياة الرسمية، سعى إلى التزلف لدى الإمبراطور

17 وزير مشهور للجريمة في العصور الخرافية.

18 بعكس ما كان عليه الوضع في العصر الذهبي.

الجالس على العرش من خلال تقديمه لبعض أعمال السحر (الفن الأسود)، الذي كان جلالته يميل إليه. وبما أن النتائج لم تكن ناجحة، فقد زج به في السجن، ولكن سرعان ما فك أسره ليكمل نشر التعليق على الربيع والخريف لكو ليانغ

Ku Liang. وقام أيضاً بتدقيق وإعادة ترتيب الوقائع التاريخية المعروفة باسم تشان كوه تسه Chan Kuo Tse وكتب مقالات عن الحكومة وبعض القصائد ودون السير الذاتية لنساء مشهورات وكان ذلك أول عمل من نوعه.

ابنه ليو هسين Liu Hsin، ولد ناضج، ميز نفسه باكراً بقراءته الواسعة في جميع فروع الآداب. وعمل مع أبيه على ترميم النصوص الكلاسيكية، خاصة كتاب التغيير ولاحقاً كان ذا تأثير كبير في ترسيخ موقع تعليقات تسو Tso على الربيع والخريف. وفهرس المكتبة الإمبراطورية وبالتعاون مع أبيه اكتشف-البعض يقول جميع - شعائر تشو Chou.

شخصية معروفة جداً في الأدب الصيني هي شخصية يانغ هسيونغ Yang Hsiung (من 53 قبل الميلاد-18 ميلادية). كولد كان يجب أن يشر من الطرق المطروقة وكان يجب أن يقرأ كل ما وصل إلى يديه. كان يتلعثم بشدة وبالتالي كرس جهده من أجل التأمل. وأثار معياراً أخلاقياً احتل مكاناً وسطاً بين ما أصر عليه منسيوس Mensius وما أصر عليه هسون كوانغ Hsun Kuang، معلماً بأن طبيعة الإنسان عند الولادة ليست جيدة أو شريرة، لكنها مزيج من الإثنين، وإن التطور بأي اتجاه منهما يعتمد كلياً على البيئة. وتمجيداً لكتاب التغيير كتب تاي هسيان تشينغ Tai Hsian Ching ولتأكيد قيمة مخترعات كونفوشيوس أخرج مقالة فلسفية تعرف باسم فا ين Fa Yen، وكتلتاهما بين السنة الأولى والسادسة الميلادية. وفي ختام عمله الأخير، أشهر أعماله على الإطلاق، عرض عليه تاجر ثري من الريف ذهل بروعته، مائه ألف كاش،¹⁹ إذا ما ذكر اسمه فقط في داخل الكتاب. لكن يانغ أجاب بازدرء أن أيلأ في حظيرة أو ثوراً في قفص لن يكون أكثر في غير محله من اسم رجل لا يوجد معه أي شيء سوى المال حتى يوصي به في صفحات الكتاب المقدسة. أما ليو هسين Liu Hsin فقد قال ساخراً أن الأنسال سوف

19 عملة صينية كانت متداولة وقتئذ - المترجم.

تستعمل أعمال يانغ هسيونغ **Yang Hsiung** لتغطية مرطبات المخلل.

إلى جانب تأليفه بعض الأشعار متوسطة القيمة، كتب يانغ هسيونغ عن الوخز بالإبر الصينية، والموسيقى وفقه اللغة. لا يوجد أدنى شك أنه لم يؤلف فانغ ين **Fang Yen** وهو معجم الكلمات والعبارات المستخدمة في مختلف أنحاء الإمبراطورية الذي تمت نسبته إليه تدريجياً حتى جاء **هونغ ماي Hung Mai** وكان ناقداً في القرن الثاني عشر، وتم ذكره في الفصل الأول من هذا الكتاب. لينهي ادعاءه هذا.

كاتب لامع جذب عليه انتباها كبيراً في زمنه كان **وانغ تشونغ Wang Chung** (27-97 ميلادية). وقيل أنه لقط تعليمه على أكشاك الكتب، وكان يملك ذاكرة حفظ دقيقة بشكل ممتاز. فقط واحد من أعماله ضاع، **لون هنغ Lun Heng** الذي يتكون من خمسة وثمانين مقالة في مواضيع شتى. في هذه أنه يميل ضد أخطاء العصر ويتعرض حتى لكونفوشيوس ومنسيوس بالنقد الحر والثاقب. وبالتالي تم تصنيفه بمفكر هرطقي. وأثبت أن الروح لا يمكنها الوجود بعد الموت كروح ولا حتى أن تمارس أي تأثير على الأحياء. عندما يتحلل الجسد، فالروح، وهي ظاهرة لا تنفصل عن الحيوية، تفتنى معها. كما جادل أيضاً أنه إذا كانت أرواح الكائنات البشرية خالدة، فإن أرواح الحيوانات سوف تكون خالدة أيضاً، وإن الفضاء نفسه لن يكفي لاحتضان الظلال غير المحدودة للناس والمخلوقات كل وقت.

كان **ما جونج Ma Jung** (79-166 ميلادية) معروف على نطاق واسع بأنه العالم العالمي. إن دراسته للمعرفة الكونفوشيوسية كانت عميقة جداً. وقد درس أكثر من ألف تلميذ على يده، وأدخل نظام كتابة الملاحظات أو التعليقات على مساحة الورقة مستخدماً لهذا الغرض حروفاً صينية أصغر، مقسومة في عامودين؛ وقد استخدم معرفة هذه الحقيقة ناقد ذكي من سلالة **تانغ Tang** الذي حل مشكلة تزوير طبعة أقدم من **طاو تيه تشينغ Tao Te Ching** باستعمال تعليق العامود المزدوج الذي كان قد نسب إلى **هو شانغ كونغ Ho Shang Kung**، كاتب من القرن الثاني قبل الميلاد.

تساي يونغ Tsai Yung (331-291 ميلادية) الذي كانت نزاعاته على الإدمان

قد اكسبته لقب التنين السكير، يتم تذكره أساساً فيما يتعلق بالأدب لأنه أشرف على عمل الحفر على الحجر للنص المعتمد للكتب الخمسة الكلاسيكية. فبالحبر الأحمر، كتب هذه على ستة وأربعين لوحة حتى يحفرها العمال. وكانت الألواح موضوعة في كلية هونغ تو **Hung Tu** ويقال أن أجزاء منها لا تزال موجودة.

إن أشهر تلميذ جلس عند قدمي ما جونج **Ma Jung** كان تشينغ هسوان **Cheng Hsuan** (127-200 ميلادية). لقد كان من أكثر المعلقين عطاءً حول كلاسيكيات كونفوشيوس. لقد عاش للتعلم، إن الجاريات في بيته كن مثقفات جداً، ونوعن مناقشاتهم بمقتطفات من القصائد الغنائية. ومع ذلك كان مولعاً بالنيبذ وقيل أن باستطاعته أن يشرب ثلاثمائة كأس في جلسة واحدة دون أن يسكر. وربما يكون من المناسب أن نضيف أن الكاس الصيني كأن بحجم الكشتبان. وكحالة من حالات الاحترام العام الذي كان يوجه له فإنه سجل أنه بناءً على طلبه، قام زعيم الثوار باستثناء بلدة **كاو مي Kao MI** (موطنه الأصلي) وغير مسيره، في عام 200 ميلادية ظهر له كونفوشيوس في رؤيا وعلم من هذه الإشارة أن ساعته قد قربت. وبالتالي كان كارهاً للرد على استدعاء أرسله له من تشي تشو **Chi Chou** في تشي لي **Chili** العظيم البأس في حينه يوان تشاو **Yuan Shao**. لقد بدأ فعلاً في الرحلة، لكنه توفي في الطريق.

كان من الصعب أن نجلب الكتاب المذكورين أعلاه، الممثلين لطبقة، بشكل فرادى إلى اهتمام القارئ، ومع أن كل واحد منهم تجول بطرق فرعية خاصة به، إلا أن النجم الساطع المشترك بينهم كانت الكونفوشيوسية - شرح للقوانين الكونفوشيوسية. مع أنه بالنسبة لنا التعليقات على الكلاسيكيات لا تعتبر بالعادة أدباً، إلا أن الصينيين يعتبرونها كذلك وهم يضعون هذه الأعمال موضعاً عالياً جداً ويجازون المعلقين الناجحين بالموضع اللائق المرغوب فيه في المعبد الكونفوشيوسي.

الفصل الثاني

الشعر

في بداية القرن الثاني قبل الميلاد كان الشعر لا يزال يؤلف على نموذج لي ساو Li Sao ونحن في حوزتنا عدد من الأعمال تنسب إلى شيا آي Chia I (168-199 قبل الميلاد) وتونغ فانغ سو Tung Fang So (ولد سنة 160 قبل الميلاد) وليو هسيانغ Liu Hsiang، وغيرهم، جميعهم تبعوا خطوات قصيدة تشو يوان Chu Yuan العظيمة. لكن تدريجياً، ومع التأسيس الأكيد لما يمكننا أن نسميه التأثير الكلاسيكي، عاد الشعراء ليجدوا نموذجهم في ديوان الشعر Book of Poetry الذي أتى كما لو كان من يد كونفوشيوس نفسه. كتبت الأشعار على نظام الأمتار المؤلفة من أربع، خمس، وسبع كلمات في السطر. سوما هسيانغ جو Ssuma Hsiang Ju (توفي في العام 117 قبل الميلاد)، وهو شخص اشتهر صيته بإغواء النساء فهرب مع أرملة شابة، وقد اشتهر بأبياته الشعرية إلى أن تم استدعاؤه إلى البلاد وعينه الإمبراطور في منصب عالٍ.

ماي شنغ Mei Sheng (توفي في 140 قبل الميلاد) الذي شكل أسلوبه على سو ما Su Ma كان له الشرف ليكون أول من جلب لزملائه المواطنين الجمال الأخاذ لنظام أمتار الخمس كلمات. ومنه يمكن أن يقال أن الشعر الحديث قد بدأ، وعينات كثيرة من براعته موجودة:-

«أخضر ينمو الحشيش على ضفة (النهر)،

براعم الصفصاف طويلة ومسترسلة،

سيده في ثوب براق

تفتح الستائر وتنظر إلى أسفل

والورود على خدها تتورد بفرح،
ذراعها المستدير أبيض وهاج؛
المغنية في بداية عمرها
والآن زوجة خليعة وسادرة
آه، إن لم يهتم بما هو له
سيجد يوماً ما أن العصفور قد طار!»

«إن الكركديه الأحمر والخيزران،
عبير زهور الخطمي والشراب المخمر،
كل هذه أجمعها وأنا تائه،
كما لو كان واحد بعيداً جداً.
اسعى لاختراق بعيون متعبة
المسافة التي تقع بيننا.
يا الله، القلوب التي تنبض كقلب واحد
هل يجب أن يفرّق بينها وتكون ملغاة!»

ليو هنج Liu Heng (توفي سنة 157 قبل الميلاد) كان ابن محظية لمؤسس سلالة **هان Han Dynasty** واعتلى العرش قبل 180 قبل الميلاد كالإمبراطور الرابع في سلالته. لأكثر من عشرين سنة حكم بحكمة وبشكل جيد. وهو واحد من أربع وعشرين مثلاً كلاسيكياً للبر بالوالدين مما جعله يخدم أمه المريضة لثلاث سنوات دون أن يغير ملابسه. وكان عاملاً وتم تطويبه بعد موته بلقب يمكن أن نسميه «زير نساء». التالي هي قصيدة كتبها بمناسبة وفاة والده المرموق الذي، إن كنا قادرين على قبول أن رفات المنسوبة إليه هي رفات أصلية، كان نفسه شاعراً:-

«انظر إلى الأعلى، الستائر ما زالت هناك كما في الماضي؛

انظر إلى الأسفل، توجد السجادة على الأرض؛

أرى هذه الأشياء، لكن الرجل لم يعد موجوداً. b.

«إلى السماء اللزوردي اللامتناهي طارت روحه،

وتركت دون أصدقاء، لا أحد يهتم بي، لوحدي،

محروم من السلوان فيما عدا البكاء والآهات.

«الغزال على جانب التلال يتغو بتحبب

ويقدم الحشيش لأطفاله ليأكلوا

بينما طيور الجو تحضر اللحم لصغارها

«لكني، اليتيم الفقير مجبر على البقاء إلى الأبد،

قلبي لا يزال فتياً مثقلاً بالألم

لأجله لن أضع عيني ثانية.

«إنه قول مأثور مهترئ يسمح به جميع الناس

بأن الأسى يترك بصماته على أعماق الخطوط في الجبين.

يا للأسف على شعري، إنه الآن فضي!:

«يا للأسف على أبي، فصل عن كبريائه!

يا للأسف أنا لا أستطيع أن أقف إلى جانبه بعد اليوم!

أين كانت الإلهة عندما مات ذاك البطل العظيم؟»

إن الشهرة الأدبية لوزير النساء لا ينافسها، إن لم يتفوق عليه، إلا حفيده ليو تشه Liu Che (87-156 قبل الميلاد) الذي تبوأ العرش في 140 قبل الميلاد كالإمبراطور السادس لسلالة هان Han Dynasty. وكان راعياً متحمساً للأدب، وأولى اهتماماً كبيراً للموسيقى كعنصر في الحياة القومية. وأقام أضحى دينية هامة للسماء والأرض. وطلب إصلاح التقويم من كبير علماء الفلك، المؤرخ سو ما تشيان Ssu Ma Chien ومن هذا التاريخ يقال أن علم الفلك الصحيح بدأ. وحمل جنرالته الأسلحة الإمبراطورية إلى آسيا الوسطى، ولسنوات عدة ثم كبح لجام الهون Huns. وبالرغم من سياسته المتنورة، كان الإمبراطور شخصياً قد كُلف بالسكر والألغاز والتي كانت تدريجياً تطعم في كتاب الطاو للاو تسو Tao of Lao Tsu، وشجع هو الدجالين العديدين الذي ادعوا أنهم اكتشفوا إكسير الحياة. الأشعار التالية هي عينة من أشعاره:-

«حاصب الخريف يطرد السحاب الرقيق الأبيض إلى السماء،

تذبل أوراق الشجر، والإوز البري المكتسح للجنوب تراه العين،

إن رائحة الأزهار المتأخرة تملأ الجو اللطيف من فوق،

قلبي ملآن بالأفكار عن السيدة التي أحب.

في الأنهر، العبارات من أجل التمتع بالأكل والشرب

اصطففتها الأمواج البيضاء التي تكسر أقواسها؟

الجدافون يحافظون على الوقت عندما يعزفون ويطلبون

الفرح غير موجود

الأفكار مسبوكة

من أن الشباب يبرحون وكبار السن يعودون.»

الأبيات التالية قيلت في موت محظية من الحرير التي كان مولعاً بها:-

«صوت هسهسة الحرير قد توقف

وامتلأت ساحة البرابرة الرخامية بالغبائر

لا وقع أقدام يتردد صداها في الممر،

وأكوام ورق الشجر المتساقط يحجز الباب. ...

لأنها افتخاري، حبيبتى الوحيدة قد ضاعت،

وأنا تركت لوحدي، وطرحت في أحزاني البائسة،»

عدد لا بأس به من الأشعار غير المعروف أصحابها وصلت إلينا من القرن الأول قبل الميلاد، وبعض هذا الشعر يتضمن هنا وهناك تصورات بلاغية غريبة ومُسرة، كما في المثل التالي:-

«الإنسان يصل بالكاد إلى المائة،

إلا أن دموعه تملأ حياة ألف سنة

التالي هو قصيدة من هذه الفترة، وصاحبها غير معروف:-

«إنطلاقاً من البوابة الشرقية أنا أركب جيادي

آه، مقبرة تراها عيني

وشجر الحور حولها يزدهر بوفرة

والطريق مملوءة بخشب التنوب والصنوبر والطقسوس.

وتحت أقدامى ينام الميتون المنسيون،

ملفوفون بغسق من الحزن الأبدي،

وفي الأسفل قرب الينابيع الصفراء سريهم التراي،

والسكون الأبدي هو هلاكهم الدائم.

كم هي سريعة تأتي الأضواء والظلال وتذهب!
مثل ندى الصباح تمر حياتنا الزائلة؛
الإنسان، ذاك الجوال الفقير على الأرض بالأسفل،
قد ذهب بينما النحاس والحجر باقيان.
الوقت حرون، ويذهب سدى
في مواجهة قوته أقدس البشر تكافح،
هل يمكننا أن نأمل بكسب نعمته الثمينة،
بالإكسير الغريب هل نمدد حياتنا؟...
آه لو نشرب لكيراً **Liquor** جيداً.
طالما باستطاعتنا ذلك
وأن نلبس الحرير والساتان كل يوم!»

الآن بدأت النساء تظهر في الأدب الصيني. إن الليدي بان **Lady Pan** كانت لفترة طويلة المحظية الرئيسية عند الإمبراطور الذي حكم الصين من 32-6 قبل الميلاد. كان الإمبراطور مخلصاً لها حتى أنه أعرب عن رغبته في أن تظهر إلى جانبه في العربة الإمبراطورية. وقد أجابت على ذلك، «لقد سمعت خادمتكم أن الحكام الحكماء من القدم كانوا باستمرار يرافقهم الوزراء الأفاضل، ولكن أبدأ لم يسمع أنهم تجولوا في عرباتهم بنساء إلى جانبهم» وفي النهاية تم تبديلها بمنافسة أجمل منها وأصبا وبناءً عليه وجهت للإمبراطور إحدى المروحيات، مستديرة أو مثمثة في إطارها من الباهمو ومغلقة بالحرير²⁰ التي كانت تسمى في هذه البلاد «شاشة النار»، محفور عليها الأسطر التالية:-

20 إن المروحة المثنية اخترعها اليابانيون، ولم تكن معروفة في الصين حتى القرن الحادي عشر ميلادي عندما تم إدخالها عبر كوريا.

«أيها الجميلة مثل الحرير الأبيض، طازجة من منوال النساج،
واضحة كالجليد، ومشعة مثل ثلج الشتاء،
انظر إن الصداقة تصمم منك مروحة،
مستديرة مثل القمر الدائري الذي يضيء السماء في الأعلى،
في البيت، في خارج البلاد، أنت رفيقة حميمة،
تتحمس لكل خطوة للإعصار الشكور،
وبالرغم من ذلك، آه أنا، هذه الرعشة الخريفية،
تبرد الاهتياج الساخن للصيف الميت،
سوف نراك مرمية ومهملة على الرف،
كل الأفكار حول الأيام التي مضت، هي مثلهم قد مضت.»
إن تعبير «مروحة الخريف» أصبحت منذ زمن جزءاً من اللغة وتستخدم مجازاً
للزوجة المهجورة.

الفصل الثالث التاريخ - صناعة المعاجم

فيما يتعلق بالصين إن فن كتابة التاريخ يمكن أن يقال أنه أنشئ في الفترة التي نتحدث عنها. **سو ما تشيان** **Ssu Ma Chien**، المدعو أبو التاريخ ولد في حوالي 145 قبل الميلاد، وعندما أصبح عمره عشر سنوات كان قد أصبح عالماً جيداً وعندما أصبح في العشرين من عمره بدأ سلسلة من التجوال التي عرفته على كل أنحاء الإمبراطورية. في سنة 110 قبل الميلاد توفي والده، وحل هو في المنصب الوراثي كبيراً لعلماء الفلك. بعد أن كرس بعض الوقت والجهد لإصلاح التقويم أخذ يتابع العمل التاريخي الذي كان قد بدأه أبوه، والذي في النهاية أعطي للعالم كـ**السجلات التاريخية Historical Record**. إنه تاريخ الصين من أقدم العصور نزولاً حتى مائة سنة قبل العصر المسيحي، كتب في مائة وثلاثين فصلاً مرتبة تحت عناوين خمسة كالتالي:- (1) حوليات الأباطرة، (2) اللوائح الكرونولوجية (المتسلسلة زمنياً)، (3) ثمانية فصول في الشعائر، الموسيقى، آلات النفخ. الموسيقية الحادة، التقويم، علم الفلك، الأضاحي الإمبراطورية، مجاري المياه، والاقتصاد السياسي، (4) حوليات النبلاء الاقطاعيين، السير الذاتية لكثير من رجال تلك الفترات المرموقين التي تغطي تقريباً ثلاث آلاف سنة. وكان هذا العمل يقدر تقديراً عالياً لدرجة أنه تم عد كلماته كلها التي وصل تعدادها إلى 526500 كلمة. ويجب أن يبقى في ذهننا أن هذه الأحرف الصينية كانت في أغلب الظن، تحفر بقلم ستايلوس (قلم) على ألواح من البامبو، وأنه قبل هذه، لم يكن هناك شيء اسمه تاريخ في خطة عامة وشاملة، بالحقيقة لا يوجد شيء أبعد من حوليات محلية على أسلوب الربيع والخريف.

منذ **السجلات التاريخية**، كان لكل سلالة مؤرخها، وكانت أعمالهم في كل الحالات قائمة على النموذج الذي أورثهم إياه **سو ما تشيان Ssu Ma Chien**، إن تواريخ

الأربع وعشرين سلالة تم إصدارها عام 1747 ميلادية في سلسلة متطابقة، مجلدة في 219 مجلداً كبيراً، وجميعها تظهر سجلاً لا يمكن أن يصدر من قبل أي بلد في العالم بهذا الشكل.

التالي هي عينات من أسلوب **سوما تشيان Ssu Ma Chien**:-

1. «عندما نهض بيت هان Han لم تكن الأفعال الشريرة لأسلافهم قد محيت. الأزواج ما زالوا يذهبون إلى الحرب، الكبار في السن والصغار استخدموا لنقل الطعام. الإنتاج كان عملياً متوقفاً وشح المال. لدرجة أن ابن السماء (الإمبراطور) لم يكن عنده عربات تجرها الأحصنة ذات اللون الواحد، السلطات العليا المدنية والعسكرية كانت تركب العربات التي تجرها الثيران، والناس، بشكل عام، لم تكن تعرف أين تضع رأسها.

«خلال هذه الفترة، كانت العملة المستخدمة ثقيلة جداً ومنتجة لدرجة إن الشعب نفسه ضرب عملة جديدة ذات معيار رقمي ثابت. لكن القوانين كانت ضعيفة، وكان من غير الممكن إمساك البخلاء عن سك العملة بشكل واسع والشراء بقوة ثم الامتناع عند ارتفاع السوق، والنتيجة كانت أن الأسعار ارتفعت بشكل كبير. الأرز بيع بعشرة آلاف كاش²¹ لكل بيكول²² والحصان كان يكلف مائة أونس²³ من الفضة. ولكن تدريجياً عندما بدأت الإمبراطورية تركز إلى السكينة والهدوء أصدر جلاله **كاو تسو Kao Tsu** أوامر أن لا يلبس أي تاجر الحرير ولا يركب في عربة؛ إلى جانب أن الضرائب المحصلة على هذا النوع تم زيادتها بشكل كبير لكي يبقوها إلى الأسفل، بعد عدة سنوات تم رفع هذه القيود، إلا أن أحفاد التجار استبعدوا من شغل أي منصب له علاقة بالدولة.

«في هذه الاثناء، جعلت ضرائب محددة على سلم محسوب لمواجهة متطلبات المصروفات العامة، بينما اعتبرت ضريبة الأرض وإيرادات الجمارك من قبل كل

21 عملة صينية صغيرة سكت من خليط من نحاس مثقوبة في الوسط / المترجم.

22 وحدة وزن صينية تساوي 133.33 باوند - رطلاً، انكليزيا / المترجم.

23 قاموس المورد: الأونس وحدة وزن تساوي 28.35 غراماً أو 31.1 غراماً / المترجم.

المسؤولين، من الإمبراطور فنازلا، أتعاباً شخصية لهم. وأرسلت الحنطة من خلال النقل المائي إلى العاصمة لاستخدام المسؤولين هناك ولكن الكمية لم تزد عن عدة مئات آلاف من البيكول كل سنة.

«تدريجياً، بدأت العملة تتدهور والنقود الخفيفة يتم تداولها، وعند ذلك تبعتها قضية أخرى، كانت كل قطعة معلّمة بـ «نصف أونس.» لكن أخيراً قاد نظام القضايا الخاصة إلى سوء استغلال، نتج عنه أول شيء كميات كبيرة جداً من المال، تجمعت في أيدي الأفراد، وأخيراً حدث التمرد، فتم إغراق البلاد بعملة المتمردين، وأصبح ضرورياً أن تشرع القوانين ضد أي موضوعات من هذا القبيل مستقبلاً.

«في هذه الفترة، كان الهون Huns يتحرشون بالإغارة على حدودنا الشمالية، وجمع الجنود هناك في فصائل كبيرة؛ بناء على ذلك أصبح الطعام شحيحاً لدرجة أن عرضت السلطات بعض الرتب وألقاب الشرف على أولئك الذين سيقومون بتزويدها بكمية محددة من الحنطة. لاحقاً، بدأ الجفاف في الغرب ولكي تواجه ضروريات اللحظة، أصبحت الرتب الرسمية، مرة أخرى، سلعة تسوّق، بينما أولئك اللذين كسروا القانون سمح لهم أن يبدلوا العقوبة بدفعات مالية، وبدأت الآن الأحصنة تظهر من جديد في الاصطبلات واضحة للعيان عن الثراء الوافر.

«هكذا كان الوضع في الأيام الأولى للسلالة، حتى سبعين سنة بعد اعتلاء سلالة هان Han. كانت الإمبراطورية وقتها تنعم بسلام. ولمدة طويلة لم يكن هناك لا فيضانات ولا جفاف، وبدأ فصل من فصول الرخاء. الأهرامات العامة كان ملأى، وخزائن الحكومة كانت أيضاً ملأى في العاصمة. أربطة من عملة الكاش كوّمّت بأكوام لا تعد ولا تحصى، حتى صدّئت الأربطة، فلم يعد بالإمكان قص قصتهم. الحنطة في المخازن الإمبراطورية تعفنت سنة بعد أخرى. وتدفقت من الأهرامات المرصوفة وبقيت مرمية حتى أصبحت غير نافعة للأكل البشري، والشوارع كانت مزدحمة بالأحصنة التي يملكها الناس، وفي الطرق الرئيسة جموع هائلة منها كانت ترى، حتى أنه أصبح ضرورياً منع الاستخدام العام للأفراس. وأكل مسؤولو القرى اللحم وشربوا النبيذ والمكاتب الحكومية البسيطة والمشبهة لها

انتقلت من الآباء إلى الأبناء، والمناصب العليا في الدولة عوملت على أنها ميراث عائلي. لأن روح احترام الذات وتوفير القانون هاجرت إلى الخارج بينما إحساس من الإحسان والالتزام تجاه الجار أبقت الناس بمعزل عن الفضيحة والعار.

«وأخيراً، تحت القوانين غير الصارمة، بدأ الأغنياء باستخدام ثرائهم لأهداف شريرة من الفخر والتبجيل وقمع الضعفاء، وحصل أعضاء من العائلة الإمبراطورية على منح من الأراضي، بينما تنافس الكبار والصغار وكل واحد مع جيرانه في صرف الأموال دون حساب على البيوت والمواعيد والمظهر، كل ذلك كان خارج نطاق طاقتهم، هكذا هو القانون الدائم لتعاقب الازدهار والتحلل.

«ثم تبع ذلك تحضيرات عسكرية مطولة في أجزاء مختلفة من الإمبراطورية، وإقامة الطريق التجاري مع البرابرة من جهة الجنوب الغربي والتي تم شق الجبال من أجلها لأميال كثيرة. كان الهدف فتح المصادر لهذه المقاطعات البعيدة، لكن النتيجة كانت إغراق السكان بدمار يائس. ثم أتى إخضاع كوريا، وتحويلها إلى تابع إمبراطوري، وكانت هناك مشاكل أقرب إلى البلد، كان هناك الكمين الذي وضع للهن Huns الذي بموجبه تخلينا عن التحالف معهم، وجلبناهم إلى حدودنا الشمالية. ولا شيء في الحقيقة إلا الحروب وإشاعات الحروب من يوم إلى آخر، الأموال كانت تغادر البلاد باستمرار. والاستقرار المالي للإمبراطورية تم نسفه، وشعبها الفقير انجر إلى الجريمة. الثراء تم تبديده، وتجديده كان يُطلب في الفساد. أولئك الذين أحضروا الأموال بأيديهم حصلوا على تعيينات في الحكومة. والذين كان باستطاعتهم أن يدفعوا هربوا من دفع الغرامات عن جرمهم. وكان على الكفاءة أن تفسح الطريق أمام المال. ووضع الحياء جانباً وتردد الضمير. القانون والعقاب نفذاً بقسوة بالغة. من هذه الفترة يجب تأريخ صعود وهبوط الرشوة الرسمية.»

2. «صورت القصائد الموضوع كالتالي:- قد نحدق ونتطلع إلى أعلى الجبل وفيه، قد نساغر على الطريق العام، قد نشير إلى أنه حتى لو لم نستطع أن نأمل بالوصول إلى الهدف، يمكننا أن نندفع إلى هناك بالروح.

«بينما كنت أقرأ أعمال كونفوشيوس، كنت أتخيل دائماً أن بإمكانني أن أرى الرجل كما كان في الحياة، وعندما ذهبت إلى شان دونغ رأيت فعلاً عربته، وأروابه

وأجزاء مادية لاستخداماته الاحتفالية الرسمية. كانت هناك ذريته تمارس الشرائع القديمة في بيتهم المتوارث، وتباطأت غير قادر على أن أنتزع نفسي عنهم. كثيرون هم الأمراء والأنبياء الذين رأهم العالم في وقته، إجلالاً في الحياة ومنسيين في الملمات. لكن كونفوشيوس، مع أنه كان عضواً متواضعاً من الجماهير التي تلبس القطن، ويبقى معنا بعد مرور أجيال عديدة. فإنه نموذج لأولئك الذين يودون أن يصبحوا حكماء. من قبل الجميع، من ابن السماء نزولاً إلى أبخل طالب، يعترفون بالكامل وبحرية، بسيادة مبادئه، ويمكن أن نطلق عليه أقدس البشر.»

3. «في الشهر القمري التاسع دفن الإمبراطور الأول في جبل لي **Mount Li**، الذي كان في الأيام الأولى لحكمه قد أمر بحفر الخندق وجهزه لهذا الغرض. ثم بعد أن ثبت ركائز الإمبراطورية، شغل جنوده، وكان تعدادهم 700000 (سبعمائة ألف) بالحفر وصولاً إلى الينابيع الثلاثة (أي حتى يصلوا إلى الماء) وهناك وضع أساساً من البرونز²⁴ ووضع فوقه تابوتاً حجرياً. وجمعت الأشياء النادرة والجواهر الثمينة وحملت إلى هناك وحفظت بكميات كبيرة، وأمر الصناع المهرة بتصنيع نشايات²⁵ ميكانيكية التي، إن حاول أحد الدخول، تطلق فوراً أسهمها. وباستخدام الزئبق، عملت الأنهار، **يانغ تسي Yang Tse** و**هوانغ لو Hoang Lo**، المحيط العظيم حيث صُب المعدن بالآلات من واحد لآخر. على السقف رسمت مجموعات النجوم الثابتة في السماء، وعلى الأرضية وضعت التقسيمات الجغرافية للأرض. وصنعت الشموع من دهن سمك الفظ البحري وكان محسوباً له أن يدوم لفترة طويلة.

«قال الإمبراطور الثاني، «ليس من المناسب أن محظيات المرحوم والدي، اللواتي ليس لهن أطفال أن يتركه الآن، وبالتالي أمرهن بأن يرافقن الملك المتوفى إلى العالم الآخر، وكان عدد اللواتي هلكن كبيراً.

«عندما انتهى الدفن اقترح أحدهم أن العمال الذين عملوا الآلات وخبأوا الكنز علموا بالقيمة العظيمة للأخير وأن السر سوف يفشى. وبالتالي ما كادت المراسم تنتهي والطريق الذي يدخل منه القبر الحجري انسد في الطرف الجواني له، والبوابة الخارجية على المدخل إلى هذا الطريق تم إغلاقها،

24 متباين «بثبات» أي وضعت بثبات.

25 آلة حربية قديمة، تشبه القوس، قاموس المحيط / المترجم.

وأغلق عملياً الضريح لدرجة أن لا أحد من العمال قد هرب. تمت زراعة الشجر والنباتات حول تلك البقعة حتى تبدو وكأنها لا تختلف عن الجبل.»

إن التاريخ الذي كتبه **سو ما تشيان Ssu Ma Chien** يتوقف عند حوالي مائة سنة قبل المسيح. ولكي ينفذ ذلك من هذه النقطة كان هنا طموح عالم يدعى **بان بياو Pan Piao** (3-54 ميلادية)، لكنه توفي عندما كان لا يزال يجمع المادة لهذه المهمة. اتخذ ابنه **بان كو Pan Ku**، الذي كان علمه شاملاً وعميقاً، هذا المشروع، لكنه اتهم بسبب أنه يريد أن يغير السجلات الوطنية وفقاً لأهوائه، وزج به في السجن، أفرج عنه بعد اعتراض شقيقه واستمر في العمل، ولكنه قبل إتمامه لهذا العمل تورط في مؤامرة سياسية، وزج في السجن مرة أخرى حيث توفي. سلم الإمبراطور التاريخ غير المتمم إلى **بان تشاو Pan Chao**، شقيقته الموهوبة، التي كانت منذ البداية مساعده، وقامت هي بإنجازه حتى حوالي العصر المسيحي، حيث مزق، احتلال العرش، من قبل غاصب له، سلالة هان إلى فترتين واضحتين، وكانت هذه السيدة قد الفت مجلداً في النصيحة الأخلاقية للشابات والكثير من الأشعار والمقالات.

تأليف المعاجم الذي ازدهر في هذا الوقت بشكل واسع عند الصينيين تم من قبل العالم الشهير المدعو **هسو شن Hsu Shen** (المتوفي سنة 120 ميلادية)، بعد أن دخل الخدمة الرسمية، استقال من منصبه ليكرس باقي حياته للكتب. كان طالباً عميقاً للكلاسيكيات الخمسة، وكتب عملاً حول المتناقضات في الانتقادات المختلفة لهذه الكتب. لكنه من خلال كتابه **شوه ون Shuo Wen** أصبح معروفاً. كان هذا العمل مجموعة من الملاحظات التفسيرية القصيرة لجميع الأحرف الصينية - حوالي عشرة آلاف - التي كانت وقتها موجودة في الأدب الصيني، وكتبت بما هو معروف الآن بأسلوب «الختم الأدنى» **Lesser Seal**. إنه أقدم قاموس صيني سجله لدينا وبالتالي شكل الأساس لكل الأبحاث في علم أصول الكلام. إنه مرتب تحت 540 جذراً أو مصنفاً، أي أجزاء من جذور منتقاة خصيصاً التي تشير نوعاً ما إلى الاتجاه الذي يوجد فيه الجذر كله، وكان هدفه الرئيسي استعراض المزايا التصويرية للكتابة الصينية.

الفصل الرابع البوذية

الآن يجب أن ندخل البوذية إلى الصين، خاصة من الناحية الأدبية.

إننا نقرأ منذ عام 217 قبل الميلاد أن الرهبان البوذيين شيه لي فانغ **Shih Li Fang** وغيرهم، قد حضروا إلى الصين. يبدو أن «الإمبراطور الأول» نظر إليهم بريية، على أي حال، زج بهم في السجن، الذي منه، كما قيل لنا، أخرجوا ليلاً من قبل رجل ذهبي أو ملاك. لم نسمع أي شيء أكثر من ذلك عن البوذية، حتى قام الإمبراطور المعروف باسم مينغ تي **Ming Ti** أثر حلم ظهر فيه له إله أجنبي، بإرسال بعثته إلى الهند ليرى ما قد يتعلمه عن موضوع دين البرابرة هذا. البعثة التي تكونت من ثمانية عشر شخصاً عادت حوالي 67 ميلادية يرافقتها بوذيان هنديان اثنان يدعيان كاشيب مادانغا **Kashiap Madanga** وكوبها رانا **Gobha Rana**. ونزل هؤلاء الاثنان في لو يانغ **Lo yang** في هونان **Honan** التي كانت العاصمة وقتئذ، ومضيا يترجمان إلى الصينية «سوترا»²⁶ من اثنين وأربعين جزءاً، بداية سفر طويل منها. بعد ذلك بوقت قصير مات الأول لكن البذور قد زرعت، ومنافس عظيم للطاوية كان على وشك الظهور على المشهد.

بحوالي نهاية القرن الثاني الميلادي قام بوذي هندي آخر، الذي صدف أن نزل في تشانغ آن **Chang An** في شن سي **Shen Si** بترجمة السوترا المعروفة بلوتس القانون الجيد **Lotus of Good Law**، والمعابد البوذية بنيت في أجزاء مختلفة من الصين، مع بداية القرن الرابع كان المترهبون الجدد يحلفون اليمين الضرورية للرهبة البوذية، وقدمت لهم الأديرة لتستقبلهم.

في سنة 391 ميلادية بدأ فا هسيان **Fa Hsien** برحلته الراجلة الكبيرة من قلب

26 قاموس المورد، السوترا هي حكم تلخص جانباً من التعاليم الدينية الهندوسية، محاورات بوذا، المترجم.

الصين براً إلى الهند، وهدفه كان الحصول على نسخ من القانون واللوائح والآثار البوذية. أولئك الذين رافقوه في بداية رحلته إما عادوا أو ماتوا في الطريق، ووصل أخيراً إلى الهند مع مرافق واحد الذي استقر هناك ولم يعد مطلقاً إلى الصين، بعد زيارته لمراكز مهمة مختلفة مثل ماغادا Magadha، وباتنا Patna، وبناريس Benares و**بودا غايا Buddha Gaya**، ووفقاً لأهداف رحلته، ركب في سفينة تجارية ووصل إلى سيلان²⁷ هناك وجد ينكا أي سفينة شراعية صينية، كبيرة حملته إلى **جافا Java**، من أين وجد نفسه، بعد التعرض إلى مخاطر جمة في البحر، على ظهر ينك آخر متوجهاً إلى ساحل **شان دونغ Shan Dong**، التي نزل فيها عام 414 ميلادية مع كل كنوزه في النقطة التي تحتلها، الآن مستعمرة **كياو تشو Kiao Chou** الألمانية.

إن الرواية عن رحلته المغامرة، كما يرويها بنفسه، لا زالت موجودة، ومكتوبة بأسلوب نكد وصعب. إن خط سيره تم اقتفاؤه وتم التعرف على جميع الأماكن التي ذكرها تقريباً. الفقرة التالية تشير إلى صحراء **غوبي Gobi**، التي كان على المسافرين أن يقطعوها:-

«في هذه الصحراء توجد أرواح شريرة كثيرة ورياح ساخنة، إن الذين يواجهون الأخيرة يموتون عن بكرة أبيهم، لا توجد طيور في الأعلى ولا وحوش في الأسفل، بالنظر إلى جميع الجهات على طول مدى النظر، ليعلم المسار، فإنه من غير الممكن النجاح دون العظام المتعفنة لرجال ميتين والتي تشير إلى الطريق.»

بودا غايا Budda Gaya، حيث حدثت مؤخراً استكشافات شيقة من قبل المرحوم الجنرال كاننغهام، زارها **فا هسيان**، ووضعها كالتالي:-

«وصل الحجاج الآن إلى مدينة غايا، التي تعاني من خراب تام داخل سورها. تجولوا لأكثر من ثلاثة أميال إلى الجنوب فوصلوا المكان أين البودي ساتفا bodhisattva²⁸ كانت قد قضت ست سنوات في تعذيب نفسها، إنها كانت متخشبة. المسافة من هذه النقطة إلى الغرب هي ميل ووصلوا المكان الذي دخل

27 سريلانكا حالياً، المترجم.

28 بودي ساتفا هو البوذي الذي يستحق النيروانا ويؤجلها لمساعدة الآخرين / المترجم.

منه بوذا ليستحم، وأنزل له فرع شجرة ليسحبه من البركة. كذلك بالذهاب شمالاً بحوالي ثلثي الميل وصلوا إلى المكان الذي قدمت فيه كل من الأختين صحن الحنطة المكسرة مع الأرز والحليب. وثلثي الميل إلى الشمال من هذه النقطة هو المكان الذي جلس فيه بوذا على حجر تحت شجرة ضخمة ووجهه باتجاه الشرق، وأكلها. الشجرة والحجر لا يزالان موجودين، والأخير طوله حوالي ستة أقدام وكذلك عرضه وحوالي قدمين في الارتفاع. في وسط الهند إن الطقس معتدل، الشجر يعيش حوالي عدة آلاف من السنين، وحتى قد تصل إلى عشرة آلاف سنة. من هذه النقطة باتجاه الشمال الشرقي على بعد نصف يويانا.²⁹ يصل الحجاج إلى مغارة أين جلس **بودي ساتفا** القرفصاء ووجهه إلى الغرب، وتأمل كالتالي: 'إن حصلت على الحكمة التامة يجب أن تحدث أعجوبة على شرفه.' فظهرت في الحال صورة ظلية لبوذا على الحجر، طولها أكثر من ثلاث أقدام وهي لا تزال واضحة حتى اليوم. ثم إن السماء والأرض اهتزتا بقوة والآلهة كانت في الفضاء استنجدت قائلة: 'هذا ليس المكان أين حصل بوذا الماضي والحاضر، وكان يجب أن يحصلوا على الحكمة التامة. إن المنطقة الملائمة هي تحت شجرة البو³⁰ أقل من نصف «يويانا» إلى الجنوب الغربي من هنا. وعندما تفوهت الآلهة بهذه الكلمات، أكملا الطريق وهم يغنون لكي يرشدوهم إلى هناك. قام **البودي ساتفا** وتبعهم وعندما وصل على بُعد ثلاثين خطوة من الشجرة الإله أعطاه حشيش الكوسا³¹ بعد أن قبل ذلك، ذهب خمسة عشر خطوة إلى الأمام أين جاء خمسمائة طير أسود وحاموا ثلاث مرات حوله، وغادروا. ذهب **البودي ساتفا** إلى البو، ووضع حشيش الكوسا جلس ووجهه إلى الشرق. ثم أن مارا، ملك الشياطين، أرسل ثلاث نساء جميلات ليقتربن من الشمال لغوايته، وكان هو (أي مارا) يقترب من الجنوب ومعه الهدف نفسه. ضغط **البودي ساتفا** الأرض بأصابع رجله، تراجع على أثر ذلك الجيش الجهنمي بارتباك والنساء الثلاثة تحولن إلى عجائز. في المكان المذكور أعلاه حيث عانى بوذا من الذل مدة ست سنوات، وفي كل تلك الأماكن بنى الرجال من الأجيال السابقة الباغودا وأقاموا الصور، وهي كلها لا تزال موجودة، وحيث أن بوذا حصل على

29 يويانا وحدة قياس للمسافة من أربع إلى عشرة أميال بناء على المكان / المترجم.

30 شجرة تين معروفة بضخامتها وبطول بقائها، يعتبرها البوذيون شجرة مقدسة / المترجم.

31 عشب مقدس عند البوذيين / المترجم.

الحكمة التامة، وتأمل الشجرة لمدة سبعة أيام، واختبر فرح التحرر، وحيث أن بوذا مشى إلى الأمام وإلى الخلف، وإلى الشرق وإلى الغرب، وتحت شجرة البو لمدة سبعة أيام، وحيث الآله صنعت غرفة مجوهره، وعبدوا بوذا سبعة أيام، وحيث أن التين الأعمى، **موشيلندا Muchilinda**، أحاط ببوذا لمدة سبع أيام، وحيث حبس بوذا مواجهاً الشرق على حجر مربع تحت شجرة نياغرودا، وأتى براهما ليحييه، حيث قدم الملوك الأربعة السماويين سلطانيات الحسنات، وحيث أعطاه الخمسمائة تاجر أرزاً مطبوخاً وعسلاً، وحيث أنه أهدى الإخوة كاس يابا مع تلامذتهم حتى بلغ عددهم حوالي الألف نسمة في جميع هذه الأماكن تم بناء ستوباس³².
 الفقرة التالية تشير إلى سيلان (سري لانكا حالياً) التي أسماها **فا هسيان Fa Hsien** أرض الأسود أي السينغ هالا، اسم التاجر الذي كان أول من أسس مملكة هناك:-

«لم يكن في هذا البلد أي سكان، فقط كان فيها الشريرون والأرواح والتين الذين تاجر معهم تجار البلدان المجاورة. عندما جاء موعد تبادل البضائع، لم يظهر الأشرار والأرواح إلى العلن لكنهم وضعوا الأشياء الثمينة مع أسعارها ملصقة بها. ثم اشترى التجار البضاعة، وفقاً لأسعارها وحملوها وذهبوا. لكن من ذهب التجار وعودتهم المتكررة، بدأت الأشياء الجذابة تصبح معروفة لدى القاطنين في البلدان المجاورة، الذين قاموا بدورهم بالذهاب إلى هناك، وبالتالي أصبحت أمة عظيمة. الحرارة معتدلة في هذا البلد، لا يوجد فرق بين الصيف والشتاء، والشجر والنبات دائمة الخضرة، وغرسة التربة تجري كما يحب الناس دون اعتبار للفصول.»

في هذه الأثناء كان الهندي **كومارا جيفا**، أحد الشموس الأربعة للبوذية مشغولاً بين 405 إلى 412 ميلادية في إملاء التعليقات الصينية على القانون البوذي لحوالي ثمانمائة راهب، وكتب هو أيضاً شاسترا Shastra في الحقيقة والمظهر، وترجم **سوترا الماسة Sutra of Diamond**³³ الذي قام بالترويج للبوذية وللطبقات المتعلمة أكثر من جميع أجزاء هذا الدين سويًا. الشعراء والفلاسفة الصينيون استمدوا الإلهام والتعليمات من صفحاته، ويمكن تصنيف

32 معلم تذكاري على شكل قبة / المترجم.

33 الشاسترا هي نص مقدس للهندوسية / المترجم.

هذا العمل على أنه كلاسيك وطني. فيما يلي نصين مختارين قصيرين:-

1. «قال بوذا، يا سوبهوتي، أبلغني وفقاً لفهمكم هل يمكن للإنسان أن يرى بوذا في لحمه؟. «لا يستطيع، أيها المعلم المبجل، ولهذا السبب: أعلن بوذا أن اللحم ليس له وجود ملموس.

«وبعد ذلك أبلغ بوذا سوبهوتي قائلاً: الوجود الملموس كله واه وغير حقيقي. إن كان الإنسان يمكن أن يرى بوضوح فهو كذلك، وبالتالي يمكنه أن يرى بوذا.»

2. «قال بوذا، يا سوبهوتي، إن كان باستطاعة رجل أن يجمع سبعة أشياء ثمينة من المجرات التي لا تحصى في العوالم، وإن يضع كل هذه لعمل الخير، وإذا أصبح رجل فاضل آخر أو امرأة فاضلة مملوئين بالروح وتمسكوا بهذه السوترات ويعظونها قليلاً لتبديل الإنسانية، أنا أقول لك إن سعادة هذا الرجل الأخير ستزيد كثيراً عن سعادة الرجل الآخر.

«التبديل إلى ماذا؟ إلى عدم الاهتمام بالوجود الملموس ولخنوع الفرد تماماً. لماذا؟ بسبب أن كل ظاهرة خارجية تشبه الحلم، مثل الرؤيا، مثل الفقاعة، مثل الظل، مثل الندى، مثل البر، ويجب أن يعتبر كذلك.»

في العام 520 ميلادية قام **بودي دارما** بزيارة الصين، واستقبل بحفاوة بالغة. وكان هو ابن ملك في جنوب الهند. وعلم قائلاً إن الدين لا يجب أن يدرس من الكتب، لكن على الإنسان أن يبحث عنه ويجد البوذا الذي في قلبه. قبل وصوله بقليل تم إرسال **سونغ يون Sung Yun** إلى الهند للحصول على كتب بوذية أخرى، وبقي سنتين في قندهار فعاد بمائة وخمسة وسبعين مجلداً.

بعد ذلك، في عام 629 ميلادية انطلق **هسوان تسانغ Hsuan Tsang** إلى الهند بالهدف نفسه ولزيارة الأماكن المقدسة البوذية. عاد من هناك سنة 645 ميلادية جالِباً معه 657 كتاباً بوذياً، إلى جانب صور كثيرة وصور الظل و150 أثراً. وقضى حياته يترجم هذه وأيضاً مثل **فاهسيان Fa Hsien** كتب نصاً عن رحلاته.

هذا يصل بنا إلى بداية سلالة تانغ عندما استحوذت البوذية، بالرغم من المعارضة الكثيرة لها وحتى الاضطهاد، على ما ثبت لاحقاً أنه كان تأثيراً دائماً على جماهير الشعب الصيني.

الكتاب الثالث
السّلات الصغرة 200-600 مملادفة

الفصل الأول الشعر – الأدب المتعدد

القرون التي مرت بين 200-600 ميلادية لم تكن ملائمة لتطوير ونمو الأدب الوطني. خلال فترة كبيرة من الزمن كانت الإمبراطورية تمزقها الحروب المحلية. لم يكن هناك وقت لرفاهية المعرفة النظرية، كما لم يكن هناك ما يكفي من الرعاية ليشجعوها. ومع ذلك استمر العمل بالأدب، ووصل إلينا العديد من الأسماء العظيمة.

إن السنوات العجاف المظلمة ما بين 196 و221 ميلادية التي شهدت سقوط بيت هان Han، أضيئت بأسماء سبعة كتاب، وهم الآن معروفون بشكل مشترك بالعلماء السبعة لفترة تشيان آن **Seven Scholars of the Chien An Period**.. كانوا جميعاً شعراء. منهم هسو كان Hsu Kan الذي وقع تحت تأثير البوذية وترجم إلى الصينية براني أمولا شاسترا تيكا من نجاردیونا **Pranyamula Shastra Tika of Nagardjuna**، الأبيات التالية له:-

«أيها الغيم العائم، الذي يسبح في السماء أعلاه

احمل على جناحيك هذه الكلمات للذي أحب. ...

آه، إنك تستمر في العوم ولا تستمع إلى ألمي،

وتتركني هنا للأشواق والحب الضائع!

إنني أشاهد أحباء آخرين يعودون إلى منازلهم،

وإلى عودته ألا يجدر بي أن أرنو؟

منذ أن غادر سيدي-آه يا ليوم حزين!

إن غبرة مرآتي لم يتم مسحها.

إن قلبي، مثل المياح الجارية، لا يعرف السلام،

لكنه ينزف وينزف للأبد دون توقف.»

هناك أيضاً **كونغ جونج Kung Jung** أحد أحفاد كونفوشيوس من السلالة الثانية عشرة وهو حفيد نشأ قبل أوامه. عندما أصبح في العاشرة من عمره ذهب مع والده إلى **لو يانغ Lo Yang**، حيث كان **لي ينغ Li Ying**، رجل الدولة التنين في أوج سمعته السياسية. لأنه لم يستطع الدخول عليه بسبب كثرة الزوار أبلغ الحارس على الباب أن يعلم **لي ينغ** بأنه كان الصلة، وهكذا نجح في الدخول عليه. عندما سأله **لي ينغ** ما هي هذه الصلة، أجاب، «سلفي كونفوشيوس وسلفك لاو تسو كانا صديقين يشتغلان في البحث عن الحقيقة، وهكذا، أنت وأنا، يمكن أن نقول إننا من العائلة نفسها.» اندهش **لي ينغ**، لكن **تشن واي Chen Wei** قال، «إن الذكاء في الشباب لا يعني الأمعية في الحياة فيما بعد، فعلق **كونغ جونج Kung Jung** عليها قائلاً، «أنت، يا سيدي، كنت كما هو واضح، ذكي جداً كولد.» ودخل الحياة الرسمية عندما أنيط به ليكون حاكم **بوه هاي Po Hai** في شان دونغ، لكنه تعرض لعدم رضى **تساو تساو Tsao Tsao** العظيم، وقتل مع جميع أفراد عائلته. كان رجلاً منفتحاً، ويحب الرفقة الجيدة، وكان يقول، «لو كانت جميع القاعات عندي مكتظة بالضيوف، وجميع القناني مملأ بالنبيذ، أكون مسروراً.»

التالي هو عينة من شعرة:-

«المتجول يصل بيته بفرح

من جراء الغياب سنة أو أكثر:

عينه تبحث عن ولد محب-

وزوجته تضطجع باكية على الأرض.
«إنهم يتهامسون أنه ذهب. فيسدل
أسي الليل؛ خارج البوابة
تظهر ملامح قبر وحيد
لتحيي السيد الذي أتى متأخراً جداً.
«إلى التل الصغير ينطلق
حيث الزهور البرية تتفتح على كل جانب. ...
إن عظمه موجود في الينابيع الصفراء³⁴
ولحمه مثل الغبرة منثور بشكل واسع.
«آه يا طفلي، الذي لم يعرف سيده مطلقاً
إلى الأبد لن تعرف مطلقاً،
لفترة طويلة سيبقى شبك الجوال متعباً
ويرفرف دون صديق ووحيد.
”آه، أيها الأبن، عطية الإنسان الكبرى على هذه الأرض،
معك أنا أدفن الآمال والخوف،
حني رأسه بحزن، وسريعاً
تبلى صدره بالدموع المنهمرة.
«إنه يعرف خوف الحياة غير المبرر
ولكن آه لهذا الإغلاق السابق لأوانه!»

34 المطهر / المترجم.

كان هناك وانغ تسان Wang Tsan (177-217 ميلادية) وكان رجلاً مثقفاً كتب

فن الشعر أو أرس بويتিকা Ars Poetica ولكن ليس شعراً. كان شاباً واعداً جداً، فتميز كشاعر بالرغم من أن الأزمان التي عاش فيها لم تكن مؤاتية للنجاح. وقد زعم، بقليل أو كثير من الحقيقة، إن الشعر الصيني كله يميل نحو مفتاح مليء بالشجن، وإن الموضوعات المرغوبة في الشعر الصيني هي تلك التي فيها سمة انتقالية في الحياة على كل ما يرافقها من مفارقات وغيرها من الأمراض مع الاقتراب الحتمي للموت، مع إحلال غير المعلوم في مكان المعلوم. وكان لـ وانغ تسان Wang Tsan سبب وجيه لمراثيه. وكان أجبر بسبب الإضطرابات السياسية على ترك منزله في العاصمة ليهرب عن الأمان في الهروب. هناك، كما يُعلمنا

«الذئب والنمور تعمل وفقاً لإرادتها الحلوة.»

وفي الطريق يجد أن:

لا شيء سوى العظام المبيضة تغطي السهل أماناً،»

وهو يأتي على امرأة مصابة بالجوع، وكانت قد رمت طفلها بين الشجيرات لأنها لم تستطع إطعامه. ولما وصل إلى النهر العظيم أثار مغيب الشمس عواطفه:-

«خطوات من الضوء لا تزال تتمسك بالهضاب،

بينما تغطي المنحدرات القوية الظلال الكثيفة،

يعود الثعلب إلى وجاره،

والعصافير تطير عائدة إلى بيوتها في الغابات،

وبوضوح تسمع موجات الموح المتلاطم،

وعلى الضفاف يصرخ ويزعق الجيبون³⁵

35 نوع من القروود / المترجم.

وأكمامي تحركها الريح التي تُصَفَّر،
وتلايبب روبي مبتلة بالندى.
وطوال الليل لم أتمكن من إغماض عيني.
نهضت ومسكت غيتارتي،
التي، وللابد متعاطفة مع مزاج الإنسان المتغير،
يبدو أنها الآن تتجاوب مع حزني.»
لكن الموسيقى لا تجعله ينسى الأقرباء

آه، إن معظمهم سجناء،
والبكاء سيكون من نصيبي حتى النهاية
مع كل أماكن البهجة في الإمبراطورية
لماذا علي أن أبقى في هذا المكان؟
مثل الدودة في عصا الراعي لم أعد أحس بالمرارة.»
بالسطر الأخير يعني أنه يشير إلى كم من مساهمة طويلة لتجعلنا على ما نحن عليه.
وكان هناك **ينغ يانغ Ying Yang** عندما انتهى دوره السياسي، كتب قصيدة
تحمل عنواناً يمكن أن نفسره بالشكل التالي «الندم لأن رأس الثور³⁶ يقف بطلاً.
وكان هناك **ليو تشنغ Liu Cheng** الذي قتل لأنه تجرأ ونظر إلى إحدى النساء
المفضلات عند الجنرال العظيم **تساو تساو Tsao Tsao**، المؤسس الفعلي لسلالة

36 رأس الثور هو الحصان بوسيفالوس الذي كان مع الاسكندر الأكبر في حروبه، ومات في باكستان ودفن فيها / المترجم.

واي House of Wei. أما تشن لين Chen Lin ويوان أو Yuan Yu يختمون القصة.

يضاف ثامن وتاسع إلى هؤلاء السبعة أسماء على سبيل المجاملة: اسمي تساو تساو المذكور أعلاه وابنه الثالث تساو تشيه Tsao Chih الشاعر. الأول لعب دوراً بارزاً في التاريخ الصيني. وكان أبوه قد تم تبنيّه كولد لكبير المخصيين في القصر. وهو نفسه كان شاباً طموحاً يهتم بصيد الأرناب وبالصيد بالصقور. إلا أنه تدبر أمره وتخرج في سن العشرين، وبعد أن تميز في الحملة ضد المتمردين، جمع قوة من المتطوعين لتنظيف البلد من الزعامات القوية المتعددة الذين كانوا يهددون وحدة الإمبراطورية. تدريجياً انتقلت السلطة العليا إليه وأجبر الإمبراطور الضعيف على ترفيع ابنته إلى مرتبة زوجة الإمبراطور. وهو شعبياً معروف كنوع من الوزير الجسور السيء وثنائ ماكر عديم الضمير. كانت قواته الكبيرة يضرب بها المثل، وفي إحدى المرات يقال أن تعدادها وصل المليون رجل تحت السلاح. كإحدى محطات النظام الذي كان سائداً في معسكراته، يقال أنه في مرة من المرات حكم على نفسه بالموت لأنه سمح لحصانه أن يهرب فزحاً إلى حقل من الحنطة، وذلك وفقاً للتعليمات القاسية ضد التسبب في إتلاف للمحصول الموجود. ولكن بدلا من خسارة رأسه، تم إقناعه، لإشباع روح العدالة عنده، بقص شعره. الأبيات التالية هي من قصيدة له كتبت بميزان سريع من أربع كلمات في البيت:-

«هنا النبيذ، دعونا نغني؟»

لأن حياة البشر قصيرة،

مثل ندى الصباح،

إن أفضل أيامه قد ولت.

ولكن بالرغم من أننا قد نفرح

فإن الأحران يصعب نسيانها.

ماذا سينسنا إياها؟

النبيذ، و فقط النبيذ.»

بعد وفاة تساو تساو أتى عصر الممالك الثلاثة **Three Kingdoms**، القصة الرومنسية لها قيلت في الرواية الشهيرة التي سنذكرها لاحقاً. أصبح الابن البكر لتساو تساو أول إمبراطور لإحدى هذه الممالك، وهي مملكة واي - **Wei King** **dom**، تساو تشين **Tsao Chin**، الشاعر احتل منصباً غير ملائم في البلاط، كان مشكوكاً فيه وغير محبوب، عندما كان عمره عشرة أعوام برع في الإنشاء لدرجة أن والده اعتقد أنه كان سارقاً لمولفات الغير. لكن المسألة حسمت عندما كان يلقي قصائد ارتجالية في أي موضوع يطلب منه في الحال. قال شاعر معاصر له «أنه لو مثلنا كل المواهب في العالم بعشرة، فإن تساو تشيه سيحصل على ثمانية، أنا سأحصل على واحدة، وباقي العالم كله سيحصل على واحدة بينها.» هناك قصة تروى أنه في إحدى المناسبات، بناء على طلب أخيه الكبير، ربما لهدف سيء، أُلّف مقطعاً شعرياً بشكل ارتجالي بينما سار سبع خطوات. وظلت تستذكر ربما ليس لشاعريتها وإنما للنقاط التي فيها.

«صحن جميل من الفاصوليا وضع في إناء

بهدف خلطة جيدة من الحساء الساخن

إن ساق الفاصوليا على النار وحصلنا على نار عالية،

والفاصوليا في الوعاء كلها مدخنة وتتآكل.

إلا أن الفاصوليا وساقها لم يولدا ليكونا أعداء؛

آه، لماذا على هؤلاء أن يسرعوا لإنهاء أولئك؟»

إن المقتطف التالي من قصيدة له تتضمن مبدأ مشهوراً جداً يستخدم باستمرار

في هذه الأيام:-

«الرجل الأعلى يأخذ حذره

ويتجنب إعطاء سبب للشك.

لن يسحب حذاءه في حقل من البطيخ

ولا تحت شجرة برقوق يرتب طاقيته.

الإخوة وزوجاتهم لا يجوز أن يمسكوا أيدي بعضهم البعض،

الكبار والصغار لا يسمح لهم بالسير في الأمام

من خلال الكدح والتواضع يتم مسك المقبض،

لطف المعينك وستختفي الصعاب.»

خلال القرن الثالث الميلادي ظهرت مجموعة أخرى زنبقية، وعددها أيضاً سبعة، شكلوا أنفسهم في نادٍ أصبح مشهوراً باسم الحكماء السبعة في بستان البامبو **The Seven Sages of the Bamboo Grove**، بين هؤلاء كان **ليو لينغ Liu Ling**، السكير، الذي أعلن أنه بالنسبة للسكير، «إن شؤون هذا العالم لا تختلف عن الطحالب في النهر.» كان يتمنى أن يرافقه باستمرار خادم مع النبيذ، يتبعه آخر يحمل رفشاً حتى يتم دفنه حيث يقع. في إحدى المناسبات، بعد أن استسلم للتماسات زوجته، وعددها «بالاقلاع عن النبيذ، وطلب إليها أن تحضر التضحية المعتادة من النبيذ واللحمة. عند تحضير كل ما طلبه صلى وقال، «يا رب، أنت الذي أعطيت ليو لينغ **Liu Ling** السمعة من خلال النبيذ، وهو الذي باستطاعته استهلاك غالون في جلسة واحدة وأن يطلب ربع غالون آخر حتى يفيق من سكره، لا تستمع لكلمات زوجته لأنها لا تتكلم بالحقيقة.» بعد ذلك شرب النبيذ المخصص للتضحية وما فتأ أن سكر كعادته. أن انحيازه كان **لطاو لاو تسو**، وقد اقتلع هو في الواقع عن منزلته بسبب مقالة يمدح فيها مذهب عدم الفعل الهرطقي. المنولوج

أو القصة الفكاهية التالية تظهر الإرهاق الطاوي ظهوراً واضحاً:-

«سيد كبير بالسن صديق لي، (يعني نفسه)، يعتبر الأبدية كأنها يوم واحد، وقرون كاملة كما لو كانت لحظة من الزمن، الشمس والقمر تشكل شبابيك منزله؛ النقطة الأساسية هي حدود ولايته. أن يتجول بشكل طليق غير مقيد وبحرية، ويسكن دون حيطان إن قبة السماء هي سقفه، ومكان راحته هو حوض الأرض. أنه يتبع غوايته في كل الأشياء لا تمر لحظة دون أن تكون زجاجة نبيذ في يد واحدة والكأس في اليد الأخرى، إن فكره محصور بالنبيذ: ولا يعرف شيئاً آخر غير ذلك.

«محسنان محترمان، عند سماعهما عن ضعف صديقي أنطلقا للضغط عليه حدد الموضوع؛ وبكثير من الایماءات والاستهجان وبتقطيب شديد، وصرير الأسنان، وعظوه بخطبة تامة حول قواعد اللياقة وأرسلوا أخطائه وكي تزّن مثل سرب من النحل حول رأسه.

«عندما بدأوا عباً الرجل الكبير بالسن كأسا عامرة أخرى، وجلس وبهدوء مسدّ لحيته، واحتسى نبيذه على دفعات حتى في آخر المطاف دخل في حالة من السكر والسرور الهادئ على فترات من فقدان الوعي المطلق أو العودة الجزئية للوضوح العقلي. أذناه كانتا أبعد من أن يصلها الرعد ولا يمكن أن يكون قد رأى جبلاً. السخونة والبرودة بالنسبة له لم تعد موجودة. حتى لم يعد يعلم بإعمال عقله، بالنسبة له فإن شؤون هذا العالم تظهر كأنها طحالب على النهر، بينما المحسنين جلسا إلى جانبه وبديا مثل دبورين يحاولان أن يحولا يسروعا،³⁷ إلى دبابير كما يعتقد الصينيون أن ذلك تم.

وهناك آخر، هسي كانغ Hsi Kang، شاب جميل طوله سبعة أقدام وسبعة إنشات وكان متزوجاً - عطية مشكوك بها - في العائلة الإمبراطورية. أكثر دراسة محببة له كانت الأبحاث في الخيمياء، وأمضى أيامه جالساً تحت شجرة صفصاف في ساحة داره يجرب تحويل المعادن، مبدلاً جهده بالموسيقى والشعر، مزاولاً فن التنفس بهدف

37 أي يرقانة الفراشة.

ضمان الأبدية، لكن، حدث أن أهان، من خلال افتقاره إلى الاحتفال، أحد الأمراء، الذي كان أيضاً طالب خيمياء، أدين لدى الإمبراطور كشخص خطير وخائن، بالموث، ثلاثة آلاف تلميذ له عرضوا أن يأخذوا مكان معلمهم المحبوب إلا أن طلباتهم رفضت واجه مصيره بقوة، مراقباً بهدوء الظلال التي ترميها الشمس ولاعباً على عوده.

الثالث كان هسيانغ هسيو Hsiang Hsiu الذي جرب حظه في الخيمياء والذي سرق انتقاده لتشوانغ تسو Chuang Tsu، كما قلنا سابقاً من قبل كوو هسيانغ Kuo Hsiang.

الرابع كان يوان هسيان Yuan Hsien شخص أرعن طائش، إلا أنه كان عازف غيتار ومختصاً كبيراً بنظرية الموسيقى، هو وعمه، كلاهما فقراء جداً عاشا على جانب من الطريق بينما عاش فرع أغنى من العائلة على الجانب الآخر. في السابع من الشهر القمري السابع نشر الأخير كل ما لديه من عظمة لأرواب الفرو وللملابس الغالية كما هي العادة في ذلك اليوم؛ وإذ ذاك قام يوان هسيان Yuan Hsian بتشعيب بنطلون قصير، يسمى سروال أنف العمل، الذي يلبسه من يجر العربات، وشرح لصديق بأنه كان ضحية استبداد العادات.

الخامس كان يوان تشي Yuan Chi، موسيقى آخر، الذي أصبح الهاربسيكورد خاصته بمثابة «كمنجة» الصين. دخل الجيش وترقى إلى قيادة عليا فيه لكنه استبدل منصبه بآخر حيث سمع أن عنده طباخاً أمهر، كان نموذجاً للبر بالوالدين، وعندما توفيت أمه بكأها بدموع حارة لدرجة أنه ملاً عدة بينتات³⁸ من الدم. إلا أنه عندما ذهب تشيه هسي Chi Hsi ليعزيه لم يعره انتباها، (وكما يقال أعطاه العين البيضاء، بينما شقيق تشي هسي الذي حمل معه جرة من النبيذ وغيتاراً تم الترحيب به مع تلامذته، أكثر عمل مشهور له هو قصيدة سياسية مجازية في ثمانية وثلاثين مقطعاً شعرياً، كل مقطع يضم تقريباً اثنا عشر بيتاً. إن الإيحاءات في هذه

38 البابت وحدة قياس للسوائل تعادل نصف لتر تقريباً. المترجم.

عملت بطريقة ماهرة ومستترة بحيث أنها أصبحت غير معروفة دون تعليق عليها. وهذا الإخفاء كان ضرورياً جداً لحماية الشاعر في الزمان القلق الذي كان يكتب فيه.

السادس كان وانغ جونج Wang Jung الذي كان يستطيع أن ينظر إلى الشمس دون أن ينهر بصره، وأخيراً كان هناك شان تاو Shan Tao، تابع للتعاليم الطاوية الذي كان يقال عنه أنه مثل «اليشب غير المصقول» و«الذهب الخام.»
فيما بعد، في القرن الرابع، يأتي فو مي Fu Mi الذي لا يعرف عنه شيئاً سوى بعض الأبيات التي تشكل التالي ذكرها عينة عنها: -

«إن عربتك والأحصنة

ذهبت وأنا مغتاض

وأنشوق للحبيب

الذي لا أقدر أن أنساه.

أيها الجوال، الذاهب

إلى بلاد بعيدة لتسكن،

لو كنت ظلك سألحق بك؛

وبالرغم من الغيوم ومن الليل

إن وجودي يجب أن يخبئ،

في عز النهار اللامع والمضيء

سأقف إلى جانبك!»

نصل الآن إلى اسم لا يزال معروفاً لجميع طلاب الأدب في المملكة الوسطى (أي الصين)، **تاو تشيان Tao Chien** (365-427 ميلادية) أو **تاو يوان مينغ Tao Yuan Ming** كما كان يعرف في صغره، حصل على منصب قاض بعد حياة عاشها بالفقر في شبابه، لكن الحياة العامة لم تكن تناسبه بطبعه، كل ما كان يبغيه حسبما جاء في صلاته كان «السنين الطوال والنبيل المعثق.» وقد احتفظ بمنصبه لمدة ثلاث وثمانين يوماً فقط معترضاً على استقبال موظف أعلى منه بالحفاوة المعهودة على أساس «إنه لم يستطع ثني مفاصل ظهره مقابل خمسة مكيات بك³⁹ من الأرز يومياً.»

هكذا هي تعليمات الدفع لقاضٍ، ثم استقال ليعيش حياة عادية واشغل نفسه بالشعر وبالموسيقى وتربية الزهور وخاصة زهرة الأقحوان التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً باسمه، في العمل الأخير، كانت زوجته تساعدته حيث كانت تعمل في آخر الحديقة وهو في الأمام منها، إن اعتزاله من عمله كان موضوع القطعة التالية، من صنف النثر الشعري، الذي من وجهة النظر من ناحية الأسلوب يعتبر تحفة في اللغة:-

«إلى البيت أثني خطواتي. إن حقولي، وبساتيني، خنقت من الأعشاب الضارة: هل كان علي ألا أذهب؟ إن روحي كانت تعيش حياة العبيد: لماذا يجب علي أن أضمر؟ لكنني لن أضيع أي حزن على الماضي، سوف أكرس حياتي للمستقبل. أنا لم أبعد كثيراً في التجوال. إنني أشعر أنني في المسلك الصحيح مرة أخرى. رويداً رويداً يسرع قاربي وثيابي تخفق في النسيم العليل، إني أسأل عن طريقي وأنا ذاهب، وأنكر ببطء طلوع النهار. ومن بعيد أبصرت منزلي القديم وفرحاً أنطلق مسرعاً، الخدم يخرجون لملاقاتي، وأطفالي يتجمعون حول البوابة. المكان مثل البرية. لكن لا تزال شجرة الصنوبر القديمة واقفة وأقحواناتي، أنا أمسك أيدي أطفالي الصغار وأمشي. يقدم النبلد بأوعية ممتلئة وأنا أسكب منها في كوؤوس طافحة، أحرق في أغصاني التي أحب، أرتاح على الشباك في حريتي التي وجدتها مجدداً، وأنظر إلى الأطفال الحلوين الجالسين على ركبتي.

39 البك يساوي ربع بوشل، وهي مقاييس لقياس وزن الحنطة / المترجم.

«أما الآن، أنبسط في حديقتي، توجد بوابة، لكنها قلما تفتح، أرتكز على عصاتي وأنا أتجول أو أجلس لأرتاح، أرفع رأسي وأتخيل المشهد الجميل، ترتفع الغيوم دون أن تريد، من قعر التلال، العصافير التعبه تطلب عشاها مرة أخرى. تختفي الظلال، لكنني ما زلت أبتاطاً حول صنوبرتي الوحيدة. البيت مرة أخرى! لا يوجد عندي صداقات لتلهيني منذ هذا التاريخ، الزمن خال بالنسبة لي. وماذا علي أن أبحث عند الرجال. في الفرحة الطاغي في محيط العائلة سوف أقضي أيامي، مرحباً بالساعات البطالة بالعود والكتاب، سيخبرني الفلاحون متى يحين الربيع ومتى سيكون هناك عمل في أتلام الحقول. هناك سوف أصل بالعربة أو بالقارب، عبر الوادي العميق، وفوق الصخرة التي تدوخ، الشجر الذي يشق طريقه بسرور ليصبح ورقة والجدول الذي ينتج من مصدره الصغير يبسط تجدد الحياة هذا في الفصول الآتية. لكن بالنسبة لي، أفرح لأن رحلتي قد انتهت. آه، كم الزمن قصير الذي تكون فيه هنا! لماذا إذاً لا نرتاح ونتوقف عن الاضطراب إن كنا سنذهب أم نبقى؟ ما هو الشيء الذي يدلها حتى تستهلك روحك بأفكار قلقة؟ لا أريد الغنى، لا أريد السلطة، والسماة أبعد من آمالي، بعد ذلك دعني أتمشي عبر الساعات المضيفة وهي تمضي في حديقتي بين زهوري، وإلا سأركب التلال وأغني أغنيتي أو أحبك قصيدي بجانب النهر الصافي. وهكذا سوف أشتغل بالوقت المخصص لي، راضياً بتعيينات القدر، وروحي تخلو من الاهتمام بشيء.»

إن «بئر الخوخ المتفتح» لتاو تشيان Tao Chien هو مجاز أخذ، نوع من الأدب الذي عكف الكتاب الصينيون على تغذيته، إنه يتحدث عن صياد سمك أضع طريقه بين جداول النهر فوجد بستاناً كثيفاً وحيوياً من شجر الخوخ منوراً بالكامل، فدفع بقاربه، تواقاً لمعرفة كم تبلغ مساحة البستان.

«فوجد أن شجر الخوخ ينتهي عندما تبدأ المياه، عند أسفل التلة، وهناك رأى على ما يبدو أنه مغارة يخرج منها الضوء. فأسرع بقاربه وزحف إلى الداخل عبر مدخل ضيق قاده في مدة قصيرة إلى عالم جديد من بلاد مستوية، وبيوت جميلة

وحقول معطاءة، وبرك جميلة ووفرة من التوت والبامبو، طرق السير السريعة تسير من الشمال إلى الجنوب، وسمع صياح الديك وعواء الكلاب، وكانت ثياب الناس الذين مروا أو كانوا في العمل في الحقول من طراز عجيب، بينما كان يبدو على الصغار والكبار الرضى والسعادة.»

وقيل له أن أسلاف هؤلاء الناس التجأوا قبل حوالي خمسة قرون ليهربوا من أيام القلق التي كانت في أيام «الإمبراطور الأول»، وبقوا هناك، مقطوعين بالكامل عن باقي الجنس البشري. وعندما عاد إلى بيته شاعت القصة في الخارج فأرسل الحاكم رجلاً ليجد هذا المكان العجيب، لكن صياد السمك لم يستطع البتة أن يجدها ثانية. سمحت الآلهة للشاعر أن يعود لفترة وجيزة إلى أيام الخوخ المنور في صباه.

أحد النقاد يتحدث عن **تاو تشيان Tao Chien** وكأنه «سكران مع أذخنة الريح.» وآخر يقول، «إن قلبه كان مركزاً على الولاء والالتزام بينما جسده كان راضياً بالرفاهية والهدوء، كانت عواطفه حقيقية، وكان المشهد الخاص به حقيقياً، حقائقه كانت صحيحة وكذلك كانت أفكاره. إن براعته الحرفية كانت جميلة للغاية مما جعلها تبدو طبيعية، إن قدومه وإزميله لم تترك آثاراً خلفه.»

كثير من شعره هو شعر سياسي، ويمتلئ بتلميحات للأحداث تم نسيانها الآن، وخلطت بالأفكار والجمل التي يعجب بها كثيراً أبناء بلده. إذًا، عندما يصف لقاء مع صديق قديم في بلد بعيد، فإن هذه الفقرة يتم تحريرها بكثافة من قبل المحرر أو الناقد وتحصل على علامات الاستحسان:-

«قبل أن يتم الحديث بالكلمات، القلب سكران،

وأنا أحتاج للنبيذ؟»

التالي هو واحد من قصائده المتفرقة:-

«عالم يعيش على تلك التلة،

وثيابه هي غالباً لا ينظر إليها،
تسع مرات في الشهر يأكل ملء بطنه،
مرة في عشر سنوات تكون قبعته جديدة
يا للتعاسة! - بالرغم من ذلك
يلبس باستمرار ضحكته المشرقة.

«يتشوق ليعرف على شاكلة من هو
عند الفجر تشكل خطواتي ممراً غير مغلق
حيث ترك خشب التنوب الأسود الممر مفتوحاً
وفي المساء، السحب البيضاء تغفو.

«لكنه، وقد تلصص على نيتي،
أمسك غيتاره وضرب على أوتاره،
طار طائر الكركي باتجاه السماء،
والآن طائر التدرج الفزع يقفز. ...
آه، دعني أرتاح معك حتى
تصير رياح الشتاء مرة أخرى باردة!»

باو تشاو Pao Chao كان موظفاً وشاعراً هلك في عام 466 ميلادية في ثورة، وقد
حفظت بعض من أشعاره:-

«ماذا تعني هذه القاعات من اليبس.

وكذلك الأرض البراقة.

حيث مطرقات الساتان تتدلى

من الشبابيك والأبواب؟

سيدة على مقعد وحيد،

تطرز

الأزهار الجميلة التي يبدو أنها تُشَم مثل الحلوة

كالبراعم في الربيع.

السنونو تطير مرفرفة، والقماش يرتج

وشجرة البرقوق المزهر تنكسر،

أنها تسحب الستائر تأخذ الكأس

أفكارها إلى الغرق.

والآن تجلس ودموعها أو تدمدم

مهتمه بحزنها

في حياتها أن الفرحة نادراً ما يجلب

لها الراحة...

آه، لهروب السلحفاة المتواضعة

رفيقي وأنا

ليس طائر الكركي في وحدته البعيد عن النظر

أبعد من السماء!»

الاسم الأصلي لشخص مذهل وضع نفسه على العرش في عام 502 ميلادية

كالإمبراطور الأول لسلالة ليانغ Liang، كان هسياو ين Hsiao Yen، كان بوذياً ورعاً، يعيش على أجر الرهبنة ويتناول وجبة واحدة في اليوم، وبمناسبتين في عام 527 و529 تبنى بالفعل لباس الرهبان، وكتب كذلك شعيرة بوذية في عشرة كتب، وفسر الوصية البوذية «لا تقتل» في معناها الحرفي، القصيدة القصيرة التالية من قلمه:-

«الشجر ينمو ليس متشابهاً،

في التلة وإلى الحصن المائي؟

الطيور تغني في الغابة،

بنوتات مختلفة؟

أما الأسماك في النهر

بعضها يغوص وبعضها يطفو

الجبال تكون شاهقة

والمياه ترسو إلى تحت

لكن لماذا وما هو السبب

لا يمكننا أبداً أن نعرفه.»

شاعر آخر، معروف جداً، عاش في القرن السابع هو هسيه تاو هينغ Hsieh Tao Heng أساء ليانغ تي Yang Ti - الإمبراطور الثاني لسلالة سوي Sui، لأنه يقرض الشعر أفضل من جلالته، فوجد هذا عذراً لقتله. واحد من أكثر المقاطع الشعرية المؤلفة من بيتين شعريين، إعجاباً باللغة مرتبطة باسمه، مع أنها ليست بقلمه لأن صاحبها غير معروف. ليسلي مجموعة من الأصدقاء كتب هسيه تاو هينغ Hsieh Tao Heng فجأة:-

«أسبوع في الربيع يبدو للمبعد

مثل الغياب عن البيت لعدة سنوات.»

و«جنوبي» كان حاضراً سخر من ضحالة الغرور فكتب فوراً البيتين التاليين:-

«إن كان البيت الذي سنذهب إليه مع الإوز الخريفي البري.

سيذهب بقلوبنا معها قبل أن تزهر أزهار الربيع.»

أحد موظفي سلالة سوي Sui كان **فو أي Fu I** (554-630 ميلادية)، أصبح مؤرخاً في حكم الإمبراطور الأول لسلالة **تانغ Tang**. وكان ميالاً جداً للطاوية وحرر **طاو ته تشينغ Tao Te Ching**. وفي الوقت نفسه كتب مذكرة يطلب فيها إلغاء الديانة البوذية، عندما سأله **هيساو او Hsiao Yu**، أحد سلالة **هسياو ين Hsiao Yen** (انظر أعلاه) عن الموضوع قال، «لم تكن قد ولدت في شجرة توت فارغة، ومع ذلك أنت تحترم ديناً لا يعترف بالعلاقة بين الأب والابن!» وحث في جميع الأحوال على أن يجبر الكهنة والراهبات على الزواج وأن يربوا عائلات، وأن لا يتهربوا من التبرع بحصتهم إلى إيرادات الدخل مضيفاً أن **هسياو أو Hsiao Yu** بدفاعه عن مذهبهم أظهر نفسه بأنه ليس أفضل منهم، وهنا رفع **هسياو أو Hsiao Yu** يده معلناً أن الجحيم عمل لمثل هؤلاء الرجال مثل **فو أي Fu I**. والنتيجة كانت أن قيوداً شديدة وضعت لفترة قصيرة على معلمي البوذية. في مرة من المرات مسك الإمبراطور **تاي تسونغ Tai Tsung** راهباً من التتار الذي كان بإمكانه أن يسحر الناس ويغيبهم عن الوعي، تم يعيدهم مرة أخرى للحياة،» وتحدث عن قوته إلى **فو أي**. قال الأخير بثقة، «لن يستطيع هو أن يسحرنى،» وعندما اختبر، فشل الراهب فشلاً ذريعاً، كان هو منشئ المراثي التي تنقش على القبور، وكتب لنفسه مرثية جاء فيها:-

«فو أي أحب التلال الخضراء والغيوم البيضاء...»

واحسرتاه لقد مات من الشرب.»

وانغ تشي Wang Chi الذي عاش في القرنين السادس والسابع الميلادي كان روحاً متوحشة غير تقليدية مع حب مميت للنبذ، والذي سبب طرده من وظيفته. إن مقدرته على المشروبات الروحية القوية، الليكير، كان لا يحدها حدود، وقد عرف بأنه العالم ذو الزجاجات الخمسة. وفي فترات متقطعة جزلة كتب النثر والشعر الجميلين اللذان لا يزالان يقرآن بسرور، التالي هي روايته عن زيارته إلى أرض السكارى، والقصة تروى بكل ما لها من جلال وبأسلوب مبني على ذلك الموجود بالروايات العادية للأمم الأجنبية الغربية:-

«هذا البلد يبعد عدة آلاف من الأميال عن المملكة الوسطى «أي الصين»، إنه بلد كبير واسع، وسهول بلا حدود، دون جبال أو تضاريس من أي نوع، الطقس معتدل، لا يوجد لا نهار ولا ليل، ولا برد ولا سخونة، إن الأخلاق والعادات هي نفسها في كل مكان.

«لا يوجد فيها قرويون أو تجمعات للأفراد، السكان رقيقون بتوجهاتهم، ولا يعرفون الحب أو الكره، الفرح أو الغضب. إنهم يستنشقون النسيم ويستشفون الندى لا يأكلون أياً من الحبوب الخمسة. الهدوء في الطمأنينة، بطيئون في مشيتهم، يختلطون مع الطيور، والوحوش، والسماك، والمخلوقات الحرفية، يجهلون القوارب، والعربات والأسلحة أو أي أدوات بشكل عام.» قام الأمبراطور الأصفر بزيارة إلى عاصمة أرض السكارى، وعندما عاد كان الغرور قد تركه مع الإمبراطورية، والحكومة التي كانت تبدو له تافهة لعوباً مربوطة رباطاً محكماً. «يوان تشي Yuan Chi، تاو تشيان⁴⁰ Tao Chien وغيرهم، حوالي عشرة مع بعض، قاموا برحلة سوية إلى أرض السكارى وغاصوا ولم يخرجوا أبداً. لقد دفنوا حينما وقعوا، والآن في المملكة الوسطى أطلق عليهم اسم أرواح النبيذ.

40 هنا يقترف الشاعر خطأ، لم يكن هذان الاثنان متجايلين.

«وأسفاه، لا أستطيع أن أتحمل اعتبار النطاق الصافي والسلمي لبلد السكاري محمية للقدماء ذهبت إلى هناك بنفسى.»

تغلق هذه الفترة على اسم الإمبراطور المعروف باسم **يانغ تي Yang Ti**، المذكور سلفاً فيما يتعلق بالشاعر **هسيه تاو هنج Hsieh Tao Heng**، كان قد قتل شقيقه الأكبر، وبعد ذلك قتل والده، فاعتلى العرش في 605 ميلادية وأطلق لنفسه العنان في الإسراف والفسق، تم تزويد الشجر في منتزهه في الشتاء بأوراق وزهور حريرية، وكادت الطيور تنقرض عندما حاول تزويد مسانده بكميات كافية من ريشها. بعد أن حكم لمدة ثلاث عشر سنة هذا الراعي المغاير للأدب وقع ضحية للاغتيال. بالرغم من شخصيته سيئة السمعة كان **يانغ تي Yang Ti** يتفاخر بالمكاسب الأدبية التي حققها، وهو الذي وضع مائة عالم ليحرروا مجموعة من المقالات الكلاسيكية والطبية وغيرها، وخلال حكمه في سنة 606 ميلادية وضع الامتحانات للشهادة الثانية أي «شهادة الماجستير في الآداب».

الفصل الثاني العلم والمعرفة الكلاسيكيان

في المجالين للأدب الكلاسيكي والعام يحتل هوانغ فو مي (Huang Fu Mi 215-282 ميلادية) مكاناً مشرفاً. بدأ حياته حراثاً، وبالمثابرة أصبح عالماً جيداً أخذاً الأدب كمهنة، وبالرغم من الروماتيزم الشديد لم يكن أبداً دون كتاب في يده، وأصبح مأخوذاً بعمله لدرجة أنه كان ينسى الطعام وساعة النوم، وأطلق عليه لقب المنغمس في الكتب، وفي إحدى المرات أراد أن يقترض أحد الأعمال من الإمبراطور وو تي Wu Ti من سلالة تشن Chin وكان قد رفض عروض توظيفه، فأرسل له عربة مملأى بالكتب ليقراها. فأنج المقاتلات، والشعر وعدداً من كتب السيرة الهامة. وكان عمله عن حوليات الربيع والخريف رائجاً وراجاً كبيراً.

سون شو جان Sun Shu Jan. من الفترة نفسها، برز في أعماله عن القانون الكونفوشيوسي، وكتب أر يا Erh Ya، وهو أقدم قاموس صيني موجود.

هسون هسو Hsun Hsu، (توفي في 289 ميلادية) ساعد في إخراج القانون الجزائي لسلالة تشن Chin التي كانت قد أسست حديثاً، وقام بدور قيادي في تحرير حوليات البامبو التي كانت قد وجدت لتوها في هونان Hunan وكتب مقدمة مو تيان تسو تشوان Mu Tien Tzu Chuan وكتب كذلك في الموسيقى.

كوو هسيانغ Kuo Hsiang (توفي 312 ميلادية) أشغل نفسه بفلسفة لاو تسو وبكتابات تشوانغ تسو Chuang Tzu. وقد قيل عنه أن محادثاته كانت مثل الهطول المتواصل للمياه السريعة أو المتدفقة من بوابة التحكم بالمياه.

كوو بو Kuo Po (توفي في عام 324 ميلادية) كان عالماً ذو سمعة عالية جداً. إلى جانب تحريره لأعمال كلاسيكية هامة ومتعددة، فلقد كان

داعية لامعة لشرح مذهب الطاوية ومؤسساً شهيراً لفن الضرب بالرمل كما هو يمارس على القبور، ولم يزل يُمارس كذلك في جميع أنحاء الصين في هذه الأيام. وكان عالماً في علم الفلك والتنجيم والفلسفة الطبيعية.

فان يه Fan Yeh، الذي أعدم لخيانته في عام 445 ميلادية كان مشهوراً بالأساس لتاريخ سلالة **هان Han**، من حوالي تاريخ الفترة المسيحية، عندما توقفت هذه السلالة، كما أسلفنا سابقاً من قبل مغتصب، وطلوعاً حتى السقوط الأخير بعد مائتي عام.

شن يو Shen Yo (441-513 ميلادية) شهير آخر، كان ابن حاكم **هواي نان Huai Nan** الذي أدى قتله في عام 453 ميلادية إلى إجباره على الاختباء لفترة من الوقت. فقير ومجتهد قيل عنه أنه كان يصرف الليل وهو يعيد ما تعلمه بالنهار لأن أمه كانت قلقه عليه بسبب صحته، فحدّث من تزويده بالزيت والوقود. التحق بالحياة الرسمية، فصعد سلم الوظيفة العليا، حيث استقال لسوء صحته مكللاً بالألقاب الشرفية. من ناحية شخصية كان ملفتاً للنظر لأنه كان عنده تلميذين من جانب عينه اليسرى. وكان يمتنع عن المسكرات امتناعاً تاماً وكان يعيش بتقشف شديد. وكانت عنده مكتبة تضم عشرين ألف مجلد. وكان كاتب تواريخ كل من سلالة **تشن، ليو، سونغ، وتشى**. وقيل أنه أول من صنف الأصوات الأربعة. في سيرته الذاتية كتب

« إن الشعراء القدماء، عبر آلاف السنين الماضية لم يتعثروا بهذه الخطة. وأنا الوحيد الذي اكتشف فائدتها.» قال له الإمبراطور **وو تي Wu Ti** من سلالة ليانغ يوماً ما، «تعال أخبرني، ما هي هذه الأصوات الأربعة؟» فأجابه **شن يو Shen Yo** إنها ما ترغب جلالتك في العمل بها كما تشاؤون،« مختاراً بشكل ماهر لإجابته أربع أحرف صينية تصور الأصوات الأربعة في الترتيب المعتاد.

هسياو تونغ Hsiao Tung (501-531 ميلادية) كان الابن الأكبر **لهسياو ين Hsiao Yen**، مؤسس سلالة ليانغ، الذي توفي قبله. قبل أن يبلغ الخامسة من عمره قيل عنه أنه حفظ الكلاسيكيات عن ظهر قلب، وبأن سنواته المقبلة كانت تتصف

بمقدرة أدبية عظيمة، وعلى وجه الخصوص كتابة الشعر. كان جميلاً وبأخلاق أسرة، لطيفاً وحليماً، كان محبوباً من الجميع. في 527 رعى والدته المريضة خلال مرضها الأخير، وحنه على موتها أعاق تركيبته الطبيعية الرقيقة، لأنه فقط بطلب جدي من أبيه وافق على الأكل والشرب خلال فترة العزاء. كان المثقفون متأكدون من رعايته لهم، وكان قصره يحتوي على مكتبة عظيمة. محب للطبيعة كان يُسرُّ أن يتجول مع العلماء في متنزهه الجميل والذي رفض أن يضيف إليه أمراً جذاباً وهن المغنيات. عندما ارتفع سعر الحنطة نتيجة الحرب مع واي Wei في 526، عاش على الغذاء المقتصد. وخلال حياته كلها كانت تبرعاته عالية جداً وحفظت سرّاً وتم توزيعها من قبل معاونين صدوقين من الذين بحثوا عن كل حالات الضيق والعوز. وقام هو بإفراغ خزائنه لصالح الفقراء، وصرف أموالاً طائلة على دفن الموتى المنبوذين، واعترض بشدة على العمل القسري في الأعمال العامة. وكان يحترم والده احتراماً شديداً وكتب له عند ما كان هو نفسه في النفس الأخير، على أمل أن يخفي الخطر. لكن يتم تذكره الآن ليس بسبب فضائله بل بالبداية بدائرة جديدة في الأدب. سنة قبل مماته أنهى كتابه **ون سوان Wen Hsuan**، أول مجموعة عمل نشرت من المختارات، كلياً أو جزئياً، لعدد كبير من الكتاب. وتم تصنيف هؤلاء تحت عناوين مثل الشعر من أنواع متعددة، المقالات، النقد، التذكارات، المقدمات، وخطب الجنازات، والمراثي التي تنقش على القبور.

وهكذا بدأت الفكرة وتطورت بسرعة، واستمرت في التطور إلى أن وصلتنا في العصور الحديثة، مجموعات أعمال كبيرة طبعت من فترة لأخرى في طبقات متشابهة وكثير من الكتب التي قد تكون دون ذلك، أتلفت، تم الحفاظ عليها لذرية شاكرة. إن سجلات الممالك البوذية بقلم **فا هسيان Fa Hsien** يمكن اقتباسها كمثال في هذا الشأن.

الكتاب الرابع
سلالة تانغ (600-900 ميلادية)

الفصل الأول الشعر

سلالة **Tang** تانغ مرتبطة عادة في العقل الصيني برومانسية الحب والحرب، بالثراء والثقافة، بالتأديب واللهو، بالإسراف بالترف والفسق ولكن على رأس كل ذلك عرفت بالشعر، إن جهود الصين المخلصة في هذا الاتجاه نتجت أساساً ضمن حدود الثلاثمائة سنة وتم المحافظة عليها بشكل دقيق كنماذج خالصة للشعراء المستقبليين لجميع الأجيال.

يقول النقاد الصينيون المعاصرون بأن «الشعر قد أتى للوجود مع القصائد الغنائية، تطور مع لي ساو **Li Sao**، اندفع ووصل إلى الكمال تحت سلالة تانغ. وتم إنجاز أعمال جيدة بالفعل تحت حكم سلالاتي هان **Han** ووي **Wei**، يبدو أن كتاب تلك الأيام كانت لديهم المادة بكثرة، لكن اللغة كانت غير ملائمة للتعبير عنها.

إن «المجموعة الكاملة للشعر في سلالة تانغ» التي نشرت في 1707، تتضمن 48900 قصيدة شعرية من جميع الأنواع، مرتبة في 900 كتاب وملاّت حوالي ثلاثين مجلداً. بعض الكتاب الصينيون يقسمون السلالة إلى ثلاث فترات شعرية تسمى المبكرة، والمجيدة، والمتأخرة، ويدعون أن بإمكانهم استكشاف الأعمال المنوطة بكل واحد من الصفات الملزمة للنمو والكمال والانحطاط. وغيرهم يضعون فترة وسيطة بين الفترتين النهائيين أعلاه، مما يجعلها أربع فترات. إلا أنه لأغراض عامة، يصبح فقط من الضروري ذكر التالي أنه منذ عصر الهان **Han** إن معاني الكلمات أصبحت تدريجياً تضبط بشكل أكثر تحديداً والترتيبات البنيوية أكثر تطابقاً وأكثر صقلاً. وأصبحت التخيلات تأتي أكثر حرية وأصبحت اللغة تتدفق أكثر سهولة وأكثر موسيقية، وكأنها تتجاوب مع متطلبات الفن. والشعر الصيني في أحسن أحواله هو جوزة يصعب كسرهما، يعبر عنه، كما جرت العادة في أبيات من خمسة أو سبعة

أفكار أساسية ذات المقطع الواحد دون تصريف أو تراص أو وحدة زمنية لتاريخ الأحداث من أي نوع. الترابط بينها يكون على القارئ استنباطه من المنطق أو من المحتوى وأقل ما يقال في هذا الصدد ألا تكون من الترتيبات النحوية للكلمات، بعد كل هذا فإن الشاعر تتم إعاقة ليس فقط بالقافية وإنما أيضاً بالصوت. لأهداف الشعر، إن الأحرف الصينية باللغة الصينية كلها يتم ترتيبها وفقاً للصوتين «منبسط» و«حاد»، وهذه تحتل مواقع محددة تماماً مثل التفعيلات الشعرية، والكلمات ذات المقطعين، والتفعيلات، والقياس المتري الموزون كما هو الحال في بناء الشعر اللاتيني. ونتيجة لذلك إن الموقع الطبيعي للكلمات غالباً ما يتم التخلي عنه لأغراض الصوت، وبالتالي جعلها أكثر صعوبة من أي وقت للقارئ أن يفهم معناها. في مقطوعة شعرية من أطوال الأحرف الصينية الخمسة العادية، تظهر هذه الترتيبات الصوتية التالية:-

حاد حاد منبسط منبسط حاد

منبسط منبسط حاد حاد منبسط

منبسط منبسط منبسط حاد حاد

حاد حاد حاد منبسط منبسط

إن التأثير الذي تعمله هذه الأصوات مميز جداً، ويسيطر الإذن وغالباً ما كان يعوض عن أخطاء القافية التي هي ببساطة قافية القصائد الغنائية كما سمعت قبل 2500 سنة، والكثير منها بالطبع لم يعد له قافية البتة. وهكذا، هناك تصنع فيما يتعلق بالمقطوعة في الشعر الصيني كما هو الحال في مقطوعة الكايك⁴¹ اللاتينية. ولكن بين يدي الموهوبين، يتم تخبئة هذه الاصطناعية كلية من خلال الفن، وقيود الصوت والقافية تتغير هيئتها وتبدو أنها أصبحت معاوناً وإضافة، ضرورية للنجاح. وقد نشر العديد من الأعمال لقيادة الطالب في مهمته الصعبة على ما يبدو. أول حكم في واحد منها يبدو شاملاً إلى درجة لا تدع مجالاً لمراجعة

41 الكايك Alcaic تتعلق بكتابة بيت شعري يميزه صعوبة المتغيرات المهيمنة على وحدة الشعر ذات المقطع الطويل والمقطع القصير. المترجم.

أوسع. وقد جاء فيها: «اطرح عنك الشكل العادي، اطرح عنك الأفكار العادية، أطرِح عنك الصياغات العادية، اطرح عنك الكلمات العادية، اطرح عنك القوافي العادية.»

إن القصيدة الطويلة لا تلائم العقل الصيني. لا يوجد شيء مثل الملحمة في اللغة، ومع ذلك يوجد بالطبع عدة قطع تمتد لعدة مئات من الأبيات الشعرية. والإيجاز هو بالفعل روح القصيدة الصينية، التي يتم تثمينها ليس لما تقوله وإنما لما تقترحه. كما في الرسم، كذلك في الاقتراحات الشعرية يكمن الغرض والهدف للفنان الذي في كل حالة يمكن وصفه بالانطباعية. الطول المثالي هو اثنا عشر بيتاً من الشعر، وهذا هو الحد الذي وضع للمرشحين للامتحان العام الكبير في هذه الأيام، والصينيون يعتقدون أنه إن لم يتمكن شاعر من قول ما يريد قوله ضمن هذا الإطار فمن الأفضل أن يتركه جانباً. إن القصيدة من ثمانية أبيات هي أيضاً محببة، وهكذا كذلك، ما لم يكن لصعوبتها، فإن القصيدة القصيرة من أربع أبيات، أو «توقف قصير» وتسمى هكذا بسبب المفاجأة، ولكن كما يشرح النقاد، الكلمات هي التي تتوقف، بينما المعنى لا يزال يمشي،» إنها بعض الأفكار، نطرحها على القراء، إن شكل الشعر الأخير كان مستخدماً في زمن سلالة هان Han، لكنه وصل إلى الكمال في سلالة تانغ Tang. بالرغم من إنه كان يتكون فقط من عشرين أو ثمانية وعشرين كلمة حسب المقياس المستعمل أنه طويل كفاية للشاعر أن يقدم أو يطور أو ينمق أو ينهي موضوعه وفقاً لعدد من القوافين الثابتة في الإنشاء. يعتبر البيت الثالث الأكثر صعوبة لإخراجه، مع عدد من الشعراء يكتبونه أولاً، البيت الأخير يجب أن يتضمن «مفاجأة» أو ما يسمى «إدراك الحبكة الفنية في الرواية. يتم تذكيرنا بالصيغة القديمة التي تقول باللغة اللاتينية «Omne epigramma sit instar apis» والمعروفة بشكل أفضل في صيغتها الإنكليزية:-

«الصفات نادرة في النحلة التي نلتقيها

في الأبرغام⁴² يجب ألا يخسر أبداً

42 القصيدة القصيرة.

الجسد يجب أن يكون صغيراً وحلواً

واللغة يجب أن تبقى في الذنب.»

التالي هو عينة قديمة كتبها كاتب غير معروف لقصيدة من أربع أبيات:-

«القمر المشع يضيء فوقنا

الجدول تحت لمسة النسمة

هي حقيقة فرح خالص وتام،

لكن قلة هم الذين يعتقدون ذلك.»

الآن نبدأ بلائحة تكاد لا تنتهي من الشعراء، لكن سنأخذ منها مختارات قليلة. يمكننا أن نبدأ بـ **وانغ بو Wang Po** (648-676 ميلادية)، ولد نضج مبكراً، قرَضَ الشعر وهو في السادسة من عمره. نال شهادته وهو في السادسة عشرة، ووظف في دائرة التاريخ، لكنه طرد لأنه هجا أمراء الإمبراطورية لميولهم بصراع الديكة. ولكنه شغل نفسه في أوقات فراغه بنظم الشعر الجميل. ولم يكن قد فكر فيه من قبل ولكن بعد تحضيره لكمية من الحبر جاهزة للاستعمال يشرب حتى يشمل فينبطح على وجهه المغطى. وعندما يفيق يأخذ قلمه ويكتب الابيات الشعرية، حيث لم تكن هناك حاجة لتغيير أي كلمة فيها، ومن هنا حاز على لقب «بيللي درافت» ويعني بذلك أن كل مسوداته أو النسخ الأولية كانت كلها ترتب داخله. وكان يحصل على الكثير من هدايا الحرير لكتابة هذه القصائد الغنائية حتى قيل «أنه كان يحيكها بعقله.» الأبيات التالية كتبها بقلمه:-

قرب هذه الجزر/

شيد أمير قصرأ

لكن موسيقاه وأغانيه/

غادرته منذ زمن؛

إن سحب الصباح على التلال/

تكتسح القاعات،
في الليل البرادي الحمراء/
ملفوفة على الحوائط.
الغيم فوق المياه/
ظلالها لا تزال مرمية،
الأمر تتغير مثل النجوم/
كم من خريف مضى
لكن أين هو هذا الأمير؟/
أين هو؟ - لا جواب
باستثناء طرطشة الجدول/
فإنه يتدحرج بلا توقف.

وكان أكثر شهرة منه، مجايله تشن تسو انغ (Chen Tzu Ang 656-698 ميلادية) الذي تبنى نوعاً من الأدوات المثيرة ليجلب لنفسه انتباه الجمهور. اشترى قيثاراً غالي الثمن جداً الذي كان دائماً معروضاً للبيع وأعلن أنه في اليوم التالي سيقدم عليه عرضاً للجمهور. هذا استدعى جمهوراً غفيراً؛ ولكن عندما وصل تشن **Chen** أبلغ مستمعيه إن في جيبه شيئاً ما تبلغ قيمته أكثر بكثير من القيثار. وبناء عليه كسر الآلة الموسيقية إلى آلاف القطع وبدأ فوراً يوزع نسخاً من كتاباته. أدناه توجد عينة موجهة ضد عبادة البوذيين للأصنام و«النبى» يمثل أي معلم موحى إليه من المدرسة الكونفوشيوسية:-

«على الذات، لا يضع النبى عينيه عليها
مهمته أن يخفف هلاك البشرية،
لا قصور خرافية أبعد من السماء،

المكافآت التي ستأتي، هي حاضرة في مخيلته.
وقد سمعت أن الإيمان يدرّسه بوذا
يمتدح لأنه خالص وحر من الوصمة الدنيوية،
لماذا إذاً هذه الاصنام المحفورة والمنحوتة، المليئة
بالذهب والفضة، بالجواهر واليُشب والصور الملونة؟
السماء التي تشكل قبة لهذه الأرض والجبال والوديان،
كل ما هو عظيم وفخم سيختفي،
وإذا كان نوع الآلهة لا يستقيم،
هل العمل الفقير للإنسان سيهرب من التعفن؟
مجانيين أنتم! في الضوء الحقيق
إن الإيمان الحقيقي يزوي ويذهب بعيداً عن النظر.»

كموظف حصل مرة تشن تسو **Chen Tzu Ang** أنغ على سمعة عظيمة من
قبل قرار سليمان حقيقي. إنسان بعد قتله لقاتل أبيه، أدين هو شخصياً بجريمة
قتل. تشن تسو أنغ تسبب في تعرضه للقتل، ولكن في الوقت نفسه منح قريته
امتياز شرف لأنها أنتجت هكذا ابناً باراً.

ليس الكثير معروف عن **سونغ تشين ون Sung Chin Wen** (توفي عام 710
ميلادية)، وعلى أي حال ذاك لصالحه، في إحدى المناسبات، سر الإمبراطور سروراً
عظيماً من بعض أبياته ما كان منه إلا أن خلع الروب الإمبراطوري ووضعه على
كتفي الشاعر. التالية إحدى قصائده:-

«إن غبائر الصباح

أزاحها وابل من المطر

والشجرات إلى جانب الجسر

غطيت كلها بالزهور،
وعند مرور الحصان الأبيض
عليه سرج من الذهب،
وعليه سيدة جميلة
كأجمل جنية من الماضي.

إلا أنها غطت بكياسة
جمالها عن عيوني
حتى أن الولد الذي معها
شعر بذلك من تنهداتي،
بالرغم من أنني لا أقع في الحب فوراً
أفترض ذلك
كان من الصعب أن تمر هذه الرؤيا
مثل الحلم.»

منغ هاو جان Meng Hao Jan (689-740 ميلادية) لم يعط أي إشارة في صباه عن العبقرى الذي كان نائماً في داخله. رسب في الامتحانات العامة واستقال واعتكف في الجبال. بعدها أصبح شاعراً من الطراز الأول، وكتاباتة كان يبحث عنها باشتياق. في سن الأربعين صعد إلى العاصمة، وكان في يوم من الأيام يتحدث مع مجايله المشهور، **وانغ وي Wang Wei**، وفجأة أعلن عن قدوم الإمبراطور. اختبأ وراء الأريكة، لكن **وانغ وي** كشف مكانه، وكانت النتيجة أنه أجرى مقابلة جميلة مع جلالته. التالي هو عينة من نظمه:-

«الشمس غابت وراء المنحدر الغربي،

والقمر الشرقي يعكس حاله في البركة،
بالشعر المتدلي أفتح بلكونتي،
وأمدد أطرافي لأتمتع بالبرودة.
معباً برائحة اللوتس، النسيم يمر
النقاط التي تتساقط بوضوح من البامبو العالية اسمعها،
واحقق بوعودي البطالة واتنهد،
يا للأسف، لا توجد أي روح متعاطفة بالقرب،
وهكذا أنام نوماً خفيفاً، وكان الوقت كله أمام ناظري
أصدقائي الأعراء من أيام آخر انهضوا بأشكال تلبس الحلم.»

كان وانغ واي Wang Wei (699-759 ميلادية) مشهوراً بالقدر نفسه كشاعر وطبيب. بعد فترة قصيرة من الخدمة الرسمية، هو أيضاً استقال وذهب واعتزل وأشغل نفسه بالشعر وبتعازي البوذية التي كان هو يؤمن بها بثبات وابتائه الشعرية التي ودع فيها مينغ هاو Jan Meng Hao عندما كان الأخير يبحث عن ملجأ في الجبال، كانت كالتالي:-

«ترجل، بسبب النبيذ
وقد قلنا آخر قول لنا؛
ثم همست، يا صديقي العزيز،
أخبرني من هنا إلى أين؟
فأجابني، يا للأسف
فانا سئمت أمراض الحياة،
وأتشوق إلى الراحة

في التلال النائمة.

آه، لكن لا تحاول أن تخزُ

حيث تأخذني قدماي:

إن الغيوم البيض ستبرد الأُم

دوماً وأبداً.»

إن «التوقف القصير» المرافقة من قبل الكاتب نفسه عادة تعطي الانطباع إنها تتضمن مفاجأة جادة في البيت الأخير:-

«تحت حديقة البامبو، لوحدي

أمسك عودي وأجلس أدندن،

لا أذن غيري لتسمعي سوى أذني

لا عين لتراني- سوى القمر.»

تم اتهام وانغ واي Wang Wei بالكتابة المنحلة وبالصور الإباحية. وقد دافع عنه ناقد صديق كالتالي:- «على سبيل المثال، هناك وانغ واي Wang Wei الذي يقدم الموز في عاصفة ثلجية. لكن عندما نأتي لفحص نقاط كهذه على ضوء العلمية فإننا نرى أن عقله قد انتقل إلى العلاقة الذاتية للأشياء التي يصفها. الخرقاء يقولون أنه لا يستطيع التفريق بين الحرارة والبرودة.»

شاعر ماهر وسكير من شرب النبيذ، ومقامر حتى الثمالة كان تسوي هاو Tsui Hao الذي تخرج عام 730 ميلادية. كتب قصيدة شعرية عن باغودا الكركي الأصفر التي حتى فترة قصيرة كانت قائمة على ضفة نهر اليانغ تسه Yang Tse قرب هان كو Han Kow، وكانت قد أقيمت لتدل على المكان الذي صعد منه وانغ تسو تشياو Wang Tzu Chiao الذي حصل على الخلود، إلى السماء في وضح النهار ستة قرون قبل العصر المسيحي. إن لي بو Li Po العظيم فكر مرة أن يكتب في الموضوع، لكنه تخلى عن الفكرة حاملاً قرأ الابيات الشعرية التالية من قبل تسوي

هاو Tsui Hao :-

هنا أبحر مرة إنسان
إلى السماء ممتطياً كركي
وكيوسك الكركي الأصفر
سابقى دائماً إلى الأبد،
لكن الطائر طار بعيداً
ولن يأتي بعد ذلك،
بالرغم من أن الغيم الأبيض هناك
مثل الغيم الأبيض من الأمس البعيد
هيا إلى الشرق
تقع غابة الشجر الجميلة،
من الزهور إلى الغرب
يأتي نسيم يحمل رائحة،
إلا أن عيني تدور يومياً
إلى بيتها البعيد جداً،
أبعد من النهر الجارف
في موجه وفي زبده.»

بالتوافق العام، لي بو Li Po نفسه (705 - 762 ميلادية) سيسمى نفسه باسم أعظم شاعر صيني. إن حياته البوهيمية المتوحشة، وفرحه، ومسلكه الماغن في البلاط ونفيه ونهايته المأساوية، تشترك جميعها لتشكّل أكثر لوحة فعالة لقريظ رائع من الشعر الذي لم يتوقف هو لحظة عن سكبه إلى الخارج، في سن العاشرة

كتب «توقف قصير» لـحُباح⁴³.

«المطر لا يستطيع أن يطفئ ضوء فانوسك،

الريح يجعله يضيء أكثر لمعاناً،

آه، لماذا لا تطيرين إلى السماء البعيدة،

وتتلاً لأين قرب القمر - نجمة؟»

بدأ لي بو Li Po تجواله في البلاد حتى، بعد مدة طويلة، مع خمسة شعراء آخرين مخمورين، تقاعد منعزلاً في الجبال. وبقي أولئك الستة متسكعين من بستان البامبو إلى حين، يشربون ويقرطون الشعر حسبما تمليه قلوبهم، تدريجياً وصل لي بو العاصمة، وعلى ضوء جزالة شعره، تم تقديمه إلى الإمبراطور «كملاك منفي» وقد استقبل بأذرع مفتوحة وسرعان ما أصبح الطفل المدلل للقصر، في إحدى المرات، عندما استدعاه الإمبراطور وجدوه ملقى على الأرض في الشارع سكران، ونقل بعد أن تم مسح وجهه بالماء البارد حتى أصبح مهيناً للتواجد الإمبراطوري. إلا أن موهبته لم تخذه. مع سيدة من سراي الحريم تحمل له لوح الحبر، كتب بسرعة بعضاً من أشهر أبياته الجياشة، وقد تأثر الإمبراطور أيما تأثر فأجبر الخصي القوي كاو لي شيه Kao Li Shih، أن يركع على ركبتيه وينزع حذاء الشاعر الطويل. وفي مناسبة أخرى، كان الإمبراطور يلهو مع سيدتين مفضلتين عنده في باحة القصر، فطلب من لي بو Li Po أن يأتي ويسجل المنظر شعراً. بعد تأخير وصل الشاعر، يتعزز على اثنين من الخصي. فقال لي بو ارجو جلالتكم العفو، كنت أشرب مع الأمير وهو الذي جعلني أسكر، إلا أنني سأقوم بما عندي من قوة. إثر ذلك حضرت سيدتان من الحريم ووضعنا أمامه شاشة من الحرير وردية، وبوقت قصير جداً كتب ما لا يقل عن عشر مقطوعات من ثمانية أبيات، وهذه واحدة منها يصف فيها حياة محظية في القصر ويقول:-

«آه كيف يصرف لهو الشباب

43 أي ذباب يضيء في الليل / المترجم.

في قاعة مطعنة بالذهب،
في فسطاط زهرة الكريب،
أجملها كلها
خصلة شعري كغطاء للرأس
مككل بطوق جلدي بهيج
زهور القرنفل مرتبة
في أعلى جاكيتتي وفي تنورتي
ثم نتجول بعيداً
في الأجواء العطرة
ونعود ونحن إلى جانب
كرسي جلالته...
لكن الرقص والأغاني
ستنتهي تدريجياً،
وسوف نكون مبهمين
مثل السحاب في السماء

مع مرور الوقت، وقع لي بو ضحية الدسائس، وترك البلاط مهاناً. عندها كتب-

«إن شعري المبيض سيعمل حبلاً طويلاً، طويلاً،

لكنه لن يستطيع فهم كل أعماق حزني.»

بعد كثير من التجوال وكثير من المغامرات غرق في إحدى الرحلات عندما ثنى جسده في ليلة من الليالي من فوق حافة القارب في محاولة مخمورة لاحتضان انعكاس القمر. وكان لتوه قد كتب هذه الأبيات:-

«عريشة زهور
وعاء خزفي للبيد:
للأسف! في التعريشة
لا رفيق لي.
عندما يرسل القمر أشعته
على كأسِي وعليّ،
وعلى ظلي، يفضحني
لأننا مجموعة من ثلاثة.

مع أن القمر لا يستطيع أن يبلع
حصته من المشروب،
وظلي يجب أن يتبعني
أينما أجري،-
مع ذلك فإني سوف أستعير صداقتهم
وعربدتهم المرحة،
وأبعد الحزن بالضحك
بينما الربيع يسمح بذلك،

«انظري إلى القمر- كيف ينظر
إلى ردود الفعل على أغنيتي،
انظري إلى ظلي - إنه يرقص

بخفة كبيرة:

عندما أكون صاحباً أشعر

أنكما صديقاى العزیزان،

عندما أسكر أدور،

رفقتنا تنتهي.

ولكن سرعان ما سيكون عندنا تحيات

دون مع السلامة،

في اجتماعنا المفرح القادم

في السماء البعيدة.»

إن تحكمه في «التوقف القصير» يعتبر مثالياً:-

1. «الطيور عادت طائرة إلى مجثمها على الشجرة،

الغيمة الأخيرة قد مرت كسولة،

إلا أننا لا نتعب أبداً من بعضنا البعض، ليس نحن،

كما نجلس مع بعضنا البعض:-الجمال وأنا.»

2. «استيقظ، واشعة القمر تتلألأ حول سريري،

تلمع مثل الصقيع لعيني الجوالتين،

إلى الأعلى باتجاه القمر المهيب أرفع رأسي

تم اضطجع - فتستيقظ في أفكار البيت.»

التالية هي مقتطفات:-

أ. الفراق

1. «النهر يمشي بصفاء واضح مثل السماء،
يندمج بعيداً مع أمواج المحيط الزرقاء،
الإنسان وحده، عندما تقترب ساعة المغادرة
يمكنه بكأس من النبيذ أن يلطف عواطفه.
«إن طيور الوادي تغني بصوت عال في الشمس،
حيث قردة الغيبون سيحتفظون عما قريب بيقظتهم
كنت أعتقد أنني انتهيت منذ زمن بعيد من الدموع،
لكن الآن لن أتوقف أبداً عن البكاء.»
2. «إلى البيت عند الغسق ترن أصوات الغربان
تفرد أجنحتها لتشوقها للطيران،
عندئذ، تدرش على الأغصان
الجميع يقومون بالتزاوج خلال الليل.
تلعب على منوالها المشغول، تجلس
سيدة من عائلة رقيقة بالقرب
ومن خلال شاشة النافذة الحريرية
تصل أصواتهن إلى مسامعها
تتوقف، وتفكر بالزوج الغائب
الذي قد لا تراه أبداً؛
وفي ساعات الوحدة المتأخرة من الليل
تنسكب دموعها مثل المطر.»
3. «ما هي الحياة إذن سوى حلم؟

ولماذا يجب عمل جلبة حوله؟
أفترض أنه من الأفضل أن تكون نشوانا
وأن تغفو طول النهار في الظل
«وعندما استيقظ وأنظر إلى الحديقة
أسمع في وسط الزهور طائراً يغني؛
أسأله، «هل هو الماء أو الفجر؟
إن طائر المانجو يصفر لي، «إنه الربيع؛
«مغلوب من هذا المنظر الأخاذ
أسكب كاساً آخر بالكامل
وأغني حتى يشع القمر بوضوح
ولكن سرعان ما أسكر كالسابق.»

4. «أنت تسأل ماذا تعمل روحي هناك في السماء؟

أنا أبتسم من الداخل لكن لا أستطيع أن أجيبك؛
مثل نواراة الخوخ التي يحملها الجدول،
أنا أحلق في عالم لا تستطيع أن تحلم به.»

يمكن أن تعطي مقتطفاً آخر بالأساس لاستعراض ما هو الذي يحتفظ به الصينيون
ليكون الجوهر الخالص للشاعرية الحقيقية،- الاقتراح. على الشاعر أن لا ينقط
كلماته القارئ الصيني يحب أن يفعل ذلك بنفسه، كل حسب مبتغاه، وبذلك مثل
هذا الشعر الموجود أدناه، غالباً ما يقتبس كنموذج بيته الشعري الخاص به:-

«أرى سلحفاة

على زهرة اللوتس يرتاح

طائر وسط الخيزان
والسرعة في التفریح،
قارب صغير خفيف يندفع
من قبل ابنة البحار الجميلة،
أغنية من تخبو بسرعة
قبل المياه المتدفقة سريعاً.

شاعر آخر من الفترة نفسها من الذين يفخر بهم أبناء وطنه عن حق هو تو فو Tu Fu (712-770 ميلادية)، وأخفق في تمييز نفسه في الامتحانات العامة الذي يعد فيها قرض الشعر قرصاً عالي المقام، ولكنه بالرغم من ذلك كان لديه تقييم عالٍ لشعره هو حتى أنه وصفه وصفة علاجية لحرارة الملاريا. وحصل أخيراً على منصب في المحكمة اضطر لتركه في تمرد 755، خاصة أنه القائل في حكاية رمزية سياسية التالي:-

«ممتلئ بسيل الربيع فإن السيل يندفع

والمعدية تتأرجح كسولة لأن النوتي قد غادر.»

وبعد محاولات فاشلة للحصول على منصب رسمي، أخذ يتعود على حياة التجوال، الذي كاد أن يغرقه بالطمي، وأجبر أن يعيش لمدة عشرة أيام على الجذور. وبعد أن تم إنقاذه، انصاع في اليوم التالي إلى تأثير أكل اللحم المحمر وشرب النبيذ الأبيض لدرجة الإسراف بعد الصيام الطويل هذا. هنا بعض من قصائده:-

1. «الشمس الغاربة تلمع بانخفاض على باي

قبل أن يلف الغسق النهر يحد به الربيع،

روائح جميلة تتصاعد من الحدائق الواقعة على الساحل،

يدخون السمك، حيث الأطقم ترسي قواربها

«الآن الطيور الممزقة تجثم في التعريشة
والحشرات الطائرة تملأ الجو حولنا. ...
«آه، أيها النيذ من أعطاك سلطتك البارعة؟
آلاف الملاحظات تغرق في كأس صغير!»
2. «تقع البتلة:- الربيع يبدأ بالخذلان

وقلبي يحزن مع اشتداد الريح
تعال إذاً، قبل أن يبعثر الخريف غنائه على الأرض،
لا تنسى أن تمرر على الجميع كأس النيذ.
طائر الرفراف يبني حيث ضحك الإنسان جذلاً،
والآن التين الحجري يحرس بوابة مقبرته،
من يتبع الانبساط، وحده الحكيم
لماذا نضيع حياتنا بأعمال بطولية؟»

3. «بيتي يطوقه جدول صافٍ،
وهناك في أيام الصيف حركات الحياة تتوقف،
باستثناء بعض السنونو التي ترفرف من غضن إلى غضن،
والنورس البري يقترب رويداً رويداً.
«الزوجة الجيدة تضع القوانين للعبة الشطرنج
والأطفال يصنعون سنارة من السلك،
أوجاعي تستدعي رياضة جسدية
وماذا بعد سيطلبه إطاري هذا؟»
4. «وحدي أتجول في التلال

لأجد عرين الناسك
بينما صوت تقطيع الشجر سمع عن بعد
من وادي الغابة الكثيف،
مررت على الثلج قرب الينبوع،
الذي لم يتوقف عن التجمد،
كما أشعة بعد الظهر المائلة
تنطلق متلألأة من خلال الشجر
«وجدت أنه يستمتع بالتحديق
على الثراء الكريه في الليل،
لكن بعيداً، عن الوهم، فإن مشاهدة الغزال
على أنوار الصبح الذهبية. ...
كان عقلي واضحاً بالنسبة للمجيء،
أما الآن فقدت دليلي،
حائر أنا، فإن قاري
يمخر عباب التيار!»

5. «من ساحة الدار كل ليلة أمر لأذهب إلى محل الرهونات،

وأعود من النهر أكثر الناس سكرًا
كم من مرة كنت مديوناً لكاسي،-
حسنًا، قليلون من يعيشون حتى الستين وفوقها عشرة،
الفراشة تطير من زهرة إلى زهرة،
واليعسوب يرشف وينط بعيداً بخفة،

كل مخلوق مبسوط في ساعته القصيرة والصغيرة،
لذلك دعونا نستمتع بحياتنا القصيرة طالما يسمح لنا.
أدناه عينة من مهارته مع «توقف قصير»، القائمة على مرض مألوف لدى جميع
الصينيين، كانوا شعراء أم غير ذلك، النوستالجيا أو الحنين:-
تشرق بياضاً النوارس عبر التيار المعتم
على التلال الخضراء تبدو الزهور الحمراء تحترق،
وأنا أرى أن ربيعاً آخر قد مات...
متى سيأتي-يوم عودتي؟»

قليل ما نعرفه عن الشاعر تشانغ تشيان **Chang Chien**. تخرج سنة 727،
وأعطي منصباً رسمياً، لكنه في النهاية ذهب إلى الجبال وعاش كناسك، ويقال أنه
كان من أتباع الطاوية. إلا أن القصيدة التالية التي تعالج الديانا **Dhyana**، تضعه
في حالة الذهول العقلائي التي يجري فيها هز كل أنواع الرغبة في الوجود تجعله
ليبدو ذا اتجاه بوذي. إنها تقدم صورة كاملة، مثلما نسمع به عن المعزل البوذي
الذي غالباً ما يوجد على قمم الجبال في الصين كلها، ويزور الحجاج الذين يمارسون
التمارين الدينية أو يقومون بتسديد النذور عند قدمي العالم المبجل، ومن قبل
الطلاب المتأملين، الحريصين على هز «الغبرة الحمراء» للشؤون البليدة والمضجرة.

«الفجر الواضح يحبو إلى الدير القديم
الشمس المشرقة تضع الذهب على الشجر الطويل،
على نحو مظلم، وممسار متعرج أصل إلى
قاعة ديانا المخبأة في شجر التنوب والزان،
في هذه التلال، الطيور الحلوة تنعم بالسعادة
قلب الإنسان فارغ من الظلال كهذه البحيرة،

هنا يتم إسكات الأصوات الدنيوية كأنها مسحورة،

باستثناء أزهار جرس المذبح.»

لا يوجد أدنى شك بتأثير البوذية على الشاعر تسن تسان Tsen Tsan الذي تخرج عام 750، انظر أبياته حول هذا الإيمان:-

«مكان مقدس مغاراته مخبأة بعيداً على طول منطقة الغيوم:

أمطي (حصاني) وأمشي جنباً إلى جنب مع الشمس.

الجو واضح، أشاهد الغابات الواسعة تنتشر

ومرتفعات يكللها السديم حيث ينام الملوك القدماء أمواتاً

بصعوبة فوق العتبة تسترق النظر التلال الجنوبية؛

نهر «واي Wei» يتقلص من خلال شبكي إلى جدول. ...

إيها الإيمان النقي، لو كنت أعرف مجالك،

الإله المذهب⁴⁴ لكان منذ زمن أملي!»

حصل وانغ تشيان Wang Chien في عام 775 على أعلى شهادة وارتقى ليصبح حاكماً لمقاطعة. وحصل أن أهان أحد أفراد العائلة الإمبراطورية، والتي طرد على إثرها وانتهى منصبه الرسمي. كتب عدداً وفيراً من القصائد وكان على علاقة حميمة مع عدد من الشعراء المجايدين له. في الأبيات التالية، التي يشكل البحر فيها بحراً غير موزون، يشير إلى قضية استثنائية عن زوجة جندي قضت معظم وقتها على قمة التل تنظر إلى أسفل إلى نهر اليانغ تسي Yang Tsze تنتظر عودة زوجها من الحروب، تقول:-

«أين زوجها الذي تبحث عنه،

إلى جانب الدرب الطويل بمحاذاة النهر،

44 ترمز إلى الصورة المذهبة الضخمة لبوذا التي نراها في المعابد البوذية.

ومن الحجر قد جبلت،
ولا يمكنها العودة أبداً،
في وسط الرياح وعاصفة المطر أبداً وأبداً.
إنها تروق لكل عائد للبيت يمر من هناك.»

البيت الأخير يجعل الشكل الحجري، الذي تحولت له المرأة التعيسة يطلب على ما يبدو من كل عائد لتوه أخباراً عن الرجل المفقود، تلك هي مهارة الفنان في نسج لا ينفصل عن الشخصية الأصلية.

نمر على عدد كبير من الشعراء، مشهورين جداً، مع بعض أولئك الذين ثم ذكرهم، نصل إلى اسم لا شك أنه أحد الأسماء المبهجة من بين كل هؤلاء المقترنين بطريقة أو بأخرى بالحجم الهائل للأدب الصيني. هان أو Han Yu (768-824 ميلادية) قد تم تطويبه وعادة يتم الحديث عنه على أنه هان ون كونغ Han Wen Kung لم يكن فقط شاعراً وإنما رجل دولة من الطراز الأول وفيلسوفاً. وقد ارتقى من أوضاع الناس إلى أعلى مراتب الدولة، في 803 قدم مذكرة يحتج فيها على بعض مظاهر التكريم التي اقترح الإمبراطور هسيان تسونغ Hsien Tsung استقبال عظمة واحدة من بوذا.

استشاط الملك غضباً ولولا تدخلات الأصدقاء لما كانت مرت بسلام للكاتب الجريء. وكما حدث أنه بالفعل نفي إلى تشياو تشو فو Chiao Chou Fu في كوان دونغ حيث كرس نفسه لتمدين السكان الغليظين من تلك الأجزاء البدائية. في المعبد على قمة السلسلة المجاورة يمكن رؤية صورة كبيرة، حتى في هذه الأيام لأمير الأدب كما كان يسميه الأجانب منذ تطويبه مع الأسطورة التالية ملصقة بها: «أينما مر، طهر.» وقيل عنه أيضاً أنه طرد تمساحاً ضخماً كان يخرب قنوات الأحياء، ويإنذار نهائي تهديدي وجهه إلى الحيوان ورماه في النهر، مع خنزير وعنزة، لا زال يعتبر نموذجاً للإنشاء الصيني، لم يمر وقت طويل حتى تم استدعاؤه إلى العاصمة، وثبت في منصبه، لكنه كان حساساً كل حياته وكبر في السن قبل مواعده، فلم يكن

بإمكانه أن يقاوم مرضاً عضالاً انقض عليه. وقال صديقه ومجايله **ليو تسونغ يوان Liu Tsung Yuan** لم يخاطر أبداً بفتح أعمال **هان أو Han Yu** قبل أن يغسل يديه أولاً بماء الورد.

إن كتاباته وخاصة مقالاته عادة ما تكون من الطراز الأول. ولا يترك شيئاً لمشتهٍ إما بالأصالة أو بالأسلوب. ولكن فوق هذه جميعاً لشخصيته الرفيعة والنبيلة، ولوطنيته الهادئة والمبجلة لا يزال الصينيون يحتفظون بذكره حية.

الآيات التالية كتبها **سو تونغ بو Su Tung po** بعد ثلاثمائة عام على وفاته لتوضع على المعبد الذي تم بناؤه للتو تكريماً للأستاذ المتوفى من أهالي **تشيوا تشو** **فو Chiao -Chou- Fu**:-

«امتطى التنين إلى منطقة الغيم الأبيض،

ومسك بيديه مجد السماء

وارتدى الروب ملفوفاً بالنجوم

الرياح حملته برفق إلى عرش الرب.

كنس القشر وهشيم جيله

وتنقل على حدود الأرض.

وألبس الطبيعة كلها بعيونه الثاقبة، الثالث في ثلاثية النبوغ.⁴⁵

غرماؤه، أخذوا يلهثون وراءه سدى.

مبهورين من لمعان الضوء.

شتم بوذا أهان أميره،

وسافر بعيداً إلى الجنوب البعيد،

ومر بقبر **شون Shun**، وبكى على بنات **ياو Yao**.

45 الاثنان الآخرا هما لي بو وتو فو.

إله الماء ذهب أمامه وهذا الموج.
وطرد الحيوان المتوحش العظيم وكأنه حمل،
ولكن في العلى في السماء، لا توجد موسيقى، وكان الله حزينا،
واستدعاه إلى مكانه بالقرب من عرشه،
أما الآن بهذه التضحيات القليلة، أحبيه،
بالليتشي الحمراء وبفاكهة الموز الصفراء.
للأسف، أنه لم يتمكن من التخلف قليلاً على الأرض
لقد مر مبكراً، بشعره المنسول، إلى المجهول العظيم.»

كتب هان أو Han Yu كثيراً من الشعر، غالباً ما يكون للمداعبة في
موضوعات متنوعة كثيرة، وبلغت يتغير العادي إلى ظرافة. بين القطع الأخرى،
هناك واحدة عن أسنانه، التي أخذت تتساقط على فترات متساوية مما جعله
يحسب تقريباً المدى القمري المتبقي له في هذه الحياة مع أن شعره لا يمكن
تصنيفه كصاحب المقام الأول، على عكس كتابته النثرية، حيث سنعطي في
الفصل القادم مقتطفات منها، القصيدة التالية هي من العيار الخفيف:-

«حتى تقف على ضفة النهر

وتتمكن من صيد السمك الأرجواني

شبكتي رميتها جيداً على عرض الجدول

كان هذا كل ما أتمناه

أو أختبئ واقتل الإوزة

التي تصيح وتمر بسرعة،

وأدفع أجرتي والضرائب

بريع المطاردة،

تم أنطلق إلى البيت إلى السلام والسرور،
وبزوجتي وأطفالي المبتهجين
مع أن الثياب خشنة وأجرة النقل قد تكون قاسية
وأحصل عليها يوماً بعد يوم.
أما الآن فأنا أقرأ وأقرأ، وقليلاً ما أعلم،
عن ماذا تحكي،
وحريص أن أحسن عقلي
وأجهد نفسي.
أرسم حية وأعطيها أرجل
لأجد أنني أضعت المهارة،
وشعري يصبح أبيض يوماً
كلما أسرعت إلى التلة⁴⁶
أحبس بين أحزاني
التي جلبتها لنفسي،
وأجد نفسي غريباً عن الجميع،
بين الأموات الأحياء
وأسعى إلى غرق ضميري
بالنبيذ، وللأسف سدى:
النسيان يمر سريعاً
وحسرتي تبدأ من جديد،

46 يفضل وضع القبور على منحدر التلة.

يحضر كبر السن، ولكنه يوقف

الاستدعاء للمغادرة. ...

وهكذا أخذ كأساً وفيراً

حتى أخفف عن أوجاع قلبي.»

إن المعاملة الإنسانية للحيوانات الأقل لا تعتبر عادة جزءاً من شخصية الصيني، لا يوجد عندهم جمعية لمنع القساوة عن الحيوانات، وهو مما قد يحسب مأخذاً في هذا الاتجاه، كان هان أو Han Yu فوق كل شيء ذو طبيعة إنسانية طبيعية، ومع أن القطعة التالية لا يمكن أخذها على محمل الجد، إلا أنها توفر مؤشراً نافعاً لمشاعره العامة:-

«آه استبقي ذبابة الصباح المشغولة،

استبقي ناموسة الليل!

وإذا ما لعبوا بشغلهم الخسيس،

دع حاجزاً يوقف هروبهم،

«إن دورتهم قصيرة من الميلاد حتى الموت،

مثلك، إنهم يمضون الوقت،

وبعد ذلك، مع أول نفس للخريف،

مثلك تماماً يتم كنسهم.»

الآيات التالية كتبت على الطريق إلى مكان منفاه في كوانغ تونغ Kuang Tung :-

«للأسف، ذباب أول الفصل،

انظروا إلى مخلفات الربيع!

إن قاربي موجود في أرض مغلقة،
عند الفجر أسمع الطيور البرية تغني.

«ثم من خلال الغيم المتأخر على المنحدر،

الشمس المشرقة تقطع علي

وتثيرني بآمال هاربة

السجين يتوق للحرية

«إن دموعي المدرارة قد ماتت منذ فترة طويلة،

مع أن الاهتمام يبدو أقرب منها

لكن توقف! كل الاهتمام تنحيه جانباً

عندما يغلقون للمرة الأخيرة غطاء التابوت.»

شاعر مشهور آخر، يستحق الذكر، حتى بعد هان أو Han Yu، هو بو تشو أي Po Chu -I (772-846). كطفل كان ناضجاً جداً، يعرف عدداً معتبراً من الأحرف الصينية المكتوبة في عمره المبكر من سبعة أشهر بعد أن قامت مربيته بالإشارة إلى الحرف فقط مرة واحدة، تخرج بعمر السابعة عشرة وارتقى إلى منصب عالٍ في الدولة، مع أنه في فترة ما من حياته نفي إلى موقع ثانوي الأمر الذي اقرفه الحياة الرسمية. حتى يسلي نفسه بنى معتزلاً في هسيانغ شان Hsian Shan، الذي أصبح ينادى به في بعض الأحيان؛ وهناك مع ثمانية رفاق اجتماعيين، كرس نفسه للشعر وللتأمل في الحياة القادمة. ولينجو من التعرف عليه والإزعاج، أسقطت جميع الأسماء، وكانت المجموعة معروفة بشكل عام باسم السادة الكبار التسعة من هسيانغ شان Nine Old Gentlmen of Hsiang Shan ، عندما وصل هذا الخبر إلى مسامع الإمبراطور، تم نقله ليصبح حاكم تشونغ تشو Chung Chou، وبمناسبة ارتقاء مو تسونغ Mu Tsung العرش في 821 أرسل كحاكم لهانغ

تشو Hang Chou. فبنى هناك واحدة من أفخم محطات الركوب على البحيرة الغربية الجميلة، ولا تزال تعرف باسمه محطة بو للركوب، وأصبح لاحقاً حاكم سو تشو Soo Chow، وارتقى أخيراً في 841 إلى منصب رئيس مجلس الحرب. جمعت أشعاره بأمر امبراطوري وحفرت على ألواح من الحجر، ووضعت جميعها في حديقة كان أنشأها لنفسه على مثال معتزله السابق المحبوب لديه في هسيانغ شان Hsiang Shan لم يؤمن بأصالة طاو ته تشينغ Tao Te Ching، واستهزأ من ادعائها غير المعقول كالتالي:-

«من يعرف لا يتكلم، ومن يتكلم لا يعرف»

هي كلمات من تعاليم لاو تسو Lao Tzu،

ماذا بعد ذلك يحل بخمسة

آلاف كلمة أو أكثر من كلمات لاو تسو؟»

توجد هناك قصيدة أسرة بقلمه تحكي قصة أحزان البنت الفقيرة التي تعزف على العود، هذه القصيدة صنفها الناقد لين هسي تشونغ Lin Hsi Chung بالرفيعة، الذي بين كيف أن كلماتها اقتبست على نحو رائع لتردد المعنى ويعلن أن مثل هذه المهارة ترنقي بالقارئ إلى تلك المرحلة من النشوة الذهنية المعروفة لدى البوذيين بـ سامادي Samadhi، التي يمكن إنتاجها مرة في كل ألف خريف، «الضيف» هو الشاعر نفسه، منطلقاً للمرة الثانية إلى مكان نفيه، كما ذكر أعلاه، ومن منتصف الطريق إلى هناك ضربه المرض:-

«بالليل، على ضفة النهر، قيلت كلمات الوداع؛ وتحت الأوراق التي تشبه أوراق شجر القيقب، تزهو في وسط التعفن الخريفي. ترحل المضيف ليستعجل الضيوف المودعين الذي سعدوا إلى مركبة. ثم دار عليهم كأس النبيذ للوداع، لكن لا يوجد عود أو غيتار وهكذا قبل أن يتدفأ القلب بالنبيذ أتت كلمات لوداع بارد تحت القمر المضيء الذي يلمع فوق النهر العريض. ... عندما صدح فجأة، عبر النهر، عود، نسي المضيف أن يذهب، وتباطأ الضيوف، مستغربين من أين تأتي الموسيقى

ومتسائلين من يكون العازف. على هذه كل شيء سكت، لكن لا جواب. اقترب قارب ودعى الموسيقيين أن ينضموا إلى الحفلة، أعيد ملؤ الكاسات، المصايح سُذبت ووجدت التحضيرات للاحتفال، وبعد فترة، بعد ضغوط كبيرة، تقدمت إلى الأمام، مخبئة ووجهها خلف عودها؛ مرتين أو ثلاثة ضربت على الأوتار، مما أظهر عواطف قبل أن تبدأ تغني أغنياتها. ثم كل نغمة ضربتها كانت مفعمة بالعاطفة العميقة والقوية، كما لو كانت تقص قصة حياة محطمة ولا أمل لها، وبرأس مُنحني وأصابع سريعة سكبت روحها في اللحن. مرة بنعومة ومرة ببطء، إن الريشة التي تعزف بها تذهب جيئة وذهاباً، ثم في هذا الجو أو ذاك وبصوت مرتفع يتحطم المطر المنهمر، وبنعومة كهمس الكلمات الهامسة، مرة عالية، مرة ناعمة مثل ثرثرة اللؤلؤ وحببات اللؤلؤ الصغيرة تقع على صحن من المرمر. أو سائل، مثل شذو طائر المنغو في البرية، أو كدلف مثل الساقية في مسارها إلى الأسفل، وبعد ذلك مثل سيل جارف أوقف بقبضة من الصقيع، وهكذا، لهنهية، أسكتت الموسيقى بإحساس أعمق من الصوت. بعد ذلك كما الماء يتدفق من المزهرية المكسورة، كما اشتبكت الأيدي على الفارس المدرع، هكذا وقعت ريشة العزف مرة أخرى على الأوتار كشق مثل قطعة حرير.

حل السكون على جميع الأطراف، ولا صوت حرك الأجواء، قمر الخريف أضاء بانحراف فضته على التيار كما مع تنهدات الموسيقى عندما أودعت ريشة العزف تحت الأوتار واستعدت بهدوء للمغادرة. «طفولتي»، قالت «أمضيتها في العاصمة، في بيتي قرب التلال. في سن الثالثة عشرة تعلمت العزف على الغيتار واسمي علق مع الأوائل في ذلك الوقت، المايسترو نفسه اعترف بمهارتي: أكثر النساء جمالاً كانت تحسد وجهي الصبوح. شباب الحي كانوا يتسابقون على إظهار الاحترام لي: لا أدري كم جلبت لي أغنية واحدة من الرزم المربوطة الثمينة. حلي ذهبية، ودبابيس فضيه حطمت، وتنانير حريرية حمراء من لون الدم لطخت بالنبيذ، في معظم الأوقات تردد صدى التصفيق، وهكذا من سنة إلى أخرى بينما كان نسيم الربيع وقمر الخريف يمران على رأسي المستهتر.

«ثم ذهب أخي إلى الحرب، وأمي توفيت، مرت الليالي وأنت آفات الصباح،

ومعها بدأ جمالي يبهت، ولم تعد هناك حشود أمام أبوابي، عدد من الفرسان بقي، ولذلك اتخذت زوجاً، وأصبحت امرأة تاجر. وكان نهما يحب الريح ولا شيء أوقفني من الانفصال عنه، الشهر الماضي ذهب ليشتري شايًا، وتخلفت أنا عنه. لكي أجوب في قاري الوحيد في الليلة التي يضيئها القمر على الأمواج الباردة، مستذكرة الأيام السعيدة التي مرت، وعيناى الحمر تحكي قصة الأحلام المبكية.»

«الحن الحلو للقيثارة حركت روحي بالشفقة، والآن هذه الكلمات وخزت قلبي ثانية، وصحتُ أيها السيدة، إننا رفقاء في سوء الطالع، ولا نحتاج إلى احتفال لنصبح أصدقاء. في السنة الماضية أنا تركت المدينة الإمبراطورية، ومتأثراً بالحمى وصلت إلى هذا المكان، حيث في فقرها، من نهاية العام إلى نهاية العام لا يسمع صوت شبابة أو قيثارة، أنا أسكن عند ضفة النهر الملىء بالأعشاب السبخية وتحيط بي الأعشاب الصفراء والبامبو ذو النمو المتعثر، لا يصل أذنائي أي صوت في النهار والليل سوى صوت طائر الضوع الموشح بالدم وعياط الجيبون الحزين. وعندى أغاني التلال ومزمار القرية وحنينها المتنافر القوي. أما وقد استمعت الآن إلى حوار قيثارتك فإنها تبدو لي موسيقى الآلهة. من فضلك أبقى فترة أخرى وغني لنا مرة أخرى، بينما أصيغ قصتك كتابة.»

«ممتنة لي (فهي كانت واقفة منذ فترة طويلة) جلست بنت القيثارة وسرعان ما بدأت تغني حزينة وناعمة على غير لحن الأغنية التي غنتها الآن، وإذا بكل سامعيها ذابوا في دمع مدرار، ولا أحد منهم بكى أكثر منى حتى أن صدري تبلل من البكاء.»

ربما قد يكون الأكثر شهرة بين جميع أعمال **بو تشي أي Po Chi I** هو القصيدة الشعرية النثرية الطويلة نوعاً ما بعنوان «الخطأ الدائم». إنها تشير إلى السقوط الشائن للإمبراطور المعروف باسم **مينغ هوانغ Ming Huang** (685-762 ميلادية)، الذي يستحق بنفسه أن أمر عليه بتعليق. خلال اعتلائه العرش في سنة 712 تحدته عمته، أميرة **تاي بنغ Tai Ping** لمواجهة خلعه، لكنه نجح في قمعه وبالتالي بدأ عصرًا واعدًا لحكمه المجيد. بدأ بالاقتصاد، مغلّفًا مصانع الحرير ومانعًا سيدات القصر من ارتداء المجوهرات أو التطريز والتي حرق أعداداً وافرة منها. حتى عام 740 كانت البلاد نوعاً ما ثرية ومزدهرة. وتم تحسين الإدارة، وتم

تقسيم الإمبراطورية إلى خمسة عشر مقاطعة، وأنشئت المدارس في كل قرية، وكان الإمبراطور راعياً للآداب ونفسه كان شاعراً قديراً. ونشر طبعه من الكتاب الكلاسيكي بعنوان «البر بالوالدين». وطلب حفر النص على أربع لوحات حجرية في عام 745، إلا أن حبه للحرب وبذخه المتزايد أدى إلى رفع الضرائب، وكان محباً للموسيقى فأسس كلية لتدريب الشباب من كلا الجنسين على هذا الفن، وقد أحاط نفسه ببلاط مذهل مرحباً برجال من أمثال لي بو Li Po أولاً لأجل موهبتهم فقط ولكن بعد ذلك لاستعدادهم للمشاركة في مشاهد فاضحة والإسراف المتوفر للمحظية الإمبراطورية الأكثر شهرة يانغ كوي فاي Yang Kuei Fei. وتم تعيين الخصيان لمناصب رسمية، وتم تشجيع الأشكال الأكثر غلظة من الخرافات الدينية، وتوقفت النساء عن وضع الحجاب، كما في القدم، رويداً استبعد الإمبراطور عن الاهتمام بشؤون الدولة؛ نشب تمرد جدي، ووجد جلالته الأمان بالهروب إلى سو تشوان Ssu Chuan وعاد فقط بعد تنازله لصالح ابنه، القصيدة التالية تصف ارتقاء يانغ كوي فاي Yang Kuei Fei، وقدرها المأساوي على أيدي الجنود، واتصالها اللاحق بحبيبها كسير القلب من عالم الظلال بعد القبر:-

الضجر: جلالة الإمبراطور، عبد للجمال
 تاق «لمخرب الإمبراطوريات»⁴⁷
 لسنوات كان يسعى سدى
 لتأمين مثل هذا الكنز لقصره. ...
 الجمال:- من عائلة يانغ Yang أتت صبية،
 قد كبرت لتعيش الأنوثة،
 وقد تربت في الشقق الداخلية
 لا تعرف الشهرة.
 ولكن الطبيعة منحتها بكثرة
 الجمال: الذي يصعب إخفاؤه،
 ويوماً ما استدعيت
 إلى مكان جانب الملك

47 يشير إلى جميلة مشهورة في سلالة هان Han، نظرة واحدة منها ستقلب مدينة بأكملها، نظرتين ستقلبان إمبراطورية بأكملها.

عينها اللماعة وضحكتها المرحة
فتنت كل راءٍ لها،
وبين مساحيق التجميل لدى الحریم
كان بهاؤها الغالب جداً.
في رعشات الربيع، وبأمر إمبراطوري،
Hua Ching سبحت في بركة هوا تشينغ
غسلت جسدها بالموجبات الشفافة
التي دائماً تكون دافئة من النافورة.
ثم عندما تأتي يساعدها المعاونون
تكون حركاتها الغيداء والرزينة،
قد كسبت لها أخيراً لصالح عطوفتها،
أسرة قلب جلالته.

المعربد:
الشعر مثل الغيمة والوجه مثل الزهرة
غطاء الرأس الذي كان يهتز وهي تسير
وبين أطايب مقصورة الكركديه
كانت تقضي ليالي الربيع الرقيقة.
ليالي الربيع، يا للأسف كانت قصيرة لهم،
لكنها كانت تطول حتى الفجر،
من هذا الوقت وصاعداً لا يوجد ضيوف
في ساعات الصباح الباكرة.
العريدة والاحتفالات تدور بعضها وراء بعض
دائماً دون استراحة
اختارت دائماً الرحلات الربيعية،
اختارت العريدة الليلية
ثلاثة آلاف جميلة لا تضارع عشقها
لشقق حریم الملك،
إلا أن جلالته دائماً كان

يحتفظ بانتباهها له وحده
تقضي حياتها في البيت الذهبي⁴⁸
ومع بنات جميلات يخدمنها،
وكل يوم تدفع النشوة
على أبخرة النيذ في قاعة المآدب.
أختها وأخوها، كلهم
ارتقوا إلى رتبة النبلاء.
ويا للأسف، للأمجاد المنحوسة
التي منحتها لعائلتها.
لأنه هكذا صار الآباء والأمهات
في طول الإمبراطورية وعرضها
لا تفرح على ولادة الأبناء،
وإنما على ولادة البنات.
في القصر المهيّب
ممسكاً بالغيم الرمادي في الأعلى
موسيقى إلهية يحملها النسيم
نثرت على كل الإتجاهات،
عن الأغنية والرقصة
على أنغام القيثارة والمزمار،
خلال اليوم الحيوي كله،
جلالته لا يتعب أبداً.
لكن فجأة يأتي المنادي
يضرب طبل الحرب المصنوع من جلد السمك
يكسر بجفاء الأجواء على
«تنورة قوس قزح وجاكييت من الريش.»
غيوم من الغبرة تلف

الهروب:

48 يشير إلى إيه - تشياو A-Chiao، إحدى قرينات إمبراطور سلالة الهان Han. «آه، قال الأخير عندما كان لا يزال ولداً، لو كنت أستطيع أن أحصل على آ تشياو، سيكون عندي بيت ذهبي لاحتفظ بها فيه.

أبواب العاصمة العالية.
ألف عربة حربية وعشرة آلاف حصان
تسير نحو الجنوب الغربي.
الريش والجواهر بين الحشود
إلى الأمام وبعدها توقف.
مائة لي خلف الباب الغربي
يتركون وراءهم أسوار المدينة
الجنود يرفضون التقدم
لا يوجد شيء يمكن فعله.
حتى هي صاحبة الحواجب بشكل العثة
تهلك أمام مرأى الجميع.
على الأرض توجد حلى ذهبية
ولا يوجد أحد ليلتقطها
أجنحة الرفراف، وعصافير ذهبية،
ودبابيس شعر ذات يشب ثمين.
الملك يغطي وجهه وهو ضعيف على الإنقاذ،
وعندما أدار نفسه لينظر إلى المؤخرة
كانت الدموع والدم تقطر ممزوجة مع بعضها البعض.

المنفى:
على مدى امتدادات طويلة من الرمل الأصفر
مع رياح تصفر
وعلى مدى رؤوس الجبال التي تتوجها الغيوم
يفتحون طريقهم.
قلة بالفعل هم المسافرون
الذين يصلون ارتفاعات جبل أومي Omi،
الإنبلاج المشرق للمعايير
ينمو بشكل أضعف يوماً بعد يوم.
مظلمة هي مياه سو تشوان Ssu Chuan،

مظلّمة هي تلال سو تشوان،
يوماً وليلاً جلالته
يستنفذه الحزن المرير.
يستمر في السفر، إن ضياء القمر
نفسه يحزن قلبه،
وصوت جرس خلال مطر المساء
يقطع أحشاءه إلى اثنين.

العودة:

الوقت يمر، والأيام تمر، ومرة أخرى
أنه هناك في المكان المعروف جيداً،
هناك يتباطأ وغير قادر
أن ينزع نفسه كلية منها،
لكن من ترى الأرض
عند أسفل تلة ما واي Ma Wei،
لا إشارة من الوجه المحبوب تظهر،
فقط مكان الموت،
تلتقي أعين الملك والوزراء
والأرواب تبتل من الدموع،
إلى الشرق ينطلقون ويسرعون
للذهاب إلى العاصمة.

البيت:

هناك البركة وهناك الزهور
كما في الماضي.
هناك الكاركدية الذي ينمو في المقصورة
وهناك صفصاف القصر.
يرى وجهها في الكركدية
وفي الصفصاف يرى حواجبها:
كيف في حضور هذه الأشياء

يمكن للدموع أن لا تنهمر،
في الربيع بين زهر
الخوخ والبرقوق،
في مطر الخريف عندما يسقط ورق
شجر وو تونغ Wu Tung؟
إلى الجنوب من القصر الغربي
توجد أشجار كثيرة،
وعندما يغطي ورقها الدرجات
لا أحد يكتسها الآن
شعرٌ موسيقار حديقة الإحاص
أبيض كما لو كان بسبب العمر،
حراس غرفة الفلفل.⁴⁹
لم تعد تبدو له صغيرة.
أين يطير الحباحب في القاعة.
يجلس في حزن صامت
لوحدها شمعة الضوء تحترق
لا يزال غير قادر على النوم.
ببطء تمشي ساعات الرقابة.
فالليل أصبح طويلاً جداً،
ومجموعات النجوم تضيء ببهاء
كما لو أن الفجر لن يأتي أبداً.
البرد يستقر على قرميد البط⁵⁰ البارد
والصقيع المتجمد،
غطاء الرفراف يجمد
لا يوجد أحد لتشاركه الدفء.
تفرق بينهما الحياة والموت

49 اسم ظريف لشقق النساء في القصر.

50 إن انثى وذكر البط الماندرني يرمزان إلى البر بين الأزواج. يشير إلى الزخرفة على السطح.

لكن الوقت لا يزال يجري،
لكن روحها لا تأتي ولا مرة
لزيارته في الأحلام.

روح الأرض: راهب طاوي من لين تشونغ Lin Chung

من مدرسة هونغ تو Hung Tu،
استطاع من خلال فنه المتقن أن يستدعي
أرواح الأموات.
وتوافق للتخفيف عن عقل
مليكه المضطرب.
هذا الساحر يتلقى الأوامر
ليحث على الطلب المثابر
محمولاً بالغيوم، وسائراً بالعربة على الأثير
يسرع بسرعة البرق
عالياً في السماء ونزولاً حتى الأرض
يبحث في كل مكان.
في الأعلى، يبحث عن السماء السابعة،
في الأسفل عن الينابيع الصفراء،
لكن لا يوجد مكان في هذه المناطق الشاسعة
يمكن أن نجد مكانها.
وأخيراً يسمع عن «الجزيرة المباركة»،
هناك في منتصف المحيط،
تقع في مناطق فارغة
وبشكل خافت لا يلمح،
هناك بنايات مزخرفة بفرح
تعلو مثل غيم قوس قزح،
وهناك، العديد من الخالدين الرقيقين والجميلين
يمضون يومهم بسلام.

من بينهم واحد يبدو أن اسمه
يدور على الشفاه كالسرمدى،
وببشرتها البيضاء كالثلج ووجهها الذي مثل الزهور
هو يعرف بأنها هي.
قرع على باب اليشب،
على البوابة الغربية للقصر الذهبى،
ويرجو من خادمة انتظار جميلة جداً أن
تعلم سيدتها الأجل منها بمجيئه
ولما سمعت بالسفارة
التي أرسلها ابن السماء،
بدأت تفيق من حلمها
بين البرادى المزخرقة،
أمسكت بثيابها وأزاحت المخدة
قالت بسرعة
وبدأت بتجميل نفسها
باللؤلؤ والجواهر.
إن كوفيرها الذي يشبه الغيم، غير مرتب
يظهر أنها قد أفاقت لتوها من النوم،
ومع انحراف غطاء الراس الوردى
تذهب إلى القاعة،
إن أردان أروابها الخالدة
قد أمتلأت بالنسيم،
كما فى مرة أخرى بدت وكأنها ترقص
على لحن «تنورة قوس قزح وجاكيت الريش.»
إن قسماتها ثابتة وهادئة،
بالرغم من أن الدمع المدرار يسقط،
مبلاً غصنين من الإجاز المتفتح
كما لو كان قطرات مطر الربيع.

تحجم عواطفها وتروع ألمها،
تقدم الشكر إلى جلالته،
وتقول أنها منذ افتراقهما،
قد افتقدت شكله وصوته؛
وكيف، بالرغم من أن حبهما على الأرض
أتى إلى نهاية سريعة
فالأيام والأشهر لدى المباركين
لا تزال طويلة جداً.
إنها الآن تدور وتحملق
باتجاه مأوى البشر،
لكنها لا ترى مدينة الإمبراطورية
التي ضاعت بالغبرة والغشاوة،
ثم تتناول بعضاً من موجوداتها القديمة
علامة عن حبهما الذي لا يموت،
دبوس شعر ذهبي، وبروش مطلي
وترجو من الساحر أن يعيدها.
نصف دبوس الشعر احتفظت به،
ونصف من البروش المطلي،
تكسر بأيديها الذهب الأصفر،
وتقسم الطلاء إلى قسمين،
«قل له» قالت، «أن يكون ثابت الفؤاد
كهذا الذهب والطلاء،
ثم بعد ذلك في السماء أو على الأرض في الأسفل
قد نستطيع نحن الاثنين الالتقاء مرة أخرى.»
عند الإفتراق عهدت للساحر
بعدد من رسائل الحب الجدية،
وبين الآخرين استذكرت وعداً
فهم على نحو متبادل،

كيف أنه في اليوم السابع من الشهر القمري السابع،
في قاعة الخلود،
في منتصف الليل، عندما لم يكن أحداً قريباً،
همس في أذنها،
أقسم أننا سنطير يوماً
مثل الطيور ذات الجناح الواحد⁵¹
أو ننمو متحدنين مثل شجرة
لها أغصان تتضاعف سوياً.⁵²
السماء والأرض دائماً على طول
سيأتي عليهما يوم يموتان فيه ،
إلا أن هذا الظلم العظيم سيمتد إلى ما لا نهاية
لا نهاية إلى السرمدية، أي نعم.

كان لي هو Li Ho شاعراً مبكراً النضوج وذا حياة قصيرة ونشأ في القرن التاسع. بدأ يقرض الشعر وهو في سن السابعة. بعد عشرين عاماً التقى رجلاً غريباً ممتطياً تينياً لا قرون له والذي قال له، «الله العظيم قد انتهى من سرادق اليشب وأرسل إليك لتصبح سكرتيره.» بعد هذه الحادثة بفترة قصيرة توفي، التالي هو عينة من شعره:-

«الزهور على الأرض منثورة مثل المطرقات،
بالعشرين توقد النييد بنعومة في رأسي،
شكيمة الجواد الأبيض السريع زينت بشراة تسطع دون حراك
بينما رائحة المخدة المزينة بخطوط ذهبية تكتسح الجدول.
حتى تقوم بالابتسام، كل هذه الزهور لا تعطي أي شعاع؛

51 كل طائر له جناح واحد فإن كان يريد الطيران فعليه أن يطير دائماً برفقة رفيق طيرانٍ آخر.

52 كان يعتقد أن هذه الشجرة موجودة وكان الصينيون غالباً ما يرسمونها.

عندما تسقط جدائلها يكون المشهد كله فرحاً،

وضعت يدي على كمها وأنا أهدق بعينيها،

ودبوس شعر على شكل الرفراف سيكون سريعاً جائزتي.»

ازدهر تشانغ تشي Chang Chi كذلك في القرن التاسع وتوفي وعمره تسعون عاماً، وكان على علاقة صداقة حميمة مع هان أو Han Yu وكان مثله معارضاً شديداً لكلا البوذية والطاوية. التالي هو شعره الأكثر شهرة، ويقول أحد النقاد ان جماله يقع وراء الكلمات:-

«تعرفون، أيها السيد الرقيق، عبودية زواجي،

أرسلت إليّ لؤلؤتين، وفوق ذلك ثمينتين.

وأنا، عندما شاهدت أن الحب امتلك فؤادك

لفتتهما ببرودة في صدريتي الحريرية.

«لأن منزلي هو منزل رفيع المستوى،

وزوجي ضابط (كابتن) في جيش الملك؛

واحد بظرفك عليه أن يقول،

إن أمانة الزوجات هي إلى أبد الآبدين؛

«مع اللؤلؤتين، أعيد لك دمعتين

الدمعتين - لأننا لم نلتق في السنوات السابقة.»

علينا أن نترك جانباً شعراء كثر لهم نبوغ من ظلال مختلفة وجهودهم لمعت بالأوهام العجيبة الغريبة التي هي عزيمة على القراء الصينيين والتي تقترب بخطورة من الإسفاف عندما تظهر في كساء أجنبي. فيما يلي توجد سيدة تشكو هروب الزمن المرصص الثقيل كما تعلمه الساعة المائية:-

على ما يبدو أن الساعة المائية

قد امتلأت من البحر،
لتجعل الليل الطويل الطويل يبدو
كليل لا نهاية له بالنسبة لي!»
إن البيت الثاني في المثل التالي ذو صفات مميزة: -
«يأتي الغسق، وتهب الرياح الشرقية وتصفّر
الطيور أصواتاً حزينة؛
البتلات مثلها مثل الحوريات تقع
من البلكونات وتسقط على الأرض.»

الشعر الذي بعده يشير إلى الشموع التي تحترق في الغرفة حيث يتحدث
الصديقان بحديث أخير في الليلة قبل الفراق الطويل:-

«إن الشمع نفسه ذرف الدمع العطوف
والقنوات مغلقة للأسف حتى يبزغ الفجر.»
والأخير يعبر عن شعور من صديق إلى صديق عن بعد:-
«آخ، متى سنشتم الشموع مرة أخرى
ونستذكر الساعات البهيجة لتلك الليلة الماطرة؟»

كان لي شيه Li She شاعراً شعبياً من القرن التاسع، على وجه الخصوص وكان
معروفاً بقصة القبض عليه من قبل قطاع الطرق. وكان زعيم العصابة يعرفه
بالاسم، وطلب نموذجاً لفنه، فاستخرج الأبيات التالية، التي أمنت بشكل فوري
الإفراج عنه:-

«السحاب الماطر يندفع بلطف

فوق القرية عند الجدول،

عندما فتحت الغابة ذات الأوراق الكثيفة

خنجر قاطع الطريق لمع. ...

ومع ذلك لا حاجة إلى الخوف

أو الإنزياح عن طريقهم

لأن أكثر من نصف العالم يتكون من

متشردين شحاذين أكبر منهم!»

كان ما تسو يان Ma Tzu Jan (المتوفى سنة 880 ميلادية) طبيباً شعبياً، مطلوباً جداً كما كان شاعراً. درس الطاوية بمعنى معاد كما يظهر من القصيدة التالية التي كتبها؛ ومع ذلك، وفقاً للتراث فقد سعد في نهاية المطاف إلى السماء حياً:-

«في شبابي ذهبت لأدرس الطاو

على أيدي أشهر مدرسيها من عند رأس النبع.

وبعد ذلك كان السكير مضطجعاً في منتصف الطريق

على سرير لماع.

، ما هذا الجنون، صاح سيدي،

هل أنتم راضون عن هذا الجنس البشري؟،

وطلب مني أن أعود إلى العالم

وأدعو نفسي بالسكير.

ولكن لماذا أبحث عن الحياة الأبدية

عن طريق الحبوب العجيبة؟

الضوضاء لا توجد في السوق

ولا الهدوء موجود في التلال

سر الشباب الدائم

أصبح معروفاً لدي:
تقبل بهدوء فلسفتي
أي مصير قد يكون.»

يحق للشاعر هسو ان تشن Hsu An Chen من القرن التاسع أن يكون له
مكان بين شعراء سلالة تانغ Tang بسبب القطعة التالية على الأقل:-

«عندما كان الدب نائماً بانحراف
وكان الليل على وشك أن ينقشع؛
والقمر كان قد غاب،
على ماذا تلوي أفكارى!

ثم يصدح صوت الموسيقى
من قيثارة عملها أحد الناس
وأعلم أنها هي
البنات الحلوة التي تسكن بجواري

«وكما المتاعب تتسلل إلي
فإن حاجبها الذي يشبه فراشة العثة ارتفع أمامي
وأنا أشعر برعشة لطيفة
لأن أصابعها ستكون باردة.

«لكن الأبواب والأقفال بيننا

التي تحمينا بكل فعالية
لكي أسرع من الشارع
وفي أرض الأحلام أصلي لألقاها.»

الآيات التالية للشاعرة **تو تشين نيانغ Tu Chin Niang** من القرن التاسع
ضمت إلى هذه المجموعة من 300 جوهرة من سلالة تانغ:-

«لن أكون سبب ضغينة لهذه الأرواب
التي تلمع بنسق ثري،
ولكنني سأجعلك تحقد على ساعات،
الشباب تلك التي تنزلق بسهولة.
حتى إذا ما أتيت مرة أخرى
للأسف، على الساق الذابلة
ولا زهرة منورة تبقى!»

ربما يكون الوقت قد حان لإغلاق اللائحة الطويلة. التي يمكن تطويلها إلى ما لا
نهاية. **سو كونغ تو Ssu Kung Tu** ترك وظيفته ليصبح ناسكاً. عاد إلى البلاط في
سنة 905 لكنه أسقط عن غير قصد جزءاً من الشارات الرسمية خلال لقاء-وهو
خرق لا يغتفر لإتيكيت مراسم البلاط - وسمح له بالاستقالة ليعتزل مرة أخرى في
التلال، حيث مات من الجوع حزناً على قتل الإمبراطور الشاب. ويعرف عادة بلقب
التانغ الأخير، شعره وهو ما يصعب فهمه بشكل مبالغ فيه لكنهم يضعونه موضعاً
عالياً في تقدير النقاد الصينيين. القصيدة الفلسفية التالية تبدو أنها تتكون من أربع
وعشرين مقطوعة غير مترابطة، لكنها كانت متكيفة بشكل ممتاز ليوضح الشكل
الذي بموجبه تقوم الطاوية النقية بمدح نفسها لعقل العالم المثقف:-

i. الطاقة - المطلق

«إن الصرف على القوة يقوم على فسادها الظاهري،
الوجود الروحي يعني الكمال الداخلي.

دعنا نراجع إلى اللاشيء وندخل المطلق
ونكرس القوة للطاقة.
متخوف من المبادئ الأبدية،
نحرف الفراغ العظيم،
عندما تسود كتل القيم،
والرياح تصفر دون انقطاع،
فيما وراء سلسلة من المفاهيم،
دعنا نربح الوسط، المركز
وهناك نثبت دون عنف
ونتغذى من مؤونة لا تنضب.»

ii- الاستراحة الهادئة

«إنها تسكن الهدوء، لا تتكلم،

غير مرتبة في الكون
تسقيها التوافقات الأبدية
محلقة مع طائر الكركي الوحيد.
إنه مثل النسيم اللطيف في الربيع،
برقة ينفخ الروب المنساب،
إنه مثل النوتة على مزمار البامبو
التي بحلاوتها نحن نحب أن نصنع مثلها.
نلتقي صدفة فتبدو هي سهلة الانقياد،
نبحث، نجدها صعبة التأمين
تبدل باستمرار هيئتها،
وتبدل في الفهم، وتختفي.»

iii- النحيل- القوي

«يجمع النباتات المائية
من ثراء عين الماء البرية،

بعيداً في أعماق الوادي البري
فوراً أشاهد بنتاً جميلة.
إن شجرة الخوخ ملأى بالأوراق الخضراء،
النسيم ينفخ برفق على عرض الجدول،
شجر الصفصاف يظل الممر المتعرج،
طائر الأوريول ينطلق بجماعات
ويضغط إلى الأمام بحماس
فيما تنمو الحقيقة. ...
إنه الموضوع الأبدي
الذي وإن كان قديماً، جديد جداً.»

iv - التركيز

صنوبر أخضر وكوخ ريفي،
الشمس تغيب عبر الجو الصافي،
أخلع طاقتي وأمشي لوحدي،
أستمع إلى أغاني الطيور.
لا تطير الإوز إلى هناك
وهي بعيدة جداً،
لكن خواطري تجعلها حاضرة
كما في الأيام السوالف.
عبر المياه تلتف الغيوم السوداء
تحت أشعة القمر يظهر القيوط،
يتم تبادل الكلمات الحلوة
مع أن النهر العظيم يتدفق بيننا.»

v - الإرتفاع - القدم

«انظر إلى الخالد، المولود في الروحانية،
يده تمسك بزهرة اللوتس

طريقة للزمن الدائم أبداً
لا يمكن اقتفاء أثره عبر مناطق الفضاء!
مع القمر يصدر من الدب الأكبر⁵³
يسرع على ريح مناسب،
بالأسفل جبل هوا Hua يظهر معتماً،
ومنه يسمع صوت جرس بوضوح.
بالفراغ أحرق في صورته التي اختفت
وقد مرت خارج حدود البشرية. ...
آه الإمبراطور الأصفر وياو Yao،
هن، لا مثيل لعارضاته.»

vi - تأديب

«وعاء من اليشب ومشتريات الربيع،⁵⁴

وحمام في الكوخ المسقوف بالقش
أين يجلس عالم محترم،
وبامبو الخيزران ينمو طويلاً من اليمين واليسار،
وسحب بيضاء في السماء الصافية الآن،
والطيور ترفرف في أعماق الشجر.
ثم توسد على قيثارته في الظل الطري
وشلال يتساقط على رؤوسنا-
أوراق الشجر تتساقط ولا كلمة قيلت،
الرجل ثابت مثل الأبقوان
بدون ملاحظات عن الزهور - مجد هذا الفضل-
كتاب يستحق بالفعل القراءة.»

vii اغتسل - انصهر

53 =Ladle الدب الأكبر.

54 النبيذ الذي جعل الإنسان يرى الربيع في كل الفصول.

«كما الحديد من المناجم،
والفضة من الرصاص،
طهري قلبك،
تحبين الرائق والنظيف.
مثل بركة صافية في الربيع،
بأشكالها المعكوسة الرائعة،
لذا أتجه للنظيف والصادق،
وأنت تمتطي أشعة القمر عُد إلى الروحاني.
دع نظرك يكون على نجوم السماء

دع أغنيتك تكون مثل الناسك المتخفي؛⁵⁵
يوماً مثل الماء الجاري
وأمسنا القمر المضيء.»⁵⁶

viii القوة

«العقل، كما لو كان بالفراغ،
الحيوية، كما لو كانت من قوس قزح،
بين آلاف الأذرع في قمم وو wu،
أطير مع الغيوم، أسابق الريح،
أشرب من الروحاني، وأنغذى على القوة،
أخزنها لاستخدامك اليومي، أحرسها بقلبك،
كن مثله في قدرته،⁵⁷
لهذا السبب أحتفظ بطاقتك،

55 شعار الطهارة.

56 إن حالة الوجود السابقة لنا في المركز الأبدي الذي ينتمي إليه القمر.

57 القوة التي دون أن تفقد قوتها تتسبب في ان تكون الأشياء كما هي- الله.

كن صنو السماء والأرض،
كن زميل عمل له في التغيير الإلهي...
أسع لأن تكون مليئاً بهذه كلها
وتمسك بها دائماً.»

ix المطررات

«إن كان القلب يملك الثراء والرتب،
قد يستهزء المرء بالذهب الأصفر.
إن المسرات الغنية تعطي بساط الرحمة قبل الأوان
والأفراح البسيطة تتعمق باستمرار.
إن غيمة سحابية تعلق على ضفة النهر،
زهور اللوز الوردية على الأغصان،
وكوخ مطوق بالأزهار تحت القمر،
وجسر مدهون يرى نصفه من الظل،
كأس ذهبية طافحة بالنبيذ
وصديق يده على القيثارة. ...
خذ هذه وكن راضياً،
فهي ستنفخ قلبك تحت روبك.»

x- الطبيعي

«انحن، وها هي هناك؛
اطلبها لا تبحث عنها يميناً أو يساراً.
كل الطرق تقود هناك،
لمسة واحدة، وتكون قد حصلت على ينبوع!⁵⁸

تكون كما لو أنها أتت على الأزهار المتفتحة،

58 يشير إلى أسلوب الرسام.

كما لو أنها تحدد بالسنة الجديدة،

حقاً لن أنتشها
إذا ما تعرضت للضغط فإنها ستتلاشى.
سأكون مثل الناسك على التلة،
مثل الأشنة⁵⁹ التي تلتقط على الجدول،⁶⁰
وعندما تتجمع عليّ العواطف،
سأتركهم لتناغم السماء.»

xi - إطلاق سراح

«مسروراً بالزهور دون توقف،
وأتنفس السماء السابعة،
بالرغم من أن الطاو يعود إلى الأثير،
وهناك سيكون حراً بامتياز،
ينتشر بشكل واسع كما ريح السماء،
مهيب كما قمم المحيط،
ملآن بالقوة الروحانية،
جميع المخلوقات إلى جانبي،
وأمامي الشمس والقمر والنجوم،
والعنقاء تتبعني من الخلف.
بالصباح أضرب بالسوط لويائاني
واغسل قدمي في فو سانغ Fu Sang.»⁶¹

xii - الحماية

«دون وضع أي كلمة

59 نبات ينبت في الأرض الرملية / المترجم.

60 مخلوق الصدفة وفقاً لعقيدة عدم الفعل.

61 يتم تحديدها بشكل مختلف بسخالين المكسيك واليابان.

كل الظرافة يمكن الحصول عليها.

إذا الكلمات لم تؤثر بالمتحدث
تبدو أنها غير ملائمة للحزن.⁶²
طيه يكمن السبب الأول.
الذي معه إما أن تغرق أو تقوم
كما النبيذ في المصفاة يعلو،
كما البرد يعيد فصل الزهور.
إن ذرة الغبرة التي تنتشر سريعاً في الجو،
إن فقايق الرذاذ المفاجئة في المحيط
ضحل، عميق، ملموم، مبعثر،-
أنت تمسك بعشرة آلاف وتضمن واحدة.»

xiii- الأرواح الحيوانية

«حتى يعودوا بشكل متواصل
حتى يكونوا دائماً معنا
النهر البراق لا يسبر غوره
الزهرة الغريبة بالكاد تفتحت،
ببغاء الربيع المورق،
شجر الصفصاف، المصاطب،
الغريب من التلال الدكناء،
الكأس الذي يفيض بالنبيذ الصافي. ...
آه، لو الحياة يمكن تمديدها،
دون رماد الكتابة الميت،
بين محاسن الطبيعي،-
من يستطيع الوصول إلى مداه؟»

xiv - محبوبك بشكل جيد.

62 باللغة اللاتينية: إن كنت لا تريد أن تتألم عليك ألا تؤلم الآخرين أولاً.

«في جميع الأشياء هناك ذرات حقيقية،
بالرغم من أن الحواس لا تستطيع إدراكها

تناضل لتظهر في شكل
من روائع مهارات الله.
المياه تجري، الأزهار تبرعم،
الندى الرائق يتبخر،
طريق هام يمتد بعيداً،
وممر مظلم حيث التقدم بطيئاً...
لذلك الكلمات يجب ألا تصدم
ولا يعتقد أنها غير ملائمة.
لتكن مثل خضرة الربيع،
مثل الثلج تحت القمر.»⁶³

xv- العزّل.

«وفقاً لرغبتنا،
نتمتع بالطبيعي، مخلصين من أي قيد
أغنياء بالذي يأتي إلى أيدينا
على أمل أن نكون في يوم ما مع الله.
لبناء كوخ تحت الصنوبر،
دون غطاء حتى تنسكب الأشعار،
نعرف فقط الصباح والمساء،
لكن ليس أي فصل قد حل. ...
ثم، إذا كان السرور لنا،
لماذا يجب أن يكون نشاط؟
إن كنا نستطيع أن نصل إلى هذه النقطة،

63 كل ذرة لا تُرى تتحد لإنتاج وحدة تامة.

ألا يمكن أن يقال أننا أنجزنا؟»

xvi - افتتاحان

«جميلة هي حديقة السرو،
والجدول يدور في دوامة تحت
سما صافية وضفة مغطاة بالثلج،
وقوارب صيد السمك في الجوار وما بعد،

وهي، مثلها مثل اليشب،
تتمشى ببطء، وأنا ألحقُ بها عبر الغابة المعتمدة،
الآن تمشي، الآن تتوقف قليلاً،
بعيداً جداً للوادي العميق. ...
عقلي يتخلى عن مسكنه، وهو في الماضي،
غير واضح، وليس للاستدعاء،
كما لو أنه قبل وهج القمر المضيء
كما لو أنه قبل مجد الخريف»

xvii - بطرق متعرجة

«تسلقت جبل تاي هسينغ Tai Hsing
من عند الممر الملتوي،
الكساء النباتي مثل بحر من اليشب،
رائحة الزهور تحمل في كل مكان.
يتصارع مع الجهد ليتقدم،
وصوت هرب من شفتي.
الذي على ما يبدو عاد قبل أن يضيع،
كما لو كان مخبئاً وليس مختفياً.⁶⁴

إن المياه التي تجري في دوامة تدفق جيئة وذهاباً،

64 يقصد الصدى.

فوقنا الرخ العظيم حلق وانطلق؛
الطاو لا يجد نفسه في شكل
لكنه عادل ومنصف بالتتابع.

xviii- تحقيقات

«يختار الكلمات الواضحة
ليعرب عن الأفكار البسيطة،
وفجأة بالصدفة كنت في معتكف
وكان يخيل لي أنني أرى قلب الطاو
قرب الجدول المتعرج،
وتحت ظلال شجر السرو المعتم،
كان هناك غريب يحمل حزمة حطب،
وآخر يستمع إلى القثيارة،
وهكذا، أينما قادتني مخيلتي،
أحسن مما لو أنني أفتقده،
استمعت إلى موسيقى السماء،
مندهشا بمصائبها النادرة.»

xix- اليأس

«الرياح تكدر الجدول
والشجر في الغابة يتصدع؛
أفكاري مُرّة كالموت،
لأن التي سألتها لن تأتي،
مائة عام تمر مثل الماء،
الغنى والمراتب مثل الرماد البارد،
الطاو يومياً يهلك،
لمن نتوجه للخلاص،
الجندي الشجاع يستل سيفه،

وتنهمر الدموع بمراثي ليس لها نهاية،
الريح تصفر، ورق الشجر يتساقط
والمطر يقطر من خلال سقف البيت المصنوع من القش.»

xx- الشكل والميزات

بعد التحديق بثبات بالتعبير والجوهر
العقل يعود بصورة روحانية،
كما لو رأى الخطوط العامة للموج،
كما لو كان يرسم مجد الربيع،
تغيير أشكال الغيوم التي تسحبها الريح،
وطاقة الزهور والنباتات،
الكسارات التي تسير في المحيط،
الصخور والجرف الصخري في الجبال،
كل هذه تشبه الطاو العظيم،
تمت حياكته بفن لبيئة أرضية. ...
للحصول على التشابه دون الشكل،
أليس ذلك هو امتلاك الإنسان؟»

xxi- الخارق

«ليس من روحانية العقل
وليس كذلك من ذرات الكون،
لكن كما لو نصله على الغيم الأبيض،
محمول إلى هناك على نسيم شفاف.
من بعيد، يبدو وكأنه قريب
اقترب منه، فهو لم يعد هناك
نتشارك في طبيعة الطاو،
إنه يتجنب حدود الفناء البشري.
إنها في التلال المتكدسة، في الشجر العالي،

في الطحالب الغامقة، في أشعة الشمس. ...
تنغم بها، فكر بها؛
صوتها الضعيف يروغ عن الأذن.»

xxii- التجريد

«دون أصدقاء يتشوق أن يكون هناك،

لوحده، بعيداً عن القطيع العادي،
كما طائر الكركي على جبل هو Hou،
مثل الغيم على قمة جبل هوا Hua.
في صورة البطل
النار القديمة لا زالت تتباطأ؛
ورقة الشجر التي حملتها الريح
تطفو على البحر اللامحدود.
قد تبدو كما لو أنها لم تفهم،
لكن دائماً على حافة الكشف عنه.
أولئك الذين يدركون هذا لقد وصلوا للإنجاز؛
أولئك الذين يأملون، يتعدون يوماً عنه.»

xxiii- المتنور

الحياة تمتد إلى مائة عام،
ومع ذلك كم دورتها قصيرة؛
فرحها عابر،
أحزانها كثر،
ما هو الذي لها يشبه كأس نبيذ،
وزيارات يومية لتعريشة الوستاريا (كرمة)،
حيث تتجمع الزهور حول الحواف.
وحمامات الضوء تسير فوق الرؤوس؟
وعندما ينشف كأس النبيذ،

أن تتمشى حاملاً عصاً من الشوك؛
من منا سيكون في يوم ما قديماً؟...
آه، يوجد الجبل الجنوبي بهائه.»⁶⁵

xxiv- الحركة

مثل دولاب الماء الدوار،
مثل اللؤلؤة المتدحرجة،-
إنما كيف يستحق أولئك الاسم؟
أنهم ليسوا إلا صوراً للمجانين.
هناك المحور الجبار للأرض
وقطب السماء الذي لا يستريح؟
دعونا نفهم الدليل الخاص بهم،
ومعهم نكون اندمجنا في واحد،
أبعد من حدود الفكر،
ندور للابد في الفراغ العظيم،
مدار من ألف سنة،-
نعم، هذا هو المفتاح لموضوعي.»

65 هذا الشيء يبقى بينما تهلك الأشياء الأخرى.

الفصل الثاني

الأدب الكلاسيكي والعام

إن الدراسة الكلاسيكية لسلالة **Tang** لم تكن لا أصلية ولا معمقة. صحيح أن الإمبراطور الثاني أسس كلية التعليم، لكن أعضائها اكتفوا بمواصلة تراث سلالة هان، وبالمقارنة لم ينجزوا أي شيء في مجال الأبحاث المستقلة. من بين الأسماء في الكلية المذكورة أعلاه اسم **لو يوان لانغ Lu Yuan Lang** (550-625)، لقد كان أمين المكتبة الإمبراطورية تحت حكم السلالة السابقة، ولاحقاً امتاز بالدفاع عن الكونفوشيوسيه أمام كل من هجمات البوذية والطاوية. ونشر كتاباً قيماً في تفسيرات المصطلحات والجمل في الكلاسيكيات ولدى كتاب الطاوية.

أقل شهرة منه كان العالم **واي تشنغ Wei Cheng** (581-643)، الذي حصل على شهرة عظيمة كقائد عسكري. تم تعيينه رئيس اللجنة لكتابة تاريخ السلالة السابقة، هذا بالإضافة إلى كونه شاعراً يحسب له حساب، عند وفاته قال الإمبراطور «يمكنكم استخدام النحاس كمرآه لتعكس الشخص، يمكن أن تستخدموا الماضي كمرآه لتعكس السياسة، ويمكنكم استخدام الإنسان كمرآه ليعين حكم الواحد منا في العلاقات العادية. هذه المزايبا الثلاثة كنت دائماً أقدرها ملياً؛ لكن الآن، وقد ذهب عنا **واي تشنغ Wei Cheng**، فقد فقدت واحداً منها.»

عالم آخر مشهور جداً هو **ين شيه كو Yen Shih Ku** (549-645). كان قد تم توظيفه على وظيفة تنقيح للكلاسيكيات وأيضاً على طبعة جديدة ومنقحة لتاريخ سلالة **هان Han**، لكن تأويله للموضوع الأول سبب عدم الرضا، فتمت إعادته إلى

منصب إقليمي، ومع أنه أعيد إلى منصبه قبل دخول هذا الإذلال حيز التنفيذ، فإن طموحه كان قد جرح لدرجة أنه توقف أن يكون الشخص نفسه، منذ ذلك الحين عاش حياة منعزلة وبسيطة.

لي بو ياو Li Po Yao (565-648) كان طفلاً مريضاً، وبلع كميات كبيرة من الدواء، مما جعل جدته تصر على تسميته **بو ياو Po Yao** أي أقرباذين أي دستور الأدوية. بينما ذكاؤه المبكر اكتسب له لقب **الأعجوبة**. عندما بدأ حياته العامة أهمل عمله للصيد والشرب، وبعد فترة وجيزة استقال. بعد ذلك ارتقى مرة أخرى، وأنهى تاريخ سلالة تشي **Chi** الشمالية.

أحد أحفاد كونفوشيوس من الدرجة الثانية والثلاثين وعالم متميز وموظف عمومي كان **كونغ ينغ تا Kung Ying Ta** (574-648). كتب تعليقا على كتاب **القوائد الغنائية** وتم تنسيب بعض أجزاء تاريخ سلالة **سوي Sui** له. يضاف إلى ذلك، فقد كان مسؤولاً عن الملاحظات والحواشي لكتاب **التعليم العظيم** وعقيدة **الوسط**.

لقد كان تأليف المعاجم أحد دوائر العلم الخالص الذي تم فيه أعظم التقدم. المعاجم المبنية على النظام الصوتي اللفظي، وعلى أساس أعمال **لو فا ين Lu Fa** من القرن السادس كانت رائجة جداً بالمقارنة مع النظام الراديكالي أو الجذري الذي أطلقه **هسو شن Hsu Shen**. ليس لأن العمل العظيم للثاني ترك ليعاني من الإهمال. **لي يانغ بينغ Li Yang Ping** من القرن الثامن كرس وقتاً وشغلاً كثيرين للتحسين والإضافة على صفحاته. التالي كان موظفاً حكومياً، وعندما ذهب لإشغال مركزه كقاضي في 753 يقال أنه استطاع أن يحصل على المطر خلال الجفاف بتهديد إله المدينة بتدمير معبده إلا إذا تمت الاستجابة إلى صلواته خلال ثلاثة أيام.

تشانغ تشيه هو Chang Chih Ho (القرن الثامن) مؤلف عمل في المحافظة على الحيوية، كان ذا نزعة رومنسية ومعجباً، على وجه الخصوص، بالتأملات الطاوية، عين في منصبه تحت حكم الإمبراطور **سو تسونغ Su Tsung** من سلالة تانغ،

ووقع في بعض المشاكل فنفي، بعد ذلك بفترة وجيزة نال عفواً عاماً هرب بعده إلى الغابات والجبال وأصبح زاهداً متجولاً وأطلق على نفسه اسم صياد السمك الكبير في السن والضباب والمياه. أمضى وقته بصيد السمك لكنه لم يستخدم الطعم، وكان هدفه ليس اصطياد السمك. عندما سؤل لماذا يتجول، أجاب تشانغ Chang قائلاً، «السماء السابعة كمنزلي، والقمر المشع كمرافقي المستدام والبحار الأربعة كأصدقائي المتلازمين - ماذا تعني بالتجوال؟» وعندما قدم له صديق بيتاً مريحاً بدل قاربه البائس، أجاب، «أفضل أن أتبع النوارس إلى أرض الغمام عوضاً من أن أدفن نفسي الأبدية تحت غبرة العالم.»

إن مؤلف تونغ تيان Tung Tien، وهي مقالة مستفيضة حول الدستور، التي لا تزال موجودة، كان تو او Tu Yu (المتوفي عام 812). وهي مقسمة إلى ثمانية أجزاء تحت العناوين التالية الاقتصاد السياسي، الامتحانات والشهادات، المكاتب الحكومية، الشعائر، الموسيقى، النظام العسكري، الجغرافيا والدفاع الوطني.

بين كتاب الأدب النثري العام فقد ترك ليو تسونغ يوان Liu Tsung Yuan (773-819) لنا الكثير الذي لأجل نقاوة الأسلوب ولباقة التعبير، نادراً ما تم التغلب عليه. فإلى جانب كونه شاعراً، وكاتب مقالات، ورساماً للخط الصيني، كان أيضاً سكرتيراً لمجلس الشعائر. هناك تورط بمؤامرة نفي بعدها إلى منطقة بعيدة جداً، حيث توفي. أراؤه كانت مخلوطة بعمق بالفكر البوذي، الأمر الذي من أجله غالباً ما أدين بشدة. مرة في رسالة من صديقه ومعلمه هان أو Han Yu. السطور القليلة التالية هي جزء من إجابته على الحادثة الثانية:-

«إن السمات التي أعجب بها في البوذية هي تلك التي تنسجم مع المبادئ المنصوص عليها في كتبنا المقدسة. وأنا لا أعتقد، حتى لو عاد الحكماء الأقدمون لزيارة الأرض، أنه سيكون في مقدورهم أن يشجبوها. الآن هان أو Han Yu يعترض على هذه الوصايا البوذية، إنه يعترض على النافوخ الأصلح للرهبان، على ملابسهم المعتمدة، على تخليهم عن روابطهم العائلية، على الحياة بشكل عام على

حساب الآخرين. وكذلك أنا. لكن هان أو Han Yu يضيع البذرة بينما يتمسك بالقشرة هو يرى المعدن لكنه لا يرى التبر. أنا أرى كليهما، من هنا انحيازي لهذا الدين أو الإيمان.

«مرة أخرى، إن التخالط بين الناس في هذا الدين لا يعني بالضرورة التحول عنه أو إليه. حتى لو فعل ذلك، فالبوذية لا تسمح بوجود تنافس حسود في المكانة أو السلطة. إن الغالبية العظمى لأتباعه يحبون فقط أن يعيشوا حياة بسيطة من التكامل في أحضان التلال والأنهر. وعندما أدير نظري نحو الاندفاع المضطرب أي نحو العجلة في عصرنا، في سباقها اليومي للأختام ومباهج المنصب، أسأل نفسي إن رفضت كل هذه لأجل أن آخذ مكاني بين صفوف هؤلاء.

«الراهب البوذي، هاو تشو Hao Chu هو رجل ذو مزاج هادئ وعواطف مضبوطة. هو عالم جليل. بهجته الوحيدة هي أن يتأمل الطبيعة، مع انغماس طارئ في مباهج الإنشاء. عائلته تتبعه على الطريق نفسه هو مستقل عن جميع الناس، ولا تكون مقارنته مع أولئك الحكماء الهرطقيين الذين نضحك عليهم مع القطيع المبتذل للعالم الجشع والطماع من حولنا.»

على هذه يعلق المعلق أنه يجب أن يكون عندك عبقرية هان أو Han yu لتدين البوذية، وعبقرية ليو تسانغ يوان Liu Tsang Yuan للاسترسال فيها. فيما يلي دراسة قصيرة عن مسألة عظيمة:-

«عبر التلال الغربية تتجه الطريق إلى الشمال وعلى الجانب الأبعد من الممر تفرق إلى اتجاهين. الشعبة الغربية من الطريق تقود إلى لا مكان على وجه الخصوص، أما إذا اتبعت الإتجاه الآخر الذي يأخذ استدارة شمال شرقية، لحوالي ربع ميل، فستجد أن الممر ينتهي فجأة، بينما النهر يتشعب ليضم كومة من الصخور شديدة الإنحدار. على قمة هذه الكومة هناك ما يبدو على أنه برج للمراقبة، بني بشكل رائع؛ في الأسفل، كما لو كان حائطاً مدعماً، تثقبه بوابة المدينة، حيث أن المرء يحدق منه في الظلام. لو رمي حجر من هنا، سيقع مع صوت ترشاش مشيراً

إلى وجود الماء، وترددات الصوت تبقى مسموعة لوقت بعد ذلك. هناك طريق التفافية من الخلف صعوداً إلى الأعلى حيث لا يرى شيء في الأرجاء باستثناء بساتين من الشجر المستقيم، التي وللغرابة موجودة في مجموعات منتظمة، كما لو كانت نظمت بأيدي فنان.

«أما الآن، فقد كانت تخامرني دائماً الشكوك بوجود إله، لكن هذا المنظر جعلني أفكر أنه حقيقة موجود. لكن في الوقت نفسه بدأت أتعجب لماذا لم يضعها في مركز حضاري مقبول نوعاً ما، عوضاً عن هذه المنطقة البربرية البعيدة، حيث لقرون لم يوجد أحد ليستمتع بجمالها. وهكذا على الوجه الآخر، مثل إسراف الجهد هذا والتضارب في المواقف جعلني أفكر بأنه في نهاية المطاف لا يوجد إله.»

إحدى القطع المفضلة هي رسالة كتبها ليو تسونغ يوان Liu Tsung Yuan بأسلوب فكاهي لتهنئة أديب ثري لخسارته كل شيء في حريق، خاصة كما يشرح، إذا كانت الضحية «قد تم افقارها بالكامل وبشكل لا يستعاد.» ويبين قائلاً أنها ستوفر فرصة أخرى لتبين للعالم أنه لم يكن هناك أي رابط بين الأدوات الدنيوية والسمعة الأديبة.

قطعة ساخرة مشهورة جداً كتبها ليو تسونغ يوان Liu Tsung Yuan عنوانها «إمسك الأفاعي،» وموجهة إلى صعوبات الضرائب الزائدة:-

«في برية هو كوانغ Hu Kuang يوجد نوع من الأفاعي العجيبة، لها جسم أسود بحلقات بيضاء، سامة جداً حتى للعشب وللشجر التي قد تلمسها مصادفة، بين الناس معروف أن عضتها لا يمكن شفاؤها باي حال من الأحوال. لكن إذا مسكت وتم تحضيرها، عندما تنشف، على شكل كعكة، فإن لحم هذه الأفعى سيخفف الاحتياج، وسيشفي تقرحات البرص، وسيزيل اللحم الميته ويطرد الأرواح الشريرة. وهكذا فقد حدث أن طبيب البلاط، وكان ينفذ أمراً امبراطورياً، انتزع من كل عائلة عائدات اثنتين من هذه الأفاعي كل سنة. ولكن بما أن قلة من الأشخاص كان باستطاعتهم أن يمتثلوا لهذا الأمر، فقد تم الإعلان أن عائدات الأفاعي سيعتبر

بديلاً عن الضرائب الاعتيادية. وبناء عليه كان هناك تراكم عام بين الناس في هذه الديار.

وقد تبين أن الإمساك بالأفاعي كان في الحقيقة أقل خطورة من دفع مثل هذه الضرائب التي كانت تنتزع من أولئك الذي لم يتجرأوا على مواجهة المخاطر واختاروا المساهمة بالطريقة العادية. أحد الرجال كان أباه وجدته قد هلك كلاهما من عضه الأفعى. أعلن أنه رغم ذلك أحسن حالا من جيرانه، الذين وصلوا الحضيض من ظلم جامعي الضرائب. وشرح قائلاً، «إن مستبدين عصاة يقتحموننا ويرمون كل واحد وكل شيء أرضاً، حتى الحيوانات العجماء الخرساء، في نوبة من الإرهاب والفوضى. لكنني، نهضت في الصباح ونظرت إلى المرطبان الذي تحفظ فيه أفاعي، وهل هي لا تزال فيه، وإن كانت لا تزال فيه أستلقي في الليل في سلام. في الوقت المعين أهتم بأن تكون ملائمة لتسليمها، وعندما يتم ذلك، أعزل لاستمتع بمنتجات مزرعتي وأنهاي الدورة المعطاة لوجودي. مرتين في السنة خاطرت بحياتي: الباقي كان سلمياً للغاية ولا يجب مقارنته بدورات الإزعاج اليومية التي تقع من نصيب زملائي القرويين.»

هناك قطعة هجائية مشابهة حول «المغالاة في الحكم» تُقدِّم بستاني مشوه باسم «ظهر الجمل». وكان هذا الرجل ناجحاً على غير العادة كصاحب مشتل:-

في يوم ما سأله زبون كيف كان ذلك؛ فأجابه «أن ظهر الجمل الكبير لا يمكنه أن يجعل الشجر يعيش أو يزدهر. هو فقط يسمح له باتباع اتجاهاتهم الطبيعية، الآن عند زراعة الشجر عليك أن تعي أن يكون الجذر مستقيماً، وأن تلمس الأرض حوله، أن تستخدم قالباً جيداً وتدكه بشكل جيد. تم لا تمسه، لا تفكر به لا تذهب للنظر إليه، وإنما أتركه لوحده ليهتم بنفسه والطبيعة تتكلف بالباقي. أنا فقط أتجنب محاولة إنماء الشجر. لا توجد عندي طريقة خاصة للزراعة، لا أدوات خاصة لتأمين وفرة النمو. أنا فقط لا أتلف الفاكهة. ولا يوجد عندي طريقة لأجعلها تنمو قبل الأوان أو بكثرة. البستانيون الآخرون يبدأون بالجذور المثنية ويهملون

القلب. ثم يكومون فوقه كثيراً من التراب أو قليلاً منه. أما إذا لم يكن هكذا، فإنهم يتعلقون بشجرهم أو يقلقون عليه، ويركضون باستمرار إلى الأمام وإلى الخلف ليروا كيف ينمو، وفي بعض الأحيان يقومون بحك الشجر ليتأكدوا أنها لا زالت حية، أو يخضونها ليروا إذا ما كانت ثابتة كفاية في الأرض، وبالتالي يتدخلون باستمرار بالانحياز الطبيعي للشجر محولين اهتمامهم ورعايتهم إلى ضرر ونقمة. أنا لا أقوم بمثل هذا العمل. هذا كل ما هنالك.»

«هل يمكن أن تطبق هذه المبادئ التي وضعتها قبل قليل على الحكومة؟» سأله المستمع. أجاب ظهر الجمل قائلاً، «آه، أنا أفهم فقط عمل البستنة: الحكومة ليست تجارتي. لكن في القرية التي أعيش فيها فإن الموظفين يصرون كل أنواع الأوامر باستمرار كما لو كانوا يهتمون بالناس ولكن بالواقع يعملون ضد مصلحتهم. صباحاً ومساءً يأتي التابعون لهم ليقولوا أن صاحب الاحترام يطلب منا أن نحثكم على حراثة الأرض والإسراع في الزراعة ومراقبة محصولكم. لا تأجلوا الغزل والنسيج، اهتموا بأطفالكم. ربوا الدواجن والخنازير، التحقوا مع بعض عندما تقرر الطبول. كونوا مستعدين عند سماع صوت القعقة. هكذا نحن الشعب المسكين معرضون للإلحاح صباحاً ومساءً. لا توجد لدينا لحظة لأنفسنا. كيف يمكن للإنسان أن يزدهر ويتطور بشكل طبيعي تحت هكذا ظروف؟

في كتابته للنثر أظهر هان أو Han Yu تنوعاً أكبر في المواضيع منه في الشعر. إن كلماته لوداع صديقه المتوفى ليو تسونغ يوان Liu Tsung Yuan قرأت، وفقاً للتقاليد الصينية إلى جانب النعش أو إلى جانب القبر، ثم أحرقت كنوع من طريقة توصيلها إلى الميت، وهذه الطريقة معروفة لإبناء بلده:-

«يا حسرتي، تسو هو Tsu Hou، هل فعلاً أتيت إلى هذا الممر؟- مخبول أنا: أليس هو الممر الذي يأتي إليه البشر دائماً؟ الإنسان يولد في هذا العالم مثل الحلم: أية حاجة له لناخذ ملاحظات عن الريح والخسارة؟ بينما الحلم يبقى، فيمكنه أن يتألم أو أن يفرح؛ لكن عندما تأتي اليقظة لماذا التشبث بالماضي ويا للأسف؟

«الأمر كانت جيدة للجميع لكنها لم تكن تساوي أي شيء. إن جودة خشبها كان الضرر للشجرة. وأنت الذي لم تعرف عبقريتك الأولى أي قيد، إنك نساج الكلمات المرصعة بالجواهر، أنت تريد أن يتم تذكرك عندما يتم نسيان معنوه الحظ والمكان».

الغبي غير الماهر يقطع يديه ويسبح في العرق، بينما الحرفي الماهر ينظر إليه وهو مكتوف اليدين. آه أيها الصديق إن عملك ليس لهذا العصر؛ مع أنني أنا الغبي وجدت وظيفة في خدمة الدولة. لم تعرف نفسك خارج إطار القطيع، ولكن عندما كنت ترزح في العار فقد غادرت لا لتعود أبداً، شخص مادي النزعة اغتصب مكانك.

«يا للأسف: تسو هو Tzu Hou، الآن لم تعد موجوداً. لكن رغبتك الأخيرة أن أقوم بالعبادة بولدك الصغير، لا تزال ترن يا للأسف، في أذني. صداقات اليوم هي تلك المصلحة الذاتية فقط. كيف يمكنني أن أتأكد من أنني سأعيش لتنفيذ وصيتك؟ أنا لم أدع لنفسي هذه المهمة. مع أنك دعوتني إلى هذه المهمة، وأقسم باسم الآلهة من العلاء، أنني لن أخون ثقتك.

لقد ارتحت إلى منزلك الأبدي ولن تعود. مع هذه الأضاحي إلى جانب نعشك، فأنا أودعك بحب.»

الفقرات التالية تم أخذها من مقالة له عن الطريق أو الطريقة الكونفوشية:-

«لو لم يكن هناك أي حكيم في القدم فإن الجنس البشري كان قد انتهى منذ زمن طويل. الإنسان لا يوجد عنده فرو وريش وموازين ليعدلوا حرارة أجسادهم. كما ليس لدى الإنسان مخالب وأنياب لتساعده في الكفاح للطعام. وبالتالي كان تنظيمه هكذا، الملك يصدر الأوامر، الوزير ينفذ هذه الأوامر، ويعلنها على الشعب. الشعب ينتج الحنطة والكتان والحريز، وهي مواد لتتزين بها في الاستعمال اليومي، وهي سلع للتبادل، ليفوا بالعهود لحكامهم. الملك الذي لا يصدر أوامره يفقد الداعي لوجوده؛ الوزير الذي لا ينفذ أوامر مليكه أو يعلنها للشعب، يفقد الداعي لوجوده.

الشعب الذي لا ينتج الحنطة والكتان والحريير ومواد الزينة للاستعمال اليومي والسلع التبادلية بهدف الوفاء بعهودهم لحكامهم يجب أن يفقدوا رؤوسهم.»

.

وإذا ما سئلت ما هي هذه الطريقة، سأجيب أنها تكون ما اسميه الطريقة وليس فقط طريقة مثل التي لدى لاو تسو Lao Tao وبوذا. الإمبراطور ياو Yuo سلمها للإمبراطور شون Shun، والإمبراطور شون سلمها لـ أو Yu العظيم، وهكذا حتى وصلت كونفوشيوس وأخيراً مانسيوس Mencius، الذي مات ولم يسلمها لأي شخص آخر. ثم تبعت المدرسة الهرطقية لـ هسون Hsun ويانغ Yang، حيث ما روي على أنه مهم فقد تم تمريره بينما تم تشكيل المعيار بشكل مبهم. في الأيام التي سبقت تشو كونغ Chou Kung فقد كان الحكماء هم أنفسهم الحكام، وبالتالي كان باستطاعتهم تأمين استقبال طريقتهم. في الأيام التي أتت بعد تشو كونغ Chou Kung، كان جميع الحكماء ذوي مناصب عالية في الدولة، وبالتالي ديمومتها لفترة طويلة من الزمن.

«والآن سيتم توجيه سؤال، ما هو العلاج؟ وأجيب ما لم تهزم المذاهب الزائفة فالإيمان الحقيقي لن يستقيم. ودعونا نؤكد أن على أتباع لاو تسو Lao Tzu وبوذا أن يتصرفوا كبشر عاديين دعونا نحرق كتبهم؛ دعونا نحول معابدهم إلى بيوت للسكن. دعونا أن نوضح طريقة ملوكتنا الأقدمين على أمل أن يحتضن الناس تعاليمها.»

حول سمة التهديد الشهير لـ هان او Han Yu الموجه للتمساح، الذي اعتبره الكتاب الصينيون جميعهم مخلوقاً حقيقياً، مع أن الاسم كان حجاباً رسمياً، قد يكفي المقطع التالي:-

«آه أيها التمساح، لا يمكننا أنت وأنا، أن نبقى هنا مع بعض. وضع ابن السماء هذه المنطقة وهذا الشعب تحت تصرفي. وأنت يا صاحب العين الجاحظة، إن أزعجت سلام وأمان هذا النهر وافترست الناس وحيواناتهم البيئية، الدببة، والخنازير البرية،

وغزلان المنطقة من أجل تسمين نفسك وتتوالد من جنسك - فانت اليوم تتحداني في كفاح الحياة والموت. وأنا، رغم أنني من بنيان ضعيف، هل علي أن أسجد على ركبة واستسلم للتمساح؟ لا: أنا الحامي الحقيقي لهذا المكان، ويؤسفني أن أرفض تحديك، حتى لو كان سيكلفني حياتي.

«استناداً إلى مهمتي من ابن السماء، فأنا ملزم أن أحذرك تحذيراً عادلاً، وأنت، أيها التمساح، أن كنت حكيماً، ستستمع إلى كلماتي. هناك من أمامك يقع المحيط الواسع، وهو مكان الحوت والقريديس. اذهب هناك وعش بسلام. إنها رحلة يوم فقط.»

إن موت ابن اخ عزيز ومحبوب، قريب من عمره نسيباً فقد استجلب من هان أو Han Yu مقالة طويلة وحزينة بعنوان «في الذكرى»، نقلت كما قيل أعلاه، إلى مسامع الراحل من خلال الوسيط النار والدخان. التالي هما مقتطفين قصيرين:-

«إن سلالة أحفاد أخي ذو القلب النبيل قد قطعت حقيقة قبل فوات الأوان. إن الذكاء الصادق، أمل العائلة، لم يبقَ على قيد الحياة لاستكمال تراث بيته. لا يدرك غور التعيينات التي يدعوها الناس بالسماء، غامضة هي أفعال اللامرئي: تجهل الغاز الحقيقة الأبدية: لا يعرفون بسهولة أولئك الذين كُتب عليهم أن يصلوا إلى السن الكبيرة.»

«من الآن فصاعداً إن شعري الأشيب يزيد بياضاً وسوف تخونني قوتي. إنني أسرع للتعفن جسدياً وعقلياً. كم سأطول قبل أن اتبعك. إن كان هناك معرفة بعد الموت فإن هذا الافتراق سيكون فقط هنيهة. إن لم توجد معرفة بعد الموت هكذا سيكون هذا الحزن إلا هنيهة، وبعدها سوف لا يوجد حزن بعد الآن.»

.

«آه، أيتها السماء الزرقاء، متى سنتنهي أحزاني؟ فبعد الآن ليس للعالم أي محاسن. سوف آخذ عدداً من الأكرات على ضفاف نهر ينغ Ying، وهناك سأنتظر النهاية،

وسأعلم ابني وابنك، إن صدف وكبروا مع بعض - ابنتي وابنتك حتى يأتي يوم زفافهما. أواه! مع أن الكلمات تخونني، إلا أن الحب يدوم. هل تسمح أم هل لا تسمح؟ الويل لي، السماء تباركك!»

من كل كتابات هان أو Han Yu، نثرًا أم شعرًا لم يكن هناك واحدة مثل تلك التي تسببت في كل هذه الإثارة التي أثارها مذكرته إلى الإمبراطور في موضوع عظمة بوذا. كانت الحقيقة أن البوذية تخطو خطوات جبارة في التقدير الشعبي، ولولا مثل هذا الموقف الشجاع الذي أخذ بهذه المناسبة من قبل رجل قيادي، فإن مكانة الكونفوشيوسية تكون قد تلقت ضربة نجلاء. فيما يلي مقتطف من هذه الوثيقة النارية التي أرسلت الكاتب إلى المنفى وكادت أن تكلفه حياته:-

«خادمك قد سمع الآن بأن التعليمات قد صدرت إلى طائفة من الرهبان أن يتوجهوا إلى فنغ هسيانغ Feng Hsiang لاستلام عظمة بوذا، وأن جلالتكم سيراقب من برج عالٍ إدخالها إلى القصر الإمبراطوري؛ كذلك بأن الأوامر قد صدرت إلى المعابد المختلفة تأمرهم فيها بأن الأثر هذا يتم استقباله بالاحتفالات المناسبة. هذا وقد يكون خادمكم أبله إلا أنه يعي تمامًا أن جلالتكم لا تفعلون هذا على آمال فارغة للحصول على منافع منه؛ ولكن في غنانا الحالي تمامًا، وفي الفرح الذي يعمر في قلوب الجميع هناك رغبة للاصطفاف مع رغبة الشعب في الاحتفال في العاصمة بهذه المسرحية غير الناطقة الخادعة. كيف يمكن لحكمة جلالتكم أن تنثني عن المشاركة في مثل هذه العقائد السخيفة؟ لا يزال الشعب بعيداً عن الإدراك ويتم تضليله بسهولة؛ وإذا ما رأوا جلالتكم هكذا وأنتم تصلون بحرارة عند قدم بوذا، فإنهم سيهتفون قائلين، انظروا ابن السماء، الكلي الحكمة، هو مؤمن صادق؛ من نكون نحن، شعبه لكي نحافظ على أجسادنا؟ ثم يبدؤون إحراق الرؤوس وحرق الأصابع، وستجتمع الحشود مع بعضها البعض يمزقون ثيابهم ويبيعثرون أموالهم، ويصرفون الوقت من الصباح حتى الليل وهم يقلدون مثل جلالتكم. وتكون النتيجة، رويداً رويداً، شباب وكبار في السن، يركبهم الحماس نفسه، سيهملون بالكامل أعمالهم؛ وإذا لم تقوموا، جلالتكم بمنع ذلك، ستجد أنهم

يأتون إلى المعابد وهم على استعداد إن يبتروا يداً أو يقطعوا أجسادهم للتضحية لله. وهكذا سيتم ضرب تراثنا وعاداتنا بشكل حاد، ونحن سنصبح أضحوكة على وجه الخليقة؛ بالحقيقة، إنها مسألة لا يستهان بها!

فبوذا هذا كان من البرابرة. لغته لم تكن لغة الصين وملابسه كانت ذات تفصيل غريب. لم يسبق له أن تحدث بأمثال حكامنا القدماء ولم يتأقلم مع العادات التي أوصلوها إلينا. لم يقدر الأوامر بين الأمير والوزير، والرابطة بين الأب والابن. لنفرض أن بوذا بالفعل قد أتى لعاصمتنا في شخصه، بناءً على موعد من دولته، عندئذ يمكن لجلالتكم استقباله ببضع كلمات للمعاتبة، وتكريمه بمأدبة ومجموعة من الثياب قبل توديعه إلى خارج البلد مع مرافقة من الجند وبالتالي يتم اجتناب أي تأثير خطير على عقول الناس. ولكن ما هي الحقيقة؟ عظمة رجل مات منذ زمن طويل وتحلل، سيتم إدخاله، في الحقيقة، داخل نطاق القصر الإمبراطوري: قال كونفوشيوس، 'أظهر الاحترام لكل الكائنات الروحية لكن أبق مسافة بينك وبينهم. وهكذا عندما كان الأمراء الأقدمون يقومون بزيارة لتعزية بعضهم البعض فقد كان من عاداتهم أن يرسلوا ساحراً بشكل مسبق وبيده عصا الساحر التي يقوم بواسطتها بطرد جميع التأثيرات المضرة قبل وصول سيده. لكنكم الآن يا صاحب الجلالة على وشك إدخال شيء مقرف بلا سبب وشخصياً تشاركون في الوقائع دون تدخل من الساحر أو من عصا الساحر على حد سواء. من بين الموظفين لم يرتفع صوت واحد ضده؛ من بين الرقباء لم يقيم أي واحد منهم بتبيان فظاعة هذا العمل. لذلك، إن خادمكم، الذي يعلوه العار بسبب الرقباء، يناشد جلالتكم أن يتم تسليم هذه العظام للتدمير إما بالنار أو بالماء حتى يتم اجتثاث جذر هذا الشر العظيم إلى أبد الأبد، والشعب يعرف كيف أن حكمة جلالتكم تتفوق على تلك التي للناس العاديين. إن مجد هذا العمل سيكون خارج نطاق أي مديح. لو كان اللورد بوذا يملك القوة على الانتقام لهذه الإهانة من خلال إصابتنا بمكروه عندئذ فلتدع جميع أوعية الغضب تنسكب على شخص خادمكم، الذي يدعو الآن السماء لتشهد له بأنه لن يرجع عن قسمه.»

ترك كاتب اسمه لي هو Li Hua الذي لا نعرف عنه شيئاً يذكر لكنه عاش في القرن التاسع، ترك خلفه قطعة تستحوذ على الإعجاب بعنوان «على ساحة معركة قديمة»:-

«شاسع، شاسع، المدى الذي لا حدود له من الرمل المنبسط، دون رؤية أي كائن إنساني، محاط بنهر منقط بالتلال حيث في الغسق الكئيب، تطلق الريح عويلها للشمس التي تغيب. الشجيرات اختفت، العشب ذبل؛ كل شيء بارد صلد مثل الصقيع في الصباح الباكر. تمر الطيور التي تطير في الجو، وحوش المنطقة تتجنب هذه النقطة. لأنها، كما علمت من الحارس، كانت ساحة معركة. كثير من المرات وغالباً، قال لي هو، 'غلب جيش في تلك النقطة، ويمكن سماع أصوات الأموات تبكي وتنتحب في عتمة الليل.»

هكذا يستحضر الكاتب من مخيلته المنظر المروع من زمن غابر:-

«الآن يعمل الرمح القاسي عمله، الرمل المذهول يعمي المتحاربين المحبوسين في الكفاح من أجل الموت؛ بينما التلال والوديان والجداول تئن تحت لمعان الأسلحة وتكسيروها. تدريجياً إن ظلال الليل الباردة الصلدة وقعت عليهم، ركبتهم عميقة في الثلج، ولحاهم متجمدة من الثلج، الطيور الجارحة تبحث عن أعشاشها: قوة حصان الحرب انكسرت. الثياب، لا فائدة منها؛ الأيدي ضربها الصقيع، اللحم تكسر. حتى الطبيعة تمد يد المساعدة للتتار، مؤدين ضربة مميتة، الأفضل أن تنهي ما بدأته عن عمل المجزرة، عربات الإسعاف تسد الطريق، ورجالنا يستسلمون للهجمات من الجانب، لقد استسلم ضباطهم وقائدهم الجنرال قد مات والنهر معبأ حتى الاختناق بالبحث حتى أعلى الضفاف: إن قوات السور العظيم فاضت بالدماء. كل الفروقات قد محيت في تلك الكومة من العظام المتعفنة. ...

«بضعيف متزايد تضرب الطبلية، القوة استهلكت والسهام طارت، ووتر القوس انقصف والسيوف تهشمت، والجيشان انقضا على بعضهما البعض في النضال الأسمى للحياة أو الموت. أن تستسلم يعني أن تصبح عبداً للبرابرة: أن تقتل يعني

أن تختلط عظامنا مع رمل الصحراء.» ...

«لا صوت للطيور يخرج من جنبات التلال الساكنة. كل شيء ساكن باستثناء الرياح تصفر طوال الليل. أشباح الموق تتجول هنا وهناك كثبية: الأرواح من العالم الآخر تجتمع تحت الغيوم السوداء. الشمس تشرق ببرودة على الحشيش المداس بينما القمر الواهن لا يزال يلمع على رقاقة الصقيع المبعثرة حولنا. أي منظر أكثر شناعة من هذا!»

الدمار الذي عمل من قبل التتار المخيفين هو بالفعل موضوع عدد من الأشعار، نثراً وشعراً. الأبيات التالية هي للشاعر تشن تاو **Chen Tao**، الذي عاش في هذا الزمن يسجل قسماً وطنياً ملتطوعين ساخطين، كذلك هو موضوع للحزن لبسالة لا تنفع.

«لقد أقسموا أن الهون **Hun** يجب أن يهلكوا

هم سيموتون إذا لم يكن من ذلك بد. ...

الآن خمسة آلاف، مكسووين بالسواد.

قد قضموا غبرة التتار.

على طول ضفة النهر تقع عظامهم

أينما أرادت،

لكن لا يزال شكلهم ينهض في الأحلام

للجميلات البعيدات.»

من بين أمجادهم الأخرى يمكن أن يقال أن التانغ **Tang** شهدوا ميلاد الأدب الشعبي الذي سرعان ما تسلم سوية مع الدراسات الكلاسيكية، حافظاً لم يتم الإحساس بشيئه قطعياً.

لكن يجب علينا الآن أن نستودع هذه السلالة حيث أن اسمها لا يزال باقياً على قيد الحياة في اللغة العامية حتى هذا اليوم. كما أن الشماليين يفتخرون بتسميتهم

«أبناء الهان» Han، ما يزال الصينيون من المقاطعات الجنوبية يتهجون عندما يعرفون باسم «رجال تانغ».

الكتاب الخامس
سلالة سونغ (900-1200 ميلادية)

الفصل الأول اختراع الطباعة بالقوالب الخشبية

انتهت سلالة تانغ في 907 وخلال الخمسين سنة اللاحقة عاشت الإمبراطورية ما لا يقل عن خمسة تغيرات أسرية مستقلة. لم يكن الوقت مناسباً للجهود الأدبية؛ لكن الإنتاج لم يتوقف بالكامل، وظهرت بعض الأسماء الثانوية التي وصلت إلينا.

لا نعرف، على سبيل المثال شيئاً عن تشانغ بي **Chang Pi** من سلالة تشو **Chou** المتأخرة، باستثناء أنه قدم مرةً لمليكه مذكرةً ضخمة على أمل تلافي الإنهيار السياسي. وكانت المذكرة، كما وصل إلينا، موضع إعجاب كبير، إلا أنه لم يجر الأخذ بالنصيحة الموجودة بها. هذه الأبيات التي قالها جاءت في عدد من المختارات الشعرية:-

«بعد افتراقنا، ركبني الأحلام

وذهبت أتجول، أنت تعرفين أين،

وجلسنا في الفرندة،

وأنت غنيت اللحن العذب القديم.

ثم استيقظت، لم أجد أحداً قربي

سوى القمر، لا يزال يشع،

ويضيء البتلات الميتة

التي مثلك مرت وذهبت.»

هناك على الأقل اسم واحد مشوق للطالب الأجنبي، إن فنغ تاو **Feng Tao** (881-954) اشتهر شهرة عظيمة عند الصينيين كسياسي متفن ومتنوع القدرات الذي خدم في النهاية ما لا يقل عن عشرة أباطرة من أربع سلالات مختلفة، وأطلق على نفسه اللقب الذي يمكن أن نشير إليه بالمرادف الإنكليزي «The Vicar of Bray»⁶⁶.

وقدم نفسه في بلاط الإمبراطور الثاني لسلالة لياو **Liao** وطلب وظيفة وكان واثقاً أنه سيحصل عليها. وقال لا يوجد له بيت ولا مال، وعقل قليل، ويبدو أن هذه الجملة أعجبت جداً ملك التتار، الذي عينه فوراً المرابي الأول لولي العهد، بالنسبة للأجانب سيتم تذكره بالأساس على أنه مخترع فن الطباعة بالألواح الخشبية. ويبدو أنه من المحتمل أن نوعاً من الإختراع البسيط كان معروفاً مسبقاً في أوائل سلالة **Tang** **تانغ** ولكن حتى أيام **فنغ تاو Feng Tao** لم تستخدم بكل تأكيد في إنتاج الكتب. بعد موته بست سنوات تم وضع سلالة سونغ «النارية» أخيراً على العرش، ومنذ تلك اللحظة أصبحت طباعة الكتب من الألواح، مهنة معروفة لدى الشعب الصيني.

ومع قدوم هذا الخط الجديد، نمر، كما تقول القصة الخرافية الصينية إلى «سما» وأرض أخرى. فمختلف دوائر التاريخ، والدراسة الكلاسيكية، والأدب العام، ووضع المعاجم والشعر تم مرة أخرى ملؤها بعمل متحمسين، يتشجعون بلهفة من قبل سلسلة من الحكام المستنيرين. وعلى الرغم من أنه حصل تراجع بسبب غزوات التتار الذهبيين في سني 1125-1127. عندما أخذ الإمبراطور السابق وخليفته المعين مأسورين إلى الشمال، ومع ذلك أن **سونغ Sung** استطاعوا أن يصنعوا فترة عظيمة، ووضعوا عن جدارة في الصف الأول من بناء الأدب الصيني.

66 إنه وصف ساخر لشخص يقوم بتغيير موافقة ليبقى في وظيفته الدينية كلما تغيرت المتطلبات الخارجية حوله، وبراي هذه هي قرية من أعمال بيركشاير، في بريطانيا / المترجم.

الفصل الثاني التاريخ-الأدب الكلاسيكي والعام

الخطوة الأولى التي اتخذت في دائرة التاريخ لم تكن أقل من إعادة كتابة جميع أخبار سلالة **تانغ Tang**. إن المشروع الاعتيادي كان قد نفذه **ليو هسو Liu Hsu** (897-946)، عالم مثقف من سلالة **تشن Chin** المتأخرة، ولكن وبناء على أسباب كثيرة كانت النتيجة التي أعطيت له هي غير مرضٍ، واتخذت خطوات لإلغائه. أن تنفيذ هذا المشروع أوكل إلى **أو يانغ هسيو Ou Yang Hsiu** و**سونغ تشي Sung Chi** كان كل منهما رجلاً قيادياً في عالم الأدب. لقد تربي أو يانغ هسيو فقيراً، وأمه علمته الكتابة بالقصبة. وعندما أصبح في الخامسة عشرة بدأت قدراته تستجلب الأنظار، وبعد ذلك جاء اسم الأول على لائحة الترشيحات للشهادة الثالثة أو أعلى شهادة. كانت حياته العامة حياة متقلبة بسبب المواقف الجريئة التي اتخذها في الدفاع عن ما اعتقد أنه صحيح، بغض النظر عن المصلحة الشخصية. إلى جانب تاريخ السلالة فقد كتب في شتى المواضيع، الجسيم منها والمبهج، بما في ذلك عرض **لكتاب الشعر**، وعمل عن التدوين القديم ونوادير رجال عصره، ومقالة مفصلة عن نبات الفاونيا أو عود الصليب، والشعر ومقالات لا نهاية لها. التالي هو عينة عن عمله الأخف الذي يبعث كثيراً على الإعجاب لجمال أسلوبه، ويثابر على قراءته جميع طلاب الإنشاء. الموضوع كما سيرى القارئ هو المؤرخ نفسه:-

«إن مقاطعة **تشو Chu** محاطة كاملاً بالتلال، والقمم من الجنوب الغربي يكسوها نمو للشجر كثيف وجميل، الذي عليه تتجول العين بانسباط حتى تخوم **شان دونغ Shan Dong**. إن المشي لميلين أو ثلاثة أميال على هذه التلال يضع المرء على مسمع من صوت المياه المتساقطة التي تتدفق من مجرى يعرف باسم **نافورة**

النبيد؛ بينما، على قاب قوسين، يقع في ركن عند ثنية في الطريق كيوسك، يصفونه عادة بعريشة السكر الكبير في السن. لقد بناها راهب بوذي اسمه الحكمة التي لا موت، حيث عاش بين هذه التلال واستلم الاسم المذكور أعلاه من الحاكم، والأخير كان يجلب أصدقاءه إلى هذا المكان ليتناولوا النبيد، وبما أنه شخصياً كان يفقد أهليته عندما يتناول عدة كاسات، وكان فوق ذلك، طاعنا بالسن فقد أخذ لنفسه لقب السكر الكبير في السن. إلا أن الذي جلبه إلى هذا المكان ليس النبيد، إنه المنظر الساحر الذي مكّنه النبيد من التمتع به.

«إن أشعة الشمس تختلس النظر عند الفجر عبر الشجر، لكي يتم حجبها تدريجياً خلف السحب التي تتجمع تاركة وراءها لا شيء سوى العتمة حولها مما يعطي المكان تغيرات الصباح والليل. الزهور البرية تبعث زفير عطرها من الوادي الظليل، وأوراق النباتات الوارفة للغابة الكثيفة، للشجر الجميل، لريح الصقيع الواضح والصخور المعرأة من السيل المتضائل - هذه مؤشرات الربيع والصيف والخريف والشتاء. الصباح هو الوقت المناسب للذهاب إلى هناك، عائداً مع ظلال الليل، وعلى الرغم من أن المكان يعطي ناحية مختلفة مع تغيرات الفصول، فإن مفاتها لا تخضع لأي مقاطعة، لكنها تستمر دوماً. إن الحمالين يغنون على طول الطريق، المسافرون يستريحون فترة تحت الشجر، واحد يصيح والآخر يرد، الناس الكبار بالسن يعرجون طوال الطريق، الأطفال تحملهم الأيدي، وأطفال آخرون يسكون اليد، في كل الساعات دون توقف - هؤلاء هم شعب تشو Chu. مجموعة في الجداول، والسمك الظريف أخذ من مكان ما حيث تبدأ برك التيار المعاكس بزيادة العمق، وشربة من النبيد المبرد من النافورة، وعدد من صحن اللحم والفواكه كما توفرها هذه التلال، - كل هذه يتم توزيعها سلفاً، تلك تشكل احتفال الحاكم، وفي اللهو الصاخب لساعة المأدبة لا تفكر في العمل أو المشاكل. كل نبال يصيب هدفه وكل لاعب يربح دستته. الكاسات تلمع وهي تنتقل من يد إلى يد؛ وحيوية المحادثات تسمع بينما ينتقل الضيوف دون قيد هنا وهناك. بينهم يوجد رجل طاعن في السن وله شعر أبيض، أصلع بأعلى الراس، هذا هو الحاكم السكر الذي

عندما تقبل الشمس رؤوس التلال وعندما تمتد الظلال الساقطة وتغيب، تثني خطواتها باتجاه البيت برفقة أصدقائه. ثم بالظلام الذي يكبر تسمع أصوات بالعلی وأصوات من تحت؛ حيوانات الحقول وطيور السماء تبتهج لمغادرة الإنسان. فهم كذلك يريدون الابتهاج كما الإنسان. كذلك أصدقاء الحاكم. يبتهجون معه، غير أنهم لا يعرفون على ما هو يبتهج. إذ سكر يستطيع أن يبتهج معهم، وإذا كان صاحبياً يمكنه أن يتناقش معهم، هكذا هو الحاكم. وإذا ما سألت، من هو الحاكم أجبت، أو يانغ هسيو Oh Yang Hsiu من لو لنغ Lu Ling.

إلى جانب تركيز الاهتمام على جمالية هذه القطعة لأنها تصور بحيوية روح العصر الذي كتبت فيه، فإن المعلق يشير بفخر إلى أنه فيها حرف Yeh، بتأثير لبق كذلك الذي في اليونانية YE، يأتي ذكره ما لا يقل عن عشرين مرة. القطعة التالية بعنوان «مرثاة خريفية»، وتشير إلى الانهيار المفاجئ للصيف، وهي ظاهرة عادية في الشرق:-

«في إحدى الليالي ما كدت أجلس إلى كتبي عندما سمعت صوتاً بعيداً باتجاه الجنوب الغربي، وإذا استمع إليه باهتمام شديد، كنت أتعجب ما قد يكون. بالإضافة إلى ذلك أتى عليه أولاً صوت يشبه تنهدة النسيم العليل... وبالتدرج تعمق إلى أن أصبح مثل الاصطدام بسطح ماء الأمواج المتكسرة على الشاطئ... وهدير الكاسرات الضخمة في الليلة المروعة، وضمن عواء إعصار الرياح والمطر. انفجرت كلها في الجرس المعلق، وترك كل واحد من متولياتها ترن بشكل متناغم. كانت مثل المسير المكتوم للجنود، الذين يسرعون في التقدم، الشكيمة في الفم، للهجوم عند اصطخاب الأوامر لا يشق الأجواء، لكن فقط عندما يسمع وقع الخطى للرجال والأحصنة.

«يا ولد، قلت، "ما هذا" الصوت؟ اذهب واستقص الخبر.» يا سيدي، رد الولد عند عودته، القمر والنجوم تشع نورها بقوة: النهر الفضي يمتد عبر السماء. لا صوت إنسان يسمع في الخارج: إنه فقط هسيس الشجر.»

«يا لهفي! صحت، لقد داهمنا الخريف. أو هكذا يأتي الخريف يا ولد؟ - الخريف

- القاسي والبارد، الخريف فصل الأم والغيم؛ الخريف فصل السماء الصافية؛ الخريف فصل الحاصب الخارق، فصل اليباب والآفات! الارتعاش هو الصوت الذي يعلن قربته، ثم ينقض علينا وهو يصرخ. كل وفرة الأخضر الغني تتغير، جميع أوراق الغابة الفخورة ذبلت وسقطت على الأرض، ذبلت من نفس الثلج عليها. فالخريف جلاط الطبيعة الرئيسي وشعاره هو الظلام. له صفة الفولاذ وشعاره هو السيف البتار إنه الملاك المنتقم يركب على جو من الموت. بما أن الربيع هو قمة العطاء فالخريف هو قمة النضوج. وحزينة هي الساعة التي فيها يفوت النضوج، لأن ذلك الذي يفوت أوله يجب أن يموت.

«مع ذلك، ما معنى كل هذا للنبات وللشجر التي تذبل في فصلها المستحق؟ ... لكن أبق؛ يوجد رجل، أكثر إنسان إيماناً من كل شيء. أعطه مائة أمانة فإن ذلك سيحطم قلبه، قلق لا يحصى، يتعقب التجاعيد على جبينه حتى تنثني نفسه من صميم قلبه تحت وزر الحياة. وبأسرع ما يمكنه هو يسرع باتجاه التعفن في الوقت الذي يسعى فيه سدى الحصول على الشيء الذي لا يمكن الحصول عليه أو أن يحزن على جهله على ذلك الذي لا يمكن معرفته أبداً، ثم يأتي الشعر الأشيب - لم لا؟ هل الإنسان له إطار صلب يمكنه به أن يدوم أكثر من شجر الحقول؟ لكن، وبعد هذا كله، من هو الذي، باستثنائه يسرق منه قوته؟ قل لي يا صبي أي حق لدى الإنسان لاتهام الخريف بالتفجر أي بالانطلاق؟

«الولد لم يبد أي جواب. كان مستغرقاً بالنوم. لم يصلني أي صوت باستثناء صوت صرصار الليل يجيب على لحنى الحزين.

المؤرخ البارز الآخر في هذه الحقبة كان **سونغ تشي Sung Chi** (998-1061)، الذي بدأ عمله بضرب أخيه الأكبر في امتحانات المتخرجين. إلا أنه احتل المنصب العاشر عوضاً عن الأول، بأمر امبراطوري ووفقاً لأسبقية الأخوة. ثم ارتقى إلى المناصب العالية وكان كذلك كاتباً غزيراً، وكان من المفضلين لدى البلاط وقد قيل أنه كان مرة في إحدى احتفالات الإمبراطورية عندما بدأ يشعر بالبرد. طلب الإمبراطور

من إحدى السيدات في حريم الإمبراطور أن تعيره لفاعها، وبناء على ذلك عرضت دزينة من البنات لفاعتها عليه. لكن **سونغ تشي Sung Chi** لم يعجبه أن يكون معجباً بأي واحدة منهن، وبالأحرى عوضاً عن أن يزعل الجميع، استمر بالجلوس والارتعاش. ما يسمى بالتاريخ الجديد لسلالة **تانغ**، الذي أنتجه بالتعاون مع أو **يانغ هسيو Ou Yang Hsiu**، يعتبر بشكل واسع تحسیناً واضحاً على عمل **ليو هسو Liu Hsu**. لكنه لم يقيم بإحلاله محل العمل الأخير، الذي لا يزال بين تواريخ العترات المعترف بها، وأخذ مكانه جنباً إلى جنب منافسه.

في هذه الأثناء برز نجم آخر، بالعظمة يمكن مقارنته فقط بالعبقرية المتألقة لـ **سو ما تشين Ssu Ma Chien**. **سو ما كوانغ Ssu Ma Kuang** (1019-1086) التحق بالسلك الرسمي وارتقى إلى أن أصبح وزير دولة. لكنه عارض المصلح العظيم **وانغ آن شيه Wang An Shih** فاضطر إلى الاستقالة في 1070. وكرس حياته الباقية إلى إتمام عمله الشهير المعروف باسم **تونغ تشيان** أو **مرآة التاريخ**، وهو العنوان الذي منحه إياه الإمبراطور في عام 1084 لأن «مشاهدة العصور القديمة كما كانت في المرأة هو أمر مساعد في إدارة الحكومة». **فمرآة التاريخ** تغطي الفترة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى بداية سلالة **سونغ Sung** في عام 960 وتم ردفها بعدة أعمال مهمة بيد الكاتب نفسه، كلها لها علاقة بالمشروع. في صباه كان الأخير طالباً ملتزماً وكان يضع ذراعه على مخدة خشبية مستديرة التي كانت توقظه بحركتها كل مرة بدأ بها يغفو عن عمله. في إحدى المناسبات، خلال طفولته، مرافقه الصغير وقع في زير ماء وكاد يغرق لولا وجود عقل **سو ما كوانغ Ssu Ma Kuang**. حمل حجراً كبيراً وبه كسر الإناء مما فرغ الماء منه. كعالم كان عنده مكتبة كبيرة، وكان دقيقاً جداً في معاملة كتبه حتى أنها بعد سنوات عدة من الاستخدام كانت لا تزال كأنها جديدة. كان لا يسمح لطلابه أن يقلبوا الصفحة بخدش الصفحة بأظفارهم بل جعلهم يستخدمون السبابة مع الأصبع اليمنى لليد الأيمن. في 1085 كان مصراً على العودة إلى الحياة العامة، لكنه منذ عدة شهور لم يكن في العاصمة، مجاهداً كما العادة لخير بلاده، قبل أن يستسلم للمرض ويموت،

وكان موضع احترام في كل مكان وموضع تأسف من جميع أبناء بلده الذي كان يعرف عندهم بمحبة باسم بوذا الحي.

المقتطف التالي من كتاباته يشير إلى تطور جديد وخطير في مكتبة الرقابة، وهي مؤسسة لا تزال تلعب دوراً مميزاً في إدارة الصين:-

قديمًا لم يكن يوجد إدارة باسم المراقب من أعلى سياسي نزولاً حتى الغني والتاجر، كان كل إنسان له الحق بتوبيخ العرش. منذ زمن سلالة **Han هان** وما بعدها هذا الامتياز أعطي لمكتب، له مسؤوليات جسام لمناقشة حكومة الإمبراطورية، والناس في العالم أجمع، والنجاحات والتقصير والمحاسن والنقائص، وفقاً لأهميتها وملحاحيتها. والهدف الوحيد من كل هذه الترتيبات هو منفعة الدولة، وليس تلك الخاصة بالرقيب الذي أزيلت عنه كل أفكار الشهرة والمكاسب. في عام 1017 صدر مرسوم يعين بموجبه ستة مسؤولين لشغل مهمات الرقيب، وفي عام 1045 كتبت أسماءهم لأول مرة على اللوائح، وبعد ذلك في عام 1062، وعلى ما يبدو للمحافظة عليها بشكل أفضل حفرت الأسماء على الحجر. وهكذا تستطيع الأجيال القادمة أن تشير إلى هذا الشخص وتقول، ”هذا رجل ذو ولاء؛ ولآخر تقول ذاك خائن؛ ولثالث تقول ذاك رجل مستقيم. ولرابع، ذاك وغد“. ألا يسبب ذلك الخوف؟

كان أحد مجايلي **سو ما كوانغ Ssu Ma Kuang تشو تون أي Chou Tun I** (1073-1017) الذي زواج بين مهمات القيادة العسكرية الصغيرة والدراسة المطولة والشاقة. وقد جلب لنفسه الأمراض بسبب عمله الزائد عن الحد والاهتمام البالغ بمصلحة الناس ومهما كانت المخاطر له. إن أعماله الرئيسية كتبت لتوضيح الغاز **كتاب التغيير** ونشرت بعد موته من قبل تلامذته، ومع تعليقات **تشو هسي Chu Hsi**. القطعة الساخرة القصيرة التالية، المستترة تحت حجاب رمزية الورود، كتبت بالأسلوب الذي يقدره كل صيني مثقف، معروفة جداً:-

«عندنا محبو النبات الموردة والشجيرات بأعداد كبيرة، لكن **تاو تشيان Tao** وحده الذي كرس نفسه للأقحوان. منذ الأيام الأولى لسلالة **تانغ Tang**،

كان أمراً رائعاً أن تعجب بالفاوانيا، لكن المفضل لدي كان زنبق الماء. كيف تخرج مصقولة من سريها المزهر اللزج! كيف تتواضع في هدوئها على البركة الصافية - وهو شعار الطهارة والحقيقة. ملائمة بشكل متناسق، رائحتها أخاذة تنطلق في كل الأرجاء، حيث ترتاح في حالة من النظافة وهو أمر يبعث على الاحترام من مسافة ولا يجب أن يدنس بمنهج عادي. برأيي أن الأقحوان هو زهر التقاعد والثقافة؛ والفاوانيا هي زهرة الريبة والثراء؛ وزنبق الماء، طهارة السيدة دون منازع.

«وأسفاه! قلة هي التي تحب الأقحوان منذ تاو تشيان Tao Chien، ولا أحد يحب زنبق الماء بقدر ما أحب، بينما الفاوانيا تبقى المفضلة بشكل عام لدى كل الناس.»

تشنغ هاو Cheng Hao (1032-1085) وتشنغ أي Cheng I (1033-1107)
كانا شقيقين شهيرين بسبب علمهما، وخاصة الأخ الأصغر لأنه نشر تعليقا ثميناً عن كتاب التغيير. الأخ الأكبر جذب إليه بعض الانتباه لأنه قمع بشجاعة مثلاً حجرياً في معبد بوذي، قيل عنه أنه كان يبتث إشعاعات من رأسه فكان يسبب التجمعات الفوضوية من الرجال والنساء، عينة من شعره سنعتها في الفصل القادم. كتب تشنغ أي Cheng I عدداً من الفصول المثيرة للاهتمام في فن الشعر. في إحدى هذه يقول، «عندما سئل هل يستطيع إنسان ما أن يصنع من نفسه شاعراً إذا قام بعمل شاق، أجيبه أنه فقط بالعمل الشاق يمكن لأي إنسان أن يتم تصنيفه هكذا، على الرغم، من وجهة أخرى، إن القيام بعمل شاق بحد ذاته قد يكون مناهضاً للنجاح. وذكرونا بالبيتين القديمين:-

«قبل أن يتم الحديث بوزن التفاعيل الخمسة

كم عدد القلوب البشرية التي تكسرت.»

وهناك بيتان قديمان آخريان:-

«إنه لمن المحزن أن تأخذ قلبي

وتحطمه على الوزن من خمسة تفاعيل.»

كلاهما صحيح حتى الثمالة. كونفوشيوس نفسه لم يكتب الشعر لكنه لم ينصح الآخرين عن الامتناع عن فعل ذلك.

المصلح الكبير والاقتصادي السياسي وانغ آن شيه Wang An Shih (1021-1086)، الذي عاش ليرى أن كل سياساته عكست، كان عاملاً مجتهداً في صباه، وفي الإنشاء كان يقال عن قلمه أنه كان «يطير فوق الورق». كرجل امتاز بالتوفير وبعناده. كان يلبس الثياب القذرة وحتى أنه لم يغسل وجهه، وكان سو هسون Su Hsun قد ندد به كوحش. لقد كان واثقاً من جميع أفكاره لدرجة أنه لا يمكن أن يعترف بإمكانية خطئه، الذي أكسبه لقب الوزير العنيد. حاول أن يصلح نظام الامتحانات، لم يطلب من المرشح كثيراً من تألق الأسلوب بالقدر الذي طلب منه معرفة واسعة بالمواضيع العملية، «ووفقاً لذلك،» قال أحد الكتاب الصينيين «حتى طلاب المدارس في القرية بدأوا يرمون كتبهم المدرسية في البلاغة وبدأوا يدرسون كتب التاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي.» كان هو نفسه مؤلف عمل في الأحرف الصينية المكتوبة، مع إشارة خاصة إلى تلك التي يتم تشكيلها عبر إشراك اثنين أو أكثر، والتي معناها، إذا أخذت مع بعضها البعض، يقرر معنى الحرف المركب. التالي هو رسالة كتبها لصديق عن دراسة المذاهب الخاطئة:-

«لقد منعت بسبب المرض من الكتابة لكم لمدة طويلة الآن، مع أن أفكارى كانت دائماً معكم طول الوقت.

«رداً على كتابي الأخير لكم، الذي أعربت فيه عن مخاوفي من أنكم لا تتقدمون في دراستكم للقانون، لقد استقبلت الكثيرين منكم، حيث أنه يبدو أنكم تفكرون أنني عنيت قانون بوذا، وإنكم قد اندهشتم لتوصيتي لتلك الأعمال الضارة. ولكن كيف يمكنني أن أكون قد عنيت أي عمل غير قانون حكماء الصين؟ وبالنسبة لكم أن تكونوا قد أخطأتم مقصدي من رسالتي هو توضيح جيد عما عنيته عندما قلت أنا متخوف من أنكم لا تتقدمون في دراستكم للقانون.

«إن المعرفة الكاملة لقانوننا لم يتم الحصول عليها من قبل أي شخص لفترة طويلة من الزمن. إن دراسة القانون لوحده لا تكفي للمعرفة الكاملة للقانون، وبالتالي أنا شخصياً كنت قارئاً نهماً للكُتب بجميع أنواعها حتى، على سبيل المثال، لتلك الأعمال الطبية والمتعلقة بعلم النباتات. وزيادة على ذلك، غطست في المقالات عن الزراعة وعن التطريز، جميعها. وجدتها مفيدة في مساعدتي للإمساك بمشروع القانون الكبير نفسه، فالتعليم في هذه الأيام يختلف اختلافاً كاملاً في متابعته عما كان عليه في الأيام الخوالي؛ أما الآن، فمن العسير جداً أن تتعرف على المعنى الحقيقي لحكمائنا الأقدمين.

«هناك **يانغ هسيونغ Yang Hsiung**، لقد كره جميع الكتب التي لم تكن تقليدية. إلا أنه عمل دراسة شاملة عن كتاب الهراطقة. بقوة التربية كان بإمكانه أن يأخذ ما هو جيد منها ويرفض ما هو سيء فيها. التأثير الضار لم يفهمه قطعياً؛ بينما، من وجهة أخرى، كان على استعداد بشكل أكثر فعالية لتوضيح ما نعرفه من الحقيقة. الآن هل تعتقد أنني أفسدتُ بهذه التأثيرات الضارة؟ إن كان كذلك، فأنت لا تعرفني.

«لا! إن التأثيرات الضارة للعصر لا يمكن البحث عنها في قانون بوذا. إنها توجد في فساد ورذيلة أولئك الذين في المناصب العليا، في التصرفات الخاطئة والمعيبة التي أصبحت مألوفة بيننا. ألا تتفقون معي في ذلك؟»

سو شيه Su Shih (1101-1036) المعروف بشكل أفضل باسمه الذي اختاره وهو **سو تونغ بو Su Tung Po** الذي كان تعليمه الأولي تحت إشراف والدته، انجز قطعاً إنشائية ممتازة في امتحانات الدرجة النهائية له مما دعا الممتحن أو **يانغ هسيو Ou Yang Hsiu** يرتاب بأنها من عمل بديل محترف. وفي النهاية جاء ترتيبه الأول على اللائحة. وارتقى ليصبح رجلاً سياسياً سبب له أعداء أكثر من الأصدقاء، وكان دائماً يناضل ضد مكائد أعدائه عديمي الضمير، الذي نتج عنه، في مناسبة ما إقصاؤه إلى جزيرة **هاي نان Hai Nan**، التي كانت في ذلك الزمن

همجية ومنطقة غير معروفة تقريبا. وكان كذلك كاتب مقالات رائعاً وشاعراً، وكتاباتاته لا تزال تقدم البهجة للصينيين. القطعة التالية هي حكاية نزهة منتصف الليل إلى منطقة على ضفاف نهر دارت حولها معارك فظيعة قبل تسعمائة سنة تقريباً، وحيث حرق أحد الأساطيل حتى حافة المياه، ومسبباً أحمرار حائط على الأغلب كان صخرة على الجانب:-

«في العام 1081، وكان قد خفت ضوء القمر السابع، ذهبت مع صديق في رحلة في القارب إلى الحائط الأحمر. وكان نسيم صافي يضرب بلطف، نادراً ما كدر النهر، بينما أنا كنت أماً كأس صديقي وطلبت منه أن يضع الطعم في السنارة في ضوء القمر ويغني أغنية «الفتاة المتواضعة.»

«تدريجياً طلع القمر فوق التلال الشرقية متجولاً بين العربة والماعز⁶⁷ ورامياً بأشعته الفضية ورابطاً الماء بالسماء. وعلى الأسكف⁶⁸ أخذنا مقاعدنا وانطلقنا على السطح السائل، بيسر ورشاقة كما لو كنا مسافرين عبر الفضاء، راكبين الريح دون أن نعرف إلى أين نحن متجهون. ويبدو أننا كنا نتحرك في مجال آخر، مبحرين عبر الهواء مثل الإلهة. فسكبت كاساً للفرح، وكنا نمرر الوقت بالضرب على جنب الأسكف فغنيت الأبيات التالية:-

‘بمجاديف ضاحكة، وبمقدمة القارب الفرحة

أنطلق بسهولة عبر المرج اللامع-

إن قلبي في داخلي ينمو بجلل حزين

أبطال عظام ماتوا، أين هم الآن؟’

«تابع صديقي هذه الكلمات على الناي الصغير الذي يحملة، محاولاً ضبط النوتات ليعرب عن المشاعر المتباينة من الشفقة والأسف، دون أدنى انقطاع

67 أسماء نجوم في التراجيديا والكوميديا اليونانية / المترجم.

68 مركب شراعي صغير / المورد / المترجم.

في الصوت الذي بدا أنه التف حولنا مثل شلة من الحرير. إن وحوش الأعماق استسلمت إلى تأثير متاعبه، بينما الملاحه، التي كانت قد فقدت زوجها، انفجرت في البكاء، أما أنا فغلبتني مشاعري فلجأت إلى مزاج جدي وسألت صديقي أن يشرح لي فنه هذا. على هذا السؤال أجاب، ألم يقل تساو تساو Tsao Tsao

‘النجوم قليلة والقمر مشع،

الغراب باتجاه الجنوب رفر في طيرانه؛’

«اتجاه الغرب إلى هسيا كو Hsia Kou باتجاه الشرق توجد وو تشانغ Wu Chang، حيث تندمج التلال والنهر باندماج صرف-لم يهزم تساو تساو Tsao Tsao من قبل تشو او Chou Yu؟ تشينغ تشو Ching Chou كان على رجليه: كان يندفع في النهر باتجاه الشرق. مراكبه الحربية امتدت من المقدمة إلى المؤخرة حتى ألف لي: راياته جعلت السماء مظلمة. سكب كأساً عندما اقترب من تشيانغ لينغ Chiang Ling وهو جالس في السرج مسلح من رأسه حتى أخمص قدميه. ومع ذلك، أين هو اليوم؟»

«الآن، أنت وأنا، اصطدنا السمك وجمعنا المحروقات سويا على الجزيرة الصغيرة النهرية. وقد تأخينا مع الروبيان (جراد البحر)؛ وعملنا صداقة مع الغزال. وانطلقنا سويا في قاربنا الضعيف. وقد حصلنا على الإلهام سوية من زجاجة نبيذ، -عدد من المذكرات أطلقناها في المحيط في قشرة أرز: يا لهفي، فالحياة ليست سوى لحظة من الزمن. أنا أشواق لكي أكون مثل النهر العظيم الذي يتدحرج في طريقه دوماً نهاية. آه، لو استطعت أن أتعلق بجناح ملاك ما وأتجول معه للأبد! آه، لو أنني أستطيع أن أمسك بالقمر المشع بين ذراعي، وأسكن معه للأبد، يا لهفي، يبقى لي فقط أن أُلّف هذا الأسف بصوت اللحن الرقيق.»

” لكن هل تفهم حقاً، لغز هذا النهر وهذا القمر؟“ استفسرت منه. الماء يجري من هنا لكنه لا يذهب أبداً. القمر يخفت ثم يعود ليشتد مرة أخرى بالقياس إلى غيره، فإن الزمن نفسه ما هو إلا لحظة من الوقت ومن ناحية مطلقة، أنت وأنا،

بالشراكة مع كل المادة سنبقى عائشين حتى أبد الأبدين. لماذا إذاً الاشتياق الذي تتحدث عنه؟

«الأشياء التي نراها حولنا هي، الواحد منها وجميعها، هي ملك أفراد. إذا كان الشيء لا يخصني لا يمكن لذرة منه أن استمتع بها. لكن النسيم الصافي الذي يضرب في عرض النهر، القمر الساطع الذي يسبح فوق تلکم التلال - هذه هي أصوات ومناظر يجب الاستمتاع بها دون إجار أو عراقيل من قبل الجميع، إنها الهدايا الأبدية من الله إلى كل الإنسانية والاستمتاع بها لا ينتهي. وبالتالي أنت وأنا نستمتع بها الآن؛

«ابتسم صديقي وهو يرمي التفل من كاس النبيذ الخاصة به، وملأه مرة أخرى حتى حافة الكاس، ثم بعد أن انتهى احتفالنا، وبين القمامة من الكؤوس والصحون، اضطجعنا لكي نرتاح في القارب: وإذ بشعاع من الضوء قادم من الشرق قد أخذنا على حين غرة.»

الانتهاء من مقصورة كان سو شيه Su Shih بينها «كمأوى من شغل الحياة»، تزامن مع هطول المطر الذي وضع حداً لجفاف قاسٍ، استدعى سجلاً للشكر على هذه الظاهرة الإلهية تجاه شعب يتألم. المقصورة سميت نسبة إلى المطر للاحتفاء بالفرحة. «السجل ينتهي بهذه الأبيات:-

«لو أمطرت السماء لؤلؤاً فالبرد لا يستطيع أن يلبسها كتياب،

لو أمطرت السماء يُشباً، فالجوعى لا يستطيعون أكله.

لقد أمطرت دون توقف لثلاثة أيام-

تأثير من هذا؟

هل عليك أن تقول لقد كان من فعل الحاكم،

والحاكم نفسه يحيله على ابن السماء.

لكن ابن السماء يقول، «لا! لقد كان الله.

والله يقول، لا! لقد كانت الطبيعة.»

وبما أن الطبيعة تقع خارج نطاق معرفة الإنسان.

أنا أسمى هذه التعريشة عوضاً عنه.»

قطعة أخرى تشير إلى منعزله الذي-

«احتفظ بطائرين من طيور الكركي، قام بتدريبهما بدقة، وكل صباح يطلق سراحهما باتجاه الغرب من خلال الفجوة ليطيرا وبخفة في المستنقع في الأسفل أو يحلقا في الغيوم كما توجهها وتستهوينا قدرة الطيور، وعندما يحلق الليل يعودان بانتظام شديد جداً.

هذه القطعة تنتهي أيضاً ببعض أبيات من الشعر:-

بعيداً: بعيداً طيوري تطير باتجاه الغرب الآن

اندفع إلى الأعلى وحدق بالجميع في الأسفل؛

انقضوا مع بعض، القوادم مغلقة، إلى الأرض؛

يحلقون مرة أخرى بين الغيوم؛

يطوفون اليوم كله في الوادي المليء بنبات السعداء؛

لتجميع طحالب الحزاز في المستنقع الحجري.

عودوا: عودوا: تحت الظلال الممتدة،

إن المعلم المكسي بنسيج صوفي يقف وغيتاره بيده.

إن هو الذي يطعمكم من مخزنه الرقيق:

عودوا: عودوا: ولا تتأخروا في الغرب.»

إن روايته عن بلد النوم مبنية على أساس بلد السكرى لـ وانغ تشي Wang Chi:-

«إدارة خالصة، وأخلاق تعجب بها هي الباقية هنا، فالكامل يكون مسرى واسعاً، ولا يوجد فيه شمال، جنوب، شرق أو غرب. السكان هادئون وأنيسون، لا يشكون من أي نوع من الأمراض، وكذلك هم لم يتعرضوا إلى تأثيرات العواطف السبعة. لا يوجد لهم اهتمام بشؤون الحياة العادية، لا يستطيعون التمييز بين السماء والأرض والشمس والقمر. لا يكدحون ولا يغزلون لكنهم يضطجعون وينبسطون، لا توجد عندهم سفن ولا عربات؛ لكن تجوالهم يكون طيران التصور غير المحدود.»

أما أخاه الأصغر سو تشه Su Che (1039-1112)، فكان شاعراً وموظفاً رسمياً، ومعروفاً أساساً بالتزامه بالطاوية. وقد نشر طبعة بتعليق عن طاو ته تشينغ Tao Te Ching.

أحد العلماء الأربعة في هذا القرن هو هوانغ تينغ تشيان Huang Ting Chien (1050-1110) الذي تميز كشاعر وخطاط صيني. وكان قد وضع بين الأربع والعشرين نموذجاً للبر بالوالدين، حيث أنه عندما مرضت والدته ظل جالساً عند سريرها يراقبها لمدة سنة كاملة دون أن يبذل ثيابه البتة. التالي هو عينه من أسلوبه الرسولي:-

«إن أشعار هسي كانغ Hsi Kang فوراً بليغة وجميلة تماماً دون أي أثر للعادي فيها. على كل طالب من فن الشعر أن يعرفها ملياً وهكذا يجلب الشاعر مركز الاهتمام.

«أولئك الذين غرقوا في اهتمامات وهموم النزاعات العالمية، حتى بمجرد نظرة عابرة سيربح من ورائها ما فيه الكفاية ليمحو بعض النقرات في الشبكة العنكبوتية للفنائية البشرية، وكم بالحري أولئك الذين يخترقون ويتمسكون بكل معنى مخفي ويستمتعون بطعمها حتى النهاية؟ لذلك، يا ابن أخي؟ أرسل هذه الإشعار لتقرأها للعائلة، حتى يمكنك أن تغسل قلبك وتتسلى في ساعة قلق من خلال التفكير بها. ” كلما لاحظت مؤخراً إلى الشباب عندي، على البطل الحقيقي أن يكون متعدد الجوانب، لكن يجب عليه أن لا يكون عادياً؛ من الصعب شفاء ذلك. وعن ذلك

سأل أحدهم بأي خصائص يمكن تمييز هذا الغياب العادي. فأجبت من الصعب قول ذلك. الإنسان غير العادي هو تحت الظروف العادية مثله مثل الناس الآخرين. لكن ذلك الذي في لحظات التجارب الباهظة لا ترمش له عين هو غير العادي.“

تشنغ تشياو Cheng Chiao (1108-1166) بدأ حياته الأدبية بانعزالية تامة، وكان منقطعاً عن جميع العلاقات الإنسانية. بعد ذلك قضى بعض الوقت في زيارة الأماكن المثيرة المتعددة، مكرساً نفسه للبحث عن الأعاجيب، باحثاً ومنقياً عن الآثار وقرآءة (واستذكار) كل كتاب وقع في طريقه. في عام 1149 تم استدعاؤه لمقابلة في البلاط وأعطى وظيفة شرفية كما أرسل إلى منزله لينسخ كتابه **تاريخ الصين**، الذي غطى فترة زمنية من حوالي 2800 قبل الميلاد إلى 600 ميلادية. وقد صدرت عن هذا العمل طبعة جميلة في ستة وأربعين مجلداً كبيراً نشرت في 1749 بأمر امبراطوري، مع مقدمة من الإمبراطور تشيان لونغ Chien Lung. وقد كتب المقالات والشعر بالإضافة إلى مقالة أظهر فيها أن الكتابات الحفرية على الطبول الحجرية، الموجودة الآن في بكين تعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد وليس من القرن العاشر أو القرن الحادي عشر قبل الميلاد كما كان مقبولاً في العادة.

إن اسم تشو هسي Chu Hsi (1130-1200) اسم شعبي تستعمل كلماته بشكل عادي في الصين الأدبية في طول البلاد وعرضها. تخرج **تشو هسي** وعمره تسعة عشر عاماً وبدأ عملاً رسمياً ناجحاً جداً. ويبدو أنه كانت لديه ميول قوية تجاه البوذية - يقول البعض أنه بالواقع أصبح راهباً بوذياً، على أي حال فقد رأى أخطاء طريقه وكرس حياته كاملاً لدراسة المذهب الأرثوذكسي أي التقليدي. وكان كاتباً كثير الكتابة. بالإضافة إلى مراجعته لتاريخ **سو ما كوانغ Ssu Ma Kuang** تحت عنوان **تونغ تشيان كانغ مو Tung Chien Kang Mu** فإن هذا الكتاب لا يزال يعتبر التاريخ القياسي للصين. ووضع نفسه الأول في الصف الأول لجميع المعلقين على القانون الكونفوشيوسي. وقدم تفسيرات إما كاملة أو جزئية على اختلاف مع أولئك الذين تقدموا الصفوف من قبل علماء **سلالة هان**، ومنذ ذلك الحين كانوا يستقبلون على أساس أنهم معصومون، وبالتالي عدل نوعاً ما من معيار

الأخلاق السياسية الاجتماعية التي كانت سائدة. مبدأه كان ببساطة الثبات. وقد رفض أن يفسر كلمة في فقرة ما بمعنى معين، والكلمة، نفسها تذكر في مكان آخر بمعنى مختلف. وكانت النتيجة في جملتها، بلا شك أن تسرع في وضوح الكثير من الفقرات، التي كان معناها مستتراً عوضاً من أن يكون موضحاً من قبل العلماء الأوائل لسلالة هان، لكن في بعض الأحيان تداخل المعلق العظيم مع نفسه، هنا نصين لفقرة واحدة في المختارات كما تفسرها المدارس المتنافسة ويبدو أن الأقدم هي المفضلة بلا منازع:-

<p>الهان</p> <p>منغ وو Meng Wu سال كونفوشيوس فيما يتعلق ببر الوالدين. قال المعلم، «إنها تتكون من عدم إعطاء والديك أي سبب للقلق باستثناء أمراضك الطبيعية.»</p>	<p>تشو هسي</p> <p>مينغ وو سأل كونفوشيوس فيما يتعلق بالبر بالوالدين. قال المعلم، «لدى الوالدين اسى بالتفكير بقلق بأمراض أطفالهم.»</p>
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

الترجمة الثانية تبدو بوضوح إنها غير مكتملة. تشو هسي أضاف تعليقاً يقول فيه أن على الأطفال واجب أن يتخذوا الحيطة.

في مقدمة عمله عن الكتب الأربعة، كما شرحه تشو هسي، والذي نشر في 1745 كان لـ وانغ بو تشينغ Wang Pu Ching (المولود في 1671) الفقرة التالية:-
حاول شاو يونغ Shao Yung أن يشرح قانون التغيير بالأرقام وتشينغ آي Cheng I بلياقة الأشياء الدائمة لكن تشو هسي Chu Hsi الوحيد الذي استطاع أن يخترق إلى المعنى ويأخذ فكر الأنبياء الذين ألفوه. إن أفضل الأعمال المألوفة الأخرى لـ تشو هسي Chu Hsi هي مقالة ما وراء الفيزيائيات أو الطبيعية، وتتضمن جوهر تأملاته اللاحقة، والتعليم للصغار، وهو كتاب للناشئة، وقد أدعى البعض أن كلمة

«الصغار» في العنوان الأخير لا تعود على المتعلمين الشباب، وإنما على أولئك الذين بالمستوى الأدنى الذين كتب الكتاب من أجلهم، مقارنة مع التعليم الأعظم. إن المقتطف التالي، على ما يبدو، يشير باتجاه التعليم للشباب كالتعبير الصحيح للعنوان:-

«عندما تكون في منزل صديق لا تصر على طلب أي شيء ترغب بالحصول عليه. عندما تصعد إلى الأعلى قل كلمة «إحم!» عندما ترى زوجين من الأحذية بالخارج، وتسمع أصواتاً، يمكنك الدخول ولكن إن لم تسمع أي شيء، أبق في الخارج لا تدعس أحذية الضيوف الآخرين، ولا تدعس على البساط الموضوع من أجل الطعام وإنما أمسك ثيابك وأعبر بسرعة إلى المكان المخصص لك. لا تكن مسرعاً لتصل ولا مستعجلاً لتهرب.

«لا تقلق الآلهة بالصلوات الكثيرة. لا تعمل لك أتعاباً لتسد بها قصورك. لا تحاول أن تعرف ما لم يحدث حتى الآن.»

لقد كان تشو هسي **Chu Hsi** محظوظاً أن التقى مصادفة مع رسام صور شخصية ذكي. وهي خدمة نادرة في الصين في الوقت الحاضر وفقاً للسيد جيه. بـ كوفتري J.B. Coughtrie، الذي كان مؤخراً من هونغ كونغ والذي أعلن أن الأسلوب والمذاق الخاص بالصينيين تجتمع كلها لكي لا تعطي تشابهاً قريباً من الحياة ولتجعل من الصورة التي انتهى رسمها غير جذابة، الفنان يضع على ورقته مجموعة من الألوان لتلائم ملامح الجالس عنده، وبناء على هذه يرسم خريطة للملامح ولا يقوم بأي محاولة للحصول على تدوير أو على شكل مجسم من خلال إلقاء الضوء والظلال عليها، ولا يعمل على إيصال الاقتراحات البسيطة لأي حياة أو تعبير. «تشو هسي **Chu Hsi** أعطى الفنان شهادة ساطعة يقول فيها أن الأخير لا يرسم القسمات فقط «لكنه يمسك بالتعبير ذاته ويعيد إنتاج سويداء قلب النموذج، كما يقال. ثم يضيف كلاماً محبباً شخصياً كالتالي:-

«أنا شخصياً، جلست ليرسم لي صورتين، واحدة كبيرة والأخرى صغيرة، وقد كان ممكناً أن تراه يعيد رسم وجهي البشع الخشن والقروي السفيفه حتى أولئك الذين سمعوا عني فقط، ولكنهم لم يروني أبداً كانوا يعرفون

فوراً لمن هذه الصورة مخصصة.» وقد يكون من المثير والشيق أن نعرف إن كانت أي من هذه الصور لا تزال باقية ضمن أوراق عائلة تشو Chu.

عند وفاة تشو هسي Chu Hsi، يقال أن نعشه اتخذ موقعاً متديلاً في الهواء حوالي ثلاثة أقدام من الأرض. وبناء عليه، ركع زوج ابنته على ركبتيه إلى جانب النعش، وذُكر الروح المغادرة من أنه كان شارحاً ممتازاً في الحياة - فنزل النعش بهدوء إلى الأرض.

الفصل الثالث الشعر

إن شعر سونغ Sung لم يجلب الاهتمام الكافي مثل شعر تانغ Tang . ويعود ذلك أساساً إلى حقيقة أنه على الرغم من أن جميع الناس المتفقيين في سلالة سونغ يمكن أن يقال عنهم أنهم أدّوا حصتهم من الشعر، إلا أنه لا يزال هناك البعض، إن وجد، الذين يمكن تصنيفهم كشعراء محترفين أي يقرضون الشعر ولا شيء غيره، مثل لي بو Li Po، فو تو Fu Tu، وكثيرون غيرهما في سلالة تانغ. بدأ الشعر أن يكون، ما بقي عليه، بدرجة حادة حتى يومنا هذا، إدارة للتربية الدمثة، بغض النظر عن جزيئات الريح الهوجاء المقدسة. وقد أعطى اعتباراً أكبر للشكل، والتصريح الذي أعطى للمعلمين السابقين تمت التضحية به من أجل التقليدية. القصائد الغنائية التي جمعها كونفوشيوس هي، كما راينا، أغان شعبية بدائية، عن الحب والحرب والفلاحة تحمل مباشرة بساطتهم إلى قلب الإنسان. يُظهر الشعر في سلالة تانغ تركيبه ممتازة يتم فيها تشغيل الفن، غير المرئي، لدعم الأفكار، وليس تقييدها أو تحقيرها، التي تستمد من المشاركة الحقيقية من الطبيعة. مع سقوط سلالة تانغ Tang عانى الفن الشعري من انحطاط لم يستعاد منه أبداً؛ والآن وفي الأوقات الحديثة مع أن كل طالب «يمكنه أن يكتب بيتين من الشعر»، لأنه كان قد «تعلم ذلك كما ينبغي»، فالأشعار التي صدرت، كشفت عن تكلف عار يتك القارئ مخيب الآمال وبارداً.

الشاعر تشن توان Chen Tuan (المتوفى عام 989 ميلادية)، بدأ حياته في ظروف ملائمة. وقد تم إرضاعه من سيدة غامضة بلباس أخضر، التي وجدته يلعب كطفل صغير على ضفة النهر. وأصبح إثر هذه التغذية غير الطبيعية ذكياً جداً وامتلك ذاكرة مذهلة مع ملكة شعرية مذهلة. وبالرغم من ذلك فشل في الحصول على

درجة، فأسلم نفسه «لفرح التلال والأنهر.» بينما كان في الجبال يقال أن كائنات روحية كانت تأتي وتعلمه فن السبات مثل الحيوانات حتى أنه كان يذهب للنوم لمائة يوم متواصلة. كتب مقالة حول إكسير الحياة، وبشكل عام كان يميل إلى الطاوية. عندما مات بقي جسده ساخنا لسبعة أيام، ولمدة شهر ظلت ترتيلة «التمجيد» تلعب حول قبره. وقد استدعي عدة مرات للقصر، ولكن إذا حكمنا من القصيدة التالية نخلص أن طبقة الموظفين الرسميين لم تكن تغريه:-

«لعشر سنوات طويلة، تذاقلت بمشيتي

عبر واد من الشبق والاضطراب.

ثم عبر أحلامي ومض قبس

من الحياة السلمية الحلوة القديمة. ...

لا قبعة محبوكة بالخيط القرمشي

يمكنها أن تتسابق مع راحة هادئة،

الدور الفخمة لا تتذوق الأفراح

التي يعرفها كوخ الرجل الفقير

أنا أكره التهديد باستعمال السلاح

عندما يزدحم الحراس الأشداء،

أنا اشمئز من عربدة السكارى

وصوت العزف والأغنية،

لكن أنا أحب أن أجد ركناً هادئاً

وأجلب مُجلداً نوعاً ما

حيث يمكنني أن أشاهد الزهور البرية تتفتح

وأسمع عصفير الربيع.»

شاعر آخر يانغ آي Yang I (974-1030) لم يستطع الحديث وهو طفل حتى في يوم من الأيام، عندما أخذ إلى أعلى الباغودا، فجأة انفجر صائحاً بالأبيات التالية:-

«على قمة هذه الباغودا الطويلة

يمكن ليدي أن تطال النجوم؛

لا أجرؤ على رفع صوتي للحديث

لأنني أخاف أن أقلق راحة الله.»

لقد ذكرنا سابقاً شاو يونغ Shao Yung (1011-1077) فيما يتعلق بـ تشو هسي Chu Hsi والدراسة الكلاسيكية. لقد كان مسافراً عظيماً يحب السفر ومتحمساً لقضية التعليم، أنكر على نفسه أن يتخذ مدفأة في الشتاء ومروحية في الصيف. لمدة ثلاثين سنة لم يستخدم المخدة، ولم يكن له حتى فرش ينام عليه. العينة التالية من شعره تتعارض مع شخصيته كناسك:-

«زهور جميلة تلمع في كأس من العلا

وتضيف عبر التأمل استمتاعاً لا محدوداً؛

عبر جيلين عشت دون تشك

بينما أربعة حكام أقوياء خلدوا للراحة الأبدية.

«جسمي من ناحية صحية لم يفعل شيئاً ليغيظني،

وكانت اللحظات حلوة التي مرت فوق رأسي؛

لكن الآن، مع هذا النيذ وهذه الزهور لتبهجني

كيف يمكنني أن أبقى يقظاً لأصل إلى البيت لأنام.»

كان شاو يونغ Shao Yung أستاذاً كبيراً في المظاهر الطبيعية، وشروحاتها

استخرجها هو من مبادئ موجودة في كتاب التغيير. في مناسبة ما، كان يتمشى مع بعض أصدقائه عندما سمع صرخة طائر السُّبْد. فوراً أصابه اكتئاب وقال، «عندما تهتم الحكومة الجيدة أن تسود فالتيار المغناطيسي يتدفق من الشمال إلى الجنوب، وعندما تقود الحكومة السيئة فإنه يجري من الجنوب للشمال، والطيور تشعر أول ما تشعر بتأثيره. الآن، حتى الآن هذا الطائر لم يُرَ في لو يانغ Lo Yang والذي منه استنتج أن التيار المغناطيسي كان يجري من الجنوب للشمال، وأن جنوبياً ما سيتسلم السلطة مع نتائج عديدة على الدولة.» وأن الظهور اللاحق لـ وانغ آن شيه Wang An Shih اعتبر تثبيتاً لمهارته.

المصلح العظيم المذكور هنا، وجد الوقت ضمن اهتماماته للعناية بثورته الاقتصادية، وجد الوقت ليطلق العنان لتأليف الشعر. هنا رواية عن ليلة بيضاء، وهي تمثل مثلاً ممتازاً لصعوبة «توقف قصير»:-

«إن عصي البخور أحتزقت حتى صارت رماداً

الساعة المائية توقفت،

إن نسيم منتصف الليل يضرب بقوة،

وكل شيء حوله تجمد.

«ومع ذلك، أنا منعت من الإغفاء

مع قبل جمال الربيع.

اشكال حلوة من الزهور عبر البراري

إن أشعة القمر المرتعشة تندفع!»

هنا أيضاً قصيدة قصيرة كتبها عالم كلاسيكي، هوانغ تينغ تشيان Huan Ting Chien، بمناسبة الزيارة السنوية للصلاة في قبور الأقدمين ومُنظر كامل للمقبرة على سفح التل:-

«إن شجر الخوخ والبرقوق يبتسم مع الزهور

في هذا اليوم الشهير من الربيع،

والمقابر في البلاد كلها

تنم عن المرآئي.

الرعد قد أربح حياة الحشرات.

وأثار البعوض والنحل،

مطر ناعم حث المحصول

ولطف الزهور والشجر. ...

ربما على هذا الجانب تنام عظام

بأئس لا أحد يعرفه؛

وعلى الآخر، يضطجع الرماد

المقدس لوطني.

لكن من هو عبر القرون

يأمل بتعليم كل بقعة

حيث المجنون والبطل يجتمعان في الموت

تحت العليق المتعفن؟»

الطالب الجاد تشنغ هاو Cheng Hao كتب الشعر مثل الآخرين. وأحياناً يتنازل

ويلقي نكتة:-

«أتجول شمالاً، أتجول جنوباً

أنا أريح نفسي كيفما رغبت....

أنظر كيف قرضت ضفاف النهر

تحت نسيم الخريف!

ولكن لماذا أهتم إذا ما الخريف انطلق

إن فقدان الألوان من ضفاف النهر

هي قضية تخص ضفاف النهر.»

في القرنين الحادي عشر والثاني عشر اشتهر هونغ تشييه فان Hung Chueh Fan كشاعر وخطاط، ولكنه في النهاية استسلم إلى الافتتان بالبوذية وتم تنصيبه راهباً. وهذه محنة ليس بالبسيطة. من ثلاثة إلى تسعة أقراص توضع على الرأس المحلوق للمرشح وتترك لتحترق في اللحم، تاركة بذلك ندبات لا تمحى. التالي هو شعر منه كتب على الأرجح قبل أن ترطب الرهبانية حماسه الطبيعي:-

رَوبان حريريان أخضران، مع حمالة مدهونة،

وتهتز من عالي سماء،

وهناك خارج البيت توجد فتاة.

تسلي نفسها في الربيع.

على الأرض ثيابها بلون الدم الأحمر

تطير بخفة وبحفيف

كما لو أنها ستحملها

لتكون مثل الملاك في السماء

منشورة بكثافة بزهر اللوز الذي يرفرف

تكون الحمالة قد شوهدت.

الأرواب المطرزة ملائمة جيئة وذهابا

بين خضرة الصفصاف.
بعد إذ تتوقف وإلى الخارج تقفز
لتقف بعينها الحزینتین،
وتعتقد أنت أنها ملاك ما
كان لتوه أبعد من السماء.»

كان **یه شیہ Yeh Shih** (1150-1223) معروفاً كرجل دولة أكثر منه كشاعر.
كانت «التوقف القصير» التالي تشير إلى بوابة الدخول لمنتزه جميل وتعتبر بين
الأفضل من نوعها:-

«إنه مغلق-حتى لا تدوس الأقدام
مجد الأخضر.

طرقنا طرقنا المرة تلو المرة؛

لم نر البواب

الترابيس والقضبان لا يمكنها عزل

غطاء وقت الربيع الجميل:

وردة شجر اللوز الزهرية تبرز

من الحائط المائل الحسود.»

يبدو أننا لن نعرف شيئاً عن **كاو تشو نيان Kao Chu Nien**. لكن قصيدته
عن عبادة قبور الأجداد التي يحتفل فيها سنوياً في الربيع يمكن إيجادها في كل
المجموعات.

«التلال الشمالية والجنوبية

هي مدافن كبيرة واحدة،

وكل شيء فيها مليء بالحياة والنشاط
عندما يأتي اليوم المقدس
إن النقود الورقية المحروقة، مثل الفراش
تطير قريباً وبعيداً،
بينما أرواب الحزاني بدموع من الدم
ملونة باللون الأرجواني.
الشمس تغرب والشعب الأحمر يجثم
قرب القبر؛
يأتي الليل، والشبان والفتيات يضحكن
حيث القناديل تضيء الظلمة.
دع من يجلب الحظ له النبيذ،
يسكر ريثما يستطيع ذلك.
لأنه لا يوجد إنسان حيث تحن الليلة الطويلة،
يستطيع أن يأخذ منه حتى نقطة واحدة.»

الفصل الرابع المعاجم- الموسوعات - الطب الشرعي

لقد صدرت عدة معاجم مهمة من قبل علماء مختلفين خلال سلالة **سونغ Sung** ناهيك عن الأعمال اللغوية الكثيرة ذات القيمة المتفاوتة. لقد كان الصينيون دائماً طلاب لغتهم الخاصة بهم، جزئياً، وبلا شك، لأنهم لم يتنازلوا أبداً عن النظر إلى لغة أخرى. هم يُسرون عندما يعودون إلى الأيام عندما كان تبادل الرسائل يقوم على الصور فقط لا غير؛ والحقيقة أن هناك شواهد قليلة بوجود هكذا نظام نتج عنه إثارة الاختراع والتزييف.

لقد كان **تشن بنغ نيان Chen Peng Nien** (1017-961 ميلادية) خادماً ذكياً، عرف باسمه الشعبي "الثعلب أبو السبع ذنبات"، وارتقى إلى أن أصبح وزير دولة. لقد تم تشغيله لينقح معجم **كوانغ يون Kuang Yun**، وهو معجم لغوي لمؤلف غير معروف، تضمن أكثر من ستة وعشرين ألفاً من الحروف الصينية. الأخير أنتجه **سونغ تشي Sung Chi** المذكور في الفصل الثالث، بالشراكة مع عدد كبير من العلماء المرموقين.

تخرج **تاي تونغ Tai Tung** في عام 1237 وارتقى ليصبح حاكم **تاي تشو Tai Chou** في **تشه كيانغ Cheh Kiang**. بعد ذلك سيطر المغول أو المنغول وبما أن **تاي تونغ** كان غير مستعد للعمل عندهم تذرع بعلته صحته. فتقاعد في 1275 وعاد إلى الحياة الخاصة. هناك انشغل في تأليف **ليو شو كو Liu Shu Ku** أو **المخطوطات الستة** وهي بحث في أصل وتطور الكتابة وفقاً للبعض، نشر حوالي 1250 ميلادية، ولكن وفقاً للبعض الآخر لم يجر نشره أبعد من 1319.

منذ صعود سلالة **سونغ** يمكن أن نؤرخ لأول ظهور للموسوعات، التي كتب عليها أن تحتل فضاءً كبيراً في الأدب الصيني. **وو شو Wu Shu** (1002-947 ميلادية)

الذي كانت حياته «لحظة ذات قيمة من الفقر المكبوت»، يمكن أن يعتمد دون وجل بإنتاج أول عمل من نوعه. إن عمله شي لاي فو Shih Lei Fu المتخصص الظواهر السماوية والأرضية، وبعلم التعدين، وعلم النبات، التاريخ الطبيعي، وتم ترتيبه حسب الموضوعات لعدم وجود الأحرف. ومن الغريب أنه كتب بالأسلوب الشعري النثري وشكل الأساس لكتاب مرجعي مشابه قيد الاستخدام في أيامنا هذه. وقد وضع وو شو Wu Shu في لجنة أنتجت عملاً واسعاً جداً معروفاً باسم تاي بنغ أو لان Tai Ping Yu Lan. وكان يرأس هذه اللجنة لي فانغ Li Fang (924-995 ميلادية) وزير الدولة، ومحظي كبير لدى الإمبراطور في آخر سنة في حياته دعي لمشاهدة الاحتفال بالفوانيس من القصر. في تلك المناسبة أمر، الإمبراطور لي أن يكون إلى جانبه وبعد أن سكب له كأساً من النبيذ وزوده بأنواع مختلفة من الطيبات التفت إلى مجالسيه وقال، «لقد خدمنا لي فانغ Li Fang مرتين كوزير دولة، ومع ذلك لم يؤذ أبداً، بأي شكل، مخلوقاً إنسانياً واحداً. حقاً إنه لرجل صالح.» تمت إعادة طباعة تاي بينغ أي لأن Tai Ping Yu Lan في عام 1812، في اثنين وثلاثين مجلداً كبيراً، وكان يُسمى كذلك لأن الإمبراطور راجع شخصياً المخطوطة، وهو عمل شغله لمدة عام تقريباً، ويقدم هذا العمل لائحة من حوالي ثمانمائة سلطة وكشاف ملأت أربعمائة صفحة.

كملحق لهذا العمل، صمم لي فانغ Li Fang تاي بينغ كوانغ تشي Tai Ping Kuang Chi وهو موسوعة تعالج السيرة الذاتية ومعلومات أخرى التقطت من الأدب العام ويقدم لائحة من حوالي ثلاثمائة وستين اسماً وكشافاً من مائتين وثمانين صفحة. إن طبعة سنة 1566 وهي عمل نادر- مجلدة في اثني عشر مجلداً سميكاً وموسوعة على رفوف مكتبة جامعة كيمبردج.

وموسوعي آخر كان ما توان لين Ma Tuan Lin ابن موظف رفيع المستوى، وكان قد أعد ليتبعه في خطواته. إن تواريخ ميلاده وموته غير معروفة، لكنه ازدهر في القرن الثالث عشر. وعندما انهارت سلالة سونغ اختفى من الحياة العامة والتجأ إلى مكان مولده وسلم نفسه للتعليم، جاذباً العديد من التلاميذ من أماكن قريبة وبعيدة فاتناً الجميع بمهارته الديالكتيكية التي لا تتعب. وقد ترك وراءه ون هسيان

تونغ كاو Wen Hsien Tung Kao، موسوعة كبيرة مبنية على أساس تونغ تيان Tung Tien لِ تو او Tu Yu، ولكن بنسخة مزيدة ومدعم بخمسة أقسام، وهي الببليوغرافية والسلالة الملكية، التعيينات، وعلم الفلك المختص برسم الخرائط للنجوم والمجرات وباقي الأجرام السماوية المعروف بالأورانوغرافيا والظواهر الطبيعية. هذا العمل الذي كلف مؤلفه عشرين سنة من الجهد المتواصل معروف لدى الأوروبيين منذ فترة حيث استقوا من ينابيعه البحث التاريخي الموجود فيه.

عند نهاية سلالة سونغ نشر كتاب عجيب عن الطب الشرعي، مثير للاهتمام بالرغم من الحماقات المتعددة الجوانب فيه كونه يعترف به كدليل للاستعمال الرسمي في الوقت الحاضر. لا يوجد قاض، يعتقد أبداً في مواصلة القيام بعمله كقاضي تحقيق دون أن يصطحب نسخة من هذه التعليمات معه. العمل الحالي تم جمعه من قبل قاضٍ اسمه سونغ تسو Sung Tzu من أعمال سبق إن وجدت، وقيل لنا في مقدمة طبعة جميلة مؤرخة في 1842، إنه «قد أخضع لعدة أجيال من اختبارات عملية من قبل مجلس العقوبات، مما جعله مضبوطاً أكثر وأكثر يومياً. مقتطفات قليلة منه ستكفي لتقرير قيمته الحقيقية:-»

1. «لدى الإنسان ثلاثمائة وخمس وستون عظمة، وهو مماثل لعدد الأيام التي تحتاجها السماء للدوران.

«إن جمجمة الذكر من مؤخرة الرقبة إلى أعلى الرأس، تتكون من ثمانية قطع- وإنسان تساي تشو Tsai Chou تسع قطع. هناك خط التحام أفقي عبر مؤخرة الجمجمة، وآخر عامودي إلى المنتصف. جمجمة الأنثى تتكون من ست قطع ولها خط التحام أفقي وليس عامودياً.

«الأسنان عددها أربعة وعشرون، ثمانية وعشرون واثني وثلاثون وستة وثلاثون، يوجد كذلك ثلاث عظام مشكلة بالطول على الصدر.

«هناك عظمة واحدة تعود للقلب في شكل وبحجم الكاش.

«يوجد أيضاً عظم للكتف وعظمة مجوفة على كل جانب. «الذكور لهم اثنا عشر

ضلعاً على كل جانب، ثمانية طوال وأربعة قصار. الإناث عندهن أربعة عشر على كل جانب.

2. «الجروح التي تصيب العظم تترك علامة حمراء ومنظر تشبيح خفيف وحينما ينكسر العظم هناك على كل جانب أثر للدم يشبه الهالة. خذ عظمة عليها أثر للجروح، وانظر إليها في الضوء، إن كانت هذه لونها أحمر نضر فيكون الجرح قد أصيب قبل الموت وخرمها إلى العظم؛ لكن إذا لم يكن هناك أي أثر للتشبع، مع أنه يوجد جرح، قد أصابه بعد الموت.

3. «يمكن أن يتم تحديد عظام الوالدين من قبل أطفالهما بالطريقة التالية. دع الممتحن يجرح نفسه أو نفسها بسكين واجعل الدم ينقط على العظم، إذا كانت العلاقة حقيقة واقعة فإن الدم سينزل إلى العظم، وإلا فلن ينزل. ملاحظة، - لو كانت العظام مغسولة بماء مالح، حتى لو كانت العلاقة قائمة إلا أن الدم لن ينزل أبداً. هذه خدعة يحب الإنتباه لها مسبقاً.

«وقد قيل أيضاً إن كان الوالدان والأطفال، أو الزوج والزوجة، يجرحان نفسيهما ويتركان الدم ينزف إلى وعاء الماء فالدمين سيختلطان بينما لن يختلطا إن كان من إنسانين لا تربطهما رابطة.

وإذا ما كان شقيقان قد يكونا فصلا عن بعضهما البعض منذ الطفولة، يرغبان بإقامة العلاقة بين هويتهما، لكن لا يستطيعان فعل ذلك بأدوات عادية، يطلبان من بعضهما البعض أن يجرح كل واحد نفسه ويترك الدم ينزف في وعاء. إن كانا شقيقين فالدمين سيختثران في وحدة واحدة؛ وإلا فلا. لكن لأن الدم الطازج سيختثر دائماً بمساعدة قليل من الملح أو الخل يقوم الناس غالباً برش الوعاء بهذه المواد للحصول على أهدافهما، وبالتالي سينظفون الوعاء الذي سيتم استخدامه أو يشترتون واحداً جديداً من الدكان وهكذا سيتم هزيمة الخدعة.

4. «هناك عدد من الأوغاد الفظيعين عندما يقتلون إنساناً يحرقون جسده ويرمون الرماد، حتى لا يكون هناك عظام لتختبر. في مثل هذه الحالات عليكم أن

تجدوا بتأن في أي وقت اقترفت الجريمة وأين تم حرق الجثة. ثم بعد أن تعرف مكان الجريمة، وبعد أن يتفق جميع الشهود على هذه النقطة، يمكنك أن تباشر دون أدنى تأخير لاختبار الجروح. إن طريقة الكشف هي التالي. ضع سقيفتك قرب الجثة حيث حرقت واجعل المتهم والشهود يدلون على المكان الصحيح. تم اقطع الحشيش والأعشاب التي نمت في المكان تم أشعل النار في المحروقات حتى يصبح المكان حاراً جداً رامياً عدة مكاييل من بذور القنب. ثم قم تدريجياً بتنظيف المكان بالفرشاة ثم إذا كانت الجثة قد حرقت في هذا المكان ستجد أن زيت البذور قد غاص في الأرض على شكل إنسان، وحيثما يوجد جروح على الرجل الميت، ستجد أنه على الصورة قد تجمع الزيت، بشكل كبير أو صغير، بشكل مربع أو مدور، بالطول أو القصر، مائلاً أو مستقيماً تماماً كما قد أصيب بها. الأجزاء حيث لم يكن عليها جروح ستكون خالية من هذه الظواهر.

الكتاب السادس
سلالة المنغول (1200-1368 ميلادية)

الفصل الأول الأدب المتعدد-الشعر

شهد القرنان الثالث عشر والرابع عشر ثورة سياسية مميزة. الصين كانت احتلت من المنغول، ولأول مرة في التاريخ دخلت الإمبراطورية تحت حكم ملك غريب، لا يمكن وضع تاريخ محدد لانتقال السلطة الإمبراطورية. في 1264 حدد قبلاي خان العاصمة في بكين، وفي 1271 تبنى يوان Yuan كأسلوب له في حكم عترته. لكن لم يحدث أن قام أحد في 1279 مثل رجل الدولة الوطني تشاو بينغ Chao Ping، الذي قطع عزلته يائساً من بلاده فحمل على ظهره الصبي الإمبراطور، آخر من بقي من سونغ فقفز من سفينته المنكوبة في النهر، خاتماً بذلك تاريخ السلالة.

قبلاي خان الذي كان بوذياً ملتزماً كان يجلب كثيراً كونفوشيوس، وكان راعياً ثابتاً للأدب. في 1269 طلب من باشبا Pashpa، راهب تيبتي تأسيس أحرف للغة المنغولية، وفي 1280 تم إعادة تنقيح الرزنامة؛ وفي عام 1287 ثم افتتاح الأكاديمية الإمبراطورية. لكنه لم يستطع أن يسامح ون تيان هسيانغ Wen Tien Hsiang، ذلك الوطني والعالم المشهور الذي قاتله ببطولة لكنه لم ينتصر عليه. في العام 1279 نقل الأخير إلى بكين وهي الرحلة التي أمضى فيها ثمانية أيام دون أن يأكل. وقد بذل جهداً كبيراً لإقناعه بالولاء للإمبراطور المنغولي، لكن دون نجاح. بقي في السجن لمدة ثلاث سنوات. في نهاية المطاف استدعي إلى حضرة قبلاي خان الذي سأله «ماذا تريد؟» أجابه ون تيان هسيانغ Wen Tien Hsiang قائلاً ببركة من إمبراطور آل سونغ أصبحت وزيراً لجلالته. لا يمكنني أن أخدم سيديين. أنا أطلب فقط أن أموت.» وفقاً لذلك تم إعدامه، ملاقياً حتفه بكل وقار، وقام بسجدة أخيرة باتجاه الجنوب، كما لو أن مليكه لا يزال حاكماً عاصمته. القصيدة التالية كتبها ون تيان هسيانغ Wen Tien Hsiang وهو في الأسر:-

«في الكون توجد هالة تتغلغل في جميع الأشياء وتجعلهم أن يكونوا ما هي عليه. في الأسفل، تشكل الأرض والمياه؛ وفي الأعلى تشكل الشمس والنجوم. في الإنسان تسمى الروح؛ ولا توجد مكان لا توجد فيه.

«في أوقات السلامة الوطنية هذه الروح تبقى بعيدة عن النظر بسبب الطمأنينة التي تسيطر. فقط في زمن الاضطرابات الكبيرة تظهر بوضوح بالخارج.

(وهنا يتبع عشرة مواقف تاريخية من الورع والبطولة.»

«هكذا هي هذه الروح العظيمة والمجيدة التي صمدت لعدة أجيال والتي عندما تربط مع الشمس والقمر، لا تعرف البداية ولا النهاية. هي أساس كل الأشياء العظيمة والجيدة في السماء وعلى الأرض. إنها نفسها مولودة من الواجبات الدائمة التي هي مستحقة من قبل الإنسان للإنسان.

«يا ويلتي، إن القدر ضدي. كنت دون موارد مربوط بالأغلال، وبسرعة أبعدت إلى الشمال، فالموت كان سيكون حلواً حقاً؛ لكن العطية رفضت.

«إن زنزانتني يضيئها السراب فقط؛ لا نفس ربيعي يبهج الوحدة القائمة التي أعيش فيها. الثور والحصان يأكلان العلف سوياً في اسطبل واحد، الديك والعنقاء يأكلان سوياً من صحن واحد. وتعرضت للسحاب وللندی، ووجدتني أفكر بالموت عدة مرات؛ ومن خلال الفصول لسنتين دوارتين، حامت الأمراض فوق سدي. الدانخ اي، الزبل، التربة غير الصحية بالنسبة لي، أصبحت الجنة نفسها. فقد كان هناك داخلي ذاك الذي لم يستطع سوء الحظ أن يسرقه مني. وهكذا بقيت ثابتاً، محمداً بالغيوم البيضاء التي تسبح فوق رأسي، وحاملاً في قلبي أسى لا محدوداً مثل السماء.

«إن شمس هؤلاء الأبطال الموتي قد غابت منذ فترة، لكن سجلاتهم لا زالت أمامي. وبينما الريح تصفر تحت الحواف، أنتج كتبي وأقرأ، آه، في حضرتهم فإن قلبي يتوهج بنار مستعارة.»

«أنا نفسي» أضاف المعلق الشهير، **لين هسي تسونغ Lin Hsi Chung** من القرن السابع عشر، «كنتيجة للتمرد في فوكيان **Fuhkien**، سجت في السجن سنتين، بينما الأمراض القاتلة كانت تهاجم من حولنا. يوماً سمعت هذه القصيدة عدة مرات، ونجوت بسرور، التي منها أصبح واضحاً أن الجهود العظيمة في الآداب تحرك الإله، وأن ذلك لا يشكل الأبيات الشعرية **لتو فو Tu Fu** وحدها التي انتصرت على حمى الملاريا.»

في الامتحان النهائي للحصول على شهادته في 1256 نال **ون تيان هسيانغ Wen Tien Hsiang** الدرجة السابعة. ولكن كان الإمبراطور حينذاك، بعد أن أطلع على أوراق المرشحين قبل إعلان النتائج، كان مدهوشاً بشدة من عمله، وأرسل وراء كبير الممتحنين لكي يعيد النظر في وسام الاستحقاق. «هذه المقالة»، قال جلالته، «تظهر لنا القانون الأخلاقي للقدماء كما يتم في المرآة؛ أنها تدل على ولاء يعيش مثل الحديد والحجر.» اعترف كبير الممتحنين بسرعة بعدالة انتقادات الإمبراطور، وعندما نشرت اللائحة أتى اسم **ون تيان هسيانغ Wen Tein Hsiang** الأول عليها إن شهرة ذلك الممتحن **وانغ ينغ لين Wang Ying Lin** (1223-1296) ستدوم على أحسن تقدير لوقت طويل. ليس بسبب علاقته مع واحد من عظماء الوطنيين في الصين، ولا بسبب مساهماته الكثيفة للآداب الكلاسيكية، بما فيها موسوعة شاملة يوجد منها نسخة نادرة في جامعة لايدن، ولكن بسبب كتاب تمهيدي صغير لتلامذة المدارس، الذي بموافقة دولية منسوب إلى قلمه. لمدة ستمائة سنة هذا الكتاب التمهيدي كان ولا يزال حتى اللحظة، الكتاب الأول الذي يوضع بين يدي كل طفل في الإمبراطورية كلها. إنه ملخص المعرفة كلها، ويعالج الفلسفة، والأدب الكلاسيكي، والتاريخ، والسيرة الذاتية والأشياء العامة. وقد أطلق عليه **رُذُن مرآة التاريخ Mirror of History**. وقد كتب بأبيات من أحرف صينية ثلاث لكل بيت، ولأنه كتب بأسلوب هزلي فمن السهل حفظه عن ظهر قلب من كل صيني تعلم القراءة. هذا الشعر الكلاسيكي من أحرف صينية ثلاث، كما يسمى، قد تم تقليده من قبل الرسائل المسيحية، بروستانتية وكاثوليكية؛ وحتى من قبل **تاي بينغ Tai Ping**، الذين وعوا تأثيره بعيد المدى، فنشروا كتاباً مزوراً له خاص بهم. التالي هو

عدد، من الأبيات كعينة وهو مقفى حتى يتماشى مع الأصل:-
«الإنسان، الواحد والجميع، في الطفولة

هم بارون في القلب؛

إن ميولهم الأخلاقية هي نفسها؛

إن خبرتهم بعيدة كل البعد عن بعض.

دون تعليمات نرجو المساعدة.

طبيعة الإنسان التي تكبر أقل بهاء؛

في التعليم يجب أن تكون الشمولية ذات

اهتمام لا يهدأ.»

يمكن أن نضيف أن معنى الأشعار الكلاسيكية ذات الأحرف الصينية الثلاث لا يتم شرحها للطفل وقتئذ، كل ما على الطفل أن يفعله هو حفظ الصوت والتشكيلات لـ 560 حرف صيني مختلف يتألف منها الكتاب. كان ليو ين (Liu Yin) (1214-1293) ولداً ذكياً جلب آية الأهتمام من خلال البر بالوالدين عن طريق زوج أمه. حصل على منصب لكنه استقال منه لكي يهتم بأمه المريضة، وعندما تم تعيينه مرة أخرى، انهارت صحته فذهب إلى المعتزل.

المقطوعة التالية هي بقلمه:-

«عندما خلق الله الإنسان، أعطاه قوى ليدل متطلبات بيئته، وأعطاه موارد داخل نفسه حتى لا يحتاج أن يكون عالة على الظروف الخارجية.

«وهكذا في الأقاليم التي يكثر فيها السم، تكثر فيها المضادات أيضاً، وفي غيرها حيث توجد الملاريا، فإننا نجد الدواء مثل الخل وجوزة الطيب وشجرة الفرانيا. مرة أخرى، فالسمك والسلاحف والمحار هي أكثر أشياء الحمية الملائمة للصحة في المناخات الأكثر رطوبة، مع أنهم هم أنفسهم القاطنون في الماء، والمسك وقرون

الغزلان هي وقائية بامتياز في المناخات الأرضية حيث هي بالحقيقة تنتج. لأنه إن كانت هذه الأشياء غير قادرة أن تسيطر على محيطها، فإنها لن تكون قادرة على الإزدهار حيث هم موجودين، بينما حقيقة أنهم يزدهرون تبرهن بشكل إيجابي إنها سيمت أو رسمت كمواصفات ضد محيطها.

قال تشو هسي **Chu Hsi**، «عندما يكون الله على وشك إرسال المصائب علينا فإنه يقيم أولاً البطل الذي بعبريته سوف يسيطر على هذه المصائب.» من وجهة النظر هذه لا يمكن أن يكون هناك إنسان دون استخدامه المعين، ولا حالة أي مجتمع لا يستطيع الإنسان أن يصححه.»

إن نظرية أن الإنسان يلعب دوره المعين في الكون هي نظرية تلاقي صداها لدى الصينيين؛ وإن العملية التي يتم فيها فصل الرؤا عن الحنطة تثبت استخدام المحن، قد تم ذكرها، يا للغرابة، من قبل راهب بوذي من ذلك الزمن:-

إن كان الواحد إنساناً، فإن طواحين السماء والأرض تطحنه طحناً متقناً، وإلا فطحنا تدميراً.»

لقد صدرت كمية لا بأس بها من الشعر تحت حكم المونغول، وإن لم تكن بكثير من التناسب، أو بمستوى عالٍ، كما كان تحت حكم العترة المحلية. نشر الإمبراطور تشيان لونج **Chien Lung** في العالم 1787 مجموعة من عينات الشعر لسلالة يوان **Yuan**، تعبئ ثمانية مجلدات كبيرة، لكنها لم تقرأ كثيراً.

أحد أفضل شعراء هذه الفترة هو ليو تشي **Liu Chi** (1311-1375 ميلادية) الذي كان قارئاً عميقاً للكلاسيكيات وكذلك كان طالباً لعلم الفلك. وعاش حتى شاهد سلالة مينغ **Ming Dynasty**، حيث ساعد على تأسيسها، وكان لعدة سنوات المستشار الموثوق لحاكمها الأول، ولكنه فقد الرضى وسمم من قبل منافس له، ويقال أن ذلك حدث بتأمير الإمبراطور. الأبيات التالية التي تشير إلى زيارة مبكرة إلى دير جبلي، تكشف عن نوع من التعاطف مع البوذية:-

امتطيت عندما الديك قد بدأ،

ووصلت الدير قبل إسكات الأجراس؛

نسيم عليل همس فوق المرج،

وخلف الغابة، القمر أعطى مكانه للفجر.

وفي هذه الوحدة الحلوة الصافية اضطلع،

ممدداً أطرافي منتظراً النهار،

لا صوت على ممر الصفصاف المعتم

سوى رد الصدى الناعم لترتيلة الراهب البوذي.»

هنا توجد مقطوعة، تقتبس بكثرة، ويمكن إيجادها في كل كتاب تمهيدي للشعر:-

المثوي بين الناس

نادر جداً؛ وإذا أتى أحدهم، ماذا بعد؟

إن أقوى الأبطال من القدم

أخيراً ينامون على جانب التلة.»

إن الكتابات النثرية لـ **ليو تشي Liu Chi** يتم الإعجاب بها لأسلوبها الصافي الذي قيل عنه أن رائحته مثل «رائحة الأقدمين.» إحدى القطع تتحدث عن نبيل فقد كل شيء بسقوط سلالة **تشين Chin Dynasty** في سنة 206 قبل الميلاد، وأجبر على زراعة البطيخ ليعتاش فاستنجد بعرافة، وذهب ليستشير منجماً بخصوص أوضاعه.

«يا للعجب،» صاح المنجم، «ماذا هناك يمكن للسماء أن تعطيه سوى تلك التي تعطيها الفضيلة؟ أين فاعلية الكائنات الروحية خارج نطاق ما أعطاه الإنسان لها؟ إن النبات الذي يتكهن ما هو إلا قصبه ميتة، إن صدفة السلحفاة هي عظمة ناشفة. ما هي إلا مادة مثلنا. والإنسان الذي يتكهن الأشياء كلها، لماذا لا يبحث عن الحكمة في الداخل عوضاً عن هذه الأشياء الجافة؟

«ومن ثم، يا سيد، لماذا لا تتأمل الماضي - ذلك الماضي الذي أنجب الحاضر؟ إن سقفك المكسور وحيطانك المتداعية الحالية ما هي سوى تنمة لبستان الشجر الجميل. إن الجندب وحشرة السيكاذا ما هي إلا تنمة للاورغون والمزمار، السراب والذبابة المضيفة، للمصباح المذهب والشمع الملون.

إن الهندباء والجرجير ما هي إلا تنمة لأوتار الفيل وسنامة الجمل لأيام ذهبت، إن ورقة القيقب ورشالقة أروابك التي كانت غنية وزيك الجميل. لا تشتكي من أن أولئك الذين لا يملكون مثل هذه الرفاهيات في حينه يستمتعون بها الآن. لا تكن منزعجاً من أنك الذي استمتعت بها في حينه، لا تملكها الآن. في غضون يوم وليلة الزهرة تزهر وتموت. بين الربيع والخريف تموت الأشياء وتتجدد. وراء هدير الشلال هناك بركة عميقة، وديان مظلمة توجد عند قدمي التلال العالية، هذه الأشياء تعرفها ما هي الأشياء التي يمكن لعراقة أن تعلمك إياها؟».

توجد قطعة أخرى بعنوان «في الخارج» وهي قطعة هجائية خفيفة عن الفساد في أيامه:-

«في هانغ تشو Hang Chow كان يعيش بائع الفاكهة المتجول الذي كان يعرف كيف يحافظ على برتقاله طوال السنة دون فساد. وكانت فاكهته تبدو دائماً طازجة، وممتينة مثل اليشب ولونها ذهبي جميل؛ ولكن من الداخل - جاف مثل الشرنقة.

«في أحد الأيام سألته قائلاً، هل برتقالك للمذبح أم لأهداف التضحية أم للاستعراض في مآدب الطعام؟ أم هل تقوم بكل هذا الاستعراض الخارجي فقط لتغش المغفلين؟ وتغشهم كما تفعل بشكل شنيع، 'يا سيد أجب بائع البرتقال، لقد قمت بهذه التجارة لعدة سنوات الآن. إنها مصدر رزقي. أنا أبيع والعالم يشترى. وعلي أن أعلم بأنك الوحيد الرجل الأمين في الجوار وإنني أنا الوحيد الغشاش. ربما قد لا يكون الأمر قد خطر على بالك هكذا. إن حملة عصا القائد هذه الأيام، وهم يجلسون على جلود أنهارهم يعرضون أنفسهم على أساس أنهم الحماة العسكريون للدولة' ولكن من يكونون لو قارناهم مع القادة القدماء؟ إن

وزراء اليوم عريضي المنكبين وطويلي الأرواب، يعرضون أنفسهم كأعمدة الدستور؛ ولكن هل بهم حكمة مستشارينا الأقدمين؟ إن الأشرار ينهضون ولا أحد يستطيع أن يسيطر عليهم، الشعب في يأس ولا أحد يستطيع أن يخفف عنهم. الكتبة فاسدون ولا أحد يستطيع أيقافهم. القوانين تفسد، ولا أحد يستطيع تجديدها. إن موظفينا يأكلون خبز الدولة ولا يستحون. يجلسون في قاعات مهيبة ويركبون أحصنة جميلة، ويسكرون من شرب النبيذ، ويتصيدون الأسعار الغالية الثمن. أي منهم يضع نظرة مهيبة، ومحيا وقور؟ - كل الذهب والجواهر إلى الخارج إلا الشرائق الجافة من الداخل أنت تدفع، أيها السيد، لا تستمع إلى هذه الأمور بينما تكون حريصاً جداً على برتقالاتي.“

”لم يكن عندي جواب لأقدمه. هل كان خارج نطاق الغرور مع العمر أم كان يختبرني دفاعاً عن فاكتهه.“

الفصل الثاني الدراما

إن كانت سلالة المونغول قد أضافت القليل من القيمة الدائمة لكمية الشعر الواسع من الآداب العامة والتفسير الكلاسيكي، فإنه سيتم تذكرها فيما يتعلق بمنحيين هامين في التاريخ الأدبي للأمة. ضمن القرن الذي غطى حكم المونغول يمكن أن نقول إن الدراما والرواية قد وجدت، بالذهاب إلى أيام ما قبل كونفوشيوس أو الأيام الخرافية نجد أن الصينيين منذ الزمن الغابر قد رقصوا رقصات موضوعة على أنغام الموسيقى في المناسبات الرصينة والحفلات البهيجة للتضحية أو للاحتفالات وهكذا نقرأ في القصائد الغنائية التالي:-

«بخفة، ورشاقة،

أذهب إلى الرقص،

الشمس تشرق ببهاء

في الساحة بالأسفل.»

إن حركات الراقصين كانت ممنهجة، بطيئة، ووقورة. الريش الطويل والمزامير (مفرد مزمارة) كانت تمسك باليد ويلوحون بها بينما المؤدون يتحركون يمنة ويساراً. أضيفت الكلمات التي ستغنى ثم تدريجياً هيمنت الموسيقى والغناء على الرقص، والإيماءات ثم استبدلها. كانت النتيجة لصالح الأداء الأوبرالي عوضاً عن الدرامي، والكلمات التي تم غناؤها كانت من طبيعة الأغاني أكثر منها من المسرحيات الموسيقية. في تسو تشوان Tso Chuan، تحت سنة 545 قبل الميلاد، نقرأ عن محاولة هاو من هذا النوع، تم تنظيمها من قبل العاملين في الاسطبلات، مما أربح أحصنتهم وسبب لها فراراً مذعوراً. وقد ذكر كونفوشيوس أيضاً تكبر أحد

النبلاء الذي شغل في معبد أسلافه عدداً يساوي عدد المغنين الذين حجزوا لابن السماء وحده. ويبدو أنه من غير الضروري أن أذكر طرد الأرواح الشريرة التي تنفذ ثلاث مرات سنوياً من قبل موظفين يرتدون جلد الدب ويحملون سلاحاً من الرماح والترس، والذين كانوا يقومون بالزيارة من بيت إلى بيت ويحيط بهم الناس وهم يصرخون مهتاجين. وقد ذكرت ذلك هنا لأن عدداً من الكتاب يربطون هذه التجربة ببدايات الدراما في الصين. كل ما نعرفه حقاً هو أنه في تلك الحقب الأولى جداً شكلت الموسيقى والأغنية والرقص مرافقة اعتيادية للاحتفالات الدينية وغيرها، وأن هذا الأمر استمر لعدة قرون.

باتجاه منتصف القرن الثامن ميلادي، الإمبراطور مينغ هوانغ **Ming Huang** من سلالة **تانغ Tang**، وهو المغرم بالموسيقى، أسس كلية عرفت باسم **حديقة الكمثرى**، لتدريب حوالي ثلاثمائة شاب وشابة من كلا الجنسين. هناك أسطورة تقول أن هذه الكلية جاءت نتيجة زيارة قام بها جلالته للقمر، حيث أعجب جداً بفرقة فن المؤدين المهرة، مرتبطين بقصر اليشب الذي أسسه هو هناك. وعلى ما يبدو كان مؤسسة أو معهداً لتزويد القصر بعازفين، ومطربين وربما راقصين، من أجل حفلات اللهو في القصر، مع أن البعض كان يتبنى وجهة النظر من أن «شباب حديقة الكمثرى» كانوا فعلاً ممثلين، والمصطلح لا يزال يطبق على أخوية الدراما. لكن لا شيء يبدو من الذي يمكن تحديده عن حق فن الممثل كان معروفاً حتى القرن الثالث عشر، عندما فجأة قفزت الدراما إلى الوجود، كما نراها في مسرحيات المسرح الصيني المعاصر. في الحالة المحدودة الراهنة لمعرفتنا بالموضوع، لا يمكن القول كيف أو لماذا حدث هذا. نحن لا نستطيع أن نقتفي الأثر، خطوة خطوة لتطور الدراما في الصين من أداء كورالي بحت كما في اليونان. تواجهنا الحقيقة التامة في هذا الموضوع.

في الوقت نفسه إننا نسمع عن العروض الدرامية بين التتار في تاريخ سابق تقريباً. في 1031 أرسل **كونغ تاو فو Kung Tao Fu**، سليل كونفوشيوس في السلالة الخامس والأربعين، مبعوثاً إلى الكيتانيين وقد استقبل على مآدبة بشرف كبير، لكن في إحدى العروض المسرحية التي تبعت المآدبة، أدت الفرقة قطعة، قدم فيها سلفه المقدس كونفوشيوس على أنه رجل كوميدي خسيس. وقد أقرفه ذلك مما حدا به

إلى النهوض والانسحاب، واضطر الكيتانيون إلى الاعتذار. بالإجمال، يبدو أن الدراما ليست أصيلة في الصين، بل ربما تم إحضارها من قبل مصادر تتارية. قد يكون ذلك صحيحاً، ومن المؤكد أن الدراما كما عرفت في عهد سلالة المنغوليين كانت في واقع الأمر دراما هذه الأيام، وعدد من الملاحظات العامة لن يضر بها.

كانت المسرحيات تُمثل في المدن الكبيرة في الصين على المسارح العمومية كل أيام السنة باستثناء شهر واحد في السنة الجديدة وخلال فترة العزاء بموت إمبراطور. لا توجد رسوم للدخول لكن على كل الزائرين أن يأخذوا بعضاً من المرطبات. إن نقابات العمال أنشأت مسارح في مرافقها، وقدمت أداء دورياً لجميع الناس الراغبين بالوقوف في الساحات على الهواء لمشاهدتها. كان الصينيون، الذين يطلق عليهم، الماندرين، والأشخاص الأغنياء غالباً ما يوظفون ممثلين ليقدموا أداءً في بيوتهم الخاصة، وفي العادة على مأدبة عشاء. في الأرياف، يتم الصرف على الأداء من اشتراكات عمومية.

وتعرض في المعابد أو على مسارح مؤقتة التي تقوم في الساحات أو على الطرق المعبدة. هذه المسارح تكون في العادة تشبه بعضها البعض. لا توجد بها ستارة، لا توجد فيها أجنحة ولا توجد مناظر معلقة. في مؤخرة المسرح يوجد بابان، واحد للدخول والآخر للخروج. الممثلون الذين سيؤدون القطعة الأولى يدخلون جميعهم من باب الدخول. عندما تنتهي القطعة، وبينما هم يصطفون للخروج من باب الخروج، بينما أولئك الذين سيؤدون القطعة الثانية يدخلون عبر الباب الآخر. لا توجد استراحة، والموسيقيون الذين يجلسون على المسرح لا يتوقفون؛ وبالتالي قال عدد كبير من الأشخاص أن المسرحيات الصينية طويلة بشكل مزعج، لكن الحقيقة تقول أن نصف ساعة إلى ساعة تشكل طول العرض المسرحي الذي يؤدي في العادة، مع العلم أن عينات أكبر بكثير قد تدوم من ثلاث إلى خمس ساعات يمكن إيجادها في الكتب. ثماني أو عشر مسرحيات غالباً ما تؤدي على مأدبة عشاء عادية، ولأثقة ربما من أربعين توزع على الناس حتى يتمكن الضيوف الرئيسيون من الاختيار فيما بينها.

يجري للممثلين تدريب جسدي قاسٍ جداً في العادة يكون بين الأعمار التسعة

والأربعة عشر. عليهم أن يتعلموا كل أنواع الخصال البهلوانية، وهذه يجري تقديمها بحرية في المسرحيات «العسكرية». عليهم أيضاً أن يتدربوا على المشي على رؤوس القدم التي تلف تقليداً لقدمي النساء، ولم يسمح لأي امرأة أن تظهر على المسرح منذ أيام الإمبراطور تشيان لونغ Chien Lung (1736-1796 ميلادية) الذي كانت والدته ممثلة. بالإضافة إلى ذلك، عليهم أن يتمشوا في الهواء الطلق لمدة ساعة أو بعض الساعة، كل يوم، الرأس إلى الخلف والفم مفتوح بهدف تقوية الصوت؛ وأخيراً إن وجبة طعامهم يجري ضبطها بدقة وفق نظام محدد من التدريب. ستة وخمسون ممثلاً يعملون فرقة كاملة، كل واحد منهم عليه أن يعرف بالتمام من 100-200 مسرحية، خاصة إنه لا يوجد هناك ملقن. ولا تتضمن هذه مسرحيات من أربع إلى خمس مشاهد كما توجد في الكتب ولا طبعات تمثيلية لها، صُغرت لتلائم متطلبات المسرح، أو مسرحيات هزلية قصيرة كتبت خصيصاً. يصنف الممثلون لخمسة أبواب وفقاً لمقدراتهم، وبالتالي كل واحد منهم يعرف الجزء الذي يتوقع أن يأخذه في أي مسرحية مطروحة. وبعيداً من أن يكون الممثل شخصية مهمة، كما في اليونان القديمة، فإن الممثل يقع تحت حرمان اجتماعي؛ ولمدة ثلاثة أجيال فإن سلالته غير مسموح لها أن تشارك في الامتحانات العامة.

ومع ذلك عليه أن يمتلك قدرة خارقة في توجهه محدد؛ لأنه طالما أنه لا توجد ملكات ولا توجد واقعية، فإنه يعتمد كلية لتحقيق النجاح على قواه الخاصة لإسباغ الكمال المثالي عليها. وهنا يكون هو الأعلى درجة. وهناك سيقوم بالخبب على المسرح ممتطياً ظهر حصان، وينزل عن ظهره، أو يسلم الحصان لسايسه. سيقوم بالتجوال في شارع، وسيتوقف على فترينا ليغازل بنتاً جميلة. وسيختبئ في غابة أو سيقاقل من وراء حائط حصين. هو يستحضر بواسطة مهارته التاريخية جميع الحاجيات المتنوعة لمشهد كان في البلدان الغربية يعبر عنه بجفاء من الدول العظمى قبل أن تفتح الستارة، إن الغياب العام للممتلكات يعوض عنه بطريقة ما من خلال ملابس الممثلين التي هي بصفات عظيمة، أرواب للإمبراطور أو للنبلاء الذين يزيد عدد الأشخاص بشكل سوف يصدم مدير «الوست اند».

من الواضح أن الممثل يحب أن يكون بهلواناً جيداً وعليه أن يمتاز بالإيماءات،

يجب أن يكون لديه صوت جيد، ويكون الجزء الذي له مكون من أغنية وكلام «محيي» بنسب متساوية تقريباً. وحتى تظهر كيف لا يهتم الصينيون بالواقعية تحتاج فقط أن تقول أن الرجال الموتى يقومون ويغادرون المسرح؛ في بعض الأحيان يفوضون بتمثيل دور الحمالين، ويقومون بحركات كأنهم يحملون أنفسهم. أو خادم يذهب إلى ممثل رئيس ويناوله فنجان شاي لتنظيف صوته.

إن ميزة المسرحيات التي تمثل تكون على مستوى مهارة المؤدي. جمهور المستمعين الصينيين لا يذهب للاستماع إلى المسرحية بل لمشاهدة الممثل. في عام 1678 في إحدى البلدات التجارية كانوا يعرضون مسرحية تمثل إعدام الوطني، الجنرال يو فاي (Yo Fei) (1141 ميلادية) الذي سببه خيانة منافس له، تشين كواي (Chin Kuei)، الذي زور أمراً لهذا الغرض. الممثل الذي كان يمثل تشين كواي (وهو مصطلح أصبح منذ ذلك الحين يستعمل باحتقار كمبصقة) أنتج إحساساً عميقاً؛ إلى حد أن أحد المشاهدين فقد السيطرة على نفسه، فقفز إلى المسرح وطعن الرجل البائس حتى الموت.

معظم المسرحيات الصينية بسيطة في بنائها وضعيفة في حبكة المؤامرة. فهم منقسمون بين «العسكرية» و«المدنية» وهما مصطلحان فهمًا بشكل خاطئ على أنهما التراجيديا والكوميديا، بينما التراجيديا بحد ذاتها كانت غير معروفة في الصين. الأولى عادة تعالج أحداثاً تاريخية وأعمالاً بطولية أو أعمال البر بالوالدين من قبل شخصيات تاريخية؛ الأباطرة والجنرالات، وجيوش صغيرة يتحركون بعنف على المسرح في بعض الأحيان يشتبكون في اشتباك فردي وفي بعضها الآخر يقبلون المسرح رأساً على عقب. المعارك تخاض والمتنافسون أو الخونة يعدمون أمام عين جمهور المشاهدين. أما المسرحيات «المدنية» تتعلق بتشابكات الحياة اليومية وهي بالعادة ذات طابع هزلي. كما تظهر في المجموعات الكلاسيكية أو في طبقات التمثيل، فإن المسرحيات الصينية لا اعتراض عليها مثلها مثل الشعر والأدب العام الصينيين. على المسرح، كان يسمح للممثلين برخصة واسعة للنكات الإباحية، الاتجاه الذي تسير فيه النكتة هو السبب الرئيس الذي يبعد النساء المحترمت عن المسارح العامة.

لذلك يجب أن يبقى دائماً في الذاكرة أن المسرحية أو التمثيلية توجد كما تقرأ في

المكتبة، وأيضاً كما تظهر في طبعة التمثيل التي يجب أن تحفظ، وأخيراً كما يفسرها الممثل. هؤلاء الثلاثة غالباً ما يكونون مختلفين عن بعضهم البعض.

المقتطف التالي سيقدم فكرة واضحة عن القطع الموجودة على برنامج الحفلة المسرحية لأي مسرح صيني كان:-

الشكوك الثلاثة

عند نهاية سلالة مينغ، كان جنرال مشهور مشغول في الصباح وفي الليل في معسكر لوضع الترتيبات لمقاومة تقدم جيش المتمردين الذي في النهاية احتل بكين. بينما كان هو مؤقتاً بعيد عن البيت أصيب المعلم الخاص الذي شغله من أجل ابنه، بمرض مع نوبات من القشعريرة، والولد كان تواقاً أن يعمل شيئاً ما للتخفيف عن المتألم، ذهب إلى غرفة والدته واستعار لحافاً ثقيلاً. في وقت متأخر من تلك الليلة عاد الجنرال دون سابق إنذار إلى البيت، وسمع من إحدى الجواري، التي كانت حاضرة عند مرض المعلم الخاص وعن اقتراض اللحاف الثقيل. وبناء على ذلك توجه مباشرة إلى غرفة المريض ليرى كيف دبر المعلم الخاص أموره، لكنه وجده مستغرقاً في النوم. وعندما كان على وشك أن يغادر، لمح على الأرض زوجاً من المشايات النسائية الذي أحضر مع اللحاف الثقيل مصادفة، وفوراً تعرف على من صاحبتة. فترك بسرعة الأستاذ الخاص النائم وتزود بسيف أحدب ماضٍ واندفع إلى شقة زوجته. وأمسك بشعر المرأة المرتعدة وأخبرها أنها يجب أن تموت، وأخرج، رداً على اعتراضاتها، زوج المشايات القاتل. لكنه استسلم إلى تدخلات الجواري المجتمعات وأجل تأره حتى يضع الاختبار التالي. أرسل جارية إلى غرفة المعلم الخاص، وهو كان يتابعها عن قرب من خلفها وكان سلاحه المجرد جاهزاً للاستعمال، حاملة رسالة من سيدتها تقول فيها أنها تنتظره في غرفتها الخاصة؛ ورداً على هذه الدعوة سمع صوت المعلم الخاص من الداخل يقول، «ماذا! في هذه الساعة من الليل؟ اذهبي، أيها البنت السيئة، أو سأقول للمعلم عندما يعود!» وما يزال الجنرال الغيور غير مقتنع، فطلب من زوجته المرتعدة أن تذهب بنفسها وتستدعي حبيبها؛ وكان قد أقر بأنه إذا وضع رجله فقط على العتبة، فستكون حياته الثمن. لكن لم يكن هناك مناسبة للعنف القاتل. فأجاب المعلم الخاص مرة أخرى من خلف الباب المغلق،

«يا سيدتي، أنا قد لا أكون قديساً، لكنني سأحاول أن أقلد تشاو ون هو Chao Wen Hua الفاضل (يوسف الصين)، اذهبي، واتركيني بسلام.» الجنرال غير الآن نبرته، والزوجة المكلمة غيرت هي ايضاً نبرتها. حاولت الانتحار، وقد ثبتت عن ذلك باعتذار مذل من قبل زوجها؛ وفي منتصف تلك العملية، وبينما كان الأخير على ركبتيه، عملت جارية من الجواري على أضحاك الجميع عندما جلبت لسيدها. بالخطأ كأساً مليئاً بالخل عوضاً عن النبيذ، وهو الشعار الصيني للغيرة الزوجية.

التالي هو ترجمة من طبعة التمثيل مسرحية قصيرة، كما هي تمثل عادة، مظهرة، لكن دون تضخيم، الفن الأدبي غير الكافي والضئيل الذي يشبع الجمهور الصيني، والأبيات الشعرية للأصل هزلية بالقدر الكافي كما في النسخة الإنكليزية:-

الحفلة الراقصة الوردية الشخصيات الدرامية

خطيب	Su Tai Chin	سو تاي تشين
خطيب	Hu Mao Yuan	هو ماو يوان
شحاذ	Ping Kuei	بينغ كواي
املاك الحامي للشحاذ	Pu Sa	بو سا
ابنه موظف ماندرين سام	Leady Wang	الليدي وانغ

الخطاب والخدم، الخ...

المشهد: خارج مدينة تشانغ آن Chang An:-

سو تاي تشين: في مدينة تشانغ آن أسكن:

وأبي موظف ماندرين؛

أواه، لو أحصل على حفلة الرقص الوردية،

سيفيظ كأس السعادة لدي.

اسمي المتواضع هو سو تاي تشين.

اليوم ستقيم الليدي وانغ،

حفلة الرقص الوردية للحصول على عريس؛

وإذا بالصدفة هذه الحفلة الراقصة تصيبي،
سأكون رجلاً محظوظاً بالفعل.
أما الآن يجب أن أذهب في طريقي.
يذهب باتجاه المدينة.

دخول هو ماو يوان

هو ماو يوان: إن أبي رجل نبيل،
وأنا رجل أحب التجوال
اليوم الليدي وانغ ستقيم
حفلة راقصة لتحصل على عريس،
كل شيء يعتمد على القدر
إن كانت هذه الحفلة الراقصة ستصيبي،
اسمي المتواضع هو هو ماو يوان؛
ولكن ما دامت الحفلة الراقصة ستقام اليوم
يجب أن أعاود السير على الطريق.
لماذا، ذاك يشبه كثيراً الصديق سو!
سأنادي: «أيها الصديق سو، لا تمشي بهذه السرعة.»
سو: إنه هو ماو يوان: أين أنت ذاهب؟
هو: إلى قصر الحاكم لاجد لي زوجة.
سو: إلى الحفلة الراقصة الوردية؟ جيد، أنا ذاهب أيضاً.

(يغني) الليدي وانغ ستقيم الحفلة الراقصة الوردية،
حتى يرى العالم كله عريسها المختار،
وبين العرسان النبلاء تحت-
ولكن من يعرف من سيكون هذا الرجل المحظوظ؟
هو (يغني): اعتقد أن حظك سيأخذك بالتأكيد حتى النهاية.

سو (يغني): وجهك الجميل سيجلب لك الحفلة الراقصة لعندك.
هو(يغني): على أي حال فالمسألة تقع بيننا الاثنين.
سو(يغني): بالكاد هناك أي كائن آخر سينفع.
هو(يغني): إذا: دعنا نذهب دعنا نسرع ونركض.
سو(يغني): لنذهب لكن لا تكن بطيئاً،
وإلا لن نكون في الوقت المناسب من أجل المتعة.

(خروج)

دخول بينغ كواي

بينغ (يغني): آه، في ذلك اليوم في الحديقة.
عندما وعدت الليدي حبيبتي التي تشبه الإلهة،
ابنة نبيل ثري،
أنها ستكون لي.
على بوابة الحديقة وعدتني،
وظللت مني أن أكون هنا اليوم؛
من عليتي البائسة،
انسحبت لتوي،
وبينما أمر من أبواب المدينة،
فتحت عيني ورأيت.
جمهرة من الشباب النبيل متراصين
كأوراق الشجر.
ويضغطون إلى الإمام، لكن من يعرف أي منهم
سيكون الرجل المحظوظ؛
عبثاً أجهد المتلهفين-
أواه: ستفطر قلبي-
بين الفراشات الجميلات الأنيقات

لا أجد بديلاً لها.
دعها ألا تكون أمينة، أو أمينة،
فأنا سأخسر الحفلة الراقصة كما أتي متأكد من القدر؛
حتى لو تكلمت معي بكلمات فارغة،
لماذا أضاعت الوقت عند بوابة الحديقة؛
ومع ذلك أنا مصمم على الذهاب
إن كنت نجحت في الحفلة الراقصة أم لا!
وستكون طاستي والعيدان جاهزة في يدي - فقط لذلك.
الرتبة والحظ غالباً ما يأتيان
من الشؤون النسوية؛
سأفكر في كل شيء وأنا سائر إلى-
وربما من الأفضل أن أقول صلواتي،
ماذا! أنا هنا في المكان نفسه!
سأقوم بالدخول

البواب: قل لي، أنت لن تدخل!
بينغ (يغني)، أه يا غالي! لقد أوقفني، لماذا، السماء تعرف!
يجب أن يتعلق ذلك بطاقتي وملابسي الرثة.
سابقى هنا وأثير ضجة جهنمية.
حتى يقبلوا ويسمحوا لي بالدخول.
البواب: لا يوجد عندي شيء لكي أعطيك إياه،
لذلك تعال مرة أخرى في يوم آخر،
بينغ: أه! اسمح لي فقط أن أذهب لألقي نظرة.
البواب: بين أبناء النبلاء.
ماذا يمكن أن يكون هناك لكي تراه،
اذهب فوراً أو أجعلك تفعل ذلك.

بينغ: أواه! أواه! ماذا يمكنني أن أفعل؟
إن لم أستطع الدخول إلى الساحة،
فإن الليدي وانغ ستتعب من الانتظار

يدخل بو سا

بو سا (يغني): بأمر من القيادة العليا في السماء طرت
عبر الفضاء الأزرق في السماء والجو،
لأن روحاً معذبة قد بكت بحزن،
والسما استمعت إلى صلواته،
إلى الليدي وانغ هو تقريبا منظر القلب.
لكن القدر القاسي لا يزال يبقي الحبيين مفترقين.

هيبيري جيبيري سنوبري سناي Hebbery Gibber Snobbery Snay! (واحد،
اثنان، تكون الآن)

على أجنحة الريح سأركب،
وسأجعل البواب العجوز يفتح الطريق
حتى أستطيع أن أدخل الشحاذ الفقير إلى الداخل.
الليدي وانغ لا تزال في القاعة.
بانتظار أن يرسل الإمبراطور الكرة الزهرية.

يزيد سرعة الريح.

البواب: آه يا عزيزي كم بارد هو الهواء القادم.
أنا لا أرى الليدي قادمة،
وهكذا أعتقد أنني سأدخل إلى الداخل.

تدخل الليدي وانغ

الليدي وانغ (تغني): بملابس الاحتفال أنا أترك مخدع النساء،
أفكر طول الوقت بك.
أيتها السماء ما أتمنى توق كائن بشري
واربطي حبي بي.
إن طاقتي المدهشة طُرز عليها
رف من الطيور البراقة:
هناك تضيء النجوم السبعة وهناك
ولد يدندن بالكلمات المقدسة.
صدريتي تبهر ببريقها الأخاذ:
وثيايي عملت بكثير من المناظر الصاخبة.
(تعرض الحفلة الراقصة للمشاهدة.)

لقد حملني جلالته هذه الحفلة الراقصة
وطلب إلى من بلكون أن أدعها تسقط،
ومن ثم آخذ زوجاً أيّاً كان تصيبه،
أميراً أو تاجراً أو شحاذاً كما قد يكون الحظ
وقد تركت والدي وغادرت منزلي.
وهنا إلى هذا البرج المدهون قد جئت.
وبينما أنا أصعد الدرج ببطء،
أفتح عيني وأرى.
جمهرة من الشباب النبيل متراصين
كأوراق الشجر.
ولكن آه! من بين الاشكال العديدة
التي تلاقي عيني المتلهفة،
إن شكل حبي الحقيقي.

لا أستطيع أن ألمحه بعد،
الوعد الذي أعطيته له عند بوابة الحديقة
هل يمكن أن ينساه؟ الساعة تشير إلى تأخر الوقت
والجمهور تحت
معجب بي بشكل
يجعلني في حالة ميؤوس منها.
آه! بينغ كواي أن كنت حقا تحبني
أسرع إلى جانبي:
إذا كانت الكلمات التي تحدثت بها فارغة،
لماذا تسألني أن أكون عروسك؟
هو، ربما، تسيطر عليه أريحيته،
بينما قلبي المجنون ينفطر.
لا أستطيع العودة حتى يتم إنجازه
هذا العمل بدأ بالتعاسة،
وهكذا أتناول حفلة الرقص الزهرية.
وبتنهيدة أدعها تسقط.

تسقط كرة الحفلة الراقصة

بو سا: هكذا أمسك بالجائزة المحسودة،
وأعطيها للذي تقع حمايتها عليّ
سأرميها في صحنه المصنوع من الفخار
يرمي الكرة لبنغ كواي
الليدي وانغ (تغني): ابقى، اسمع الناس تنادي-
ماذا، الكرة وقعت على شحاذ ما؟
يحب أن يكون بينغ كواي المخلص لي-
سأذهب إلى المنزل وأخبر عن حظي!
يا بنات! أشعلن في كل جوانب المعبد

البخور من أجل قدرتي المحفوظ؛
وسيكشف حبي الحقيقي
من أنني أستطيع أن أفرق.

الخروج للجميع

دخول لكل من هو ماو يوان وسو تاي تشين

هو: في الثاني من القمر الثاني
ينهض التنين مليئاً بالحياة والقوة؛
اليوم رمت الليدي وانغ
الكرة من البرج المدهون.
لم يتم تخصيص أي شاب صاحب منبت جيد،
فخطبت بمغفل قذر متسكح.
صديقي سو، أنا ذاهب: لقد انتهى أمرنا، كما ترى،
مع أنني بالنسبة للمومس الحقيبة الصغيرة لا أكثرث مطلقاً.
يخرجان

يدخل البواب والشحاذ

البواب: فقط شحاذ فقير واحد بقي الآن داخل القاعة،
من كان يعتقد أن هذا المتسكح الفقير كان
سيأخذ الكرة.

موجهاً كلامه إلى بينغ كواي:
أيها السيد لقد حققت شيئاً
جيداً هذا الصباح:
أنت رجل محظوظ.
تعال معي لنطالب بعروسك،
وقم بأسرع ما تستطيع.

الخروج للجميع

حتى المسرحيات الطويلة والأكثر إسهاباً تعوزها نسبياً كل ما يعمل الدراما لها طعم حاد بالنسبة للأوروبي، وهي قلما تنتج كما هي في الطباعة. وقد نشرت عدة مجموعات من هذه، هذا لم يذكر الطبقات التمثيلية لكل مسرحية، التي يمكن شراؤها في كل كشك لبيع الكتب بكلفة لا تزيد عن بنس لكل ثلاثة كتب. واحد من أحسن تلك المجموعات هي تلك التي تحمل عنوان **يوان تشو هسي يان تسا تشي** أو **المختارات المتنوعة لمسرحيات المونغول**، مجلدة في ثمانية مجلدات ضخمة. وتتضمن ما مجموعه مائة تمثيلية، مع تصوير لكل واحد منها وفقاً لطبعة 1615. نسبة عالية من هذه لا يمكن تخصيصها لكاتب واحد، وبالتالي تم وضع علامة «مجهول» حتى عندما يوضع اسم الكاتب فهم يمتلكون أناساً غير معروفين البتة فيما يسميه الصينيون الأدب، والذي تستثنى منه الدراما بصراحة.

التالي هو ملخص مختصر لمسرحية مشهورة جداً في خمسة فصول كتبها **تشي تشون هسيانغ Chi Chun Hsiang** بعنوان «يتيم عائلة تشاو»، وتأسست بدقة على الحقيقة. إنه المنهج الأقرب الذي قام به الصينيون ليصلوا إلى التراجيديا الحقيقية:-

وزير خسيس من القرن السادس قبل الميلاد تأمر على تدمير منافس له اسمه **تشاو تون Chao Tun**، وجميع عائلته. ويروي في المقدمة الاستهلاكية كيف أنه حاول سدى تدريب كلب شرير لقتل منافسه، حابساً إياه لأيام دون طعام ومن ثم يطلقه على دمية بلباس يمثل الضحية المبتغاه، ومحشوة بقلب وأمعاء خروف. لكنه في النهاية، تمكن من الخلاص من جميع الذكور أعضاء العائلة، حتى عدد ثلاثمائة عندما سمع - وعند هذه النقطة تبدأ الحقيقة - أن زوجة الممثل الأخير للعائلة ولدت صبياً. فوراً أرسل في البحث عن الطفل الذي حمل في هذه الأثناء إلى بر الأمان، وقام بعد ذلك خادم أمين للعائلة بالاختباء على تلة ومعه طفل آخر، بينما قام متآمر آخر بإبلاغ الوزير أين اليتيم المفترض لبيت تشاو كان يختبئ. ذبح الطفل وفقاً لذلك وعلى يد الوزير نفسه؛ الخادم انتحر. لكن الوريث الحقيقي نجا وعندما كبر ثار للضحايا من عائلته بقتل الوزير القاسي وإبادة عرقه بالكامل.

منذ البداية وحتى النهاية لهذه المسرحيات وشبهاتها لا يوجد على ما يبدو

أي محاولة كانت للشغف أو للتأسي في اللغة - على أي حال ليس بالمعنى الذي تفهم منه هذه المصطلحات من قبلنا. حتى أنه لا يوجد أيضاً زهور بديعية لتخفي تعبيرات الفكر العام. الممثل الصيني يستطيع أن يفعل الكثير بهكذا نص، أما المترجم فلا. وهناك أيضاً كثير من الشخصيات البدائية في تركيب المسرحية. ولهذا يصبح الاستهلال التوضيحي عادياً والممثلون يبدأون في العادة بالإعلان عن أسمائهم الشخصية، وأيضاً يفسحون الطريق لمصلحة جمهور المتفرجين. القصة المثالية تعطي فكرة ضعيفة حول كل ما يسمح به لممثل المسرحية.

جلب انتباهي في إحدى المناسبات في أموي **Amoy** جمهور من الصينيين ضخم على غير العادة، مشغول بمشاهدة التقدم في عرض مسرحي في الهواء الطلق. وزمجرة من الضحك كان يتردد صداها في جميع الجوانب، وبعد أن وجهنا نظرنا لنرى السبب وراء هذا الانفجار غير العادي من الانبساط، رأيت، ويا للعجب، اثنين من الأجانب في ثيابهم الرثة يشغلون المسرح، وعلى ما يبدو كانا يمثلان بروح جعلت المسرح، يغطي من الضحك على كل كلمة. وبعد لحظة، أصبح واضحاً أن هؤلاء الرجلين من الغرب لم يكونا أغراباً بالمرة، وإنما صينيون يرتدون ملابس لهذا الغرض من المسرحية. المنظر العام كان بالرغم من ذلك جيداً بامتياز. حتى لو أنه جرى تضخيمه نوعاً ما ولكن دون شك كانت النية هي عمل كاريكاتير أو تقليد ساخر عوضاً عن أن ينتج تقليداً مضبوطاً. كان هناك طاقة ذكر الدجاج وتحتها وجه متورد مجهز بشكل جيد بشوارب حمراء وذقن، ومعطف مقور قصير وبنطال خفيف، وكرافة زرقاء، وأخيراً، وليس آخراً، عصا المشي المميزة جداً، ونصف مساحة المسرح بالحقيقة استخرجت من الملحق الأخير هذا؛ لأنه بها كان كل واحد منهما يهدد الآخر باستمرار وكان كلاهما متحد بالإيماءات العنيفة الموجهة ضد أقرانهم الممثلين، وفي بعض الأحيان كانت توجه ضد الجمهور الجالس عند أقدامهما.

قبل الذهاب بعيداً قد يكون من المناسب إعطاء ملخص قصير للمسرحية نفسها، التي لا تبدو غير ممتعة، وهي معروفة على نطاق واسع من هذا إلى ذاك الطرف من الصين. وعنوان المسرحية هو «ذبح ابن على بوابة يامن»، والحبكة، لا بل القصة تجري هكذا:-

جنرال معين من سلالة سونغ **Sung** اسمه **يانغ Yang**، كان مسؤولاً عن أحد

الممرات الحدودية، أرسل ابنه للحصول على عصا خشبية معينة من عند قبيلة بربرية تسكن الحدود، في هذه الحملة لم يفشل الولد بامتياز فيها، بل إنه أخذ سجيناً من قبل امرأة بربرية، التي أصرت عليه أن يأخذها إلى المذبح. بعد هذا العرس أو الفرح عاد إلى معسكر أبيه، والأخير في ثورة غضب يأمر أن يؤخذ إلى خارج بوابة القيادة وأن يعدم فوراً، وبينما الجنود يأخذونه بعيداً، وصلت أم الشاب التي رمت بنفسها عند قدمي الجنرال مناشدة إياه أن يبقى على ابنها، هذا الطلب رفض الأب الشديد الاستجابة له بثبات مع أن صلوات زوجته كانت تعزز بتلك التي من والدته، من أمير ذو دم إمبراطوري، وأخيراً من التماس الإمبراطور نفسه، عند هذا المفصل اندفعت الزوجة البربرية لابن الجنرال المدان، وكما حدث في مرة سابقة فإن الجنرال نفسه أخذ سجيناً من قبل المرأة نفسها وافتردي فقط بدفع مبلغ ضخم من الأموال، وكان مرتعباً جداً لدرجة أنه جلس دون أدنى حراك وغير قادر على التفوه بأي كلمة بينما هي كان معها خنجر فقطعت الحبال التي تكبل زوجها وأطلقت سراحه أمام الفرقة المجتمعة وهل يجرؤ أحد على المس به، فتلك ستكون نهايته. الإمبراطور فقد الآن مزاجه مغتاضاً من فكرة أن الجنرال يانغ يجب أن يكون قد تهيب عن إعطاء المرأة البربرية حياة التي كان لتوه يرفض التماس ابن السماء من أجلها. ومن هنا، حرم جلالته فوراً الأب من قيادته وأعطاها للابن، وتختتم المسرحية مع مغادرة الجنرال يانغ الشاب وزوجته البربرية لكي يخضعوا القبائل الشرسة التي تغير على حدود الصين، الاجنبيان كانا معاونان للزوجة البربرية ويرافقانها بالصيغرة تلك عندما تقوم باللاحاق بزوجها إلى معسكر أبيه.

إن خدعة إكساء معاونين ليقوما بكاريكاتور للأجانب في القرن التاسع عشر وقت مشاهدتي للمسرحية، كانت فقط قطعة هزلية للمسرح، لكنها قطعة قادت إلى تسلية الناس كثيراً وحازت على عاصفة من التصفيق. ولكن عندما نجحت الزوجة البربرية بإنقاذ زوجها من براثن الموت، كان هناك عدم رضى كبير في عقول عدد من الشخصيات على المسرح. الإمبراطور كان غاضباً من الإهانة التي لحقت بكرامة الإمبراطورية؛ بزوجة وأم الجنرال، ولا ننسى قرابة الأمير بالدم للوالدة، شعروا أنهم

أهينوا، ولو بدرجة أقل، والأب الهائج كان لا يزال منفِعلاً من أخذ قيادته منه، ورأى نفسه ملتجئاً في مقره من قبل امرأة بربرية، وبناء على ذلك شعر جميع الأطراف أنهم كانوا يفتقدون شيئاً مثل الذبح للتخفيف من مشاعرهم، ولإشباع الوحدة الدرامية، واشتياق جمهور المشاهدين لخاتمة حماسية؛ وهذه النهاية المرغوب فيها تم الحصول عليها بأمر من الإمبراطور من أنه على أي حال من الأحوال فإن المعاونين الأجبيين يمكن التضحية بهما لمصلحة جميع المعنيين. الأجبيان التعيسان أجبرا على الركوع على المسرح فتم على الفور قطع رأسيهما من قبل الجلاد وسط هتافات تصم الأذن للمشاهدين المحيطين.

في عام 1885، عرضت مسرحية في مسرح في **شنغهاي Shanghai** وكان لها تقليد فظ لكسب جمهور المشاهدين وهو بأخرة تدفع بدواليب مريشة محشو فيها رجال ونساء أجنبيات. تم جرهما عبر مؤخرة المسرح والرجال الأجانب ونساؤهم الذين كان من المفروض أنهم قد أتوا ولهم مآرب في **المملكة الوسطى**، أي الصين قد سجنوا كلهم وأعدموا.

من جميع تمثيلات سلالة المنغول التمثيلية الوحيدة الجديدة بالقراءة هي بلا أدنى شك هسي هسيانغ تشي أو قصة **المقصورة الغربية** في تسعة عشر مشهداً. هي بقلم وانغ شيه فو **Wang Shih Fu** الذي لا يبدو أننا نعرف عنه شيئاً سوى أنه ازدهر في القرن الثالث عشر وكتب ثلاث عشر تمثيلية، كلها موجودة في المجموعة المذكورة أعلاه. وكتب ناقد صيني يقول، «إن حوار هذه المسرحية يتعامل أساساً من الريح، والزهور، والثلج وضوء القمر» وهي ببساطة طريقة تليفية للقول أن القصة فيها هي قصة عواطف ومؤامرات. إنها تلاقي شعبية عند الطبقات المثقفة الذين يعتبرونها رواية أكثر منها مسرحية.

سيدة وابنتها تقيمان في معبد حيث، وفقاً للعادة العامة، يقوم راهب بتأجير الغرف للمسافرين العاديين أو للزوار الذين يرغبون في القيام بالتمارين التعبدية. طالب شاب وجميل كان أيضاً مصادفة نازلاً في المعبد، ووافاه الحظ بالنجاح في

إنقاذ السيدتين من قبضة قطاع الطرق، والذي كان قد وعد أنه إذا ما قام بأداء هذه الخدمة سوف يعطى يد البنت ليتزوجها. إلا أن الأم سرعان ما عادت عن الخطوبة وتركت هذا الباحث حزيناً. في هذا المفصل نجحت وصيفة السيدة الإبنة بسلسلة من المناورات الماهرة بإعطاء القصة نهاية سعيدة.

بما أنه كان هناك دائماً شاعرات في الصين فإننا نجد أيضاً نساء بين صفوف كتاب المسرحيات، هناك دراما من أربع مشاهد بعنوان «الانضمام إلى القمصان» كتبت من إحداهن باسم تشانغ كوو بين **Chang Kuo Pin** وكانت محظية مثقفة في تلك الأيام وهو ما جعل الاهتمام الرئيس في المسرحية ربما جنس الكاتبة.

أب وأم وابنهما وزوجة الابن يعيشون بسعادة مع بعض عندما ساعدوا شاباً غريباً معدوماً، ومن ثم دون استفسار عنه يقومون بالفعل بتبنيه في العائلة، وبعد ذلك بقليل الابن الجديد يقنع الأخ الأكبر وزوجته بمغادرة البيت سراً أخذين معهم كل الممتلكات التي تقع عليها أيديهم وأن يسافروا إلى مكان بعيد من البلاد حيث يوجد إله قدير ستصلي له الزوجة وتحصل على ابن بعد أن مر على زواجهما ثمانية عشر شهراً. في الطريق الأخ الجديد يدفع الزوج من على ظهر القارب إلى نهر اليانغ تسه **Yang Tse**، ويختفي هو والزوجة التي بعد فترة قليلة تلد صبياً، تمر ثمانية عشر عاماً. الزوجان العجوزان أصيبا بفقر مدقع وانطلقا يشحذان في طريقهما للبحث عن ابنهما. الصدفة - صدفة كاتب المسرحية - ترميهما في صحبة حفيدهما، الذي تخرج ككبير الدراسات الكلاسيكية، وقد كان أيضاً مدفوعاً من قبل والدته لبحث عنهما. التعرف أتى عن طريق نصفين من قميص، أحدهما كان دائماً مع الرجل العجوز وثانيهما كان مع الابن المفقود. وبعد موته كان مع زوجته، في هذه النقطة يظهر الابن المفقود، وكان قد أنقذ من الغرق من قبل بحار وأصبح راهباً بوذياً. هو الآن يعود إلى الحياة المدنية وتنتهي المسرحية بإعدام المجرم.

إنها حقيقة غريبة أن تكون جميع فرق الممثلين لا تنحدر من بكين فحسب وإنما يمثلون بلهجتهم الخاصة بهم وهي اللهجة غير المفهومة من قبل جماهير الأجزاء العديدة في الصين. هؤلاء الممثلين تدفع بالطبع لهم أجور جيدة حتى يكون السفر بعيداً عن البيت أمراً مستحقاً لمخاطر الحياة والممتلكات.

الفصل الثالث

الرواية

نتحول الآن إلى الإنجاز الأدبي الثاني للمونغوليين وهو إدخال الرواية، فنجد أنفسنا وجهاً لوجه مع اللغز نفسه كالذي يحيط بميلاد الدراما. إن أصل الرواية الصينية غير معروف. وقد تكون أتت من وسط آسيا، جنة رواة القصص في أعقاب احتلال المونغوليين. ثلاثة قرون كان عليها أن تختفي قبل الوصول إلى مرحلة التطور العليا. الأساطير والنوادر وحتى القصص القصيرة كانت معروفة للصينيين منذ عدة قرون، ولكن بين هذه والرواية بحد ذاتها هناك الهوة التي حتى الآن لم يتم جسرهما بشكل مرضٍ، وبالفعل ادعى البعض أن الرواية تطورت من المسرحية أو التمثيلية معززين نظريتهم بالإشارة إلى **هسي هسيانغ تشي Hsi Hsiang Chi** أو قصة المقصورة الغربية كما وصفناه في الفصل السابق. لكن هذا يعني ببساطة أن هسي هسيانغ تشي **Hsi Hsiang Chi** ملائمة أكثر للقراءة الخاصة منها للقراءة العامة، كما هي الحال لكثير من المسرحيات أو التمثيليات.

يصنف الصينيون رواياتهم تحت أربعة عناوين تعالج (1) الاغتصاب والتأمر، (2) الحب والمؤامرة، (3) الخرافات، (4) قطاع الطرق أو شخصيات متمردة خارجة على القانون بشكل عام، وسنعطي الأمثلة على كل منها.

إن **سان كوو تشيه ين أي San Kuo Chih Yen I** المنسوبة لشخص اسمه **لو كوان تشونغ Lo Kuan Chung**، هي رواية تاريخية مبنية عن حروب الممالك الثلاثة الذين كانوا يتقاتلون على السيادة في بداية القرن الثالث قبل الميلاد. إنها تتألف أساساً من مناظر مؤثرة من الحروب، من خطط مأكرة لجزالات مهرة، وعن المآثر التي قام بها المتحاربون الملتخمة أيديهم بالدماء. جيوش وأساطيل لا تعد ولا تحصى كانت تباد من وقت لآخر من قبل هذا الجانب أو ذاك، كل هذا بأسلوب

سهل ومشوق، يعطي للكتاب بهجة لا حدود لها للكبير وللصغير على حد سواء. لو أن التصوير أعطي لشعب الصين ليقرروا من هي أعظم رواية من بين رواياتهم غير المحدودة، فإن قصة الممالك الثلاث ستكون الأولى بلا منازع. يقال أنه بهذه الطريقة قام القائد العظيم تشو كو ليانغ **Chu Ko Liang** بإعادة تجديد مخازنه المتناقصة من السهام. أرسل قوة من عشرين سفينة أو أكثر ليقوم بهجوم كاذب على أسطول منافسه القوي **تساو تساو Tsao Tsao**. كان ظهر السفن على ما يبدو مغطى بأعداد كبيرة من المقاتلين، ولكن هؤلاء لم يكونوا في الحقيقة سوى شخوص من القش مكسيين في ثياب جنود. على كل سفينة كان يوجد فقط عدد قليل من البحارة وعدد من الجنود الحقيقيين يحملون الطبول وغيرها من أدوات مزعجة.

وعند وصولهم إلى هدفهم كما كان محسوباً بدقة من قبل، وفي منتصف ضباب كثيف بدأ الجنود يضربون على الطبول كما لو كانوا سيبدأون عملية؛ على أثر ذلك قام **تساو تساو Tsao Tsao**، الذي بالكاد استطاع أن يتبين الخطوط العريضة للسفن المليئة بالمقاتلين الذين انصبوا عليه، أعطى أوامره لرماته، أن يبدأوا بإطلاق السهام، قام أولئك بفعل ذلك، وبقوا على هذه الحالة لساعة أو أكثر، حتى شعر تشو كو ليانغ **Chu Ko Liang** بالرضى عما حصل عليه، ثم أعطى أوامره بالانسحاب.

في مكان آخر نقرأ عن منافسة بين الرماة التي تذكر بالألعاب الهوميرية الملحمية. يعين هدف، وتوضع الجائزة، وهي روب على غصن في الأعلى. ومن مسافة مائة خطوة يبدأ الأبطال بإطلاق أسهمهم. بالطبع كل متنافس يصيب منتصف الهدف، واحد مثل البارتيين أو الفرس القدماء، يطلق السهم من خلف ظهره، وهو منسحب، وآخر يطلق السهم من فوق رأسه، وبالطريقة نفسها بالطبع، البطل المفضل يطلق على الغصن، يقطعه ويغادر بالروب.

القطعة التالية ربما تكون مفيدة، فهي تعالج موضوع التخدير قبل قرون من الحلم به في هذا البلد (أي بريطانيا). **تساو تساو** ضرب على الرأس بسيف من قبل روح شجرة الكمثرى التي حاول أن يقطعها. وكان يعاني من الآلام حتى أن أحد معاونيه نصحه بمراجعة طبيب ما أصبح شائعاً جداً في تلك الأيام:-

قدم الضابط شرحاً فقال: «إن د. هوا Hua هو طبيب ماهر وقوي وهو رجل لا تجد مثله رجلاً آخر. إن استخدامه للدواء واستخدامه للإبر الصينية وللمهيجات المضادة كلها دائماً يتبعها الشفاء العاجل للمريض. إن كان الإنسان المريض يعاني من شكوى باطنية والدواء لا يحقق النتيجة المطلوبة، يقوم الدكتور هوا Hua بوضع جرعة من الحشيش، وتحت تأثير هذا يصيح المريض وكأنه ثمل بالنبيذ. ثم يأخذ سكيناً حادة ويفتح البطن، فيقبل على غسيل الأحشاء بسوائل طبية، ولكن دون التسبب بأي ألم له. بعد الانتهاء من الغسيل يخطط الجرح بخيط طبي ويضع فوقه قطعة «بلاستير» وبعد مرور شهر أو عشرين يوماً يكون الموضع قد شفي. هكذا هي المهارة العادية.

في أحد الأيام، وهو سائر في الطريق سمع د. هوا Dr. Hua أحدهم يئن كثيراً وبعمق، فأعلن فوراً أن السبب هو عسر الهضم. وبعد البحث وجد أن الموضوع كان كذلك؛ وبالتالي أمر د. هوا Hua المتألم أن يشرب ثلاثة بيانتات⁶⁹ من سائل مغلي فيه الثوم ونبات الكراث، هذا ما فعله فتقيأ فوراً حية طولها من اثنين إلى ثلاثة أقدام، وبعدها كان قادراً أن يأكل الطعام مثلما في السابق. وفي مناسبة أخرى، كان الحاكم كوانغ لينغ Kuang Ling مكتئباً جداً في نفسه، بالإضافة إلى أنه كان منزعجاً من تورد في وجهه ومن فقدان الشهية تماماً. استشار د. هوا Hua، وكانت نتيجة بعض الدواء الذي وضعه سبباً في تقيؤ المريض لكمية من الشراغيف (جمع شرغوف) التي تتلوى من ذوات الرأس الأحمر، التي قال عنها الطبيب أنها نتجت في كيانه من انغماسه العظيم في السمك، والتي على الرغم من طردها مؤقتاً، ستظهر ثانية بعد فترة ثلاث سنوات، حيث لا أحد يقدر على تخليصه. وبالفعل توفي الرجل بعد ثلاث سنوات لاحقة. وفي قضية أخرى، كان يوجد رجل

مماً بين حاجبيه دمل، وكان الحكاك منه لا يحتمل. عندما عاينه د. هوا Hua قال، «هناك طائر في داخلك» فضحك منه الجميع. ولكنه أخذ سكيناً وفتح الدمل فطار منه كناري، فبدأ المريض يتعافى من تلك الساعة. مرة أخرى،

69 الباينت هو وحدة لقياس السائل تساوي نصف لتر / المترجم.

رجل آخر عضه كلب في أصبع رجله، والنتيجة كانت كتلتين من اللحم نمتا من الجرح، إحداهما كانت مؤلمة جداً والثانية كانت تجعله يحك بطريقة لا تطاق.

«هناك عشرة إبر،» قال د. هوا ' في كتلة الخُراج واثنين سوداوين ونواة بيضاء اسمها واي تشي Wei Chi في الأخرى. 'لا أحد صدق ذلك حتى فتحها د. هوا Hua بسكين وأظهر لهم أن ذلك حقاً. وحقاً أنه من السلالة نفسها مثل بيان تشياو Pien Chiao وتسانغ كونغ Tsang Kung من الزمن القديم، وبما أنه يسكن الآن ليس بعيداً من هنا، أنا أتعجب أن سموكم لم يستدعه بعد.

هنا، أرسل تساو تساو Tsao Tsao مراسلين كان عليهما أن يسافرا ليلاً ونهاراً، حتى يعودوا بالدكتور هوا Hua ليمثل أمامه، وعندما وصل مسك تساو تساو TsaoTsao نبضه وطلب إليه أن يشخص مرضه.

«الألم الذي في رأس سموكم، ' قال د. هوا Hua،' ناتج عن الهواء ومقر المرض هو في المخ حيث يتجمع الهواء لأنه لا يستطيع المغادرة، الدواء لا ينفع في وضعكم الحالي الذي له بلسم واحد، عليك أولاً أن تبلع جرعة من الحشيش، ومن ثم أقوم ببلمة حادة، بفلق مؤخرة رأسك وإخراج الهواء. وهكذا سوف يتم القضاء على المرض.»

هنا ثار تساو تساو Tsao Tsao، وأعلن أنها مؤامرة تستهدف حياته، وعلى هذه أجاب د. هوا، ' ألم تسمع سموكم عن جرح كوان أو Kuan Yu في كتفه الأيمن؟ أنا كشطت العظم وأزحت السم الذي فيه دون أي إشارة واحدة من الخوف من جانبه. إن مرض سموكم ما هو إلا مسالة بسيطة؛ لماذا إذا تشك كثيراً؟ '

«قد تستطيع كشط عظمة الكتف المتقرحة، ' قال تساو تساو،' دون خطورة كبيرة؛ لكن أن تفلق جمجمتي هي مسألة مختلفة تماماً. اكتشفت الآن بأنك هنا فقط لتتأثر لصديقك كوان أو Kuan Yu مستغلاً هذه الفرصة، فأعطى بناء على ذلك الأوامر أن يتم إلقاء القبض على الطبيب ويوضع في السجن.»

هناك، بعد وقت قصير مات الطبيب المنحوس، ولم يمض وقت طويل حتى

مات تساو تساو Tsao Tsao نفسه.

يقال أن رواية شوي هو تشوان Shui Hu Chuan كتبها شيه ناي آن Shih Nai An من القرن الثالث عشر؛ لكن هذا الاسم لا يظهر في أي مجموعة من السير الذاتية، ويبدو كذلك أنه لا يعرف شيئاً عن الرجل أو عن تأليفه هذا. القصة التاريخية تقوم على أساس الأعمال التي تقوم بها عصابة من قطاع الطرق الذين أُرهبوا في الواقع مقاطعتين، حتى تم قتلهم، في أوائل القرن الثاني عشر. بعضها مضحك جداً وكلها ثمينة للرؤية التي تقدمها عن الأخلاق والعادات الصينية. هناك حادثة هزلية عن متبجح كبير التجأ إلى معبد بوذي وأصبح راهباً. بعد فترة ارتد إلى عادات في الحياة أقل تقشفية، وعاد في يوم من الأيام إلى المعبد، وبلغت صينية، سكيراً حقيراً، مفتعلاً اضطراباً عظيماً ومسبباً فضيحة كبيرة، وقام بالعمل نفسه في مناسبة أخرى؛ وعندما حال البواب بينه، وبين الدخول حاول الاندفاع إلى الداخل وفي فورة سكره كسر تمثالاً ضخماً عند المدخل لأنه لم يتدخل ليساعده. وعندما نجح بالتهديد بالنار في إقناع الرهبان بفتح البوابة، التي «يمنع من خلالها إدخال النبيذ أو اللحم»، وقع هو في الساحة، ومن ثوبه سقطت نصف رجل كلب مأكولة خرج بها من مطعم حيث سكر سكرًا مجنونًا. وتسلى بنزع قطعة من اللحم وحشاها في فم واحد من زملائه الرهبان.

إن الأسلوب الجغرافي، والتصويري الذي كتب به الكتاب، بالرغم من أنه يقترب من اللهجة العامية ضمن له مكاناً أبعد من الاستحقاق الحقيقي.

إن هسي أو تشي Hsi Yu Chi أو سجل الرحلات في الغرب، هو رواية مفضلة كتبت بأسلوب شعبي وسهل. إنها تقوم على أساس الرحلة التي قام بها هسوان تسانغ Hsuan Tsang إلى الهند، للبحث عن كتب و آثار ليصور بالرسومات التوضيحية الديانة البوذية؛ لكن أبعد من حقيقة أن الشخصية الرئيس يدعى من قبل هسوان تسانغ Hsuan Tsang باسمه بعد مائة ومن أنه كان يسافر بحثاً عن الكتب البوذية، فالرحلة والرواية لم يكن هناك من ناحية إيجابية جامع يجمعهما مع بعضهما. الأخير هو عينة جيدة من الخيال الذي يُسرّ به الشعب

الصيني، ويمكن أن يستبقينا معه لفترة.

قرد حجري يولد على جبل غامض من بيضة حجرية وسرعان ما ينتخب ملكاً للقرود. ثم يقرر السفر من أجل البحث عن الحكمة، وهكذا ينطلق. كانت خطوته الأولى اكتساب المعرفة عن الفن الأسود من ساحر، والتي بعدها يصبح سيد حصان الرب، أي أنه يصبح الإله الأعلى في البانثيون الطاوي.⁷⁰ وبعد أن تخلص من هذا المنصب المقرف قام بسلسلة من الاضطرابات في العالم بشكل عام حتى - بعد حين - اضطر الرب للتدخل وأرسل جنرالات سماوية متعددة لإخضاعه. هؤلاء بسهولة يهربون منه، عائداً فقط إلى ولائه حاملاً يتعين هو الواحد العظيم المقدس لجميع السماوات. وسرعان ما يعود إلى حيلة فيسرق كمثرى الخلود من كائن خرافي معروف باسم الأم الملكية في الغرب، وبعضاً من إكسير الحياة ويستهلك كليهما.

جميع الآلهة الأدنى تتذمر إلى الله من شر أفعاله الكثيرة. فترسل الجيوش السماوية ضده، لكن سدى. حتى ابن أخ الله لا يستطيع الصمود ضده حتى يرميه لاو تسه Lao Tzu بخاتم سحري فإلقاه أرضاً مجندلاً. بعد ذلك يُحمل اسيراً إلى السماء، ولكن بما أنه خالد لا يمكن إيذاؤه.

في هذا المفصل يضع الله المسألة في أيدي بوذا الذي يتم إعلامه حالاً من القرد بأنه يجب الإطاحة باله، وأنه هو القرد يجب أن يكون الملك القادم عوضاً عنه. النص يسير بهذا الاتجاه: -

«عندما استمع بوذا لهذه الكلمات، ابتسم بشكل محتقر وقال، وماذا! قرد شيرير مثلك يريد أن يقبض على عرش الله، الذي منذ سنواته الأولى درب ليحكم، ويعيش منذ 1750 أيون من الدهور اللامنتهية، وكل واحد منها يدوم 129.600 سنة! فكر بكم دهر من التلمذة كان عليه أن يخدم قبل أن يصل إلى هذه الحالة من الحكمة التامة. أنت وحش بشع فقط؛ ماذا تعنى هذه الكلمات المغرورة؟ اذهب، ولا تتفوه هكذا بعد الآن، حتى لا يصيبك مكروه ويكون كل وجودك مهدد.

70 البانثيون هو معبد لجميع الآلهة.

صرخ القرد قائلاً، «مع أنه أكبر مني فهذا ليس سبباً، لماذا هو دائماً يأخذ المنصب. قل له أن يخرج وأن يتنازل عن مكانه لي أو أنني سأعرف السبب لذلك.»

«أي كفاءات عندك، 'سأل بودا، حتى تطالب بالقصر المقدس؟»

«الكثير، أجاب القرد. «أستطيع أن أغير شكلي اثنين وسبعين مرة. وأنا خالد، ويمكنني أن اثشقل على بعد 18.000 لي (ستة الآف ميل). الست مؤهلاً حتى احتل عرش السماء؟»

«جيد، أجاب بودا، سأعمل رهاناً معك إن كنت تستطيع أن تقفز من خارج يدي، سأطلب من الله أن يغادر إلى الغرب ويترك السماء لك؛ ولكن إن فشلت، ستنزّل مرة أخرى إلى الأرض لتصبح شيطاناً لعدة إيونات أخرى آتية.

«القرد وافق على هذا بسرعة، مشيراً إلى أنه يستطيع القفز بسهولة 18.000 لي، وأن يد بودا ليست بطول قدم. بعد أن جعل بودا يعد بتنفيذ الاتفاق، مسك سيفه وصغر نفسه حتى صار بإمكانه الوقوف على اليد التي كانت ممدودة له كأنها ورقة اللوتس. «أنا منطلق!» صاح وبعد لحظة كان قد ذهب. لكن تحديق بودا المستنير كان دائماً عليه بالرغم من أنه كان يدور بسرعة مثل دوامة.

بفترة قصيرة وصل القرد إلى مكان حيث كانت توجد خمس أعمدة حمراء وهنا قرر أن يتوقف. لكنه فكر بأنه من الأفضل له أن يترك أي أثر كان كرهان على زيارته، فاقتلع شعرة من شعره وغيرها إلى قلم رصاص فكتب به على العمود الأوسط بأحرف صينية كبيرة الواحد المقدس العظيم لكل السماوات وصل هذه النقطة. في اللحظة التالية عاد إلى يد بودا واصفاً قفزته ومطالباً بجائزته.

«آه! قال بودا، كنت أعرف أنك لن تستطيع فعلها.»

«لماذا!! قال القرد 'ذهبت إلى حدود الكون وتركت هناك بصمة وأنا أتحداك لكي تفحصها.»

«لا داعي للذهاب بعيداً، أجاب بودا، فقط احن رأسك وانظر هنا.

«حتى القرد رأسه وهناك على الأصبع الأوسط لبوذا قرأ الحفريات التالية الواحد
المقدس العظيم لجميع السماوات وصل إلى هذه النقطة.»

وفي النهاية يتم تحويل القرد إلى الإيمان الحقيقي، ويوافق على مرافقة **هسوان تسانغ Hsuan Tsang** في رحلته إلى الغرب. وقام هو بدوره في المساعدة لتحويل الخنزير الشبح الذي تغلب عليه أولاً من خلال تغيير شخصه إلى حية والتي يقوم الخنزير الشبح بابتلاعها عن طريق الخطأ، وبالتالي أعطى خصومه فرصة لمهاجمته من الداخل. ينضم إلى هذيت الاثنين شخص لا لون له يقال أنه يمثل الجانب السلبي للطبيعة الإنسانية بينما القرد والخنزير يمثلان الجانب الفعال والحيواني بالتتابع. ثلاثتهم يقودون **هسوان تسانغ Hsuan Tsang** عبر المخاطر والهروب المتعدد ليصل بأمان حتى في النهاية يستلموا تعليمات نهائية من شخص سرمدى عن موقع قصر بوذا الذي منه يأملون الحصول على الكتب المرغوبة. المشهد الذي يتبع يستدعي تقريباً تقدم الحج:-

وبناءً على ذلك، ودع **هسوان تسانغ Hsuan Tsang** وانطلق في طريقه. ولكنه لم يقطع سوى ميل أو ميلين حتى وصل نهراً تتدفق مياهه تدفقاً ويبلغ عرضه فرسخاً ولا أثر فيه لرؤية أي مخلوق. ولذلك فزع نوعاً ما وأدار وجهه إلى **وو كونغ Wu Kung** (اسم القرد) قائلاً، «بالتأكيد ضللنا دليلنا. انظر إلى ذلك النهر العريض الجياش، لا يمكننا أبداً أن نعبر دون قارب؟ **وو كونغ Wu Kung** صرخ، «هناك جسر يمكن أن تمر عليه حتى تكمل خلاصك.» بعد قول هذا تقدم **هسوان تسانغ Husan Tsang** والآخرين في الاتجاه المشار إليه، وقرأوا إلى جانب الجسر لوحة إعلانات كتب عليها، «مخاضة النهر السماوية أما الجسر فكان معمولا من لوح خشبي بسيط، علق عليه **هسوان تسانغ Husan Tsang** قائلاً، «أنا لن أثق بنفسى على هذه الألواح الخشبية الضعيفة والزلقة لأعبر ذلك النهر الواسع والسريع. لنجرب مكاناً آخر؛ لكن هذا هو الطريق الصحيح.» قال **وو كونغ Wu Kung** انتظر لحظة وستراني أعبر هذا الجسر. بعدئذ قفز إلى الجسر، وركض عبر الألواح الخشبية المتأرجحة والمنتبذبة حتى وصل الجانب الآخر، حيث وقف ينادي على الآخرين ليأتوا. لكن **هسوان تسانغ Hsuan Tsang** لوح بيده سلباً، بينما مرافقوه

وقفوا يعضون أطرافهم ويصيحون، لا نستطيع! لا نستطيع! لا نستطيع! لذلك قام وو كونغ **Wu Kung** بالعودة راکضاً، فامسك بالخنزير با تشيه **Pa Chieh** من الذراع وبدأ يجره على الجسر واصماً إياه كل الوقت بالمجنون لأمله. ثم رمى با تشيه **Pa Chieh** نفسه على الأرض مزمجراً «إنه زلق - إنه زلق جداً. لا أستطيع أن أقوم بذلك، جنبني ذلك! جنبني ذلك! عليك أن تقطع هذا الجسر، أجاب وو كونغ، «إذا كنت تريد أن تصبح بوذا، فرد عليه با تشيه **Pa Chieh** «إذا لا أستطيع أن أصبح بوذا يا سيدي لقد انتهيت من ذلك فانا لا يمكن أبداً أن أقطع هذا الجسر.»

«بينما هذان الاثنان كانا في منتصف مشاحناتهما، نظر وأبصر قارباً يظهر للعيان وعليه رجل يسيّره وينادي، «القارب! القارب!» وعلى هذه كان **Hsuan Tsang** مسروراً جداً ونادى على تلامذته من أنهم الآن سيستطيعون العبور. من خلال تلميذه المتحمس والزنبقة الذهبية علم وو كونغ **Wu Kung** أن النوتيّ ما هو سوى **Namo Pao Chang Kwang** وانغ بوذا **Wang Buddha**، لكنه احتفظ بالمعلومة لنفسه ونادى على القارب ليأخذ الجميع على ظهره. وفي لحظة كان القارب على الضفة عندما، يا للرعب الذي لا يوصف، اكتشف **Hsuan Tsang** **Hsuan Tsang** أن القارب لا قعر له، وسأل البحار فوراً ما هو اقتراحه لنقل الجميع إلى الضفة الأخرى. «إن قاربي، جاب البحار» قد اشتهر منذ حلت الفوضى لتصبح نظاماً وتحت مسؤوليتي لم يعرف أي تغيير. بثبات لا تهمة العواصف إذا ثارت والبحار إذا ماجت، لا يوجد أدنى خوف ما دام الراكب خفيفاً. حراً من غبار البشرية البائدة فالمرور سهل للغاية. عشرة آلاف ايون من الكائنات البشرية تقطع الجسر بسلام. إن سفينة دون قعر تستطيع بالكاد أن تعبر المحيط العظيم؛ إلا انني على مدار العصور الماضية نقلت ضيوفاً مسافرين لا يعدون ولا يحصون.

«عندما استمع وو كونغ **Wu Kung** إلى هذه الكلمات نادى قائلاً، يا معلمي، أسرع إلى ظهر القارب. فهذا القارب على الرغم من أنه دون قعر فهو آمن بما فيه الكفاية ولا يوجد ربح أو بحر يمكن لهما أن يقلبانه. بينما **Hsuan Tsang**

Tsang لا يزال متردداً أتى وو كونغ **Wu Kung** ودفعه إلى الأمام على الجسر؛ إلا أن الأول لم يستطع المحافظة على توازنه فوق رأساً على عقب في الماء لكنه تم إنقاذه فوراً من البحار الذي سحبه على ظهر القارب. الباكون دبوا أمرهم كذلك، بمساعدة وو كونغ **Wu Kung** اندفعوا مذعورين. والبحار اندفع مكملاً طريقه، لكنهم نظروا وإذا بجسد تسحبه مياه النهر. **هسوان تسانغ Hsuan Tang** كان مرتعباً جداً من هذا؛ لكن وو كونغ **Wu Kung** ضحك وقال له، لا تخف يا معلمي، إن الجسد الميت هو نفسك القديمة! 'فاشترك الآخرون جميعهم في الجوقة وغنوا، إنها أنت، أيها السيد، إنها أنت؛ ' وحتى البحار قال له، نعم، إنها أنت؛ تقبل مني أجمل التهاني. '

«بعد لحظات كانوا قد قطعوا النهر، عندما قفزوا إلى الشاطئ، وقبل أن يتمكنوا من النظر كان القارب والبحار قد اختفيا.»

القصة تنتهي بلائحة من "السترا" والطقوس البوذية التي سمح للمسافرين أن يحملوها معهم وهم عائدين إلى بلدهم.

الكتاب السابع
سلالة مينغ 1368-1644 ميلادية

الفصل الأول

الأدب المتنوع - المادة الطبية - موسوعة الزراعة

الإمبراطور الأول لسلالة مينغ، المعروف شعبياً باسم الملك الشحاذ، بالإشارة إلى فقرة في أيامه الأولى حاملاً أحمدة الآمال الأخيرة للمونغول، ودعم سلطته، أدار اهتمامه للأدب والتعليم، نظم نظام الامتحانات التنافسية العظيم الذي بقي حتى أيامنا هذه. ونشر قانون العقوبات، وألغى هكذا عقوبات مثل التشويه، وتوصل إلى عمل كتاب يوم الحساب الذي شهد إعادة ترتيب الضرائب. في العام 1369 عين سونغ ليان Sung Lien (1310-1381)، بالاشتراك مع علماء آخرين لينتج تاريخ سلالة المنغول. وكان سونغ ليان Sung Lien سابقاً مربي ولي العهد الشرعي. وكان اعتذر عن أي منصب رسمي وكان يقود حياة أشبه بحياة الطالب البسيط. وأرتقى ليصبح رئيس كلية هان لين Han Lin، ولسنين عديدة حظي بثقة سيده، لكن حفيده تورط بمؤامرة، فقط التماسات الإمبراطورة انقذت حياة الرجل العجوز وخففت الحكم عليه إلى النفي، لكنه مات في الطريق خلال الرحلة. إلى جانب التاريخ المذكور أعلاه، ومعجم للألفاظ، تم تعيينه من أجله، فإن ما تبقى له من آثار أدبية يملأ ثلاث مجلدات. القطعة التالية هي قطعة هجائية على إهمال الرجال الذين يملكون القدرة التي، وفقاً له، كانت علامة من علامات إدارة المنغول.

«تنغ بي Teng Pi الذي كنيته بو أي Po I كان رجلاً من تشن Chin. طوله سبعة أقدام. وعيناه الاثنتان كان لهما زوايا قرمزية، وكانت تومض مثل وميض البرق. إحدى مزايا القوة عنده أنه كان متسلطاً أي كان يمشي مثل الديك، ومرة عندما كان نُورَان لجيرانه يتعاركان فصل بينهما بضربة من قبضته كسر ظهر واحد ودحرجه على الأرض، الطبول الحجرية في البلدة التي لم يستطع رفعها عشرة رجال، بإمكانه هو أن يحملها بيديه. لكنه كان عاشقاً للمشروبات الروحية وكان كل مرة

يشرب، يتشاجر حتى أن الناس عندما يرونه بهذا المزاج يبعدون من طريقه قائلين أنه من الأمان أن تحافظ على مسافة مع هذا الشخص المتوحش.

«في أحد الأيام كان يشرب لوحده في أحد المقاهي عندما مر صدفه أديبان، حاول **تنغ بي Teng Pi** أن يدعوها إلى طاولته، ولكنهما رفضا الدعوة لأنهما لا يحترمان العملاق هذا.

فصاح بهما في ثورة غضب، «يا سادة، إن كان الأمر لا يناسبكما أن تعملما مثل ما أطلب، سوف أنهيكما، وبعدها أذهب لأبحث عن الأمان في الهروب. أنا لا أتحمّل هذه المعاملة منكما.»

«وبالتالي لم يكن أمام الاثنين أي بديل سوى أن يدخلوا. أخذ **تنغ بي Teng Pi** موقع الصدارة لنفسه، ووضع كلاً من ضيفيه على هذا الجانب وذاك. وطلب المزيد من المشروبات الروحية وبدأ يغني ويعمل ضجة. وأخيراً عندما سكر خلع ثيابه وبدأ يستعرض قدراته. سحب سكيناً وربما بضربة مدوية على الطاولة، عندها نهض الأديبان، اللذان كان يعيان ضعفه، ليستأذناه بالانصراف.

«قفا، صرخ **تنغ بي Teng pi** معرقلاً إياهما: أنا أيضاً أعرف شيئاً ما من كتبكما. ماذا تعنون بمعاملتي كالمبصقة من أفواهكم؟ إن لم تسرعوا وتشربوا أنا لا أستطيع أن أكتم غضبي وفي هذه الأثناء لكم أن تسألوني عن أي شيء تحبونه في كل الأدب الكلاسيكي، وإذا لم أستطع أن أجيب، سأقوم بإدخال هذا النصل في دمي.»

«على هذا وافق الأديبان، وأعطوه فوراً عدداً من أصعب الإيماءات التي فكرا بها وهي مأخوذة كلها من الكلاسيكيات؛ لكن **تنغ بي Teng Pi** قام بالواجب أحسن قيام وأعاد تسميع الاقتباس الكامل في كل مسألة دون أن ينسى أي كلمة. ثم امتحنوه في التاريخ، مغطين فترة من ثلاثة آلاف سنة؛ ولكن هنا أيضاً كانت أجوبته تتميز بالإجادة والإتقان والدقة.

«ها! ها! ضحك **تنغ بي Teng Pi** وقال لهما، «هل تستسلمون الآن؟» فنظر الضيفان إلى بعضهما البعض بانشدها ولم ينبسا بنبت شفه. فصاح **تنغ بي Teng pi**

طالباً نبيداً، وقام بفك شعره، وأخذ يتفافز صائحاً لقد ثبتكما أرضاً يا سادة اليوم! في القدم كان التعليم يصنع من أمثالكما رجالاً؛ لكن اليوم كل ما هو عليكم أن تفعلوه هو أن تضعوا عليكم كساء العالم وتبدون بشكل استهلاكي. أنتما تهتمان بأن تتميزا بالقلم والحر، وتحتفرون الأبطال الحقيقيين للعصر. هل يبقى هذا الأمر بالفعل؟»

«كان هذان الأديبان ذوي سمعة عالية، وعند سماعهما ما قاله لهما تنغ بي Peng Pi شعرا بالخزي الشديد وتركوا المقهى وهما لا يدریان كيف يغادرانه وبعد وصولهما إلى البيت عملوا تحقيقات كثيرة لكن لا أحد رأى تنغ بي Teng pi في أي وقت من الأوقات وفي يده كتاب.»

كان فانغ هسياو جو Fang Hsiao Ju (1402-1357 ميلادية) عالماً آخر زميل عمل لسونغ ليان Sung Lien اللذين زينا الفترة نفسها. كطفل كان ناضجاً قبل الأوان، وبسبب مهارته في الإنشاء حصل على لقب هان أو Han Yu الصغير. وأصبح مريباً لواحد من أمراء الإمبراطورية وقد منحه الإمبراطور الثاني التقديرات الشرفية، الذي بسبب وفاة أبيه خلف جده في عام 1398. تم أنى تمرد الابن الرابع للإمبراطور الأول؛ وعندما فتحت نان كينغ Nan King أبوابها أمام المنتصر اختفى ابن الأخ المهزوم. من المفروض أنه هرب إلى يون نان Yun an في ثياب راهب تركها له جده هكذا تقول الرواية، بتوجيهات كاملة. بعد أربعين سنة من التجوال يقال أنه عاد إلى بكين وعاش بانزواء في القصر حتى مماته، وكان خصيٌ قد تعرف عليه من شامة على رجله اليسرى، لكن الخصي كان خائفاً من كشف هويته. أما بالنسبة لفانغ هسياو جو Fang Hsiao Ju، فقد رفض رفضاً قاطعاً أن يضع خدماته تحت تصرف الإمبراطور الجديد الذي حكم تحت مسمى يونغ لو Yung Lo. لرفضه هذا قطع قطعاً في السوق، وعائلته أيدت حيثما سمحت الظروف بذلك وأحرقت كتاباته الفلسفية. مجموعة صغيرة من كتاباته المتنوعة حفظت من قبل تلميذ مخلص، وتم بعد ذلك إعادة نشرها، التالي هو مقتطع من مقالة حول الاهتمام أكثر من اللازم بالغد:-

«رجال الدولة الذين يتنبأون بأقدار إمبراطورية ما، غالباً ما يركزون عبقريتهم على الصعوبات ويهملون ما هو سهل. إنهم يعالجون الشرور المحتملة ولا يهتمون بالتركيبات التي لا تولد أي أرضية للشك. لكن المأساة غالباً ما تخرج عن الأحياء المهملة. والفتنة تبرز من الظروف التي وضعت جانباً لأنها تافهة. هل نعتبر ذلك واجباً لغياب الاهتمام؟ -لا. إنها تنتج لأن الأشياء التي يمكن لإنسان أن يتقي شره هم البشر، بينما أولئك الذين يتملصون من يقظته ويخضعون قوته هم الآلهة.»

وبعد أن يعطي عدة أمثلة تلفت الانتباه من التاريخ، يتابع الكاتب قائلاً.

«جميع الحالات التي ذكرت أعلاه تتضمن ناساً موهوبين والذين ألفت حكمتهم وعبقريتهم بظلالها على جيلهم. قبلوا المشورة وكتبوا منذ التعطيل في الإمبراطورية بكل حذر ممكن. إلا أن سوء الطالع وقع على كل واحد منهم، دائماً ينبعث من مصدر ما حيث كان وجوده لا يشك فيه. هذا لأن الحكمة الإنسانية تصل فقط للشؤون الإنسانية ولا تستطيع أن تمس الإلهي. وبالتالي أيضاً سيقتل المرض أطفال أحسن الأطباء، والشياطين يؤدون حيلهم في عائلة طارد الأرواح الشريرة. كيف أذن ينجح هؤلاء الأساتذة في التعاطي مع حالات الآخرين ومع هذا يفشلون في معالجة حالاتهم؟ إنه بسبب أنهم في تلك الحالات حصروا أنفسهم على الإنساني. أما في هذه فإنهم سوف يتدخلون بالمقدس.

(إن الناس الأقدمين كانوا يعلمون بأنه من غير الممكن أن تقدم بطريقة لا يشوبها الخطأ ضد اختلاجات العصر الآتي. لا توجد خطة ولا أسلوب يمكنهم من أن يأملوا بالنجاح، وبالتالي امتنعوا عن التخطيط سدى.) كانوا ببساطة يجاهدون بقوة الحقيقة والفضيلة ليكسبوا لأنفسهم تصديق الله؛ أن يقوم هو كمكافأة لتصرفهم الفضيل بالسهل عليهم، كأم حنون تسهر على أطفالها إلى الأبد. وهكذا مع أن الحمقى غير مرحب بهم من قبل الخلف-حمقى يمكن أن يجروا إمبراطورية إلى المزللة- فإن الأجل المحتوم تم تأجيله. كان ذلك بالفعل بصيرة من نوع بعيد الأبعاد. لكن الذي بغض النظر عن الحظوة من السماء، يرجو على ضوء فهمه الضعيف لتأسيس ذلك الذي يدوم عبر كل الدهور-سيكون بالحقيقة مرتبكاً.

الإمبراطور الثالث للسلالة، الذي اختفى ابن أخيه، الإمبراطور الحاكم، اختفى بطريقة غامضة استلم العرش في 1403. وكان ابناً يستحق أن يقال عنه جدير بأبيه، فيما يتعلق بقدراته العسكرية والسياسية، وكان لا يزال راعياً متحمساً للآداب. وقد كان السبب وراء جمع أضخم موسوعة معروفة حتى الآن. **يونغ لو تا تيان** **Yung Lo Ta Tien**، لإنتاج ما اشتغل عليه 2196 عاماً لمدة ثلاث سنوات تحت إرشاد خمس مدراء رئيسيين وعشرين نائباً للمدير. وبالحكم من الرواية المنشورة في 1796 من المفروض أن تكون صدرت بخمسمائة ألف صفحة. لكنها لم تطبع أبداً بسبب غلاء الطباعة على الألواح؛ لكن تحت حكم إمبراطور لاحق، أخذ منها نسختين إضافيتين، وإحداهما، غير نظيفة إلى حد حوالي عشرين ألف صفحة لا تزال في كلية **هان لين Han Lin** في بكين.⁷¹ أما المجلدات الأخرى فقد أكلتها النيران عند سقوط سلالة مينغ. لم تكتف هذه الموسوعة من احتضان وتصوير حقول كاملة من الأدب الصينية وإنما أيضاً تضمنت أعمالاً كاملة كثيرة كانت ستفقد. من هذه، ليس أقل من 66 عملاً عن القانون الكونفوشيوسي، و41 عن التاريخ، و103 عن الفلسفة و175 عن الشعر قد نسخت وأدخلت إلى المكتبة الإمبراطورية.

عدة أسماء من العلماء اللامعين يجب أن يكونوا هنا، كما في الواقع من خلال هذا المجلد، أن تتجاهلها بهدوء. فهؤلاء الكتاب تم تعويضهم بالشرف الذي نالوه من أبناء جلدتهم، الذين، يضعون التربية الكلاسيكية في قمة الطموحات الإنسانية، ويصنفون الكاتب وكاتب الرواية كطيفليات للأدب. بين هذين الطرفين المتطرفين يوجد دائماً كمية كبيرة من الكتابة العامة التي، وإن كانت تشبع إدعاء يصعب إرضائه للناقد الصيني من أجل الشكل مقفلاً إياه على المادة، هو أيضاً ذو اهتمام كاف للقارئ الأوروبي.

71 في 23 حزيران - يونيو 1900-، تقريباً عندما كتبت هذه الكلمات تم إحراق كلية **هان لين Han Lin** إحراقاً تاماً. ابن هذا الكاتب الأصغر، لاسيلكوت جايلز، الذي عاش تجربة حصار بكين كتب كالتالي:- عملت محاولة لإنقاذ **يونغ لو تا تيان Yung Lo Ta Tien** لكن أكواماً من المجلدات تم تدميرها. وبالتالي تم التخلي عن المحاولة، أنا آمنت المجلد 13.345 لي.

كان **يانغ تشي شنغ Yang Chi Sheng** (1515-1556) رجل دولة ووطنياً، عمل في شبابه عجلاً أي راعي بقر. أدخل نفسه في المشاكل أولاً عندما عارض إقامة سوق للحصنة على الحدود بين الصين والتتار⁷² على أساس أنه يهدد أمن بلده. بعد أن عاد واكتسب الرضى إثر تخفيض مؤقت لخطوته، قام باتهام زميل له، يعرف الآن بأسوأ ستة وزراء خائنين في سلالة **مينغ Ming**. إلا أن خصمه كان أقوى منه. أرسل **يانغ Yang** إلى السجن وبعد ثلاث سنوات أعدم. لا يوجد لاسمه مكان في الأدب؛ وما كان ليذكر هنا سوى كمقدمة تذكارية لجياشة وجهتها زوجته إلى الإمبراطور بالإنبابة عن زوجها:-

«يا صاحب الجلالة، - كان زوجي الوزير الرئيس في إدارة الفرسان في مجلس الحرب. ولأنه أشار إلى جلالتكم ضد إقامة سوق تجاري، آملاً أن يمنع تشو لوان **Chou Luan** من تنفيذ مخططاته، أدين فقط بعقوبة مخففة، وبعدها عندما هزم الأخير أعيد له الاعتبار وأعيدت له مناصبه.

«بعد ذلك حاول زوجي باستمرار أن يعود إلى رحمة الإمبراطور. كان يحرم نفسه النوم. وكان يمتنع عن الطعام. كل هذا رأيته بأم عيني. لكنه أخذ يستمع تدريجياً إلى إشاعات كاذبة يتم تداولها في السوق، عادت إليه بقوة عاداته القديمة. فقد توازنه العقلي. وتفوه بكلمات منفعة، وثانية تكبد استياء العرش. إلا أنه لم يقتل مباشرة. أحييت عقوبته إلى المجلس. فضرب وزج به في السجن. وعدة مرات اقترب من الموت. حفر لحمه تحت السوط؛ أوتار رجليه قطعت. وسال الدم منه بغزارة راشا إياه من الرأس حتى القدم. محبوس ليل نهار في قفص، متحملاً أقصى أنواع البؤس.

«ثم إن محاصيلنا فشلت وطعامنا اليومي كان مفقوداً في منزلنا الفقير. حاولت جهدي أن أحصل على المال من خلال الغزل، وعملت بجد على مدار ثلاث سنوات، وهي الفترة التي خلالها خاطب المجلس العرش مرتين، مستلماً في كل حالة قراراً أن على زوجي أن ينتظر مصيره في الحبس، ولكن الآن أسمع أن جلالتكم قررتم أن

72 منطقة شاسعة تمتد من آسيا إلى شرق أوروبا من بحر اليابان (البحر الشرقي) إلى نهر

يموت زوجي وفقاً للوائح الإمبراطورية. يمكنه أن يموت كما يشاء، فعيناه ستغلق على جلالتك بسلام، بينما روحه ستنشد العوالم من تحت.

«مع أنني أعرف أن جلالتك له قلب إنساني ووديع؛ وعندما تشارك الزواحف على الأرض-لا بل الشجر والشجيرات - في الطمأنينة الوطنية، فإنه من الصعب التفكير أن جلالتك ستبغضون أن تلقوا نظرة شفقة على حالتنا المتردية. وإذا ما كنا محظيين كفاية إن نجذب العطف الإمبراطوري لشؤوننا الواطية فإن ذلك سيسبب لنا الفرحة. لكن أن كانت جريمة لا تغتفر، أنا أطلب بتواضع أن أرفع العقوبة برأسي وأن يسمح لي أن أموت عوضاً عنه. بعدئذ من بلاد الأرواح البعيدة، ملوحاً أنا نفسي، بالحربة والترس، سأقود جيشاً من العفاريت ليدخلوا معركة بالإنابة عن جلالتك، راداً بعض ما عملتموه في هذه النعمة الإمبراطورية.»

يقول المعلق، «قوة اللغة لا يمكن أن تصل أبعد من ذلك.» إلا أن هذا التذكار الذي تناشد من خلاله القلب الحزين مباشرة» لم يسمح له أن يصل إلى الإمبراطور. بعد اثني عشر سنة الوزير الذي أدانه **يانغ تشي شنغ Yang Chi Sheng** طرد لسوء استخدامه الفاضح للقوة، وتمت مصادرة جميع ممتلكاته. وبعد أن خفضت مرتبته إلى الشحاذة حصل من الإمبراطور على صحن فضي جميل الذي سيجمع به الصدقات، لكنه كان مكروهاً من قبل العالم كله لدرجة أن لا أحد أعطاه شيئاً أو جازف بشراء الصحن، ومات من الجوع وهو يملك ثروة.

هناك قضية مشابهة لافتة للنظر لكنها ذات نهاية سعيدة، وهي قصة **شن سو Shen Su** الذي في تنفيذه لمهامه كقريب أيضاً أدان الوزير نفسه والذي تدخل كلمة «خائن» الآن قبل اسمه دائماً. زج **بشن سو Shen Su** في السجن وبقي هناك لمدة خمسة عشر سنة. تم الإفراج عنه بعد هذه المذكرة من زوجه التي يقول عنها المعلق، «لكل نقطة حبر هناك نقطة دم.»:-

«يا صاحب الجلالة، كان زوجي مراقباً ملحقاً بمجلس الشعائر. وبسبب حماقته لأنه أشار بتهور على جلالتك كان يستحق بالفعل أن يموت مائة موته، إلا أنه بموجب العفو الإمبراطوري كان مكتوباً له أن ينتظر صدور حكم عليه في السجن فقط.

«منذ ذلك التاريخ مضت أربعة عشر عاماً. إن والديه اللذين طعنا في السن لا يزالان على قيد الحياة، لكن لا يوجد عنده أطفال والرجل التعيس لا يوجد عنده أحد يمكنه الاعتماد عليه. أنا وحدي بقيت - أسكن في فندق صغير، وأعمل ليل نهار بالتطريز لأوفر ضروريات الحياة، ومحاط بالصعوبات من كل الجوانب، والتي كل يوم يمر عليها وكأنه سنة.

«إن حموي يبلغ من العمر سبعاً وثمانين سنة، وهو يرجف كأنه على حافة القبر. وهو كالشمعة في الرياح، لا يوجد عندي شيء يمكنني أن أغذيه به أو شيء أظهر به الاحترام عندما يموت. أنا امرأة وحيدة. إن اهتممت بإحدهما فقدت الآخر. إن عدت إلى حماي، سيموت زوجي من الجوع. إن بقيت حتى أطعمه قد يموت حماي في أي ساعة. زوجي مجرم مقيد بالحبس، وهو لا يجرو حتى على التفكير في البيت. وهل يمكن أن يصح أنه عندما تبتهج كل الكائنات الحية بالحياة تحت الحكم الحكيم والكريم في هذه الأيام، يجب علينا وحدنا أن نذوق كأس الفقر والتعاسة، ونجد أنفسنا خارج إطار السلام العالمي؟

«غالباً، وأنا أفكر بهذه الأشياء، تكتسحني الرغبة بالموت؛ لكنني أبلع حزني وأستمر بالحياة، واضحة ثقتي بالعناية السماوية لتحقيق نهاية سعيدة، تبلل أيضاً بندى الرحمة الإمبراطورية. أما الآن إن حماي يواجه الموت وجهاً لوجه، وأن زوجي لا يتوقع أبداً أن يعيش -أنا أجرو وأقدم هذا الجسد كرهينة، تربط في السجن، بينما زوجي يعود ليسهر الساعات الأخيرة على والده. بعدئذ عندما ينتهي كل شيء يعود هو إلى مكانه وينتظر تعليمات جلالته. وهكذا سيتمكن زوجي من تحية والده مرة أخرى، وسيتم التخفيف بمقياس ما من المشاعر بين الأب وطفله. وهكذا يمكنني أن أعطي لحماي الراحة من أجل ابنه وسيتم تحقيق واجب الزوجة تجاه زوجها.»

تسونغ تشن Tsung Chen، حصل على نوع من الشهرة خلال هذا القرن السادس عشر؛ في شبابه بسبب جماله الأخاذ، وخاصة بسبب عيونه التي قيل عنها إنها تتوهج حتى من الجوانب؛ وبعد ذلك من خلال مشاركته بنفقات جنازة

المذكور أعلاه **يانغ تشي شنغ Yang Chi Sheng**، وأخيراً بسبب دفاعه عن **فو تشو Foo Chow** ضد اليابانيين، حيث غرر بقواتهم ليدخلوا المدينة بخديعة استسلامهم، ثم إبادتهم من على الأسوار. القطعة التالية التي تقع في رأي المعلق «على تخوم التوافه»، هي من مراسلاته. عدد من جملها له نكهة انتقادية مزاجية.

«كنت مسروراً أن أستلم على بعد هذه المسافة، رسالتكم، التي أراحتني، هي والهدية التي تلطفتم بإضافتها. أشكركم شكراً جزيلاً على تمنياتكم لي بالخير وخاصة لإشاراتكم عميقة التفكير حول والدي.

«بالنسبة لما تقولونه بخصوص الشعبية الرسمية والملائمة للمنصب، أنا أشكر على ملاحظاتك. أنا أعي عدم ملائمتي لها بشكل جيد؛ وبالنسبة للشعبية مع رؤسائي فأنا غير مؤهل البتة أن أضمن مثل هذه العطية.

«كيف بالفعل يحصل موظف الحظوة عند رئيسه في هذه الأيام؟ في الصباح وفي المساء عليه أن يستفز حصانه ويذهب ليرقص على وقع حضوره على باب الرجل العظيم، إن رفض البواب إدخاله، يمكن له استخدام الكلمات المعسولة، أو خلق جو مقنع أو سحب الأموال من الكم. يأخذ البواب البطاقة؛ لكن الرجل العظيم لا يخرج. ينتظر في الاسطبل مع السائسين حتى تمتلىء ثيابه بالرائحة بالرغم من الجوع، بالرغم من البرد وبالرغم من السخونة الساطعة. في الليل يخرج البواب الذي أخذ المال ويقول أن سيده تعب ويطلب أن يُعذر، وسوف تكون فرصة في اليوم التالي. وهكذا يجبر على المجيء مرة أخرى كما طلب. فيجلس كل الليل في ثيابه. عند صياح الديك يقفز واقفاً، يذهب إلى الحمام، ويذهب خبياً تم يطرق على بوابة الدخول. 'من هناك؟'، يصرخ البواب بغضب، وعندما يشرح يزداد غضب البواب ويأخذ بشتمه قائلاً «أنت مستعجل جداً، أليس كذلك! هل تعتقد أن سيدي يستقبل الناس في هذه الساعة؟» هكذا يجري خزي الزائر، لكن عليه أن يتلغ غضبه محاولاً إقناع البواب السماح له بالدخول. فيقوم البواب الذي ناوله فلوس، ويسمح له بالدخول، ثم يذهب لينظر مرة أخرى في الاسطبل كالسابق، حتى ربما يخرج الرجل العظيم ويستدعيه لمقابلة.

الآن وبكثير من الاحترام والإجلال، يتذلل بشكل خجول باتجاه رجل درج المنصة؛ وعندما يقول الرجل العظيم 'تعال!' ينطح أرضاً مرتين ويبقى لفترة طويلة منطرحاً دون أن ينهض. وأخيراً ينهض ويصعد ليقدم هديته التي يرفضها الرجل العظيم. هو يستجدي قبولها؛ لكن سدى. ثم يستجدي مرات أخرى؛ وبناء عليه يطلب من خادم أن يرفعها، ثم ينبطح مرتين آخرين، ويطيل بالانبطاح، وبعدها ينهض وبخمس أو ست تحيات يخرج بعد أن سمح له.

«وعندما يخرج ينحني للبواب قائلاً، الأمر كان جيداً مع سيدك. المرة القادمة عندما أتى لا داعي أن تأخذني. البواب يرد بانحناءة وهو مسرور لدوره في هذا التطور. في هذه الأثناء يقفز صاحبنا ويمتطي جواده وعندما يلتقي أحد معارفه يضرب بالسوط ويصيح 'كنت لتوي مع فخامته. عاملني بلطف، الحقيقة بلطف كبير.' ثم يفصل الحادثة، وبناء على ذلك يصبح أصدقاؤه أكثر احتراماً إلى تُبَعِّع فخامته. ويقول الرجل العظيم بنفسه، «فلان الفلاني إنسان جيد، رجل جيد بحق»؛ والذي يرد عليه المتفرجون بالطبع بأنهم هم كذلك يعتقدون ذلك.

هكذا هي الشعبية مع رؤساء الواحد منا في هذه الأيام. هل تعتقد أنني أستطيع أن أكون واحداً منهم؟ لا! أكثر من إرسال بطاقة شكر ومباركة في احتفالات الصيف والشتاء، لا أتقدم قرب العظماء من سنة لأخرى. حتى عندما أمر ببيوتهم أملاً أذني وأغطي عيناى واخب خبياً وكأن واحداً يلاحقني. وبناءً على هذا الافتقار للهواء أنا بالطبع لست محظياً لدى السلطات، لكن لماذا أهتم؟ هناك قدر يشكل أهدافنا، وقد شكلت هدي في اتجاه ممر الواجب فقط، وبلا شكك تعتبرني لذلك حماراً.

حصل وانغ تاو كون Wang Tao Kun على شهادته الثالثة في 1547. وكانت غرائزه تدل على أنه يسعى لحياة الجندي، فارتقى إلى أن أصبح أمراً ناجحاً. لكنه وجد الوقت الكافي للكتب، وأصبح يحتل مكاناً مرموقاً بين كتاب عصره. إن أعماله التي كانت، وفقاً لأحد النقاد، «مهذبة في أسلوبها وعظيمة في نبرتها»، قد نشرت في طبعات أنيقة وهي لا تزال تقرأ. التالي هو نص تهكمي عن النساء في أيامه:-

«كان وكيل المحامي يشتهي لـ بو تسو Po Tzu أنه لا أحد في المقاطعة يعرف كيف له أن يتقدم.

‘أنتم أيها السادة،‘ قال لهم،‘مثل المقابض المربعة التي تريدون إدخالها في الإبريز المدور وبالتالي لا أحد منكم يتطابق مع الواقع.’

رد بو تسو Po Tsu قائلاً، أنت صادق، أرجو أن تشرح كيف تم ذلك.

«قال وكيل المحامي، «هناك خمسة أسباب لماذا أنتم على خلاف مع العمر، وهي كالتالي:-

1. «إن الطريق إلى الشعبية أمامكم مباشرة، لكنكم لا تريدوا اتباعه.

2. «إن السنة الرجال الآخرين تصل إلى الأماكن الحساسة في قلوب مسؤوليهم، لكن ألسنتكم قصيرة جداً.

3. «الآخرون امتنعوا عن ارتداء أرواب الفرو، ويتقدمون بأظهر محنية كما لو كانت ثيابهم ثقيلة جداً عليهم؛ لكنكم أنتم متصلبون مثل لوح الخشب.

4. «هناك ناس يريدون حتى قبل أن يدعوا ويحاولون استباق رغبات مسؤوليهم؛ الذين يتحاشى أعداؤهم الإهانة حتى لو كانوا هم القديسين في العلا، والذين أصدقاؤهم حتى لو كانوا قطاع طرق ولصوصاً يثقلونهم بالمديح. لكنكم أنتم-أنتم تلتزمون بالحقيقة وتعبرون عن آراء تعارض تلك التي يعرب عنها مسؤوليكم، وتجعلون المصالحة قضيتكم الخاصة.

5. «الآخرون يعملون من أجل الربح كما لو كانوا مصريين على اصطياد تدرج، يراقبون بسرية ويطلقونها باهتمام حتى لا يفقدون هدفهم. لكن أنتم - أنتم بالكاد تنحنون بالقوس أو تنحنون فقط من أجل ألا يصيب السؤال الذي يقع في متناول أيديكم.

«واحدة من هذه السقطات الخمس هي مثل الورم الذي يلتصق بك ويعيق تقدمك في الحياة. فكيف إذا بهم كلهم!

«إنها في الحقيقة كما تقولون 'أجاب بو تسو Po Tsu. ولكن أعلي أن أرجو منكم أن أزيل هذا الورم؟ الإنسان قد يصاب بالورم ويعيش. أن تقطعه يعني أن تموت. والحياة مع الورم أفضل من الموت دون ورم. ثم إن الجمال هدية طبيعية؛ والمرأة التي حاولت أن تشبه هسي شيه Hsi Shih نجحت فقط في تخويف الناس ببشاعتها. الآن، أنه من سوء حظي أن يكون عندي هذه الأورام التي تجعلني قبيحاً حتى أكثر من تلك المرأة. ومع ذلك، باستطاعتي، كما يقال، أن ألتزم بابرقي للتطريز أو بأنية الطبخ الخاصة بي، وأسعى لإسعاد رجلي الطيب. ولا تتاح أي فرصة لي لأعلن بشاعتي على الملأ في السوق. 'آه يا سيدي، قال وكيل المحامي الآن أعرف لماذا يوجد ناس بشعون كثر ولماذا يوجد جمال قليل في البلاد.'»

تخرج هسو هسيه Hsu Hsieh بالكلاسيكيات العليا في 1601، وتعين في كلية هان لين Han Lin حيث يتم تحضير وثائق الدولة من جميع الأنواع تحت إشراف علماء سامين. مات وهو شاب لكنه ترك سمعة أنه رجل مشاكس، كان يصعب التفاهم معه، مكرساً حياته للدراسة. أقسم مرة أنه لو ترك الأمر له، للحصول على أسلوب لامع، فإنه سيقفز في البحر لتوزيع كتاباته. القطعة التالية مدار إعجاب كبير. قال معلق، «لقد تمت على مدى نفس من الثاؤب (أي بجهد فردي) وأشبه ما تكون مثل الروب السماوي دون خياطة. القارئ يبحث سدى عن الفقرات في هذه القطعة الملهمة حقاً»:-

لسنين عديدة امتلكت محبرة، تركها صديق في بيتي. وهكذا لم استخدمها الاستخدام العادي، لأنني كنت لا أعني أنها قطعة تراثية. لكن زارني في يوم من الأيام متذوق للفن الذي قال لي أن هذه القطعة عمرها ألف سنة على الأقل، وحثني على المحافظة عليها بعناية على أنها أثر ثمين. هذا ما عملته، ولكنني لم أنكبد أي تعب لتأكد إن كانت هكذا أم لا. ولافترض أن هذه المحبرة يعود تاريخها حقاً إلى الفترة المعينة فيكون صاحبها قد اعتبرها ببساطة على أنها محبرة. لم يكن في حسبانها أن يكون مقدرها لها أن تنجو من حطام الزمن وأن تثمن كقطعة أثرية. وبينما نحن

نقدر ذلك الآن، لأننا توارثناها من ماضٍ قديم، فإننا ننسى ذلك الآن عندما تصبح القطعة الأثرية قطعة أثرية من زمان مضى وبالتالي لا يمكنها أن تكون ذات قيمة للأثريين، الذين هم أنفسهم يشكلون الحدائين لما هو آثار بالنسبة لنا! الجمهور المندفع حولنا لا يفكر بشيء سوى الاستحواذ على الثروة والملذات المادية، ومشغول فقط بالنضال من أجل المكانة والقوة. الرجال يرفعون ثيابهم ويسرعون عبر الوحل؛ ويعانون من الحقارة ولا يشعرون بأي معنى للخزي. وإذا طلع من هذه الكتلة البشرية روح واحدة تكون أنقى وأبسط من الآخرين، ساعية إلى طرق طريق أنبل من التي طرقوها، ويتسلون في فراغهم من أجل إشباع نفوسهم، وبالغيثار والكتب وبالصور وبغيرها من آثار من أزمان قديمة - مثل هذا الرجل هو محب أصيل بالفعل للآثار لا يمكنه أبداً أن يكون واحداً من القطيع العام، مع أن القطيع العام يؤثر دائماً أن يعجب بأي شيء أخاذ لا يمكن إنكاره. وبالطريقة نفسها الذين يضعون نصب أعينهم التقدم في مهنتهم لا يألون جهداً في جمع النادرات المنتقاة حتى من خلال هذه الهدايا ليتوددوا لمسؤوليهم، الذين سيقومون بدورهم في الانبساط والتفاخر بعرض مجموعات الآثار الخاصة بهم. هكذا هو الاشتياق المخادع للآثار. الذي ينشأ ببساطة من الرغبة لخسف جيرانه هو. مثل هؤلاء الرجال ليسوا محبين أصليين للآثار. فأذواقهم هي نفسها شبيهة بتلك التي للقطيع العام، بالرغم من أنهم يعملون فرجة كبيرة ويسرقون سمعة الآثاريين الصادقين، على أمل أن يميزوا أنفسهم عن زملائهم، جهلة بما يحوزون عليه هو الاسم فقط وليس الحقيقة. الرجل الذي أدعوه بالأثري الأصيل هو ذلك الذي يدرس كتابات الأقدمين، ويسعى لتكوين نفسه على نموذجهم بالرغم من أنه لا يستطيع أن يصفحهم بجد، الذي دائماً وأبداً في تجواله صعوداً، ونزولاً على طريق الماضي الطويل يلقي الضوء على شذرات مختارة تطبعه فوراً وجهاً لوجه مع الموقى الأزليين. من هكذا انبساط لا يشبع المرء. أولئك الذين يحبون بصدق الآثار، لا يحبون الأشياء وإنما رجال الزمان القديم لأن الآثار في الحاضر تشبه إلى حد كبير ما كانت عليه في الماضي - هو شيء محض. وهكذا إذا لم يكن الالتزام بالأشياء وإنما بالإنسان فحتى أنا أتوق لأصبح في يوم من الأيام آثاراً. من سيقول بعد قرون أن أثري من هذا الزمن سيتطلع إلي مثلما

أنا تطلعت لأسلافي؟ إذا هل أهمل نفسي وبغباوة أكرس طاقتي إلى أشياء تافهة؟
«هذا هو الحماس الشعبي في هذه الشؤون. إنه طبل دون محتوى. لكن الموضوع لا ينتهي وبالتالي سأكون قانعاً بسجل عابر لمحبرتي القديمة.

يمكننا إغلاق هذا الفصل على اسمي رجلين بارزين. لي شيه تشن **Li Shih Chen** أنهى في 1578 بعد ستة وعشرين سنة من العمل المتواصل موسوعته العظيمة بعنوان **علم الأدوية**. في 1596 وضعت المخطوطة أمام الإمبراطور، الذي أمر بطباعتها فوراً. فهي تعالج (1) المواد الجامدة، (2) مع النبات؛ (3) مع الحيوانات، وفيها 1100 صورة فنية منحوتة من الخشب. الفصل التمهيدي يمر على مراجعة اثنين وأربعين عمل سابق من الأعمال المهمة في الموضوع نفسه، معدداً ما لا يقل عن 950 إصداراً متعدداً في مواضيع مختلفة. إن «نظرية التواقيع» الشهيرة التي تفترض أن استخدام النبات والأشياء الجوهرية يتم معرفتها من الإنسان بمظاهر معينة خاصة به تبدو كبيرة في هذا العمل.

يعتبر **هسو كوانغ تشيه Hsu Kuang Chi** (1562-1634) بشكل عام العضو الوحيد المؤثر من طبقة الماندرين الذي أصبح مسيحياً، بعد أن تخرج الأول بين مرشحي الشهادة الثانية في 1597 وبعد أن تقدم للشهادة النهائية في 1604، سجل نفسه كتلميذ عند **ماتيو ريتشي Matteo Ricci** ودرس تحت توجيهاته حتى أنه استطاع أن ينتج أعمالاً عن النظام الجديد لعلم الفلك كما أدخله الآباء اليسوعيون، وإلى جانب مقالات في علوم الرياضيات. وكان أيضاً مؤلف موسوعة في الزراعة لها أهمية بالغة، ونشرت لأول مرة في 1640. وهذا العمل يتضمن الكثير من الرسومات المحفورة على الخشب، وكتابات عن عمليات وأدوات الزراعة، عن تربية دودة القز وعن تربية الحيوانات، وعن صناعة الطعام وحتى عن الوقاية التي يجب أن تؤخذ ضد المجاعة. إن الآباء اليسوعيين أنفسهم يوزعون الكثير من النشرات والنشرات الدعائية المكتوبة بأسلوب مدرسي منمق، والتي يمكن للمرء أن يجدها في بعض الأحياء في المكتبات القديمة.

الفصل الثاني

الروايات والتمثيلات والمسرحيات

أنتجت الروايات بأعداد كثيرة خلال سلالة مينغ Ming، لكن أسماء كاتبها، فيما عدا حالات قليلة جداً، لم تعط لنا. إن العمل الرائع المعروف باسم تشين بينغ ماي Chin Ping Mei، الآتي من أسماء ثلاث شخصيات نسائية رئيسة نسبت إلى عالم جليل ورجل دولة، وانغ شيه تشنغ Wang Shih Cheng (1526-1593)؛ إلا ان هذا تخمين أكثر منه أي شيء آخر. وكذلك أيضاً الرأي أنه تم إنتاجه في القرن السابع عشر كهجاء مبطن عن أخلاقيات بلاط الإمبراطور العظيم كانغ هسي Kang Hsi. القصة نفسها تعود للجزء الأول للقرن الثاني عشر وقد كتبت بأسلوب سهل وبسيط يشبه إلى حد قريب لهجة بكين العامية، إنها تمتلك خاصية غير معتادة، كثير من الكلمات والتعابير يمكن أن تكون لها ترجمتان، واحدة منها من صنف يجعل مثل هذه الفقرات غير ملائمة للأذن المؤدبة، على أي حال، الكتاب مرفوض ويحتاج إلى مترجم له أعصاب يرتون أي أنه بحاجة إلى أعصاب قوية. إن يو تشياو لي Yu Chiao Li هي قصة من القرن الخامس عشر والتي لقيت تأييداً من لدن الأجانب، جزئياً لأنها كانت ذات طول متوسط على غير العادة. الصيني العادي يحب أن تكون رواياته طويلة، ولا يهتم للتكرار وفقاً لأسلوب هومر والصفة الأخيرة تبدو أنها تشير إلى اتجاه القصص التي تنتقل شفاهة وتكتب لاحقاً، ويمكن أن تأخذ فيما يتعلق بالآراء التي سبق ذكرها من أن الرواية الصينية أتت أصلاً من آسيا الوسطى. لكن هنا، في أربع مجلدات قصيرة توجد لدينا قصة أخاذة لخريج شاب يقع في حب، أولاً، شاعرة جميلة وضيعة وثانياً مع الأخت الساحرة لصديق أخاذ يتعرف عليه - أي الأخ - بطريقة غير رسمية على جانب الطريق. ثم يتبين أن الصديق والأخت هما الشخص نفسه، بنت حيوية جداً، تظهر

بملابس رجالية ونسائية كما يتطلب الوضع ذلك، وما هو أكثر من ذلك، يتبين أن الأنسة الشابة الأخيرة هي نفسها ابنة العم اليتيمة المحبوبة جداً للسيدة الشابة الأولى المحبوبة وندها المثقف. الخريج يحب البنيتين حباً جنونياً وهما تبادلانه حباً لا رجعة فيه. إن هذا أبسط بكثير مما لو كانت في البلدان الغربية. البطل يتزوج الاثنتين والثلاثة يعيشون بسعادة دائمة.

إن لييه كوه تشوان **Lieh Kuo Chuan**، كالعادة غير معروف كاتبها هي رواية تاريخية تعالج الأزمنة المثيرة لدول الاقطاع، وتغطي الفترة بين القرن الثامن قبل الميلاد وتوحيد الصين تحت إمرة الإمبراطور الأول. قدمت هذه الرواية للقارئ بالكلمات التالية:-

«إن لييه كوه **Lieh Kuo** ليست رواية عادية، تتألف بالأساس من الأشياء التي ليست حقيقية. وهكذا أن فنغ شن **Feng Shen** (رواية من القرن الثاني عشر قبل الميلاد) وشوي هو **Shui Hu** وهسي أو تشي **Hsi Yu Chi** وغيرها هي محض خيال. إن سان كوه تشي **San Kuo Chih** الأقرب إلى الحقيقة، تتضمن الكثير من تلك التي تفتقر قواعد راسخة. ليس كذلك لييه كوه **Lieh Kuo**. هناك كل حادثة هي حادثة حقيقية، وكل خطاب هو خطاب حقيقي. يضاف إلى ذلك، بما أنه يوجد الكثير للبوح به أكثر مما قد يقال فإنه من غير المستبعد أن يخرج الكاتب عن الطريق ليخترع. وبالتالي على القارئ أن ينظر إلى لييه كوه **Lieh Kuo** كقصة تاريخية أصيلة وليس على أساس أنها رواية فقط.»

المقتطف التالي يشير إلى معرض زائف، خططت له دولة تشين **Chin** المتآمرة، اسمياً من أجل تجميع الأشياء الثمينة وتسليمها كجزية محترمة إلى بيت سلالة تشو **House of Chou** المملوكي، ولكن في الحقيقة بهدف اقتزاف مذبح عامة للنبلاء المنافسين الذين وقفوا بالطريق بين آل تشن **Chin** وخطتهم الخيانية:-

«تقدم الآن دوق آي من آل تشن **Duke Ai of Chin** مع ضباطه المتعددين لتحضير مكان للمعرض المقترح، وفي الوقت نفسه وضع عدداً من الرجال المسلحين في كمائن بهدف تنفيذ مخططاته الطموحة؛ وعندما سمع أن باقي النبلاء قد

وصلوا خرج ودعاهم للدخول. بعد انتهاء الاحتفالات المعتادة، وبعد أن أخذ النبلاء مقاعدهم وفقاً للأقدمية، خاطب **الدوق أي Duke Ai** الاجتماع كالتالي:-

«أنا، الذي استلمت بكل تبجيل تكليف ابن السماء، افتتح هذا الاجتماع الخاص بمثل هذه الأشياء الثمينة التي ستجلب من كل أنحاء الإمبراطورية. والأشياء نفسها سيتم لاحقاً تعبئتها مع بعض ومن ثم يتم توجيهها إلى سيدنا الإمبراطور بما أنكم أيها النبلاء قد تجمعتم هنا في هذا المكان فمن الملائم أن نوجه معروضاتنا المتعددة فوراً ونقدمها للتحكيم.»

«سمعت أصوات بالموافقة من النبلاء عند الانتهاء من الخطاب، إلا أن رئيس وزراء دولة **تشي Chi**، وهو يعي أن الجو مليء جداً ببخار الموت كما لو كان كميناً خيانياً، تقدم خطوة وقال:-

«منذ القدم عندما كان يطلب من النبلاء الاجتماع كان من العادة أن يعين عضو واحد منهم، عادل ومستقيم، ليعمل كمحكم أو قاضٍ للاجتماع؛ والآن قد اجتمعنا لهدف هذا المعرض، فأنا أقترح، لصالح السلم العام، أن يتم ترشيح واحد منا ليكون المحكم بطريقة مشابهة.»

«وافق **دوق أي Duke Ai** فوراً على الاقتراح أعلاه، وطلب مباشرة من النبلاء المجتمعين من منهم سيتجرأ على قبول المنصب المشار إليه. ما كادت هذه الكلمات تخرج من فمه حتى نهض **بيان تشوانغ Pien Chuang**، جنراليسيمو قوات **تشنغ Cheng**، وأعلن أنه على استعداد ليتبوأ هذا المنصب. ثم سأله **دوق أي Duke Ai**، على أي أساس من القدرة الشخصية يستند في ادعائه، وأجابه **بيان تشوانغ Pien Chuang**؛ من القدرة لا يوجد عندي الكثير منها بالفعل، لكنني ذبحت نمرأً بضربة واحدة من قبضتي ولا أحد يفوقني في المقدرة العسكرية. على هذه استند في ادعائي.

«وفقاً لذلك، طلب **الدوق أي Duke Ai** أن يتم احضار لوح مذهب وكان على وشك أن يستثمره كحكم للمعرض، عندما سمع صوتاً من وكلاء المحامين لدولة **وو Wu State** يحثون بصوت عال، إن من يقتل النمر

يحتاج فقط أن يمتلك شجاعة جسدية؛ لكن كيف يكون هذا توصية كافية لهذا المنصب؟ آخر لفترة قصيرة، أرجوك، حتى آتي وأخذ اللوح بنفسني.»

«بهذا الوقت كان دوق آي Ai قد رأى أن المتحدث كان كواي هوي Kuai Hui، ابن دوق واي Duke of Wei واستفسر منه فوراً ما هو ادعاؤه الخاص لهذا المنصب. أنا قطعت رأس تين مميت ومن أجل هذا الإنجاز فأنا أطلب المنصب. وبناءً على ذلك، أمر دوق آي Ai بيان تشوانغ Pien Chuang أن ينقل إليه اللوح الذهبي؛ لكنه رفض أن يفعل ذلك، مجادلاً أن ذبح التين ما هو إلا سحر ساحر، ولا ينفع قطعياً للهدف الحالي. وأضاف إن كان اللوح سيؤخذ منه فإن ذلك يستدعي التوجه إلى القوة بينه وبين منافسه. استمرت هذه المنافسة لبعض الوقت حتى نهض أخيراً رئيس وزراء تشي Chi وحل الإشكال بالطريقة التالية:-

«إن ذبح النمر يحتاج إلى شجاعة جسدية، وذبح التين هو سحر ساحر، ولا واحدة من هاتين العمليتين تتضمن جمع القوة العقلية مع القوة الجسدية التي ترغب فيها في التحكيم في هذا الاجتماع الآن، أمام القصر يوجد هناك وعاء للأضاحي يزن أكثر من ألف باوند إنكليزي. ليعلم دوق آي Ai موضوعاً ما ومن ثم دع الذي يجيب عليه بوضوح أكبر وبدقة، وفوق ذلك من منهم يستطيع أن يمسه بالوعاء المذكور أعلاه ويحمله إلى المنصة التي يجلس عليها النبلاء الثمانية عشر يتم ترشيحه إلى منصب المحكم ودعه يستلم اللوح الذهبي.»

«على هذه الخطة وافق دوق آي Ai، وسجل موضوعاً ما وطلب من الحاضرين أن يعرضوها أمام أبطال الدول المجتمعة. كان الموضوع مكتوباً شعراً ويتضمن ثمانية أبيات شعرية:-

«قل ما هو الذي يحمل السماء؛ قل ما هو الذي يحمل الأرض؛

ما هو العدد الصوفي الذي ولد الكون!

من أين تأتي الموجات الدوامية لقوة النهر المتدحرجة!

أين علينا أن نبحت عن الجرثومة الأولى لعلو الجبل الشامخ؟

بأي من العناصر الخمسة يكون عمل الطبيعة قد تم؟

ومن بين العشرة آلاف شيء جميعها التي عملت أي واحد منها هو الأعجب؟
هكذا هي الأسئلة السبعة التي أطرحها عليكم الآن؛ ومن يستطيع أن يجيب
عليها بصدق وبشكل جيد يكون هو الرجل الموثوق والحقيقي؟

«ما كاد الموضوع أن يتم التنويه به إلا والجنرال تشي نيان **Chi Nien**، جنرال
قوات دولة تشن **Chin**، يصرخ، ما هذا إلا سؤال في الفلسفة الطبيعية؛ ما الصعوبة
في ذلك؟» وعندئذ تقدم إلى الأمام وبعد أن طلب الإذن لكي يشارك، مسك قلم حبر
وسجل الجواب التالي:

«لا شيء يدعم السماء لا شيء يدعم الأرض؛

كيف لنا أن نحزر ما هو العدد الذي ولد الكون؟

من اللسان المنبسط للنهر تخرج الموجات الدوامية لقوة النهر المدرارة:

كيف يمكننا أن نعرف أين نبحت عن جرثومة طول

الجبل الشاهق؟

بكل واحد من العناصر الخمسة يكون عمل الطبيعة قد تم؛

ومن جميع الأشياء العشرة آلاف الموجودة هناك، لا يوجد أي واحد بالخصوص؛

وهذه هي أجوبتي على الأسئلة التي وضعتها؛

وبهذا أنا أطلب بموقع المحكم كالرجل الموثوق والحقيقي.

وبعد أن قدم تشي نيان **Chi Nien** جوابه، تقدم وهو مشمر الثوب عن ساقيه،
ماراً من أمام القصر، ومسك بكلتا يديه وعاء التضحية، ورفع حوالى قدمين من
الأرض، وتخضب وجهه باللون نتيجة هذا الجهد. وفي الوقت نفسه صدر صوت
عظيم من الطبول والأبواق وجميع النبلاء المجتمعين حيوه بصوت مرتفع؛ وبناء
عليه قام دوق آي **Ai** شخصياً بإعطائه اللوح الذهبي وأعلنه محكم المعرض، وكان

تشي نيان **Chi Nien** على وشك أن يرد عليه شاكرًا عندما قفز وو يوان **Wu Yuan** قائد عام دولة تشو **Chu** الذي تقدم إلى الأمام، وصرح بنبرة غاضبة أن جواب تشي نيان **Chi Nien** لم يتخلص من الموضوع بطريقة صحيحة ونهائية؛ بأنه لم يقيم بإزاحة وعاء التضحية من مكانه، وبالتالي لم يحصل على التعيين الذي أصبح يطالب به الآن وو يوان **Wu Yuan** ويدعي أنه يجب منحه له. كان الدوق **Ai**، على ضوء خطته لإلقاء القبض على أشخاص النبلاء المتعددين، تواقًا بالطبع أن يقع منصب المحكم على أحد ضباطه وقد استاء جداً من هذه المحاولة من جانب وو يوان **Wu Yuan**؛ ولكن أجاب أنه إذا استطاع أن يتخلص من الموضوع ويحمل وعاء التضحية فإن منصب المحكم سيكون له. وبناء على ذلك، تناول وو يوان **Wu Yuan** قلم ستايوس ودون الأبيات التالية:-

«الأرض تحمل السماء؛ السماء تحمل الأرض.

خمسة هو العدد الصوفي الذي ولد الكون.

من السماء هطلت الأمواج الدوامية للنهر الذي يتدحرج بقوة.

في سلسلة جبال كون لون **Kun Lun** علينا أن

نبحث عن جرثومة الجبال الشاهقة.

من خلال الصدق، من العناصر الخمسة، يمكن إتمام

الأعمال الجيدة؛

ومن كل العشرة آلاف شيء الموجودة، فإن الإنسان؛ هو الأروع.

وها هي أجوبتي على الأسئلة التي وضعتموها لهذا اليوم؛

إن الأجوبة واضحة ومستقيمة وأعطيت دون تأخير.

«بمجرد أن أنهى الكتابة، سلم إجابته للدوق **Ai** الذي رأى أنه بكل الطرق قد تخلص من الموضوع بمهارة أكبر من تشي نيان **Chi Nien**، وبالتالي طلب منه أن يعرض قوته على وعاء التضحية. قام وو يوان **Wu Yuan** بالتقدم إلى الأمام

وأمسك ثيابه بيده اليسرى، ممسكاً الوعاء بيده اليمنى، فرفعها وحملها حول المنصة أمام النبلاء المجتمعين، وأخيراً وضعها في مكانها الأصلي، دون أي تغيير في لون بشرته، حدق النبلاء بعضهم ببعض باستغراب على هذا الإنجاز، وبصوت واحد أعلنوه بطل اليوم؛ فلم يكن هناك أي بديل للدوق أي **Ai** إلا أن ينيط به اللوحة الذهبية وإعلان تعيينه في منصب المحكم.

إن **تشينغ هوا يوان Ching Hua Yuan** هي عمل أقل ادعاء من التي سبقتها، لكن بالتأكد فيها شخصية أكثر إثارة للاهتمام. إنه يعالج حكم الامبراطورة **وو Wu** التي خلعت في 684 الوريث الشرعي ونصبت نفسها على العرش، الذي احتلته لمدة عشرين سنة، فهذا العمل يصف كيف أن خريجاً شاباً، اسمه **تانغ Tang**، قد قرف من مؤسسة الامتحانات ومن إعطاء النساء شهادات، ينطلق من مجموعة صغيرة في رحلة استكشاف. من بين جميع الأماكن الغريبة التي يزورها وأكثرها إعجاباً كانت «بلد السادة» حيث هبطوا وتوجهوا فوراً إلى العاصمة.

«هناك، فوق بوابة المدينة، **تانغ Tang** ورفاقه قرأوا النقش التالي:

‘الفضيلة هي جوهرة الإنسان الوحيدة!’

«بعد ذلك، دخلوا المدينة التي وجدوا فيها تجارة عامرة ومزدهرة، وجميع السكان يتحدثون باللغة الصينية. وفقاً لذلك، دنا **تانغ Tang** من أحد المارة وسأله كيف أصبحت أمته مشهورة جداً باللياقة والاعتبار للآخرين، لكن ولاندهاشة الكبير فإن الرجل لم يفهم معنى سؤاله. ثم سأل **تانغ Tang** لماذا بلده تسمى بهذا الاسم، بلد السادة، وأجاب أيضاً أنه لا يعلم. وعدد من الأشخاص الآخرين الذين استفسروا منهم أعطوا أجوبة مشابهة، إلا أن **تو To** المحترم لاحظ أن الاصطلاح قد تم تبنيه دون شك من قبل سكان البلدان المجاورة بسبب الأخلاق الدمثة والتصرف الذي يراعي مشاعر الآخرين لدى هذه الشعوب. وتابع قائلاً، لأن العمال أنفسهم في الحقول والمارة في الشوارع يتنحون عن الطريق ليفسحوا المجال لبعضهم البعض. أصحاب المراكز العليا أو الدنيا، الأغنياء والفقراء، يحترمون مشاعر بعضهم البعض، دون إشارة إلى الغنى أو الوضع الاجتماعي لكل منهم؛ وهذا هو، على ما أعتقد،

الجوهر الذي يشكل السيد الحقيقي.»

ثم صرخ **تانغ Tang**، في تلك الحالة دعونا لا نستعجل وإمّا تحسين أنفسنا من خلال مراجعة طرق وعادات هذا الشعب.»

تدريجياً وصلوا إلى السوق حيث رأوا عداءً رسمياً وافقاً عند كشك مشغول بعملية الشراء. وكان يحمل في يديه البضاعة التي ينوي شراءها، وكان يقول لصاحب الكشك، 'أرجو أن تفتكر للحظة، يا سيدي، كيف سيكون الأمر بالنسبة لي إن أخذت هذه البضاعة الممتازة بالسعر المنخفض غير المعقول الذي تطلبه أنت. وإذا كنت ستكرمني بزيادة السعر مرتين، سيشرفني أن أقبلها؛ وإلا لا يمكنني أن أشعر سوى أنك لا تريد أن تتعامل معي اليوم.'

«كم هو مضحك، همس **تانغ Tang** لأصدقائه، وهذه الآن هي عادة مختلفة تماماً عن عاداتنا حيث يحاول المشتري أن يغلب البائع، والبائع يرفع سعر بضاعته أعلى ما يمكن. بالتأكيد هذا يبدو على أنه يأخذ مشاعر الآخرين بعين الاعتبار، التي كنا تكلمنا عنها للتو.

«هنا الرجل الذي على الكشك أجاب، 'أعرف يا سيدي، أن رغباتكم هي أوامر بالنسبة لي؛ الحقيقة هي أنني مغمور بالخزي بسبب السعر العالي الذي تجرأت وذكرته، يضاف إلى ذلك، أنني لا أدعي الالتزام بقسوة في أسعار السوق؛ الذي هو ببساطة خدعة التجارة، وبالتالي يجب أن يكون هدف كل شارٍ أن يجعلني أن أخفض أسعارني إلى أقل رقم؛ على العكس من ذلك، فأنت تحاول رفع السعر لرقم باهظ؛ وبالرغم من أنني أقدر لطفك في هذا المجال فعلي أن أطلب منك أن تبحث عما تحتاجه في مؤسسة أخرى، إنه من غير الممكن لي أن أنفذ أوامرك.

«وعاود **تانغ Tang** الإعراب عن دهشته لهذا التبديل غير العادي في بديهيات صنعة التجارة، فعندما أجاب المشتري المفروض أن يشتري، «بالنسبة لك، يا سيدي، أن تطلب هكذا مبلغاً زهيداً لبضاعة من الدرجة الأولى ثم تدور دورة كاملة وتتهمني بأخذ مصالحك بعين الاعتبار أكثر من اللزوم هو بالفعل خرق محزن

للاتيكيت أي آداب السلوك. التجارة لا يمكن القيام بها أبداً إن كانت جميع الفوائد من جانب واحد والخسائر في الجانب الآخر؛ وكذلك لا يعوزني فكر أكثر من الإنسان العادي، حتى لا أفهم هذا المبدأ وأتركك تصطادني بحيلة.»

وهكذا استمر بالمجادلة والمشاحنة، صاحب الكشك يرفض رفع السعر أكثر والعداء مصر على دفع الثمن الذي هو يحدده حتى عمل الأخير عرضاً مسرحياً فتظاهر بالاستسلام فوضع كامل المبلغ المطلوب على طاولة البيع لكنه أخذ نصف كمية الأغراض فقط. بالطبع لم يوافق صاحب الكشك على هذا وكان كلاهما سيعودان إلى موقعهما الأصلي لولا تدخل سيدين كبيرين في السن الذي صادف مرورهما من هناك فتنحيا ورتبا الموضوع لهما من خلال الإقرار أن العداء سيدفع كامل الثمن لكنه سيستلم فقط أربع أخماس البضاعة.

تابع **تانغ Tang** وأصحابه سيرهم بصمت، مفكرين بالمشهد الغريب الذي شاهدوه للتو؛ إلا أنهم لم يتعدوا أكثر من خطوات عندما مروا على جندي كان مشغولاً بشيء مشابه في شراء أشياء في دكان في الهواء الطلق. كان يقول، عندما سألت عن أسعار هذه الأغراض، أنت يا سيدي طلبت مني أن أخذها حسب تقديراتي؛ لكن الآن بعد أن رغبت في عمل ذلك، فإنك تشكو من السعر الذي عرضته، بينما في الحقيقة فإنه أقل بكثير من قيمته الفعلية. لا تعاملني معاملة غير منصفة.

«إن الأمر ليس متروكاً لي، يا سيدي؛ أجابه صاحب الدكان؛ لكي أطلب سعراً لبضائعي؛ إن مهمتي هي أن أترك ذلك بالكامل لك. الحقيقة هي أن هذه البضائع هي مخزون قديم، وحتى أنها ليست من أجود الأنواع؛ إنك بالتأكيد ستحصل على أحسن منها في دكان آخر. لكن دعنا نقول نصف ما تريد عرضه، حتى حينئذ سأشعر أنني سأأخذ منك كمية أكبر بكثير. أنا لا أستطيع أن أتصور أنني سأفترق عن بضائعي بالسعر الذي تعرضه.»

«ما هذا الذي تقوله، يا سيدي؟ صرخ الجندي: «مع أنني لست بهذه التجارة، إلا أنه يمكنني أن أفرق البضاعة الجيدة من البضاعة الأدنى ولن أخطئ في تعريف

الواحدة عن الأخرى. وأن أدفع سعراً منخفضاً لبضاعة جيدة هي ببساطة طريقة أخرى لاخذ المال من جيب الرجل.»

«يا سيدي، أجب صاحب الدكان، «إن كنت مماجكاً بهذا القدر للعدالة من أجل هذا كله، فلنقل نصف السعر الذي ذكرته أولاً وتكون البضاعة لك. إن اعترضت على ذلك علي أن أسألك أن تأخذ سلعتك إلى مكان آخر، وعندها ستجدي لا أفرص أي شيء عليك.»

«التزم الجندي في البداية بما قاله، ولكن عندما رأى أن صاحب الدكان لا يبدو أنه سيفسح الطريق، دفع المبلغ المطلوب وبدأ يأخذ سلعته، متناولاً منها الأسوء الذي يجده. لكن هنا اعترض صاحب الدكان قائلاً؛ عذراً أيها السيد، إنك تأخذ معك جميع الأشياء الخربة. إنه بلا شك لطف منك أن تترك لي أفضلها، لكن إن كان جميع الناس مثلك سيحدث انهيار عام للتجارة.»

«سيدي، أجب الجندي «بما أنك أصريت على قبول نصف قيمة السلعة فقط، لم يبق أمامي من مخرج إلا أن انتقي السلع الأقل قيمة. يضاف إلى ذلك أنها حقيقة فإن أفضلها لن يخدم هدفي كالنوع الثاني أو الثالث؟ ومع أنني أتفهم نواياك الطيبة أجد نفسي مضطراً أن أطلب منك أن تسمح لي بخدمة نفسي بنفسى.»

«لا اعترض عندي، أيها السيد، قال صاحب الدكان، تخدم نفسك كما يحلو لك، لكن البضائع ذات المستوى المنخفض تباع بسعر منخفض ولا تستحق القيمة ذاتها مثل السلع الممتازة.»

«وهكذا استمروا بتقاذف المجادلات لوقت طويل دون التوصل إلى اتفاق محدد، حتى التقط الجندي أخيراً أغراضه التي اختارها وحاول أن يهرب بها. إلا أن جميع المتفرجين صرخوا الخزي لك ووصفوه بالغشاش لدرجة أنه اضطر في النهاية أن ينتقي عدداً من السلع الأجود وعدداً آخر أقل جودة ووضعوا حداً لهذه المشادة الكلامية.»

«بعد فترة قصيرة أصدقائنا المسافرون رأوا قروياً دفع لتوه ثمن بعض المشتريات

التي نجح في عملها وكان مستعجلاً حتى يعود بها، عندما ناداه صاحب الدكان، «يا سيد! يا سيد! لقد دفعت لي بالخطأ بفضة صافية، ونحن غير معتادين على ذلك هنا، وأنا علي أن أعطيك حسماً كبيراً جداً في أعقاب ذلك، بالطبع هذا مجرد تفاهة بالنسبة لرجل محترم بدرجتك وموقعك، لكن بالنسبة لي أنا اطلب تصحيح ذلك معك.»

«أرجوك لا تذكر مثل هذه المسألة البسيطة، أجب القروي، ولكن يمكنك أن تضع المبلغ في حسابي لأستطيع استخدامه في تاريخ لاحق عندما آتي مرة أخرى لشراء بعض من بضاعتك الرائعة.»

«لا، لا، أجب صاحب الدكان، «أنت لا تصطاد الطيور الكبيرة في السن بعصافه السنابل. هذه الخدعة لعبت مرة علي في السنة الماضية من سيد محترم آخر، وإلى اليوم لم أضع عيني عليه ثانية، مع أنني عملت كل جهد لإيجاد محل إقامته. كما الوضع الآن، أنا أتطلع الآن لتسديد ما علي له في الحياة التالية؛ لكن إن سمحت لك أن تأخذني على الطريق نفسه، لماذا، وعندما تأتي الحياة القادمة أكون قد تغيرت ربما إلى حسان أو حمار، وسأكون مشغولاً جداً لإيجاده، ودينك - سيبقى يمت حتى الحياة ما بعد القادمة. لا، لا، لا يوجد وقت مثل الحاضر، بعد ذلك يمكنني أن أنسى كمية المبلغ الذي أدين به لك.»

«استمرا في المجادلة حول النقطة حتى وافق القروي على قبول مبلغ مقابل الفضية الصافية الخاصة به ثم ذهب بالسلع وصاحب الدكان يصيح في أثره ما دام هو في مرمى النظر من أنه باعه سلعاً أقل جودة بسعر عالٍ وكأنه يسرقه ماله. إلا أن القروي قد ذهب وعاد صاحب الدكان إلى التذمر من ظلم الدهر. وفي تلك اللحظة مر بالصدفة شحاذ، وبغضب لأنه أجبر على أخذ أكثر من نصيبه قام وأعطى الشحاذ الفرق. «من يعرف، قال هو، «إن يكن الأسى والحزن الحالي لهذا الإنسان الفقير عقاباً على تدفيع الناس ثمناً فاحشاً في حياة سابقة؟»

«آه، قال تانغ Tang عندما شاهد الفقرة النهائية لهذه الدراما الصغيرة، حقاً هذا هو تصرف السادة المحترمين.

«أجرى مسافرون حديثاً مع رجلين كبيرين في السن محترمين قالوا إنهما شقيقان وقبلتا دعوتهما أن يرافقا المجموعة على فنجان شاي. أما مضيفوهم فتحدثوا بحرارة عن الصين ورغبوا في أن يسمعوها خصائص كثيرة عن 'البلد الأول في العالم، لكنهم وهم يبدون إعجابهم بالثقافة الأدبية العالية لسكانها ولنجاحاتها التامة في الآداب والعلوم لكنهم لم يتوانوا عن وسمها بما لا يليق بشعب عظيم استعمالات محددة كانت تبدو لهم أنها تستحق النقد الشديد. وضحكوا من خرافة **فنج شوي Feng Shui**. وكانوا يستعجبون كيف أن أناساً أذكياً كانوا يفرضون عليهم سنة تلو السنة من قبل أساتذة مخادعين مثل هذا الهراء الذي لا أساس له. «إن كان صحيحاً، قال واحد منهم يكون اختيار يوم ميمون وموقع ملائم لدفن والد أو والدة الواحد منا لجلب الازدهار للناجين على قيد الحياة كيف تتعامل مع حقيقة أن الضارين في الرمل أنفسهم هم دائماً من الجماعات المتدنية والفقيرة؟ بالتأكيد سيبدأون باستملاك أفضل المواقع وبتأمين الحظ الجيد الذي سيكون بحاجة إلى صاحب.

«ثم فيما يتعلق بتضميد أقدام النساء لتصغير أحجامهن لا نرى الجمال في هذا العمل الجهنمي على قدمي سيداتكم. الأنوف الصغيرة تعتبر عادة أكثر جاذبية من الأنوف الكبيرة؛ ماذا سيقال في رجل يعمل على نزع شريحة من أنفه لكي يصغره في الحجم المطلوب؟ «وهكذا مرت الساعات حتى حان الوقت ليطمنوا لأصدقائهم الجدد السلامة وليستعيدوا سفينتهم.»

إن تشن كو تشي **Chin Ku Chi Kuan** أي الروايات المدهشة القديمة والمعاصرة هي الأكثر تفضيلاً لدى الصيني المحب لقراءة الغراميات. إنها مجموعة من أربعين قصة قيل إنها كتبت بحوالي نهاية سلالة مينغ من قبل جمعية كانت لها اجتماعات لهذا الغرض.

والترجمات لكثير من هذه القصص، إن لم يكن كلها، قد نشر. الأسلوب بسيط يختلف كثيراً عن ذلك الذي في بينغ شان لنغ ين **Ping Shan Leng Yen**. وهي رواية معروفة جداً فيما سيعرف تحت عنوان أسلوب أدبي رفيع المستوى، ويكون مؤلفاً من حوار متكلف وشعر مسهب أكثر من اللازم يتم تأليفه لأبسط استفزاز

من قبل الأشخاص المتعددين في القصة. كان هؤلاء هما بينغ Ping و ين Yen، طالبين شاين يجان شان Shan ولنغ Leng، شاعرتين شابتين سحرنا بموهبتهما الأدبية أكثر من جمالهما الأخاذ. في إحدى المناسبات، شاعر مدّع اسمه سونغ Sung، وكان طالباً يد الأنسة لنغ Leng كان ضيف عمها، وبعد العشاء تجولت المجموعة في الحديقة. تم استدعاء الأنسة لنغ Leng، وعندما كشف عن أدوات الكتابة، وكما هي العادة في مثل هذه المناسبات، طلب من السيد سونغ Sung أن يحيي المجموعة "بسونته" أي بقصيدة من أربعة عشر بيتاً. «المعذرة،» أجابهم، «لكنني أفرطت في شرب النبيذ لن أتمكن من تأليف أبيات شعرية الآن.» «لماذا،» ردت عليه الأنسة لنغ Leng، كان هذا بعد أن شرب غالوناً من النبيذ عندما كتب لي بو Li Po على عجل مائة سونته، وهكذا كسب اسماً سيظل حياً لألف جيل.» «بالطبع أنا أستطيع التأليف،» قال السيد سونغ، «حتى بعد الشرب لكن من المحتمل أن أصبح أجش. من الأفضل أن تكون صائماً وتشعر بصفاء الذهن. هكذا يكون الأسلوب أسلس والشعر يبسط أكثر.» أجاب الأنسة لنغ Leng أن «تساو تشيه Tsao Chih، ألف "السوناتة" الخاصة به عندما مشى سبع خطوات فقط وسيتم استذكار شهرته إلى الأبد. بالتأكيد أن المناسبة ليس لها علاقة بالموضوع.» في خضم الفوضى التي ضربت السيد سونغ Sung اقترح العم أن يقوم الأخير بوضع موضوع للأنسة لنغ Leng بدلاً عن ذلك، فوافق عليه، وعندما نظر حواليه رأى طائرة ورقية عبر شباك مفتوح، فاقترح هذا الموضوع فوراً مؤملاً في قلبه أن يذهل السيدة الشابة الساخرة. لكن في الزمن الذي يأخذه شرب فنجان الشاي ألفت الأبيات التالية:-

«مكر صنعت لتشبه الطائر

إنها تغش الحمقى والأطفال الصغار.

إن لها جسماً من البامبو خفيف ونحيف،

والزهور رسمت عليها كأنها شيء عجيب.

يطيرها الهواء فتتبخر في السماء،

مربوطة بحبل فهي لا تستطيع أن تتحرك.

لا تضحك من قدميها الكاذبتين

إن سقطت ستري فقط إطاراً جافاً وفارغاً.»

كان كل هذا يبتغي السخرية من السيد **سونغ Sung** شخصياً ومن مظهره الشخصي، وهو عينة مرضية لما قد يتوقعه القارئ منها جميعاً.

إن آر تو ماي **Erh Tou Mei** أو «الكمثرى التي تزهر مرتين»، تخص القرنين السادس عشر أو السابع عشر والكاتب غير معروف. إنها رواية تهدف إلى أن تكون على ما يبدو، مخططاً لها لتصوير جمال البر بالوالدين، ومطالب الصداقة والالتزام بالجيران بوجه عام. كتب بالأسلوب البسيط دون أي ثراء بالإيماءات الكلاسيكية من أجل ترطيب مشاعر المتحذلقين وتتضمن عدة مشاهد درامية وإجمالاً تقدم صورة بانورامية جيدة للحياة اليومية الصينية. بطلان كل منهما يقع في حب بطلتين، وتماماً كما في أو تشياو لي **Yu Chao Li** كل بطل يتزوج من الاثنتين. هناك خيط دقيق من الحقيقة يجري في هذه القصة، ويضع العمل في القرن الثامن وكثير من الشخصيات هي في الحقيقة شخصيات تاريخية. واحدة من البطلات الأربع الجميلات، من أجل أن تحفظ السلام بين الصين والقبائل التتارية التي تقوم بالإغارة على الحدود، تقرر التضحية بنفسها على مذبح الوطنية لتصبح عروس الخان. إن الافتراق عن الحدود يتم وصفه بحساسية رقيقة، لكن تبلغ الذروة عندما تصل إلى هدفها تندفع بقوة فوق هوة مخيفة، بدل أن تقع تحت سيطرة البربري المقيت، وكانت خادمة تنتظر تلبس لبسها وسلمت إلى الخان غير المرتاب. هي نفسها لا تموت. مسكت بها غيمة أرجوانية ورافقتها إلى بلدها مجموعة من الملائكة المعجبين بها.

هناك أيضاً مشهد فعال أخذ منه عنوان الكتاب عندما قامت شجرة الكمثرى التي تناثرت أزهارها من جراء عاصفة ريح أو مطر، بالصلاة الحارة. «إن روح الحديقة سمعت ابتهالاتهم الحارة وأعلنت عن وجودهم للملاك الحارس للبلدة الذي طار من فوره إلى السماء ووضعهن عند قدمي الرب.» الشجر تألم عندما أخرج براعم جديدة وسريعاً أزهر وكان جميلاً أكثر من أي وقت مضى.

تمت المحافظة على إنتاج التمثيليات بشكل جيد عبر سلالة مينغ Ming لسبب بسيط وهو أن الدراما، إن كانت غرائبية أو تطورت داخل حدود المملكة الوسطى أي الصين، أتت لتبقى معناً بالتأكيد. لقد تكونت الفكرة، ومنذ ذلك التاريخ تشكل التسلية المثلى للعالم المثقف والتأملي، وللجماهير المحبة للضحك من الشعب الصيني.

تقف بي با تشي Pi Pa Chi أو «قصة الغيتار» على رأس اللائحة وتصنف من قبل بعض المعجبين بأنها الأجود بين كل التمثيليات الصينية، إنها مرتبة بشكل مختلف في الطبقات المختلفة تحت أربع وعشرين أو اثنين وأربعين مشهداً، والكثير من التصرف أدخل على النص، وفقرات طويلة منه تم تحريفها وأدخلت كثيراً من التغييرات. عرضت لأول مرة في 1704، واعتبرت تقدماً كبيراً في فن الدراما بالمقارنة مع المسرحيات الأولى للمنغول. اسم المؤلف كان كاو تسه تشنغ Kao Tse Cheng، أما بطله قيل أنه أخذ من الحياة الحقيقية بشخص صديق ارتقى فعلاً من الفقر إلى أعلى المراتب والرفاهية. التالي هو ملخص للحبكة.

خريج شاب لماع وزوجته الجميلة كانا يعيشان كما هي العادة مع والدي الزوج. وكان الوالد يحث الابن على الذهاب إلى العاصمة ليتقدم إلى الامتحان النهائي. قال الرجل الكهل، «عندما تصل إلى الخامسة عشر، ادرس، وعندما تصل إلى الثلاثين، اعمل.» لكن الأم كانت تعارض هذه الخطة وأعلنت بأنهم لن يستطيعوا الاستغناء عن ابنهم، وتروي قصة مثيرة للشفقة عن شاب آخر ذهب إلى العاصمة وبعد عذاب لا محدود عين مسؤولاً عن إصلاحية للأحداث ليجد أن والديه قد سبقاه هناك بصفتهم فقراء. يقرر الشاب أخيراً أن يقوم بالتزاماته لابن السماء، فينطلق فوراً تاركاً العائلة في حماية صديق كريم. ثم يتقدم للامتحانات، والتي تتحول في المسرحية إلى استهزاء، ويخرج منها بالمنصب المرغوب ككبير الكلاسيكيين. ثم يصدر الإمبراطور تعليماته إلى أحد وزرائه بأن يأخذ كبير الكلاسيكيين كزوج لابنته، لكن بطلنا يرفض على أساس، هكذا يهمس، أن قدمي السيدة كبران جداً. تم يجد الوزير نفسه مجبراً على استخدام الضغوط فتم الزواج بجديّة وانتهى هذا الجزء من المسرحية بمشهد فعال حيث تطلب فيه زوجته الجديدة منه أن يغني لها،

فيقترح بطلنا عليها أغان مثل «بعيداً عن حبه الحقيقي»، وغيرها بالأسلوب نفسه. حتى عندما يوافق على غناء «الريح تمر عبر الصنوبريات»، فإنه يغني بتلقائية «آه لمنزلي مرة أخرى»، وعندما يتم استعادة وعيه يعاود غناء أغنية عن الزوجة المهجورة.

في هذه الأثناء تصيب عائلته التي تركها وراءه أسوأ الحظوظ، فكانت هناك مجاعة واكتشفت الإهراءات العامة فارغة عوض عن أن تكون ملاءى، وبان على الوالدين والزوجة المجاعة. والزوجة تجهد نفسها إلى أبعد حد، وتبيع مجوهراتها لتشتري الطعام؛ وفي آخر المطاف، بعد موت حماتها وبعد موت حماها، فإنها تقص شعرها وتحاول بيعه لتشتري تابوتا، وما حال بينها وبين ذلك سوى الصديق القديم الذي كان يقدم باستمرار أي مساعدة يستطيعها. الأمر الثاني كان إقامة قبة من تراب فوق القبر. هذه تحاول أن تعملها بيديها، لكنها تقع نائمة من التعب. عبقرى التلال يراها في هذا الوضع، فيتأثر من البر بالوالدين، يستدعي القرد الأبيض من الجنوب والنمر الأسود من الشمال وهي أرواح قامت، بمساعدة من مرؤوسيه، بإتمام القبة الترابية في أقل وقت ممكن. وبعد أن استيقظت أدركت أنه تم تدخل فوق طبيعي، وقررت أن تنطلق إلى العاصمة لتبحث عن زوجها والتي يخامرها ضده مشاعر مرة. تم تبدأ بالعمل على تلوين صور والديه المتوفين، ومن ثم تستخدم هذه الصورة من أجل العرض كطريقة للحصول على الصدقات، ومع قيثارها، تبدأ بالرحيل، قبل وصولها، سمع زوجها من رسالة، تم تزويرها بهدف أخذ الجائزة، بأن أباه وأمه كلاهما بصحة جيدة وفي طريقهما للالتحاق به. وبالتالي يذهب هو إلى المعبد ليصلي لبوذا من أجل وصولهما بالسلامة، وهناك يتناول الصورتين المطويتين لأبيه وأمه اللتين اسقطتهما زوجته، التي قامت أيضاً بزيارة المعبد لتطلب الصدقة، الصور أرسلتها دون أن يتم فتحها إلى مكتبه، والآن، والزوجة مستمرة في بحثها تدخل بالصدفة بيت زوجها، ويتم استقبالها بلطف من قبل الزوجة الثانية، بعد نوع من سوء التفاهم، تظهر الحقيقة، تقدم المرأة الثانية، التي تتضامن مع المرأة الأولى بالكامل نصيحة لها بأن تدخل إلى مكتبه وتترك لزوجها ملاحظة. هذه الملاحظة على شكل أبيات شعرية تحط من قدره، يجدها الأخير مع الصور التي

علقت على الحائط؛ المرأة الثانية تقدم الأولى؛ ثم هناك توضيح وشرح؛ والستارة، لو كان هناك من هذا القبيل شيء في المسرح الصيني لكان سيسدل على السعادة النهائية للزوج ونسائه الاثنتين.

بالطبع في ملخص المسرحية أعلاه، والذي يشبه بالطول طول واحد من مسرحيات شكسبير، قد تم حذف الكثير، إن جمالها الرئيس، وفقاً للنقاد الصينيين توجد في تمجيد الالتزام للملك، وفي البر بالوالدين لوالدي الزوج، وبالسلوك المتكيف للزوجة الثانية التي تميل إلى المحافظة على السلم في الظروف المعقدة. ينظر إلى الرسالة المزورة على أنها نقطة ضعيفة لأن البطل سيعرف خط والده، وكذلك مع نقاط أخرى التي تم الاقتراح بشطبها. يقول أحد المحررين، «بما أن رقبة اللقلق طويلة شيئاً ما فإنك لن تستطيع أن تعالج هذا النقص بحذف جزء منه. ومن جهة ثانية، فإن الشخصية المريضة في المسرحية يعطيها قيمة عليا لدى الصينيين، لأنه تم إعلامنا في المقدمة «إنه أسهل بكثير أن تجعل الناس يضحكون من أن تجعلهم يبكون.» وإذا كنا سنعتقد أن كل ما يقال في هذا المجال، فإن كل جيل لاحق قد دفع الثمن بالدموع لمسرحية بي با تشي Pi Pa Chi.

الفصل الثالث الشعر

مع أن الشعر في سلالة مينغ ارتخى قليلاً، فيما يتعلق بالحجم فقط، إلا أنه كان يوجد شعراء أقل بكثير مما كان يوجد في بيتي ال تانغ Tang وال سونغ Sung. إلا أن الاسم الذي يأتي الأول في معرض التتابع الكرونولوجي الزمني هو اسم معروف جداً. هسيه تشين Hsieh Chin (1369-1415) ولد عندما كان عمر السلالة سنة واحدة وحصل على الشهادة العليا قبل أن يكمل سنته العشرين. وكانت باكورته قد أكسبته السمعة أنه ولد ملهم، ولاحقاً أعجب به الإمبراطور. لدرجة أنه عندما كان هسيه تشين Hsieh Chin منشغلاً بالكتابة غالباً ما تلطف جلالته ومسك له المحبرة. كان هو رئيس اللجنة التي نشرت الموسوعة الضخمة التي تم وصفها سابقاً، لكنه الآن أصبح معروفاً كمؤلف لما قد يبدو أنه قصيدة تعليمية من حوالي 150 بيتاً من الشعر التي يمكن شراؤها من أي كشك للكتب. من الأهمية بمكان أن تقول «حوالي 150 بيتاً.» لأنه لا توجد طبعتان تعطيان عدد الأبيات نفسها بشكل متطابق، أو حتى نصاً متشابهاً في كل بيت. ومن المشكوك فيه جداً أن كان هسيه تشين Hsieh Chin قد كتب بالفعل هذه القصيدة. في كثير من الطبقات تمت سرقة أبيات شعرية بجرأة من شعر الهان Han القديم ووضع هناك دون قافية أو سبب، وهذا بالتالي يجعل الانتقال أكثر صعوبة بشكل يفوق ما كانوا يريدون به من ذلك، جميع المحررين كانوا على اتفاق على ما يبدو حول الأربع أبيات الافتتاحية التي تقول إن ابن السماء يجل الأبطال إجلالاً عظيماً لكن جلالته يحث الجميع على الدراسة بجد، وأن كل شيء في هذا العالم هو من الدرجة الثانية باستثناء وحيد وهو الدراسة والتعليم من الكتب. وبالحقيقة أنها القصة القديمة التي تقول-

«التعليم هو أفضل من البيت أو الأرض؛
لأنه عندما يذهب البيت والأرض أو ينفق
يكون التعليم رائعاً جداً.»
لاحقاً نأتي على أربعة أبيات غالباً ما تقتبس لأنها تعدد أعظم الأشياء السعيدة
الأربع في الحياة، بمعنى،

«مطر عذب بعد جفاف طويل،
لقيا صديق قديم في مناخ غريب،
الاستمتاع بيوم الزواج
اسم الشخص على لائحة المرشحين الناجحين.»
لم تكتب هذه الأبيات أعلاه بهدف معين أو محدد، وتتم متابعتها عن قرب في
بعض الإصدارات على أنها مبادئ في موضوع التطبيق الجدي. ثم بعد أن نقرأ أن
الدراسات الكلاسيكية هي أفضل حقل للاستثمار نأتي إلى أربعة أبيات أخرى تحتوي
على قليل من الشعر الحقيقي:-

«الإنسان في أيام شبابه يتورد،
إن الخوف الوردي يزهر في فضاء...
لماذا، عندما تهب نسمة الربيع سنوياً،
يتوهج كل واحد مثل ظل عميق؟»
إن الأوامر لحرق زيت منتصف الليل يتبعها، ويا للغرابة، اقتراح من أن ثلاث
كؤوس من النبيذ تستدعي جدية للذهن، وأنه إذا كان الإنسان مثلاً جداً كل مشاكله
تختفي، وهي طريقة أخرى لقول ذلك:-

«إن أفضل الحياة هو السكر.»

يبدو أن القصيدة في مجملها هي خليط، التي بعض الأجزاء منها قد تكون أتت
من قلم هسيه تشين Hsieh Chin. فيما يلي قصيدة قصيرة له حول دفاعه عن
الرشوة الرسمية التي لا يوجد شك فيها:-

« عبثاً نرى الأيدي المصممة على
التضحية أو المشبوكة في الصلاة؛
إن طرق الله ليست بالضبط
هي الطريق التي ستكون.
إن المحتال والشرير
يقودان حياة منعمة بما فيه الكفاية،
بينما الإدانات تتجاوز الجيد
والكثير من الصد القوي.
إن الثور المتبختر يلحق
بابتهاج كما تبغي،
بينما أولئك الذين لا يفوتون صلاتهم
هم شهداء المرض.
وإذا الله القدير فشل
في الحفاظ على توازن حقيقي
كيف يمكننا أن نأمل أن يتصرف
القضاة الهالكون التافهون؟»

الكاتب لاقى نهاية تراجميدية، بدعمه لادعاء الأمير الأكبر سناً ليكون الوريث الشرعي، فقد عمل عداوة دائمة من ابن آخر، نجح في نفيه بقضية واحدة ومن تم حبسه في قسيده أخرى. بعد أربع سنوات من الحبس أسكر، وعلى الأرجح دون صعوبة تذكر دفن تحت كومة من الثلج.

الإمبراطور الذي حكم بين 1522 و1566 كالإمبراطور الحادي عشر في سلالاته لم يكن شخصية محترمة، خاصة في آخر سني حياته عندما صرف الكثير من الأموال على القصور والمعابد وضيع معظم وقته في البحث عن أكسير الحياة. في 1539 أرسل الجنرال ماو لقمع انتفاضة في أنام Annam واعطاه صورة عليها قصيدة لوداعه. الأبيات الشعرية تعتبر خفيفة من قبل النقاد الصينيين، وهي غالباً تقدم في المجموعات الشعرية والتي بالتأكيد لن يكون الوضع كذلك لولا تأليفها من قبل

الإمبراطور هو ادعاؤها الوحيد:

«إلى الجنوب، بكل أبهة
مرتبة للحرب القاسية،
انظر جنرالنا البطل يشير
ويلوح بسيفه البراق!
عبر التلال والأنهار تتدحرج
الطبول من جلد السحالي بشكل رائع
بينما لمعان الرايات التي لا حصر لها
يومض في العلا من سارية إلى سارية.
اذهب، يا ابن سليل وحيد القرن.
وبرهن ميلادك السماوي،
ودمر إلى دهر الداهرين
حشرات الأرض تلك؛
وعندما تعود فاتحاً
من بلاد البرابرة المتوحشين تلك،
سوف نفاك عباة تك الحربية
بأيدينا الإمبراطورية!»

إن المحظيين في الصين القديمة والعصور الوسطى شكلوا طبقة لم تعد موجودة على ما يبدو. مثل الهيتري⁷³ في اليونان كانوا في أغلب الأحيان مثقفين جداً ومارسوا قدراً كبيراً من التأثير. سيرة حياة أكثر تلك السيدات شهرة موجودة ويعود تاريخها إلى القرن السابع للميلاد. التالي هو مقتطف من سيرة هسيه سو سو Hsieh Su التي ازدهرت في القرن الرابع عشر و«التي لا يضاهاها سوى قلة قليلة من الجمال القديم.»:-

«كان جمال سو سو Su Su ذو أناقة رفيعة جداً، ولها صوت حلو أسر وحركة

73 الهيتري: مومس يتردد على بابها الأغنياء / المترجم.

بهية. كانت فنانة ماهرة، تكتسح الورق ببضع لمسات سريعة وتنتج تأثيرات كلامية يمكن لعدد قليل، حتى من الدرجة الأولى أن يأمل بالتفوق على عملها. كانت فارسة جيدة وتستطيع أن تقذف السهام من ظهر الحصان وكذلك بالقوس والنشاب. كانت تطلق حبة خردق، وتلحقها بثانية التي تسبق الأولى وتدمرها إلى ذرات في منتصف الجو. أو أنها تلقي بحبة خردق إلى الأرض، ثم تمسك بالقوس في يدها اليسرى وتمرر يدها اليمين خلف ظهرها ثم تطير وتضربها ولم تخطأ مرة في مائة مرة. وقد كانت حريصة جداً على أصدقائها، لا تستقبل أحداً ما لم يترك، من خلال موهبته، أي بصمة على العالم.»

إن التدفق الشعري، وحتى المسرحيات، لكثير من هذه السيدات تمت المحافظة عليه باهتمام ويتم نشرها في العادة كملاحق لأي من مجموعات العترات. فيما يلي عينات من تشاو تساي تشي Chao Tsai Chi التي عاشت بالقرن الخامس عشر والتي لا توجد لها سيرة ذاتية:-

«إن التيار في النهر بدأ بالارتفاع
لقرب ساعة الافتراق الحزينة، تجلب الدموع لأعيننا؛
أواه: لو تتركنا مسرورين على هذه الفرلونج⁷⁴ من خيوط الصفصاف
لا يستطيع أن يسيطر على سرعة القارب الذي سينطلق قريباً!»

تتضمن عينة أخرى لسيدة اسمها تشاو لي هوا Chao Li Hua (القرن السادس عشر) محاولة على التلاعب بالكلمات التي صدرت بشكل أعرج في الترجمة:-

إن ملاحظتكم على الورق، نادراً أن ترى،
عصفوراي يطيران بفرح ويتحملان؛⁷⁵
كن مثل الطيور الأخرى وعد إليّ
ليس مثل الورق، نادراً!»

74 مقياس للطول يساوي 220 ياردة أو ثمن ميل / المترجم.

75 أوراق مالية صينية تتزين بكل أنواع الصور التي في بعض الأحيان تغطي صفحة كاملة.

هذه الأمثلة تدل بوضوح أن هذه الدائرة الصغيرة من الأدب، وإن كان ينقصها العمل على الجدارة، فهي على كل حال لا تتضمن أي شيء من الأوصاف غير اللطيفة.

كان فانغ شو شوه Fang Shu Shuo شاباً أرعن متوحشاً مثله مثل العديد من الشعراء الصينيين، شرب النبيذ أكثر مما تسمح به صحته. كان مشهوراً بقصائده وبخطه، وكانت عينات من فنه تستجلب الثمن الغالي من الجامعين. في عام 1642، قيل لنا، أصابه مرض بأسنانه،» في آخر المطاف دخل في التابوت، الذي يحب الصينيون جميعهم إبقاءه نظيفاً، فكتب وداعاً للعالم، وأسند الورق إلى حافة التابوت وهو يكتب. وعند الانتهاء من كتابة القطعة رقد في التابوت ومات. هذه هي الأبيات:-

منزل أبدي ينتظرنى؛
هل أتردد في الذهاب؟
لحياة سريعة الزوال تحت؟
منزل لا أستطيع أن أسمع فيه.
صدام الأسلحة ثانية!
وإن حاولت التلكؤ
في هذا العالم الشائك من الألم؟
النسيم سيهب عاجلاً بارداً مني

والقمر الساطع يضيء فوق رأسي
وعند اختلاطه مع جواهر الأرض
أنام في آخر سرير لي
قلمي والحبر سيذهبان معي
داخل عربة الموتى
وإن كان يعجبني 'هناك'
قد أخفف عن نفسي بالشعر.»

الكتاب الثامن
سلالة المانتشو (1644-1900)

الفصل الأول

«لياو تشاي Liao Chai» «هونغ لو منغ Hung Lou» «Meng»

بحلول 1644 كانت أمجاد سلالة مينغ العظيمة قد وُلت. فساد الحكم، الذي أشار إليه الكتاب الصينيون يعود إلى صعود الخصيان، وقد انتهى إلى ثورة، وكان زعيم الثوار، بجيشه الكبير، يضغط على العاصمة. التاسع من نيسان (إبريل) سقطت بكين. وخلال الليلة الفاتنة الإمبراطور الذي رفض الهروب، ذبح الأميرة الكبرى، وأمر الإمبراطورة بأن تنتحر، وأرسل أبناءه الثلاثة إلى المخبأ. عند الفجر قرع جرس البلاط للاجتماع؛ لكن لم يأت أحد. جلالته سعد إثر ذلك إلى تلة وان سوي Wan Sun على أرض القصر. وكتب على ياقة روبه أمراً نهائياً: «نحن، الفقراء في الفضيلة، وفي شخصيتنا الخسيصة، تكبدنا غضب الله في الأعالي. وزرائي قد خدعوني. وأنا أستحي من لقاء أسلافي، ولذلك أنا أخلع بنفسي تاجي، وبشعري الذي يغطي وجهي أتوقع بتر أوصالي على أيدي الثوار. لا تسببوا الأذى لأي شخص كان من شعبي!» ثم قام بشنق نفسه، كما فعل ذلك خصي وفي. ومن هذه النقطة بدأ قائد القوات الصينية بالتمهيد للمان تشو Man Chu التتاريين الذين من مدة أخذوا بتركيز قواتهم وأصبحوا بالفعل تهديداً جدياً للصين. وتم توقيع اتفاقية على عجل وتم احتلال بكين. بالتأكيد استولى المان تشو Man Chu على العرش الذي طالبوا به بكل صراحة منذ 1635 وفرضوا «ذنبه» الخنزير على الشعب الصيني.

هكذا إذا هو مصير إمبراطورية الصين العظيمة، التي تحدها البحار الأربع، وتمتد إلى حدود الأرض المسكونة بالبشر باستثناء عدة جزر بربرية منتشرة هنا وهناك على تخومها، ومعها شعبها الرفيع والعليم، ورتة أدب مجيد يمتد على الأقل

لعشرين قرناً في القدم، وتحت سلطة جنس بشري من الرعاة العنيفين الذين كان إرثهم يتأسس على المهارة في رمي السهام والفروسية. لا يجب توقع الكثير منهم فيما يتعلق «بالإنسانيات» ولا تتوقع الكثير من شعب لم يتم كتابة لغتهم المكتوبة إلا في وقت متأخر كعام 1599، وحيث أن غرائزهم الأدبية لا تزال بحاجة إلى تطوير. ومع ذلك، يمكن القول دون وجل من التعارض أن لا عصر شهد أي شيء مثل التشجيع الوافر للأدب، ورعاية رجال الأدب الذي ظهر تحت حكم إمبراطورين من هذه السلالة. ولكن سنشرح ذلك في الفصل اللاحق.

إن أدب هذه السلالة يمكن أن يقال أنه قد بدأ مع كاتب كان قبل كل شيء راوي قصة. ولقد تم القول أن الروايات والتمثيلات لا تدخل في مجال الأدب الخالص بالنسبة للصينيين. هذا هو المعيار الذي يوجد له عملياً إن لم يكن نظرياً، استثناء ملحوظ جداً. ولد بو سونغ لينغ Pu Sung Ling ، مؤلف لياو تشاي تشي أي. Liao Chai Chih I⁷⁶ لتي يمكن ترجمتها بشكل مناسب تحت عنوان «قصص غريبة»، في 1622، حصل على الشهادة الأولى في 1641. بالرغم من أنه كان عالماً ممتازاً وكاتباً قشيباً جداً، إلا أنه فشل، مثل أناس طيبين آخرين، في أخذ الشهادات الأعلى التي كان يأمل أن ينال بها منصباً رسمياً. ومن المفهوم، بشكل عام أن هذا الفشل كان بسبب إهمال الطرق المطروقة للدراسة الأكاديمية. على أي حال أصيب بخيبة أمل كبيرة. كل شيء آخر عندنا في سجل بو سونغ لينغ Pu Sung Ling، إلى جانب أنه رافق عن قرب عدداً من العلماء المرموقين في أيامه، قد جمع من أقواله هو التي كتبت عندما وضع في 1679 القلم مع انتهائه من مهمة كانت سترفعه خلال فترة قصيرة إلى رتبة متقدمة في عالم الأدب الصيني. فيما يلي مقتطفات من هذا السجل:-

«مرتدّ الوسيّتاريا، متمنطق باللبلاب⁷⁷ هكذا غنى تشو يوان Chu Yuan في

76 يُذكر هذا الكاتب مرة واحدة هنا بهذا الاسم، وفي باقي المرات يذكر باسم مغاير كالتالي Pu Sung Ling، كما يظهر هذا الاسم كعنوان للجزء الذي يتناول بو سونغ لينغ / المترجم.

77 يقال عن غيلان التلال في تلميح عن ثيابهم. هنا تم اقتباسها بالنسبة للطبقات الرسمية، تسخيفاً

لي ساو Li Sao. عن الشياطين التي لها رأس ثور، وآلهة من الأفاعي، وهو من ذوي الأظافر الطويلة⁷⁸ لم يمنعه الانهالك من الحديث كل يفسر بطريقته الخاصة موسيقى السماء؛ وإن كانت نشازاً أم لا يعتمد ذلك على أسباب سابقة. أما فيما يتعلق بي، فأنا لا أستطيع، مع الضوء الخريفي للذبابة المضيئة، أن أقارن نفسي مع عفاريت العصر.⁷⁹ أنا مجرد غبار في أشعة الشمس، أضحوكة ملائمة للأشرار.⁸⁰ إن مواهبي ليست تلك التي لـ أو باو⁸¹ Yu Pao مستكشف أنيق لسجلات الإله؛ أنا نوعاً ما متوثب من روح سو تونغ بو Su Tung Po الذي كان يحب أن يسمع أحاديث الناس عن الخوارق. أن أطلب من الناس أن يدونوا كتابة ما يقولونه لي، ولاحقاً أن أكيف ذلك على شكل قصة؛ وهكذا مع مرور الوقت يكون أصدقائي من كل الأنحاء قد زدوني بكلمات من المادة، التي تكون من عادي في جمعها قد كبرت لتصبح كومة كبيرة.

”عندما عُلق القوس⁸² على باب والدي حلم أن راهباً بوذياً مريضاً، لكنه كان

للقلب الذي بموجبه يحتلون المواقع والذي من وجهة نظر أدبية هم غير مؤهلين أن يشغلوه. 78 شاعر من سلالة تانغ، حاجبيه يلتقيان، وأظافره طويلة جداً وكان يكتب بسرعة كبيرة. 79 هذه ضربة أخرى موجهة إلى الطبقة الحاكمة. هسي كانغ Hsi Kang الشاعر المحتفى به، والموسيقار والخيميائي (223-262 ميلادية) كان جالساً في إحدى الليالي لوحده، يلعب على قيثارته عندما دخل عليه فجأة رجل له وجه صغير، وبدأ يتحدث فيه ملياً وكان وجه الغريب يكبر كل الوقت. «أنا لن أقارن نفسي بالأشرار!» صاح الموسيقار بعد عدة لحظات وأطفاً فوراً الضوء.

80 عندما قرر ليو تشوان Liu Chuan، حاكم وو لينغ Wu Ling أن يخفف من فقره من خلال التجارة، رأى شيطاناً يقف إلى جانبه، يضحك ويفرك يديه مسروراً «إن الفقر والغنى هما قضايا تخص القدرة»، قال ليو تشوان Liu Chuan. «لكن أن يهزأ منك الشيطان»، وبالتالي امتنع عن غرضه.

81 كاتب اشتهر في الجزء الأول من القرن الرابع وألّف عمل من ثلاثين كتاباً بعنوان أبحاث في الطبيعة الخارقة.

82 إن ميلاد ولد كان يحتفى به رسمياً بتعليق قوس على الباب، وميلاد بنت من خلال إظهار منشفة صغيرة، وهذا يشير إلى الدور الذي سيقوم به كل منهما في دراما الحياة.

مغطى إلى نصفه بثوبه داخل الغرفة. على أحد صدره كان يوجد قطعة كبيرة من البلاستر المادة اللاصقة بكبر عملة الكاش Cash؛ وأي الذي أفاق من نومة، اكتشف أنني أنا، المولود للتو، كان عندي بقعة سوداء مشابهة على جسدي. كطفل، كنت نحيفاً ودائماً مريضاً، وغير قادر على الصمود في معركة الحياة. كان بيتنا بارداً وبيابا مثل دير، وأن أعمل هناك لمعيشتي بالقلم، فقد كنت فقيراً مثل راهب يحمل كاسة للم الصدقات، غالباً، وغالباً أركز رأسي على يدي وأتعجب، «بالتأكيد ذاك الذي أشاح بوجهه إلى الحائط»⁸³ كان هو نفسي في حالة وجود سابقة؛ وبالتالي حملت عدم نجاحي في هذه الحياة إلى تأثير سلالة لا زالت قائمة من الأخيرة. وقد قذفت من هذه الناحية إلى تلك باتجاه الهواء الحاكم مثل الزهرة التي تقع في أماكن قذرة؛ إلا أن الطرق الستة⁸⁴ للتقمص هي حقاً غامضة، وليس لي الحق في أن أشكو. كما هو الوضع، يجدي منتصف الليل بضوء على وشك الانتهاء، بينما الريح تصفر حزينة في الخارج، وعلى طاولتي الحزينة ألملم رواياتي، وبصيص أمل لأنتج سلسلة «للمناطق الجهنمية»⁸⁵ مع محصول وفير أنا انعش قلبي، لكنني أنجح فقط في التنفيس عن مشاعري المنفعلة، وبناء عليه عندما ألزم أفكاري بالكتابة عندها حقاً استحق الرثاء، وأسفاه! أنا لست أكثر من طائر، يرتعش من صقيع الشتاء، فلا يجد مأوى له على الشجرة، من حشرة الخريف التي تزقزق للقمر وتحضن الباب من أجل الدفء، لأنه أين أولئك الذين يعرفونني؟ إنهم في البستان

83 يعني هنا الراهب دراما ناندي Dharma Nandi الذي أتى من الهند إلى الصين وحاول تحويل الإمبراطور وو تينغ Wu Ting من سلالة ليانغ Liang، وبعد فشله في محاولته، تراجع وهو مليء بالذل القاتل إلى معبد في سونغ شان Sung Shan، حيث جلس لمدة تسع سنوات أمام صخرة حتى طبعت صورته عليها.

84 الغاقي السادس أو شروط الوجود أي الملائكة، الرجال، الجان، الشياطين الجائعين، الوحوش الكاسرة والخطاة المعذبون.

85 عمل لكاتب مشهور، اسمه لين أي تشينغ Lin I Ching ازدهر أثناء سلالة سونغ.

المشجر وعلى الممر الحدودي،⁸⁶ ملفوفين في كآبة لا تخترق!«.

لسنين طويلة «القصص الغريبة» هذه تم تداولها فقط كمخطوطة. كان بو سونغ لينغ Pu Sung Ling كما يخبرنا حفيده في كولوفون أي في بيانات النشر، في الطبعة الأولى فقيراً جداً حتى أنه لم يستطع تغطية النفقات الباهظة للحطابين، ولم يحدث سوى في وقت متأخر مثل سنة 1740 عندما أصبح الكاتب مقيماً لفترة ما في الأرض السمراء التي أحب أن يصفها حتى قام حفيده المذكور أعلاه بطباعة ونشر المجموعة التي أصبحت مشهورة عالمياً. منذ ذلك الحين وضعت طبعت عدة أمام الجمهور الصيني أفضلها تلك التي وضعها تان مينغ لون Tan Ming Lun، مفوض الملح الذي ازدهر في حكم تاو كوانغ Tao Kuang، والذي أنتج على حسابه الخاص طبعة ممتازة في ستة عشر مجلداً صغيراً، مؤلف من ثمانية، كل واحد منها مائة وستين صفحة.

أي قارئ لهذه القصص، عندما تنقل إلى لغة أخرى، قد يستدير ويسأل الأسئلة، لماذا ولم هذا الإعجاب العميق - حتى نستخدم تعبير بسيط - الذي يمنح عالمياً لهم من المثقفين الصينيين. ويمكن إيجاد الجواب في الأسلوب الذي لا يقارن والذي فيه حتى الأحقر بينهم يكون مرتباً، جميع عناصر الشكل التي تنم عن الجمال في الإنشاء الصيني موجودة في قوة غامرة، يدفع الإيجاز إلى حدوده القصوى؛ كل شذرة يمكن التخلص منها بأمان يتم إلغاؤها بدقة متناهية، وكل مرة يحدث أن يوجد، هنا أو هناك عدة تركيبات جديدة وأصيلة تستثمر كلمة وحيدة بقوة لا يمكن أن تكون قد أمتلكتها سوى تحت أيدي معلم دقيق للآداب. أضيف إلى ما سبق ذكره الإحياءات الوافرة والاقتباسات الملائمة من فصل للقراءة الذي يبدو أن

86 حَلِمَ الشاعر العظيم تو فو Tu Fu أن أحد أسلافه العظام وهو لي تاي بو Li Tai Po ظهر له «أتيا عندما أصبح بستان شجر القيقب مظلماً، وعائداً عندما يصبح الممر الحدودي محجوباً»، أي في الليل عندما لا يستطيع أحد أن يراه، والمعنى أنه لم يأت أبداً وأن أولئك الذين يعرفونني (بو سونغ لينغ) أيضاً غير موجودين.

يكون متساوي الامتداد مع سلسلة الأدب الصيني كلها. غنى الاستعارة، والاستخدام الفني للشخصيات بشكل عام التي تشكل فقط كتابات كارلايل⁸⁷ متواز ملائم لها والحصيلة هي عمل أصبح نتيجة أسلوب من الطهارة والجمال اليوم مقبولاً في الصين كما بين النماذج الأفضل والأكثر كمالاً. في بعض الأحيان تجري القصة بجلاء وببساطة كافية، لكن في اللحظة التالية قد نغطس في صفحات ملؤها نص عويص، والمعنى فيه منشغل في الاقتباسات من، والايحاءات للشعر أو التاريخ للثلاث آلاف سنة السابقة التي يمكن استعادتها فقط بعد البحث الدقيق عن التعليق والبحث الكثير في الأعمال المرجعية.

وفقاً لأحد المحررين إن تقديم غاية هذه القصص هو «تمجيد الفضيلة وإدانة الرذيلة»، إن القصة التالية المعنونة «التلاميذ المتكلمون»، قد تكون شرحاً عادلاً للمدى الذي يفتي هذا الوعد:-

في تشانغ آن **Chang An** يوجد عالم اسمه فانغ تونغ **Fang Tung** الذي تعوزه أي مقدرة، كان خليعاً لا مبدئياً تماماً وله عادة تتبع والتحدث إلى أي امرأة تسنح له الصدف الالتقاء بها. في اليوم الذي يسبق عيد الطقس الصافي من عيد الربيع، كان يتمشى خارج المدينة عندما رأى عربة صغيرة لها ستائر حمراء ومظلة مطرزة، يتبعها جمهرة من الوصيفات المنتظرات على أحصنة، وكل واحدة فيهن جميلة بإفراط وكانت تمتطي حصاناً قصيراً عليه سرج للسيدات. وعندما اقترب ليأخذ نظره أفضل لاحظ السيد فانغ **Fang** إن ستارة العربة قد فتحت جزئياً وفي الداخل منها رأى بنتاً تلبس لباساً جميلاً لها من العمر حوالي ستة عشر سنة لم ير بنتاً أجمل منها فتنة قط. بهره المنظر، فلم يستطع أن ينحي عينيه عنها، وكان يذهب مرة إلى الأمام ومرة إلى الخلف وهو يتبع العربة لعدة أميال. رويداً، رويداً، سمع السيدة الشابة تنادي على وصيفتها، وعندما صارت الأخيرة بمحاذاتها قالت لها، 'انزلي الحجاب لي. من هو هذا الشخص الوقح الذي يستمر بالتحديق في؟' وفقاً لذلك،

87 كارلايل ولد في 4 ديسمبر (كانون الأول) 1795 وتوفي في 1881. كان فيلسوفاً اسكوتلانديا ، وكاتب مقالات، ومؤرخاً ومعلماً / المترجم.

أنزلت الوصيفة الحجاب ونظرت بغضب إلى السيد فانغ وقالت له، 'هذه عروس الأمير السابع في مدينة الخالدين ذاهبة إلى المنزل لتزور والديها وليست بنتاً قروية لتحقق بها هكذا؟' ثم أخذت حفنة من غبار ورمتها عليه فأعمته. فرك عينيه ونظر حوله لكن العربة والأحصنة لم تكن موجودة أربعه ذلك فعاد إلى البيت وكان يشعر بعدم الارتياح من عينيه. طلب طبيباً وعلى بؤبؤ العينين كان يوجد شريط خفيف صغير ازداد في الصباح الباكر فأخذت عيناه تبتلان دون انقطاع كل الوقت. ظل الشريط يكبر، وفي بضعة أيام أصبح غليظاً مثل العملة الصينية المسماة الكاش. على بؤبؤ العين اليمنى ظهر نوع من اللوب، وبما أن أي دواء لم ينفج، فإن المتألم استسلم للحزن وأصبح يتمنى الموت. ثم فكر أن يتوب عن أعماله الشريرة وعندما سمع أن سوترا كوانغ مينغ يمكن لها أن تخفف الحزن، حصل على نسخة منها واستأجر رجلاً ليعلمه إياها. في البداية كان العمل متعباً، ولكن رويداً أصبح أكثر رزانة وأمضى كل ليلة في طريقة جلوس للعبادة متعبداً بحبات سبحة، في نهاية السنة وصل إلى حالة من الهدوء التام عندما سمع في يوم من الأيام صوتاً صغيراً، قد يكون في كبر ذبابة، ينادي من عينه اليسرى، 'إنها ظلمة مروعة هنا. 'ورداً على ذلك، سمع العين اليمنى تقوم، لنذهب للخارج للتمشي والترفيه عن أنفسنا بعض الشيء. 'ثم شعر بتلو في أنفه، مما جعله حكاكاً كما لو كان شيء ما سيخرج من المنخرين، وبعد فترة شعر به مرة أخرى كما لو كان راجعاً من الطريق الأخرى. بعد ذلك سمع صوتاً من واحدة من العينين تقول، 'لم أشاهد الحديقة منذ فترة طويلة؛ إن نباتات السحليات ذبلت وماتت.' كان السيد فانغ Fang محباً كبيراً لهذه السحليات والتي زرع منها عدداً كبيراً، وقد أعتاد على سقايتها بنفسه، لكن منذ أن فقد نظره لم يجر أبداً أن أشار إليها. وبعد أن سمع هذه الكلمات سأل زوجته فوراً لماذا تركت السحليات يموتن واستفسرت منه كيف عرف أنها ماتت، وعندما أخبرها، ذهب للخارج لترى فوجدتها حقيقة قد ذبلت. فاندesh كل منهما لهذا الأمر. فتوجهت زوجته لتخبئ نفسها في الغرفة. ثم شاهدت شخصين صغيرين لا يزيد طول الواحد منهما عن حبة الفاصولياء ينزلان من أنف زوجها ويركضان خارجين من الباب حيث فقدت آثارهما. بعد فترة وجيزة عادا وطارا إلى

وجهه مثل النحل أو الخنافس يبحثون عن أعشاشهم. استمر هذا لعدة أيام حتى اليوم الذي سمع فيه السيد فانغ Fang من العين اليسرى، «هذه الطريق الملتوية ليست مريحة قطعياً، إنه سيكون جيداً لنا أن نعمل باباً» على ذلك أجابت العين اليمنى، إن حائطي سميك جداً؛ إنها لن تكون مهمة سهلة.» سأحاول وأفتح من جهتي،» قالت العين اليسرى، وبعد ذلك ستخدمنا عن الاثنتين، عند ذلك شعر السيد فانغ Fang بألم في عينه اليسرى كما لو كان شيء ينقسم، وفي لحظة اكتشف أن بإمكانه أن يرى الطاوات والكراسي في الغرفة، وقد سر لذلك، وأخبر زوجته التي فحصت عينه واكتشفت أن الفتحة في الطبقة اللاصقة التي كانت ترى فيها البؤبؤ الأسود يلمع من تحت، أما مقلة العين فكانت تشبه حبة الفلفل المكسورة، في صبيحة اليوم الثاني كانت الطبقة اللاصقة قد اختفت وعندما تم فحص عينيه بدقة تمت ملاحظة أن عينيه لهما بؤبؤين. اللولب في العين اليمنى بقي كما في السابق وعلموا وقتها أن البؤبؤين شغلا مسكنهما في عين واحدة. بالرغم من أن السيد فانغ Fang كان لا يزال أعمى في عين واحدة، فإن الرؤيا في العين الأخرى كانت بقوة العينين مع بعضهما البعض. منذ هذا الوقت، أصبح السيد فانغ Fang أكثر حرصاً على سلوكه وحصل في ذلك الجزء من البلاد على سمعة إنسان فاضل.»

لنأخذ عينة أخرى لكن هذه المرة مع رشة دعابة فيها، رجل معين اسمه وانغ Wang (بالانكليزية Smith) قرر أن يدرس الطاو Tao - بكلمات أخرى الفن الأسود - في معبد يتبع المعتقد الطاوي. الراهب الذي كان يبدو أن عنده لمسة شواذ في تكوينه، حذر وانغ Wang من أنه على الأرجح لن يتحمل التدريب؛ لكن بناء على إصرار الأخير سمح له الراهب أن ينضم إلى الرهبان المبتدئين الآخرين. ثم أرسله لقطع الخشب. وقد استمر في هذه المهمة لمدة طويلة حتى أنه بالكاد شعر، بالرغم من أنه استطاع أن يشاهد عدة خصال حميدة غير عادية لمهارة السحر التي قام بها الراهب، بأنه كان يحقق التقدم بنفسه.

بعد فترة لم يستطع أن يتحملها أكثر من ذلك؛ وبما أن الراهب لم يعلمه أي فنون سحرية، قرر ألا ينتظر، بل ذهب إليه وقال، «يا سيدي، أنا سافرت عدة أميال طويلة للاستفادة من تعليمكم، إذا لم تريدوا تعليمي، سر الخلود، فاسمح لي على

أي حال أن أتعلم بعض الحيل التافهة وبالتالي تشبع رغبتى في المعرفة لفنكم. لقد أمضيت حتى الآن هنا شهرين أو ثلاثة أشهر، لا أعمل شيئاً سوى قطع الخشب، كنت أخرج في الصباح وعود في الليل، عمل لم أعتد عليه أبداً في بيتي.» «ألم أقل لك،» أجاب الراهب، «من أنك لن تتحمل أبداً الاجتهاد؟ غداً أنا سوف أضعك على الطريق إلى بيتك. «يا سيدي،» قال وانغ Wang، «لقد عملت عندك لفترة طويلة. علمني بعض الفن الصغير، حتى لا يكون مجيئي هنا قد ذهب بالكامل سدى.» «أي فن،» سأل الراهب، «جيد،» أجاب وانغ Wang، لقد لاحظت أنك عندما تمشي تقريبا في كل مكان، لا تشكل الجدران أو ما شابه، أي عقبة لك. علمني هذا وسأكتفي بذلك؛ وافق الراهب وهو يضحك وعلم وانغ Wang صيغة طلب منه استظهارها. عندما عمل ذلك طلب إليه أن يمشي عبر الجدار؛ لكن وانغ Wang بعد أن رأى الجدار أمامه، لم يرغب بعبوره. لكن ولأن الراهب طلب منه أن يجرب مشى بهدوء إلى الجدار وتم إيقافه هناك. وهنا صرخ الراهب قائلاً، لا تمشي بطيئاً هكذا. أخفض رأسك وانطلق باتجاهه.» وهكذا تراجع وانغ Wang عدة خطوات إلى الوراء وهجم عليه بأقصى سرعة، فاستسلم له الجدار وهو يمر وبلحظة وجد نفسه بالخارج. ولسروره من ذلك دخل ليشكر الراهب، الذي قال له أن يكون حذراً في استخدام هذه القوة أو لن يكون تجاوب، وناوله في الوقت نفسه بعضاً من المال كمصاريف للطريق. عندما وصل وانغ Wang إلى بيته أصبح يتفاخر بأصدقائه الطاويين وعن ازدرائه للجدران بشكل عام؛ لكن عندما لم تصدق زوجته قصته، بدأ ينفذ عرضه كما في السابق. ابتعد عن الجدار، فأسرع بأقصى سرعة، مطأطأ رأسه، لكن عندما لامس الطوب القاسي أنهى ككومة من تراب على الأرض. التقطته زوجته ووجدت عنده كدمة في جبهته كبرها بحجم بيضة كبيرة، وهذا جعلها تزار من الضحك؛ لكن وانغ Wang كان قد غلبه الهياج والخزي فشم الراهب الكهل لجحوده الديني.

حكايات لها نهايات مشابهة غالباً ما توجد في ثنايا هذه المجموعة. مثال على ذلك:-

«أصبحت هي عموداً كثيفاً من الدخان يتجدد خارجاً من الأرض عندما أخذ

الراهب قنينة على شكل قرع غير قابلة لوضع فلينة عليها وربما مباشرة، في منتصف الدخان، سمع صوت مص فسحب عامود الدخان بأكمله إلى قنينة القرع، وبعدها أغلق الراهب قنينة القرع بفلينته ووضعها في كيسه.

عن هذه النقاط تتضمن القصة التالية مثلاً جيداً آخر:-

كان رجل قروي يبيع في أحد الأيام كمثرى له في السوق. كانت الكمثرى حلوة المذاق بشكل غير عادي وبطعم رفيع وكان السعر الذي طلبه من أجلها مرتفعاً. وقف راهب طاوي في ثيابه الرثة والممزقة عند عربة اليد وتسول واحدة منها، القروي قال له أن يذهب عنه، وبما أنه لم يفعل ذلك، بدأ يشتبه ويحلف عليه بالإيمان. قال الراهب، «عندك عدة مئات من الكمثرى على عربة اليد؛ أنا أطلب منك واحدة فقط وفقدانها لن تشعر به. إذا لماذا تغضب؟» قال المتجمعرون للقروي أعطه واحدة أدنى درجة واتركه يذهب؛ لكن ذلك رفض أن يفعله بعناد. عقب ذلك وجد مسؤول المكان، أن الحراك أكبر من اللازم، ذهب واشترى حبة كمثرى وأعطاها للراهب. الأخير تقبلها بانحناءة وتوجه إلى الجمهور وقال، «نحن الذين تركنا منازلنا وتخلينا عن كل شيء عزيز علينا أعييتنا الحيلة لنفهم التصرف الأناني الجشع في الآخرين. أنا عندي الآن بعض الكمثرى ويشرفني أن أضعها أمامكم.» هنا سأله أحدهم، «بما أنه معك بضع كمثرات فلم لم تأكلها هي؟» فرد الراهب، «لأنني أردت واحدة من نوى هذه كي ازرعها، بعد أن قال ذلك مضغ بصوت عالٍ حبة كمثرى؛ وعندما انتهى أخذ النوى بيده، وفك معوله عن ظهره وقام بحفر حفرة في الأرض عمقها عدة إنشات، حيث وضع النوى فيها وسقى الأرض كما كانت سابقاً. ثم طلب من المتفرجين قليلاً من الماء الساخنة حتى يسقى النبتة، وقام أحدهم يحب النكتة بجلب قليل من الماء الساخن من دكان في الجوار. فقام الراهب بسكب الماء الساخن في المكان الذي عمل فيه الحفرة، فتركزت أنظار كل شخص عليه عندما برزت الكربات الصغيرة، وأخذت تكبر تدريجياً أكبر وأكبر أصبح هناك شجرة بالتدرج لها فروع مغطاة بشكل متناثر بورق الشجر، وأخيراً كان هناك كمثرى جميلة وكبيرة ورائحتها حلوة تتدلى بوفرة عظيمة. هذه التقطها الراهب وسلمها بشكل مستدير للجمهور المجتمع حتى نفذت كلها، عندما تناول

معوله وقطع الشجرة لفترة طويلة، وفي النهاية قطعها كلها. حملها على كتفيه، أوراق الشجر وكل شيء، وتسكع مبتعداً بهدوء. الآن ومنذ البداية كلها كان صديقنا القروي بين الجمع، مؤملاً رقبته من الشد ليرى ماذا يجري، وقد نسي بالكامل تجارته. عند مغادرة الراهب، استدار ليكتشف أن كل حبة من الكمثرى الخاصة به قد ذهبت. فعرف إثر ذلك، أن هذه كان يفرقها الرجل الكهل باريحية دون مقابل هي في الحقيقة كانت الكمثرى الخاصة به. وعند التدقيق بعربة اليد اكتشف أن واحدة من المقبضين في عربة اليد مفقودة، وبالظاهر كان قد قطع مؤخراً. كان يغلي من الغضب فلحق بالراهب، وعندما استدار على الزاوية رأى المقبض الضائع لعربة اليد ممتدداً تحت الحائط والتي كان حقيقة شجرة الكمثرى نفسها التي قطعها الراهب. لكن لم يكن هناك أثر للراهب، مما سلّى الحشد في السوق.

هنا يوجد منظر الجزء الأخير منه يجب أن يبرر الاعتقاد أن السيد ديليو اس غيلبرت W.S.Gelbert. كان طالباً في الدراسات الصينية، وأنه استعار بعضاً من أفضل نقاطه من «الأحبة» لمؤلفه لياو تشاي Liao Chai:-

«في اليوم التالي تمشى وانغ Wang في الحديقة التي كانت مساحتها معتدلة بمسطح أخضر جرى الاهتمام به والكثير من الأشجار والزهور. كان هناك تعريشة تتكون من ثلاث مرافق عليها سقف من القش، ومغلق تماماً على جميع الجوانب بكساء نباتي وارف، وبينما هو مندفع في طريقه بين الزهور إذ به يسمع صخباً من إحدى الشجر، نظر إلى الأعلى فرأى ينغ نينغ Ying Ning التي انفجرت بالضحك وتقريباً كانت ستقع. لا تفعلي! لا تفعلي!» صاح وانغ Wang، فستقعين!» ثم نزلت ينغ نينغ Ying Ning عن الشجرة وكانت تضحك باستمرار، حتى عندما اقتربت من الأرض أضاعت قبضتها وسقطت وهي ترقص. هذه أوقفت انبساطها وقام وانغ بالتقاطها شاداً على يدها بنعومة وهو يفعل ذلك. بدأت ينغ لينغ Yang Ning بالضحك ثانية، وانجبرت على الاتكاء على شجرة لتساعد نفسها وقد مر بعض الوقت حتى أصبحت قادرة على الوقوف. انتظر وانغ Wang حتى انتهت، ثم سحب الزهرة من كم رداً وسلمها لها. «إنها ميتة»، قالت له؛ «لم احتفظت بها؟» فأجاب وانغ Wang، سقطت منك يا ابنة العم، في حفل المصاييح، وهكذا

احتفظت بها.» تم سألته ما كان هدفه بالاحتفاظ بها، وأجاب على ذلك بالقول. «لأظهر لك حبي وأنني لم أنسك، منذ ذلك اليوم الذي التقينا فيه فقد كنت مريضاً جداً من التفكير بك كثيراً وأنا تغيرت عما كنت عليه من قبل. أما الآن فإن حظي الجيد غير المرتقب بأن القاك، أرجو أن تشفقي علي.» لا تحتاج أن تعمل قضية كبيرة منها على شيء تافه.» أجابت هي، «ومع قرابتك أيضاً! أنا سأصدر الأوامر لتزويدك بسلة كاملة من الزهور عندما تذهب.» قال لها وانغ Wang أنها لم تفهم، وعندما استفسرت ما هو الشيء الذي لم تفهمه، قال لها، «أنا لا أهتم بالزهور نفسها؛ أنا أهتم بالشخص الذي قطف الزهور.» «بالطبع،» قالت «كل واحد يهتم بعلاقاته، لا تحتاج أن تقول ذلك لي.» «إنما لم أكن أتكلم عن علاقات عادية،» قال وانغ Wang، «وإنما عن الأزواج والزوجات.» ما هو الفرق؟ سألت ينغ نينغ. «لماذا،» أجاب وانغ Wang «فالزوج والزوجة دائماً مع بعض.» وهو ما لا أطيقه، صاحت هي أن أكون دائماً مع أحدهم؛»

في النهاية تم توحيد الزوجين، وعاشوا بسعادة بعد ذلك بالرغم من حقيقة أن السيدة الشابة اعترفت بأنها ابنة ثعلب وتظهر قدرات خارقة. وفي مرة من المرات خدمتها هذه القوة خدمة جلييلة. وبما أنها كانت تحب الزهور كثيراً فقد ذهبت إلى الحد الذي أخذت تقطف الزهور من شجرة جار لها.

في إحدى الأيام كشفها جارها وحقق بها لبعض الوقت باندهاش جذل؛ لكنها لم تتحرك، مفضلة أن تضحك. الرجل أغرم بها جداً، وعندما نزلت وهي تبتسم عن الحائط من طرفها، مشيرة كل الوقت بأصبعها إلى نقطة قوية، اعتقد أنها كانت تعطيه موعداً فقدم نفسه عند هبوط الليل في المكان نفسه وبالتأكيد كانت ينغ نينغ هناك. مسك يدها لبيثها أشواقه، ليكتشف أنه كان ممسكاً بقطعة خشب كانت موقوفة إلى جانب الحائط، والشيء الثاني الذي كان يعرفه أن عقرباً لدغه بقوة في إصبعه. هذه كانت نهاية الرومانسية الخاصة به سوى أنه توفي من جراء الجرح خلال الليل.

في إحدى القصص صدم زائر في معبد كثيراً من رسمة مائية تتضمن صورة لبنت

حلوة تقصف الزهور وتقف أمامها بإعجاب جذل. ثم يشعر أنه نفسه يحمل برفق إلى الرسمة على الحائط مثل «أليس عبر المرأة»، وفي الإقليم البعيد يلعب دوراً في دراما منزلية وفي النهاية يتزوج البطلة التي في الصورة. إلا أن حضور شخص بشري شك فيه من قبل رجل في درع ذهبي وله وجه أسود كالكهرمان الأسود.» وكان مسروراً أنه استطاع أن يعود ثانية؛ وعندما انضم ثانية إلى صديق كان ينتظره، لاحظنا أن البنت في الصورة ضمت شعرها إلى الأعلى كالنساء المتزوجات.

هناك توجد قصة ريب فان وينكل **Rip Van Winkle** مع العودة المريضة للبلبل ليجد، كما يقول الشاعر الصيني:-

«المدينة ومحيطها كما كانت قديماً

لكن القلوب التي أحببتنا منذ زمن أصبحت باردة.»

توجد قصة ثعبان البحر، وقصة الطائر الكبير، أو طائر الرخ؛ كذلك قصة تتعلق بأيوب، الذي احتراماً منه والتزاماً بقرار تم الوميض به من خلال البرق في السماء عندما كانت الينك، السفينة الشراعية التي كانوا يستقلونها، على وشك الغرق في عاصفة، والذي نقل من قبل زملائه المسافرين إلى قارب أصغر كان يطوف على غير هدى في البحر. ما كاد الضحية سيئة الحظ أن تستجمع قواها وتنظر حولها إلا ليجد أن الينك تغرق وكل روح عليها غرقت.

التالي هو مقتطف من قصة يقع فيها طالب شاب اسمه ليو Liu في حب فتاة اسمها فنغ هسيان **Feng Hsien** ابنة الثعلب وبالتالي تمتلك قوة عجابية يربطها الصينيون بذاك الحيوان:-

«إن كنت ترغب حقيقة بأخذ شيء كان يخصني قالت هي، فستأخذه. إثر ذلك أخرجت مرآة وأعطتها له، قائلة، في أي وقت تريد فيه أن تراني يجب عليك أن تبحث عني في كتبك؛ وإلا لن أكون ظاهرة للعيان، وبلحظة اختفت. ذهب ليو Liu إلى البيت حزيناً جداً في قلبه؛ لكن عندما نظر إلى المرأة فها هي فنغ هسيان **Feng Hsien** تقف وظهرها له، تحديق، كما يقال، في واحد كان مغادراً بشكل

نهائي، وعلى بعد مائة خطوة منها. ثم فكر هو بأوامرها الصارمة وجلس إلى دروسه رافضاً استقبال أي زائر؛ وبعد عدة أيام عندما صدف أن نظر إلى المرأة كانت فنغ هسيان **Feng Hsien** هناك وبوجهها متوجهة نحوه مبتسمة بكل جوانحها. بعد هذا كان دائماً يخرج المرأة لينظر إليها. لكن بعد شهر تقريباً بدأ تصميمه الجيد يختفي، وخرج مرة أخرى يمتع نفسه ويضيع وقته كما في السابق. عندما عاد إلى المنزل ونظر في المرأة كان يبدو على فنغ هسيان **Feng Hsien** أنها كانت تبكي بحرارة؛ وفي اليوم الذي يليه عندما نظر إليها ثانية كانت تقف بظهرها في مواجهته كما كان في اليوم الذي استلم فيه المرأة. فعلم الآن أن السبب في ذلك يعود إلى إهمال دروسه، وفوراً جلس للعمل مرة أخرى بكل اجتهاد، ولم يمض شهر حتى أدارت له وجهها ثانية. ومن هنا، عندما كان أي شيء يقطع تقدمه تصبح قسمات **فنع هسيان Feng Hsien** حزينة؛ وعندما كان يتدبر أمره جيداً فحزنها كان يتحول إلى ابتسامات. في الليل وفي الصباح كان ليو ينظر في المرأة معتبراً ذلك على ضوء معلم محترم، وبعد ثلاث سنوات نال شهادته بنجاح. 'الآن صاح هو، 'يمكنني أن أنظر إلى فنغ هسيان **Feng Hsien** وجهاً لوجه'. وبكل تأكيد كانت هي هناك بحواجبها المائلة والمعلمة بشكل حساس بقلم الرصاص. وبأسنانها التي تظهر بين شفتيها، كان يبدو أنها تتكلم و **ليو Liu** يسمعها تقول، 'نحن نعمل زوجاً جميلاً، يجب أن أسمح بذلك، ' وفي اللحظة التالية كانت فنغ هسيان **Feng Hsien** تقف إلى جانبه.»

هذه قصة من العالم الآخر، وهو موضوع محبب عند **بو سو لينغ Pu Su** **Ling**. وهو يصور الاعتقاد الشعبي من أنه عند الموت، يتم استدعاء روح الإنسان إلى المطهر من قبل اللكترز⁸⁸ الروحانيين الذين يقومون أيضاً باقتراف الأخطاء. إن نوبات الإخفاق الشامل أو الغيبوبة تنتج الكثير من هذه القصص حول أشخاص يزورون العالم السفلي ومن ثم يتم إعادتهم للحياة.

«رجل اسمه تشانغ **Chang** مات فجأة وتمت مرافقته فوراً من قبل اللكترز-

88 ليكترز هو موظف مهمته افساح الطريق للحاكم الروماني في الاحتفالات العامة / المترجم.

الشياطين إلى حضرة ملك المطهر. جلالتة عاد إلى سجلات تشانغ Chang وما فيها من الصالح والطالح، ومن ثم، بغضب شديد أعلم اللكيتز أنهم جلبوا الرجل الخطأ وطلب منهم أن يعودوا به مرة أخرى. وهم على وشك مغادرة قاعة الدينونة، أقنع تشانغ Chang مرافقيه أن يسمحوا له بأخذ نظرة على المطهر، وبالتالي قام الشياطين بقيادته عبر الأقسام التسعة، مشيرين إليه إلى تلة السكين، والشجرة السيف، وغيرها من الأشياء المثيرة للاهتمام. رويدا رويدا وصلوا إلى مكان حيث كان يوجد راهب بوذي معلق، يتدلى في الهواء، الرأس إلى الأسفل، بحبل من خلال ثقب في رجله. كان يصرخ من الألم ويتمنى الموت؛ وعندما اقترب تشانغ منه، يا للهول فقد رأى أخاه. بحزن كبير سأل المرشدين الذين معه عن السبب لهذا العقاب فأخبروه أن الراهب كان يتألم هكذا لجمعه الأموال لصالح نظام الأخوية الذي يتبع له ومن ثم يهدر بالخفاء العائدات على لعب القمار والدعارة. وأضافوا قائلين، «لا يستطيع أن يهرب من هذا العذاب إلا إذا تاب عن سوء أفعاله.» عندما استفاق تشانغ Chang كان يعتقد أن أخاه قد مات وأسرع إلى مقبرة معبد هسـينغ فو Hsing Fu الذي كان الأخير ينتمي إليه. وهو داخل عبر الباب سمع صراخاً وعندما وصل إلى غرفة أخيه وجده محبوساً مع دمل سيء في رجله، وكانت رجله مربوطة إلى الحائط، والسبب في ذلك كما أخبره أخوه أن هذا الموضوع أكثر وضع محمول يمكنه أن يستلقي فيه. أعلمه تشانغ Chang الآن ماذا رأى في المطهر فارتعد الراهب خوفاً حتى أنه تخلى فوراً عن شرب النبيذ وأكل اللحم وكرس نفسه بالكامل إلى التمارين الدينية. خلال أسبوعين أصبح وضعه جيداً وعرف بعد ذلك على أنه أكثر راهب مثالي.»

مقتطعات غير متواصلة من أبيات الشعر يمكن إيجادها مبعثرة في صفحات هذه القصص كافية لأن تعطي المذاق لنوعية الكاتب دون إسعاف للقارئ. هذه الأبيات تعجب القارئ كثيراً:-

«بالنبيذ والزهور نحن نطارد الساعات

بقفزة أبدية واحدة

لا قمر، لا ضوء لنحيي الليلة-

مطلوب منك أن تجلب هذا الشعاع.»

لكن كما رأينا يبدو أننا شاهدنا ما فيه الكفاية من بو سونغ لينغ Pu Sung Ling. إن كان يوجد، كما ادعى هان أي Han Yu «معرفة بعد الموت»، فإن الاحترام العميق والشاسع الذي يجد هذا العمل نفسه فيه من قبل المثقفين في الصين يجب بالحقيقة أن يبرهن على أنه البلسم المسكن للروح المجروحة لآخر الخالدين.

إن هونغ لو منغ Hung Lou Meng التي يطلق عليها خطأ، لكن بشكل ملائم اسم حلم المقصورة الحمراء هي العمل الذي أشير إليه سابقاً على أنه يلامس أعلى نقطة من التطور التي وصلتها الرواية الصينية. وقد يكون أنه تم تأليفها خلال النصف الأخير من القرن السابع عشر اسم مؤلفها غير معروف. أنها في العادة تنشر في 24 مجلداً من الحجم الثماني وتتضمن 130 فصلاً ويتراوح عدد صفحات كل منها على الأقل 30 صفحة مما يجعل مجمل عدد الصفحات أربعة آلاف صفحة. ليس أقل من 400 شخصية، وربما أكثر بالأهمية أو أقل يتم التعريف بها أولاً وقبل كل شيء في القصة، والحبكة فيها يتم العمل عليها بالكامل، كما لو كان ذلك عملاً يخص فيلدنغ،⁸⁹ بينما الرسم التصويري للشخصية - أي للشخصيات العديدة - يستذكر أفضل الجهود لأعظم راوٍ في الغرب. وبصفتها بانوراما عن الحياة الاجتماعية الصينية، التي يجري فيها تقديم كل ملمح يمكن تصوره للقارئ، فإن حلم المقصورة الحمراء Hung Lou Meng لا يوجد لها منافس أبداً. وإذا اختصرت في أبسط معانيها فإنها قصة حب أصيلة وفعالة، كتب الجزء الأكبر منها بأسلوب سهل، تقريباً بلهجة محلية مليئة بحكايات مضحكة ومبكية للحياة الإنسانية اليومية، تنتشر فيها بشكل متناثر قصائد صغيرة بحلة أدبية عالية. الفصول الافتتاحية التي تهدف إلى تشكيل رابطة بين عالم الأرواح وعالم البشر ينتمي إلى الخوارق؛ بعد ذلك تجري القصة بسلاسة على خطوط أرضية، لكن باستمرار يحجب نوره من التواجد القريب للتأثيرات الروحية. أن نأخذ فكرة ما عن الرواية في مجملها ربما يمكننا

89 فيلدنغ: كاتب إنكليزي عاش بين 1707 و1754، كان معروفاً بفكاهيته ومقدراته على الهجاء Satire، و(ناني) قصة بعنوان توم جونز .

جمعه من الملحق التالي.

قبل أربعة آلاف وستمائة وثلاث وعشرين سنة كان من غير الممكن إصلاح السماء. بالتالي قامت آلهة الأشغال بالعمل على إصلاح 36501 كتلة من اليشب الثمين، كل واحد منها يساوي 240 قدماً مربعاً ضرب 120 قدماً عمقاً. لكنها من هذه استخدمت فقط 36500 ورمت الكتلة المتبقية على واحدة من القمم السماوية.

هذا الحجر الذي دخل مرحلة التحضير إذا جاز القول أصبح في المرحلة الروحية.

كان باستطاعته أن يتمدد أو يتقلص. وكان يمكنه أن يتحرك. كان يعي وجود العالم الخارجي، وشعر أنه قد جرح عندما لم يتم استدعاؤه لينجز مهمته المقدسة.

في يوم من الأيام كان راهبان، بوذي وطاوي، يمران مصادفة في ذلك الطريق، فجلسا لفترة ليستريحاً، وفوراً لاحظا الحجر الكئيب الذي كان مرمياً هناك، والذي ليس أكبر من قلادة مروحة سيدة. «فعلاً، يا صديقي، أنت لا تفتقد إلى الروحانيات،» قال الراهب البوذي للحجر وهو يلتقطه وأمسكه وهو يضحك ووضعه على راحة كفه. ولكن لا يمكننا التأكد من أنه يمكنك أن تبرهن أبداً أنك ستكون نافعاً حقاً؛ بالإضافة إلى ذلك فأنت تفتقر إلى حفرية والتي بدونها سيبقى مصيرك بالضرورة غير مكتمل. على أثر ذلك وضع الحجر في كم رداؤه ووقف ليكمل الرحلة.

«وماذا تنوي أن تفعل به، إن سمح لي أن أسأل،» استفسر مرافقه، «بالحجر الذي أخذته؟»

«أنا أعني،» قال الآخر، «أرسله إلى الأسفل إلى الأرض ليلعب دوره المحدد له في مصير عائلة محددة تنتظر وصولها بلهفة. انت ترى، أنه عندما لفظت إلهة الأشغال هذا الحجر كانت معتادة أن تعبئ وقتها بالتجوال في السماوات حتى جلبتها الصدفة إلى جانب زهرة قرمزية جميلة. وقد أثار إعجابها جمال الزهرة الأخاذ، الحجر بقي هناك لفترة من الوقت يهتم بحامية بكل العناية المحببة، ويومياً يبذل جذوره بأجود أنواع الرحيق الموجود في السماء، حتى في آخر المطاف استسلم إلى تأثير الحب النزيه، فقامت الزهرة فغيرت شكلها وأصبحت أجمل فتاة.

«عزيزي الحجر»، صرخت الفتاة في نشوة الحياة التي وجدتتها من جديد، إن الندادة التي منحتني أياماً هنا سوف أسدّدك إيها في حالتنا المستقبلية بدموعي!»

بعد عصور طويلة، رأى راهباً آخر، يبحث عن الضوء، الحجر ذاته ملقى في المكان القديم لكن بسجل محفور عليه - سجل كيف لم يتم استخدامه لإصلاح السماء، وكيف نزل لاحقاً إلى عالم البشر، مع وصف كامل لكل ما قام به ورآه وسمعه في تلك الحالة.

«أخي الحجر»، قال الراهب، «إن سجلك لا يتعامل بأعمال الأبطال بين الناس. إنه لا يثيرنا بقصص السياسيين الأفاضل أو بالوطنيين الذين لا يموتون. إنها تبدو كأنها كانت رواية بسيطة عن حب البنات والشباب، وهذا بالكاد يثير انتباه العالم العظيم المشغول.

«يا سيدي الراهب»، أجاب الحجر، «ما تقوله هو صحيح بالفعل؛ وأكثر من ذلك أن قصتي البسيطة ليس معجّباً بها ازدهار بياني أو فن أدبي. مع ذلك، فإن عالم البشر على ما هو عليه، وملامحه تقررها حتى الآن، لعبة الهوى الإنساني، لا يمكنني إلا أن أفترض أن القصة التي ربما حفرت هنا قد تكون نافعة نوعاً ما، حتى لو كانت سترمي فقط بسحر أكثر على ساعة المأدبة، أو لتساعد على انقشاع غيمات الصباح التي تتجمع فوق إفراط ليلة أمس.»

وبناءً عليه، نظر الراهب مرة أخرى إلى الحجر، ورأى أنه يحمل قصة واضحة وبسيطة:-

«الجمال والألم يسيران يداً بيد

إلى منحدر الموت هبوطاً،

يحكي قصة كيف أن الحب البريء لامرأة تطور لوعة مدمرة وعميقة؛ وكيف من عبودية حب ضائع رفعت روح واحدة إلى شيء رفيع، إن لم يكن إدراك أنقى لمهمة الإنسان على هذا الأرض. فبالتالي، قام هو بنسخها كاملة من البداية إلى النهاية. وها هي:-

في عهد سلالة ما، التي تركها المؤلف دون تسمية، برز أخوين جداً من خلال تقديم خدمات فعالة للدولة. بالمقابل حملاً بعلامات الرضى الإمبراطوري. وقد جُعلا من النبلاء ذوي مرتبة عالية. وقد جمعا ثروة. القصور التي خصصت لهما كانت كلها بالقرب من بكين، وهناك كان خلفهما مباشر مَن يتمتعون بفوائد نجاح السلف عندما بدأت هذه القصة. كان لكل أخ منهما ولداً ووريثاً؛ لكن في التاريخ الذي نحن فيه الآن، توفي الآباء والأبناء. كانت زوجة أحد الأبناء فقط على قيد الحياة، وفي أحسن حال من الصحة والعافية، امرأة عجوز تخطت الثمانين سنة من عمرها. من أطفالها توجد ابنة، وقد تزوجت وانتقلت إلى الجنوب، وابنتها **تاي أو Tai Yu** هي بطلة هذه الحكاية، ابن الابن الثاني للمرأة العجوز وابن العم المباشر **لتاي أو Tai Yu** هو البطل وكان يعيش مع جدته. وكان اسمه **باو أو Pao Yu** كانت العائلتان النبيلتان في قمة قوتهما وراثتهما. إن مؤسستهما الفخمة مترعة بكل أنواع الترف. إقامة الحفلات وحضور المسرحيات كانت دائماً على جدول أعمالهما اليومي وللترويج كل ذلك كان قد تم اختيار شقيقة **باو أو Pao Yu** لتكون واحدة من اثنتين وسبعين زوجة مخصصة لإمبراطور الصين. لا أحد توقف عن التفكير من أن الحوادث الإنسانية يحكمها قانون التغيير المحتوم. من هو قوي اليوم سيكون وضعاً في الغد: الأغنياء سيصبحون فقراء والفقراء سيصبحون أغنياء. وإذا كان واحد ما يفكر أكثر من الباقي وتوقف برهة ليعرف تعيينات السماء، فهو يضعف أمام الأمل بالألا يحدث الانهيار، على أي حال في يومه هذا.

كانت الأمور هكذا عندما توفيت والدة **تاي أو Tai Yu**، وقرر والدها أن يضع ابنته يتيمة الأم، في رعاية جدتها في بكين. وبمرافقة مربيتها انطلقت السيدة الصغيرة فوراً إلى العاصمة، ووصلت هدفها بأمان. ليس ضرورياً أن نتوقف عند جمالها ولا عند عبقريتها، مع أن هذين الأمرين مشروحيان بالتفصيل في النص الأصلي. يكفي القول أنه خلال الأعوام التي مرت منذ أن أصبحت معروفة لأول مرة لدى الجمهور، يقال أن العديد من الرجال الشجعان ماتوا من حب بطلة الرواية الأسرة هذه.

استقبلت **تاي أو Tai Yu** بلطف من الجميع. وخاصة من جدتها التي ذرفت دموع الأسى المر على موت والدة **تاي أو Tai Yu** المبكر، ابنتها المفقودة والمدللة.

تم تقديمها لخالاتها وأبناء خالاتها، ولأبناء خالاتها وخالاتها، بأعداد كبيرة حتى أن الطفلة المسكينة راودها اندهاش كيف يمكنها أن تتذكر جميع أسمائهم، بعد ذلك جلسوا سوية وأخذوا يتحدثون سألوها كل شيء عن أمها وكيف مرضت، وأي نوع من الدواء تناولت، وكيف ماتت، وكيف دفنت، حتى أن الجدة العجوز أخذت تبكي ثانية. «وأنت، أي نوع من الدواء تأخذين، يا عزيزتي،» سألتها السيدة العجوز، بعد أن رأت أن تاي او Tai Yu نفسها تبدو رقيقة جداً وتحمل على خدها الواضح بقعة متوردة مشكوك فيها.

«آه، لم أفعل شيئاً منذ أن بدأت الأكل،» أجابت تاي او Tai Yu، سوى تناول الدواء من هذا النوع أو ذاك. كذلك زرت أفضل الأطباء لكنهم لم يعملوا لي أي شيء نافع. عندما كنت فقط ثلاث سنوات من العمر أتى راهب عجوز قذر محاولاً إقناع والدي أن يسمح لي بأن أصبح راهبة. قال إنها الطريق الوحيدة لإنقاذي.»

«آه، سوف نداويك وسوف تشفين،» قالت جدتها وهي تبتسم، «سنعيد لك صحتك في أقل من ملح البصر.»

ثم أخذت تاي او Tai Yu تتعرف على أقاربها، بمن فيهم على خالتها، والدة باو أو Pao Yu، التي حذرتها من مزاجه الخاص، التي وصفته بأنه غير أكيد ومتغير. «ماذا! الشخص الذي يضع عاجاً؟» سألت تاي او Tai Yu لكنها أضافت بشكل فوري، «لكننا لن نكون مع بعضنا البعض،» وكانت بعض الشيء مندهشة من هذا التحذير غير العادي. «آه، أنت سوف تريدين،» قالت خالتها. «إن جدته تدلله بشكل مخيف وتسمح له أن تسود كلمته في كل شيء. بدل أن يكون مجداً في عمله، كما يجب أن يكون الآن، إنه يضيع وقته مع البنات، ويفكر فقط بالاستمتاع، دون أن يكون لديه أي فكرة عن احتراف أي عمل أو إضافة أي رونق جديد لاسم العائلة. أقول لك احذريه.»

لقد اقتربت ساعة تناول العشاء، وبعد الوجبة سئلت تاي او Tai Yu عن التقدم الذي أحرزته في دراستها. كانت متعمقة جداً في عجائب الكتب الأربعة، وتم الاتفاق من قبل الجميع على أنها أحسن من أبناء خالاتها، عندما سمع صوت في الخارج، ودخل شاب ملبسه أنيق جداً حوالي سنة أكبر من تاي او Tai Yu، يرتدي

قبة كانت تملؤها حبات اللؤلؤ بشكل مسرف. وجهه كان مثل البدر في الخريف. وقسماته مثل زهور الصباح في الربيع، جفونه مخططة بقلم الرصاص، وله أنف مصقول وعيون مثل الموج المتموج، كانت هذه جزءاً من التفاصيل التي يتكون منها المظهر الخارجي الجميل الذي لا يرقى إليه شك. وحول عنقه تتدلى قطعة يشب غريبة؛ وحاملاً أصبحت **تاي أو Tai Yu** واعية تماماً لوجوده مرت رجفة بجسدها النحيل. وشعرت أنها هنا أو في مكان آخر قد رأت هذا الوجه من قبل.

حيا **باو أو Pao Yu** - لأنه هكذا اسمه - جدته بكل احترام عظيم، وذهب ليرى أمه. وبينما هو غائب قد يكون مفيداً أن نتحدث بعض الكلمات عن الأيام الأولى للسيد الشاب.

باو أو Pao Yu، الاسم الذي يعني اليشب الثمين، سمي كذلك لأنه عندما ولد، لدهشة الجميع العظيمة، كانت في فمة قطعة يشب صغيرة - قطعة مثل المرأة الجميلة المنيرة، تحمل خرافة محفورة بأسلوب قديم عجيب من عدة آلاف من السنين. اجتمعت العائلة واتخذت قراراً أن هذا الحجر كان نوعاً من التميمة المقدسة، الهدف منها لم يكن واضحاً في هذه اللحظة، ولكن دون شك سيتم الإفصاح عنه تدريجياً، أمر واحد كان مؤكداً. بما أن هذه القطعة أتت إلى هذا العالم مع الطفل، بالتالي يجب أن ترافقه في هذه الحياة، وبالتالي كان **باو أو Pao Yu** معتاداً على لبسها مدلاة حول عنقه. إن اخبار هذه الظاهرة انتشرت في كل مكان. حتى أن **تاي أو Tai Yu** سمعت بها قبل إن تأتي وتسكن مع العائلة.

وهكذا كبر **باو أو Pao Yu** عنيداً مشاكساً. وكان إنساناً وملاحاً، ومحباً للمرح، لكنه كان يكره الكتب. وقد أعلن، حقيقة، أنه لا يستطيع القراءة إلا إذا كان لديه على كل جانب زميلة من زميلاته الطالبات وتكون سيدة شابة، حتى يستطيع أن يحتفظ بهدوء عقله! وعندما كان أبوه يضربه، كما كانت العادة، كان يصرح «عزيزتي البنت! عزيزتي البنت!» كل الوقت بهدف، كما شرح الأمر لاحقاً لأبناء خالته للتخلص من الألم. وجدال قائلاً، النساء مصنوعات من الماء بعقول متحركة شفافة، بينما الرجال في معظمهم قد جلبوا من الطين، من كتل طينية بحته جاهلة.

عند هذا الوقت كان قد عاد من رؤية والدته وتم تعريفه رسمياً بـ **تاي أو** **Tai Yu**. وصرخ، «ها! لقد رايتها سابقا في مكان ما. ما الذي يجعل عينها حمراوين هكذا؟ في الحقيقة، يا ابنة الخالة، **تاي أو** **Tai Yu** سوف ندعوك 'ابك يا طفلي، إن كنت ستبكين كثيراً. 'هنا بعض الإشارات قد عملت لقطعة اليشب، وهذه وضعته في مزاج غاضب بشكل فوري. لا يوجد من بين أبناء خالاته أحد عنده منها، قال لهم، وبالتالي لن يلبسها بعد اليوم، حدث خلاف عائلي وخلالها ذهبت **تاي أو** **Tai Yu** إلى السرير وبكت حتى نامت.

بعد فترة وجيزة من ذلك، اضطرت شقيقة أم **باو أو** **Pao Yu** بفعل الظروف، أن تبحث لها عن مكان إقامة في العاصمة. وجلبت معها ابنة لها **باو تشاي** **Pao Chai**، ابنة خالة أخرى للسيد **باو أو** **Pao Yu** حوالي سنة أكبر منه؛ وإلى جانب أنه تم استقبالهم استقبالا حاراً فقد دعيت الإثنتان لتسكنا بشكل مريح في قصر العائلة الفسيح الذي يملكه أقاربهم. هكذا لقد كان القدر الذي جمع **باو أو** **Pao Yu** مع بنات خالاته تحت سقف واحد.

وعاجلا أصبح الثلاثة أصدقاء حميمين. لقد تعلمت **باو تشاي** **Pao Chai** بانتباه على يد والدها وكانت تستطيع أن تصمد حتى أمام **تاي أو** **Tai Yu** البارعة. أحب **باو أو** **Pao Yu** أن يكون برفقة أي منهما أو مع كليهما. لقد كان دائما مسرورا ما دام عنده، إلى جانبه، بنت جميلة، وفوق ذلك كان مبهورا بفطنة هاتين السيدتين الشابتين على وجه الخصوص.

لكن كانت له نوبات عارضة من الإحباط المزاجي تتغير من خلال الأشياء من محيطه الأرضي الزائد. ويقول «بماذا أنا أفضل من خنزير يتمرغ؟ لماذا ولدت وترعرت بين عظمة الثراء ومجده عوضاً عن بيت مفروش ببرودة، حيث كان بإمكانني أن أستمتع بالمشاركة الخالصة مع الأصدقاء؟ هذا الحرير والساتان، هذه اللحوم الغنية والنيبذ المختار؟ أية منفعة تجلبه لهذا الجسد الفاني الذي لي؟ أه أيها الغنى: أه أيتها القوة! أنا العنكما أنتما الاثنتين، أنتما اليرقة الخضراء لعملي الأرضي.» كل هذه الأفكار السقيمة، تم تبديدها بسرعة بوجود بنات الخاليتين الجميلتين،

حيث بالحقيقة، أمضى باو أو Pao Yu معظم الوقت الذي كان عليه أن يمضيه مع كته. وكان دائماً مشغولاً بالركض بينهما ليرى الواحدة منهما أو الأخرى أو هما في اجتماع عام عند جدته. كان الاجتماع «رأساً إلى رأس» مع باو تشاي Pao Chai التي أقنعتة أن يريها قطعة الشيب الرائعة التي له، مع الحفر التي عليها، والذي قرأته كالتالي:-

«لا تفقدني، لا تنساني»

الحياة الخالدة ستكون من نصيبك.»

إن حماقة إحدى الجوارى جعلت باو أو Pao Yu يعي أن باو تشاي Pao Chai نفسها كانت تمتلك تيممة ذهبية رائعة حفر عليها بعض الكلمات؛ وبالطبع أصر باو أو Pao Yu على رؤيتها فوراً وعليها كان مكتوباً

«لا تدع هذا الرمز يذهب من جانبك

والشباب الدائم سيبقى معك.»

في منتصف هذا المنظر المثير للاهتمام، تدخل تاي أو Tai Yu، وعندما رأت مدى الحميمية المنشغلان بها كلاهما» قالت أنها تأمل أن لا تكون قد تعدت عليهما.» حتى في هذه الأيام الأولى إن نبرة صوتها كانت تدل على وجود عوارض لتلك الغيرة التي استسلمت لها لاحقاً. في هذه الأثناء كانت قد احتكرت تقريباً الاجتماع مع باو أو Pao Yu، وهو من جانبه يجد نفسه يوماً أكثر وأكثر منجذباً نحو الدعابة العابثة لتاي أو Tai Yu الجميلة مقارنة مع الهدوء والحيوية الأكثر أورثوذكسية أو تقليدية لباو تشاي Pao Chai. فباو تشاي Pao Chai لا تعرف معنى الغيرة. هي كذلك تحب التقاذف بالكلمات، وتبادل أبيات الشعر أو الاندهاش من الألغاز مع ابنة خالتها الزبئية المتقلبة؛ لكنها لا تسمح لأفكارها أبداً أن تتجول نحوه على غير تطابق مع التحفظ الأنثوي الشديد.

لكن تاي أو Tai Yu ليست كذلك. لقد كانت لبعض الوقت المرافق الرئيس لباو أو Pao Yu عندما انضمت إليهما باو تشاي Pao Chai. وقد أصبحت تعتبر الولد

الجميل تقريبا جزءاً منها، مع العلم أنها لم تكن تعي الحقيقة إلا عندما دعيت لاقتسام صحبته مع أخرى. وهكذا كان الوضع، من أن باو أو Pao Yu أظهر تفضيلاً مفتوحاً لها، فإنها لا زالت تحمل ضغينة تجاه إعطاء اهتمام أقل لباو تشاي Pao Chai. وكالعادة فإن هذا الاهتمام انطلق من النبض غير المحسوس للإثارة. لقد وقع باو أو Pao Yu وتاي أو Tai Yu بحب بعضهما البعض انطلاقاً من حقيقة أنهما كانا يتشاجران دائماً؛ وكلما ازدادا شجاراً كلما انتهت مشجاراتهما دون تغيير، كما يجب أن تنتهي، بتجديد الحب بينهما. وكقاعدة كانت تاي أو Tai Yu تتقهقر في نهاية المطاف مثل النساء جميعاً - أي إلى الدموع؛ وبالطبع كانت لا تعوز باو أو Pao Yu إن يكون فارساً، فكان أمامه لا يوجد أي بديل آخر سوى أن يسمح الدموع. وفي مناسبة محددة أعلنت تاي أو Tai Yu أنها سوف تموت، فرد عليها باو أو Pao Yu في تلك الحالة سيصبح هو راهبا ويكرس حياته لبوذا؛ لكن في هذه الحالة كان هو الذي ذرف الدموع وهي التي مسحتها.

كل هذا الوقت كانت كل من تاي أو Tai Yu وباو تشاي Pao Chai على علاقات من الاحترام الدقيق. كان والد تاي أو Tai Yu قد توفي مؤخراً، ويبدو أن نصيبها أصبح مرتباً بشكل أوثق من ذي قبل مع العائلة التي تعيش في وسطها. فقد أعطيت زينة ذهبية جميلة لتلائم مع تميمة باو تشاي Pao Chai، وقد أمضى الشباب الثلاثة أيامهم مع بعضهم البعض، يفكرون فقط كيف يحصلون على أعلى استمتاع من كل ساعة تمضي، لكن في بعض الأحيان، ظل من التفكير الجاد يجعل لحظات تاي أو Tai Yu من الوحدة الإجبارية أسوداً؛ وفي يوم من الأيام فاجأها باو أو Pao Yu بقسم منعزل من الحديقة كانت منشغلة في دفن الزهور التي ألقت بها الريح بينما كانت تغني الأبيات التالية:-

«الزهور تذبل وتطير
والطيران يملؤ السماء؛
نوارهم يغادر، ويذهب أريجهم
ولكن من يقف متحسراً؟
وشعاع لعاب الشمس المتجول

يُرى على البيت الصيفي،
زهرة الصفصاف تتساقط بهدوء يرطبها الندى
تلتخ الستارة المطرزة،
بنت داخل الغرف الداخلية،
أنا أحزن لأن الربيع قد ولى،
لليفة حزنٍ تكبل قلبي،
والسلوى غير موجودة.
أمر بالحديقة
وأستدير لأستعمل فأسِي،
أدوس على أمجاد سقطت
كلما ذهبت وأتيت بخفة،
توجد هناك مرشات الصفصاف وزهور شجر الدردار.
وهذه لها رائحة كافية
لا أهتم كثيراً إذا الخوخ والبرقوق،
قطعت من كل غصن
شجرة الخوخ وشجرة البرقوق أيضاً
ستهران في السنة القادمة؛
لكن في السنة القادمة، في الغرف الداخلية
أخبرني هل سألقي فيها؟
عند القمر الثالث تعشش الرائحة العطرة الجديدة
وسيرى ضوء النهار،
طيور السنونو الجديدة ترفرف بين جذوع الشجر،
كل في طريقه الذي لا يفكر فيه.
في العام القادم مرة أخرى سيبحثون عن طعامهم.
بين الزهور الملونة،
لكن سيسمح لي الذهب، وخبوط الأشعة ستذهب

ومعهم الأماكن التي تظللها السنونو
ثلاث مائة وستين يوماً يعملون سنة
وفيها قد كمن لي
خناجر من الريح وسيوف من الصقيع
ليقوموا بعملهم القاسي.
كم ستطول الزهور النضرة الجميلة
التي تتوقد أكثر وأكثر سطوعاً؟
في صباح ما ستعوم الأوراق التوجيهية بعيداً
ولكن إلى أين لا أحد يعرف.
البراعم التي تزهر وهي مسرورة تجذب العين،
لكن إن كلح لونها يضيعها البصر؛
آه، دعني أدفنها وأنا حزينة
إلى جانب هذه الدرجات هذه الليلة!
لوحدي، لا يراني، أمسك بفأسي
بالعديد من الدموع المرة؛
إنها تسقط على الساق العريانة
فتظهر نقط الدم.
طائر الليل توقف الآن عن النواح
الفجر يأتي نشطاً،
أنا أحمل فأسي وأغلق البوابات
تاركاً ورائي مكان الدفن؛
لكن ليس حتى تضرب أشعة الشمس الحائط
حتى يأتي النعاس ليهتم بي
المطر البارد ينقر بسرعة على اللوح الزجاجي
بينما أضطجع مرتعشاً هناك.
أنت تندهش أنه مع الدموع التي تذرف

فإن خدي الشاب قد تبلل؛
هم جزئياً ينهضون من الأفكار الغاضبة،
وجزئياً من النوم.
الندم - لأن الربيع يأتي فجأة؛
الغضب - لأنه لا يستطيع أن يدوم،
لا صوت ليعلن اقترابها،
أو يحذرنا أنها قد دمرت.
ليلة أمس في الحديقة
تم الاستماع بوهن إلى الأغاني الحزينة،
غُنيت، كما أعرف، من قبل الأرواح،
أرواح الأزهار والطيور.
لا نستطيع إبقائهم معنا هنا،
تلك الطيور والأزهار المحبوبة جداً،
إنها تغني ملء فضاء الموسم.
وتتفتح لساعات قصيرة جداً،
آه، لو أُنِي على جناح مصنوع من الريش
أحلق عالياً وأطير،
برفقة أرواح الزهور سأسعى إلى
حدود السماء
لكن وأنا مرتفع في السماء
أي قبر هناك؟⁹⁰
لا، أعطني كيساً مطرزاً
حيث أضع جمالهم،
وأمننا الأرض، وأمننا الأرض الطاهرة،
ستخبئهما في ذراعيها.

90 هذان البيتان قصار في الأصل.

وهكذا فإن هذه الأشكال الحلوة التي أتت دون بقع
ستذهب ثانية دون بقع
لا ممر ملطخ بالطين أو بالأوساخ
على جانب بالوعة مزعجة نوعاً ما.
وداعاً، أيها الزهراء، للأبد الآن،
وكلما أسرعت كان أفضل،
لم أتأله بعد عندما
أكون معكم سوف أغطس بالراحة
أنا الذي أستطيع أن أدفن الزهور هكذا
سأكون مضحكة للجميع؛
لا أستطيع أن أقول في الأيام القادمة
من هي الأيدي التي ستدقني،
انظر كيف أن الربيع يبدأ بالخذلان
كل زهيرة تتفتح، تذبل مجدداً؛
وهكذا يوجد بكل عصر عمر
وموت للبنات الجميلات؛
وعندما يذهب الربيع الهارب،
وتنتهي أيام الجمال
الزهور تتساقط، والبنات الجميلات يمتن،
وكلاهما يصبح لا وجود له.»

في هذه الأثناء استلم والد باو أو Pao Yu تعييناً أخذه مسافة لا بأس بها، وكانت النتيجة أن الحياة في المنزل أصبحت تسير بشكل طائش أكثر من المعتاد. لا شيء كانت الجدة العجوز تحب مثل رحلة أو مادية - وليمة، في الحقيقة من نوع ما، فيها كثير من النيذ والمرح، لكن الآن، بطريقة ما أو بطريقة أخرى، حتى الأشياء الصغيرة تخرب في كل علبة مرهم الذبابة العادية كانت تؤكد وجودها، وفي كل كأس فوار كان شيء مر يفور دائماً. المال لم يعد كثيراً كما في السابق، وكان يبدو

أن هناك دائماً شيئاً غير مرئي مسلطاً لاستنزاف مصادر العائلة. أعضاء متعددون من هذه أو من تلك العائلة الكبيرة وقعوا بمشاكل جدية مع السلطات، القتل أو الانتحار، أو السرقة أصبحت موجودة داخل محيط المبنى، قمة الازدهار قد وصلوا إليها وساعة الانحدار قد أنت. ومع هذا فالجميع ما يزال يلهو ويمرح، واستمر باو أو Pao Yu وتاي أو Tai Yu في لهوهما الممتع في الغزل أو صناعة الحب. وفي هذا أيضاً حبتهما الظروف صداقتها. تخلت والدة باو تشاي Pao Chai عن الشقق التي حددت لها وذهبت لتسكن في مسكن في المدينة، وبالطبع أخذت باو تشاي Pao Chai معها. بعض الوقت قبل هذا الأمر ألمحت إحدى الجوارى بشكل عرضي لباو أو Pao Yu أن سيدتها الصغيرة تاي أو Tai Yu على وشك المغادرة لتعود إلى الجنوب. أغمى على باو أو Pao Yu في المكان نفسه، فحمل من فوره ونام، فقد تحمل مغادرة باو تشاي Pao Chai برصانة. وكان هو لا يريد أن يستمع إلى الافتراق عن محبوبته تاي أو Tai Yu.

وكذلك كانت هي قد وقعت في غرامه، وكانت قد همست جاريتها منذ زمن بعيد في أذنها الإمكانية الناعمة حول الاتحاد مع ابن خالتها. في الليل وفي النهار كانت تفكر في باو أو Pao Yu، وأسفت بمرارة أن لا يكون لها أب أو أم في هذه اللحظات التي يمكنها الاعتماد عليهما ليفعلا الموضوع الأقرب إلى قلبها. في إحدى الأمسيات بعد أن أنهكتها ضربات الحب العظيم المدمرة، رمت بنفسها، دون أي فهم، على أريكة لتنام، لكنها لم تكد أن تغمض عينيها حتى دخلت جدتها وجماعة من خالاتها وأبناء خالاتها ليقدموا، كما قالوا تمنياتهم القلبية. اندهشت تاي أو Tai Yu وسألت ما هو الشيء الذي يهثثونها عليه، ومن ثم شرحوا لها أن أباهما تزوج مرة أخرى وأن امرأة أبوها قد رتبت لها زواجاً ملائماً جداً، وبناء عليه عليها أن تغادر البيت فوراً. بفيضانات من الدموع ترجت تاي أو Tai Yu جدتها بأن لا ترسلها هي لا تريد أن تتزوج، وهي تفضل أن تصبح جارية عند قدمي جدتها من أن تقع فريسة لهكذا مؤامرة. وقد استنفذت كل مجادلة ممكنة، وحتى أنها تضرعت لروح والدتها الميتة من أجل أن تدافع عن قضيتها، ولكن السيدة العجوز كانت متصلبة، وفي النهاية خرجت وهي تقول أن الترتيب

سيتم تنفيذه. ثم أن تاي أو Tai Yu لم ترى أي مهرب سوى الشيء الوحيد المتبقي، عندما دخل باو أو Pao Yu في تلك اللحظة وبابتسامة على وجهه بدأ بتقديم تهانية أيضاً.

«شكراً لك، يا ابن الخالة،» صرخت هي، نهضت ومسكت به بقوة من ناحية الساعد. الآن أعرفك على حقيقتك أيها المخلوق الأجوف والمتقلب!..»

«ما بك، يا فتاتي العزيزة؟» استفسر باو أو Pao Yu باندهاش. «كنت فقط مبسوطاً لأجلك من أنك وجدت محباً في النهاية.»

«وأي حبيب تعتقد أنني سأهتم له ووجدته الآن؟ استفسرت تاي أو Tai Yu حسناً،» أجاب باو أو Pao Yu «أتمنى أن أكون أنا، هذا أول شيء، وأنا أعتبرك ملكي وإن كنت تفكرين بالطريقة التي تصرفت بها اتجاهك...»

«ماذا!» قالت تاي أو Tai Yu، جزئياً لم تفهم كلماته، «هل يمكن أن تكون أنت؟ وهل ترغب أن أبقى معك؟»

«سوف ترين بأم عينيك،» أجاب باو أو Pao Yu حتى إلى سويداء قلبي وبعدها فقط ستصدقين.»

وبناء عليه، استل سكيناً وغرسه في جسده وفتحه ليكشف عن قلبه حتى تراه. بصرخة حاولت تاي أو Tai Yu أن توقف يده وشعرت أنها نفسها قد نفعت بتدفق الدم الحار النضر؛ عندما أطلق تاو أو Tao Yu فجأة تأوهاً بصوت عالٍ وصاح «أيها السماء العظيمة، لقد ذهب قلبي!» فوقع فاقد الوعي إلى الأرض، «النجدة! النجدة!» صاحت تاي أو Tai Yu «إنه يموت! إنه يموت!» «أفق!» «أفق!» قالت خادمة تاي أو Tai Yu؟ «من الذي سبب لك هذا الكابوس؟»

وهكذا أفاقت تاي أو Tai Yu واكتشفت أنها حلمت حلماً مزعجاً. لكن كان عندها شيء أسوأ من ذلك. لقد مرضت بمرض سيء؛ إنه من الغريب القول بان باو أو Pao Yu كان نائماً من المرض في الوقت نفسه. أتى الطبيب وقاس لها نبضها- في الحقيقة

كلا النبضين - وهز رأسه وشرب فنجان شاي، وقال أن تاي أو Tai Yu بحاجة إلى تغذية المبادئ الحيوية التي ستحصل عليها من وصفه طبية كتبها في ذلك الزمان والمكان. أما بالنسبة لباو أو Pao Yu فإنه ببساطة يعاني من نوبة سوء الهضم المؤقت.

وهكذا تحسنت تاي أو Tai Yu، واستعاد باو أو Pao Yu صحته. عاد والده إلى البيت، فاضطر مرة أخرى ليظهر نفسه أنه يعمل، وبالتالي كانت لديه ساعات أقل ليقضيها في رفقة ابنة خالته. أصبح الآن رجلاً شاباً، وأخذت مسألة زواجه حيزاً مهماً في تفكير والديه وجدته. عدة أسماء اقترحت، واحدة منها اقترحتها والده؛ لكن في النهاية تم الاتفاق على أنه من غير الضروري الذهاب بعيداً لتأمين زوجة ملائمة. لقد كان ببساطة خياراً بين الفتاتين الشابتين اللتين سبق لهما وإن اشتركتنا كثيراً في حياته اليومية. لكن الصعوبة تكمن بالتحديد هناك. وحيث يوجد الكمال يصبح من الصعب الاختيار بسبب الحسد.

في رواية صينية أخرى مشهورة، سبق أن وصفناها، تم التغلب على صعوبة مشابهة بهذه الطريقة-البطل يتزوج الاثنتين لكن هنا، كان كبار العائلة مشغولين بادعاءات متنافسة. من خلال أخلاقيهما اللطيفة والتي كسبت الناس جعلت كل من باو تشاي Pao Chai وتاي أو Tai Yu محبوبتان بالقدر نفسه من جميع نزلاء هذين البيتين النبيلين، من الجدة المحترمة نزولاً إلى أبخل جارية. جمالهما كان ذا أسلوب مختلف لكن في حضرة البحث عن الرأي فيهما، كل واحدة منهما ربما تكون قد ربحت أصواتاً متساوية. كانت تاي أو Tai Yu دون شك الأذكى بينهما، لكن باو تشاي Pao Chai كان لها الحصة الأفضل، وفي تقدير أولئك الذين معهم القرار، فإن الصحة هي المطلوبة اليوم. وتم ترتيب أن يتزوج باو أو Pao Yu باو تشاي Pai Chai.

الترتيبات المصرية هذه عملت بالطبع بسرية تامة. ويجب أن تعمل تمهيدات متعددة قبل أن تحل الوعود الشفهية مكان الزواج الرسمي. وإنها حقيقة ثابتة ومؤكدة أن الأسرار يمكن حفظها عند الرجال، أما هذا السر فقد أسر على الأقل لذينة من النساء، وبالتالي، في إحدى الليالي عندما كانت تاي أو Tai Yu مريضة

ووحدها في الغرفة ترنو إلى الحب الذي أسند إلى أخرى، سمعت جارتين تتحدثان في الخارج، تهمسان بأسرار وتخيلت أنها سمعت اسم باو أي Pao Yu. أنصتت مرة أخرى، أما هذه المرة دون شك سمعتهما تقولان أن باو أو Pao Yu كان مشغولاً بالزواج من سيدة تنحدر من عائلة جيدة وإنجازات كثيرة. في هذه اللحظة صاح ببغاء، «هذه سيدتك، اسكبي لها الشاي!» مما أخاف الجاريتين بشكل فظيع، وافترقتا فوراً، إحداهما ركضت إلى الداخل لتبلي حاجات تاي أو Tai Yu نفسها. فوجدت سيدتها الشابة في حالة من الاضطراب الشديد، لكن تاي أو Tai Yu أصبحت تمرض الآن دائماً.

في هذه المرة كانت بالفعل مريضة جداً. لم تأكل أي شيء. وقد ظنتها قحة مخيفة. حتى أن الطبيب الصيني لم يمكنه إلا أن يرى أنها في مرحلة متقدمة من الانحدار. لكن لا أحد يعلم أن مرض الجسد بدأ بمرض في القلب.

في إحدى الليالي أصبح مرضها أسوأ وأسوأ؛ وكانت ممددة وكأنها ميتة. ركضت جارية لاستدعاء جدتها بينما بقي عدد آخر منهن في الغرفة يتحدث عن باو أو Pao Yu وزواجه المزمع. «توقف كل ذلك الآن»، قالت إحداهن. جدته لم توافق على السيدة الشابة التي اختارها والده. لقد سبق وأن عملت اختيارها- لسيدة شابة أخرى تعيش مع العائلة، ونحن كلنا نحبها.» سمعت البنت الميتة هذه الكلمات، ثم لمحت في ذهنها أنها هي نفسها التي ستكون العروس المنوي أن يتزوجها باو أو Pao Yu. «إن لم أكن أنا» جادلت هي، «مَنْ مِنَ الممكن أن تكون؟» بعد ذلك، استجمعت، كما يقال جهد الإرادة الأسمى، ولاندهاش الجميع الكبير طلبت أن تشرب الشاي. أولئك الذين كانوا يتوقعون أن يروها ميتة أصبحوا الآن مسرورين من التفكير أن شبابها في النهاية قد انتصر.

وهكذا أصبحت تاي أو Tai Yu مرة أخرى بصحة جيدة ولكن ليس بصحة أفضل. فمرض الروح لا يداويه الدواء. وفي هذه الأثناء وقعت حادثة رمت كل شيء آخر وراء ظلها. باو أو Pao Yu أضع قطعة الشب خاصة به. بعد تغيير ملبسه، نسي أن يعلقها حول رقبته وتركها موضوعة على طاولته. لكن عندما طلب

إحضارها، كانت قد اختفت. وقد تم البحث في كل مكان في العالي وفي الأسفل، دون نجاح. إن التميمة الثمينة فقدت. لا أحد تجرأ على أخبار جدته ويواجه غضب السيدة العجوز.

بالنسبة لتاي أو **Tai Yu** فإنه عالج الموضوع بخفة. وتدرجياً حصل عنده تغيير في سلوكه العام. فقد أصبح غائب الذهن كثيراً. في أحيان أخرى كان لسانه يهرب منه وكان يتكلم الهراء. وفي النهاية لقد ساء لدرجة أنه أصبح لزاماً عليهم أن يفعلوا شيئاً. وهكذا كان يجب تبليغ جدته. بالطبع كانت منزعة جداً لكنها عملت خطوة بالاتجاه الصحيح، وعرضت جائزة كبيرة لاسترجاعها. النتيجة كانت أنه تم طلب الجائزة. لكن في هذه الأثناء كانت القطعة قد فقدت شيئاً من بهائها الأخاذ؛ ولكن التفتيش الدقيق أظهر في الحقيقة أنها ليست سوى تقليد ذكي. كان ذلك خيبة أمل مدمرة للجميع. إن مرض **باو او Pao Yu** كان يزيد يوماً بعد يوم. والده استلم تعييناً آخر في المقاطعات وكان من المرغوب فيه، بشكل بارز، أن يتم زواج **باو أو Pao Yu** قبل مغادرته. كان الاعتراف الأساسي للإسراع في احتفالية الزواج أن العائلة كانت في حداد. ضمن المصائب الأخيرة التي أصابتهم مؤخراً هي أن السيدة الشابة في القصر توفيت، وتأثيرها في القصر قد ولى. ومع ذلك إذا أخذ كل شيء بعين الاعتبار، كان من المستحسن إتمام الزواج دون تأخير. كان والد **باو أو Pao Yu** لا يهتم بسلوك ابنه الوحيد، قد صدم فعلاً من التغيير الذي رآه الآن. وجه مرهق وهزيل يعيون غائرة فاقدة للمعان. يتجول في حديث غير منطقي - كان هذا هو الوريث الذي ركزت العائلة أمالها فيه. أما الجدة العجوز، بعد أن وجدت الأطباء ذوي منفعة قليلة، استدعت قارئ بخت، الذي كان يقول ما كان يطلب منه قوله، أي أن **باو أو Pao Yu** عليه أن يتزوج من واحدة ذات مصير ذهبي لمساعدته.

وأخيراً إن العناصر الأساس في هذه التراجم التي سوف تمثل، يجب أن تستشار. بدأوا **بباو تشاي Pao Chai** لأسباب مختلفة؛ وهي مثل بنت متواضعة وذات تربية جيدة، تلتقت أوامر أمها بسكوت خانع. يضاف إلى ذلك أنها منذ ذلك اليوم توقفت عن ذكر اسم **باو أو Pao Yu**. لكن مع **باو أو Pao Yu** كان الأمر مختلفاً

جداً. كان حبه لتاي أو Tai Yu موضع شهرة سلبية نوعاً ما، خاصة مع الجواري، واحدة منهن ذهبت إلى الحد الذي أخبرت فيه والدته أن قلبه يقول له أن يتزوجها والتي شعرت أن العائلة كانت ملزمة لرفضها. وبالتالي كان من المشكوك به كيف سيتلقى أخبار خطبته من باو تشاي Pao Chai. وبما أن نتائج حالته الصحية الراهنة لا يمكن إهمالها. فقد تم التقدير أن يلوذ إلى الحيلة. وهكذا تم تحضير المذبح، ولا شيء بقي سوى أن تجلب الموت الساطع إلى حنجرة الضحية.

في الوقت القصير الذي مر، تم تمرير الأخبار إلى تاي أو Tai Yu بطريقة قاسية دون استثناء. سمعت بالصدفة في حديث مع جارية في الحديقة بأن باو أي Pao Yu سيتزوج من باو تشاي Pao Chai. شعرت البنت المسكينة أن رعداً خرق مخها. كل هيكلها اهتز من هذه الصدمة استدارت لتذهب إلى غرفتها لكن دون وعي منها تبعت الممر المؤدي إلى شقة باي أو Pai Yu دون أن تلاحظ الخدم الموجودين. وشقت طريقها عنوة لتجد نفسها واقفة في حضرة ابن خالتها. كان جالساً وينظر إليها وضحك ضحكة المجانين عندما رآها تدخل؛ لكنه لم ينهض وكذلك لم يدعوها للجلوس. جلست تاي أو Tai Yu دون أن يسألها أحد ودون أي كلمة تحدث بها أي منهما. وجلس الاثنان هكذا وحدقا ببعض ونظرا شزرأ لبعضهما البعض حتى انفجرا بالضحك الجنوني الذي لا معنى له، جنون مستشفى المجانين. «ما الذي يجعلك تمرض، يا ابن الخالة؟» سألت تاي أو Tai Yu، عندما انحسرت أولى الدفقات لمتعتهما المميته؛ «أنا متيم في حب تاي أو Tai Yu»، أجابها؛ وبعدها انطلقا في صراخ أعلى من الضحك أكثر مما سبق.

عند هذه النقطة فكرت الجواري أن الوقت قد حان ليتدخلن، وبعد كثير من الضحك، وهز الرأسين تم إقناع تاي أو Tai Yu بالخروج، وبدأت بالركض عائدة إلى غرفتها، وأسرت بقوة اكتسبتها مؤخراً. ولكن وهي تقترب من الباب رأوها تقع، والجارية المذعورة التي أسرعت لالتقاطها وجدت أن فمها مليء بالدم.

في هذا الوقت، انتهت جميع الشكليات وتم تحديد يوم العرس. إنها لن تكون حفلة زواج كبيرة، لكن بالطبع سيكون هناك جهاز العروس. في بعض

الأحيان تبكي باو تشاي Pao Chai لكنها لا تعرف بالضبط لماذا؛ لكن الترتيبات للحدث الضخم في حياتها لا تترك لها لحسن الحظ وقتاً كثيراً للتأمل. تاي أو Tai Yu في سرير المرض لوحدها باستثناء جارية مخلصه. لا أحد يفكر بها كثيراً في هذه الفترة؛ عندما ينتهي الزواج ستحظى بنصيب مزدوج من الاهتمام.

في أحد الصباحات طلبت من جاريتها أن تجلب لها جميع أشعارها وتذكاراتها المتعددة الأخرى عن الأيام السعيدة التي مرت. أخذت قلبها مرة بعد المرة بين أصابعها النحيلة والضاوية حتى قررت أخيراً أن تغذي بها النار. إن الجهد هذا قد أتعبها والجارية أخذت تسر، وهي في يأس، إلى الجدة لطلب المساعدة. وجدت أن المكان كله كان مهجوراً وفكرة طرأت عليها في الحال لتذكرها أن السيدة العجوز موجودة بلا شك عند باو أو Pao Yu. إلى هناك انطلقت بقدر ما كانت قدماها تسرعان بها، لكن لتظل مندهشة عندما رأت أن الغرف مغلقة ولا أحد هناك. وكانت مضطربة جداً ولا تعرف كيف تفسر هذه الظروف التي لم تطلب رؤيتها، حين كانت تهم بالإسراع عائدة إلى غرفة تاي أو Tai Yu شاهدت لحسن حظها، خادم زميل لها في البعيد، والذي أخبرها فوراً أن اليوم هو يوم زواج باو أي Pao Yu، وأنه انتقل إلى جناح آخر من الشقق. وهكذا كان. وافق باو أي Pao Yu بسرور على الاقتراح من أنه سيتزوج ابنة خالته، فقد تم إفهامه بمهارة أن ابنة خالته المعنية كانت تاي أو Tai Yu. وإن الساعة المبتغاه جداً قد دنت. العروس المحجبة، ترافقها الجارية نفسها التي رافقتها منذ زمن بعيد من الجنوب، نزلت من هودجها عند باب باو أو Pao Yu. عزفت مقطوعة مسيرة الزواج، فتقدم الزوجان الشابان إلى احتفال الصلاة النهائي الذي سيجعلهما زوجاً وزوجة لا فكاك لهما. وكما هي العادة في هذه المناسبات رفع باو أو Pao Yu خمار عروسه. للحظة بدا وكأنه تحول فجأة إلى حجر وهو واقف لا يستطيع الكلام وبلا حراك، وبأعين مثبتة تحديق في وجه لم يتوقع رؤيته. في هذه الأثناء تراجعت إلى الشقة الداخلية؛ وبعدها ولأول مرة عاد الصوت لباو أو Pao Yu.

وصرخ، «هل أنا في حلم؟» ونظر حوله إلى أقربائه وأصدقائه المتجمعين.

«لا، إنك تزوجت،» أجابه عدد من الذين كانوا قربه. «احذر؛ والدك في الخارج.
هو قام بترتيب كل شيء.»

«مَن ذلك؟ قال باو أو Pao Yu، برأس جاهز للصد، ومشيراً باتجاه الباب الذي
اختفت عبره باو تشاي Pao Chai.

«كانت تلك هي باو تشاي Pai Chai زوجتك...»

«أنت تعينين تاي أو Tai Yu؛ تاي أو Tai Yu هي زوجتي،» صاح مقاطعاً لهم؛ «أنا
أريد تاي أو Tai Yu! أريد تاي أو Tai Yu! اجلبونا مع بعض وانقذونا كليناً!» هنا أصابه
انهيار عصبي. نشيج كثيف خنق أي كلام آخر حتى جاءه الغوث من انهيار فيضان الدموع.
في هذا الوقت كانت Tai Yu تحتضر، تحتضر بشكل يتجاوز أي أمل باستدعائها.
وعرفت أن ساعة الخلاص قد دنت، وكانت ممددة هناك بهدوء تنتظر الموت. وبين
الفينة والأخرى كانت تشرب ملء معلقة شاي صغيرة من الحساء ولكن تدريجياً
اختفى الضوء من عينيها، والجارية التي أخلصت لها إلى النهاية شعرت أن أصابع
سيدتها الشابة كانت تبرد بسرعة. في تلك اللحظة بانت شفاه تاي أو Tai Yu وكأنها
تتحرك وقد سمعت بوضوح وهي تقول «آه باي أو، آه باي أو Pai Yu...» وكانت
هذه آخر كلمات لها.

في تلك اللحظة اقتحمت على اللحظات الخافتة التي تأتي في أعقاب الانحلال،
أصوات موسيقى بعيدة حملها النسيم، زحفت الجارية خلسة إلى الباب، واجهدت
أذنها لتسمع، لكنها لم تسمع شيئاً باستثناء تنهدات الريح وهي تتأوه بشكل
متقطع من خلال الشجر.

لكن العريس نفسه كان قد دخل وادي الظل الأسود. كان باو أو Pao Yu مريضاً
جداً، كان يهذي ويهذي بتاي أو Tai Yu، حتى في النهاية، أخذت باو تشاي Pao
Chai على عاتقها، عندما سمعت الأخبار، المهمة المؤلمة بإخباره أنها قد ماتت.
«ماتت؟» بكى باو أو Pao Yu، «ماتت؟» وتأوه عالٍ وقع على السرير فاقد الوعي.
وعتمة أنت أمام عينيه، وكان يبدو أنه نقل إلى منطقة كانت غير معروفة له. نظر

حولته، فرأى شخصاً ما يتقدم باتجاهه، ونادى فوراً الغريب وسأله أن يتلطف ويخبره أين هو. «أنت على الطريق إلى العالم الآخر»، أجاب الرجل؛ لكن دورة حياتك لم تكتمل بعد، ولا يوجد لك عمل هنا.» شرح باو أو Pao yu للرجل أنه أتى هنا لبحث عن تاي أو Tao Yu، التي ماتت مؤخراً؛ وعلى ذلك أجاب الرجل أن روح تاي أو Tai Yu قد عادت إلى منزلها في السكون الصافي. «وإن كنت تريد أن تراها مجدداً»، أضاف الرجل، «عد إلى مهماتك على الأرض. أتمم مصيرك هناك، وطهر فهمك، غذي المقدس الذي فيك، ويمكنك أن تأمل في لقاءها مرة أخرى. ثم قام الرجل بقذف حجر عليه وأصابه فوق القلب ما أربع باو أو Pao Yu مما جعله يستدير ليستعيد خطواته في تلك اللحظة سمع نفسه أنه يتم مناداته بصوت مسموع بالاسم؛ وفتح عينيه فرأى أمه وجدته إلى جانب سريريه.

اعتقدتا أنه قد انتهى وسرا سروراً بالغاً عندما رأتاه يعود إلى الحياة، بالرغم من أنها لا تزال الحياة نفسها كما في السابق مغلفة بحزن عظيم من اللاعقل. حتى الآن كانوا يأملون باستمرار؛ وعندما رأوه يكبر يومياً بقوة في صحته الجسدية، فيبدو انه لن يمر وقت قبل أن يستعيد توازنه العقلي. وأكثر من ذلك أنه توقف عن ذكر اسم تاي أو Tai Yu، وأخذ يعامل باو تشاي Pai Chai بكل لطف واحترام.

كل هذا الوقت وحظوظ العائلتين الكبيرتين كانت تغطس من سيء إلى أسوأ. كان عم باو أو Pao yu متورط في عملية اضطهاد شائنة، بينما والده، كان يحاول في منصبه الجديد أن يعمل الجهد الجنوبي أن يكون موظفاً غير فاسد وأميناً. كان يحاول أن يضع قدمه على نظام الرشوة القائم، لكنه ينجح فقط في أن يتم استدعاؤه ووقفه عن العمل بحجة سوء إدارة الأعمال. وأن عاقبة جميع ذلك كان صدور أمر امبراطوري لمصادرة ممتلكات وحرمان العائلتين من رتبتهما الوراثية. إلى جانب ذلك أن الممثلين المباشرين يجب أن ينفوا؛ وضمن الجدران التي كانت لفترة طويلة من الزمن مكرسة للمرح واللهو أصبح الارتياح يسيطر عالياً. «أيتها السماء العليا»، صرخ والد باو أو Pao Yu، بينما أخوه وابن أخيه ينطلقان إلى مكان النفي لهما، «نأمل ألا تتحطم حظوظ عائلتنا هكذا!»

من بين الجميع، ربما شعرت الجدة العجوز بالضربة أكثر شيء، لقد عاشت ثلاثة وثمانين سنة برغد العيش، واعتادت على إخلاص أولادها وتملق الأصدقاء. لكن الآن أصبح المال زهيداً وصوت التملق لا يسمع. وصوت رجال الحاشية لم يعد يسمع ولم يعودوا يتصلون، وحتى الخدم تركوا مواقعهم. وهكذا كان أن السيدة العجوز أصيبت بمرض وخلال بضعة أيام كانت ممدودة على سرير الموت. تحدثت بحديث لطيف مع الجميع باستثناء **باو تشاي Pao Chai**. كانت عند السيدة العجوز تنهيدة فقط تعطيها لباوشي حيث أن المصير ربطها بزواج دفن قلبه بالقبر. هكذا ماتت، وكان لها جنازة فخمة دفعت كلفتها من الأموال التي جمعت لدى محل الرهونات. ظهرت **باو تشاي Pao Chai** بالأبيض، ومن بين جميع الزهور التي جمعت حول النعش، أعلنت هي بإجماع الجميع الزهرة الأجمل.

ثم أن أعضاء آخرين في العائلة قد توفوا **وباو او Pao Yu** ينتكس إلى وضع خطير كما هو معروف. وهو على شفير الموت عندما يعيده إعلان صارخ مرة أخرى إلى الوعي. راهب بوذي يقف على البوابة الخارجية وقد جلب معه قطعة يشب التي ضاعت من **باو او Pao Yu**. وكان هناك بالطبع انفعال على كل الجبهات؛ لكن الراهب رفض الافتراق عن يشب حتى يأخذ الجائزة الموعودة. وأين الآن من الممكن أن يتم جمع مثل هذا المبلغ وفي لحظة، ومع ذلك كانوا يشعرون بأنه يجب استعارة القطعة بكل ثمن. إن حياة **باو او Pao Yi** بيديه المتلهفتين، أسقطها بصرخة مدوية ووقع وهو يلهث على سيره.

بعد عدة لحظات أصبح يتنفس **باو او Pao Yi** بصعوبة، وركض خادم إلى الخارج لينادي على الراهب على أمل أن يستطيع فعل شيء ما. لكن الراهب اختفى، وأثناء ذلك توقف **باو او Pao Yu** عن التنفس.

فوراً بعد انفصال الجسد والروح الذي يدعوه البشر الموت، انطلقت روح **باو او Pao Yu** في رحلتها إلى المطلق، يقوده راهب بوذي. في تلك اللحظة صوت صرخ وقال أن **تاي او Tai Yu** بانتظاره، وفي تلك اللحظة وجوه عدة مألوفة تجمعت حوله، ولكن بينما هو يحدق بهم كعلامة اعتراف، تغيروا إلى عفاريت يتسمون

ابتسامه عريضة، في النهاية وصلوا منطقة حيث كانت توجد زهرة أقحوانية جميلة، وتم العناية بها لدرجة أنه لا يسمح للنحل أو الفراشات أن تتوقف عليها. لقد كانت زهرة، كما قيل له، عليها أن تنهي مهمة على الأرض، وقد عادت مؤخراً إلى المطلق، ثم أخذ ليري تاي أو Tai Yu. لقد رفعت شاشة بامبو كانت معلقة أمام مدخل غرفة، وهناك أمامه كانت تقف معبودة قلبه، تاي أو Tai Yu المفقودة مد يديه وكان على وشك أن يتحدث إليها عندما سقطت فجأة بسرعة الشاشة، دفعه الراهب دفعة فإذا به يقع إلى الخلف، مستيقظاً كما لو كان في حلم.

مرة أخرى استعاد قبضة جديدة من الحياة؛ ومرة أخرى خرج من فكي الموت. لكن هذه المرة كان رجلاً تغير وكرس نفسه للدراسة من أجل الامتحانات العامة الكبرى، على أمل أن يؤمن درجة من ماجستير في الآداب، تلك الدرجة المبتغاه. مع ذلك يتكلم قليلاً ويبدو أنه غير مهتم بالأوسمة والمجد في هذا العالم؛ وما هو أغرب من كل شيء، يبدو أنه فقد بشكل كبير ذائقته لمجتمع النساء الساحر. لمدة من الوقت كان يبدو تحت سحر الصرعة الدينية، وكان يتجادل باستمرار مع باو تشاي Pao Chai حول فوائد تكريس الحياة الشخصية في خدمة بوذا. لكن قبل الامتحان بوقت قصير حرق جميع الكتب التي جمعها والتي كانت تعالج الخلود والحالة المستقبلية، وركز كل فكرة على الشيء الكبير أمامه.

وفي النهاية، أتى اليوم، الذي كان فيه باو أو Pao Yu ويرافقه ابن أخيه، الذي كان أيضاً مرشحاً، يستعد لدخول الحلبة. كان أبوه بعيداً عن البيت. ذهب إلى الجنوب لأخذ رفاة الجدة وتاي أو Tai Yu إلى مقبرة الأسلاف، وهكذا توجه باو أو Pao Yu إلى والدته ليستأذنها بالذهاب، فتوجهت إليه ببعض كلمات الوداع الملأى بالتشجيع والأمل، ثم يركع باو أو Pao Yu على ركبتيه ويستجدي أن تسامحه لكل المشاكل التي سببها لها. «ولا يمكنني أن أثق»، قال هو، «أنني من اليوم فصاعدا سأكون ناجحاً، ومن أنك، يا أمي العزيزة ستكونين سعيدة.» وبعد ذلك، بين الدموع والتنميط الطيبة، انطلق الشابان إلى قاعة الامتحانات، حيث مع عدة آلاف مرشح غيرهما، من المفروض أن يبقيا محبوسين لبعض الوقت.

الساعات والأيام تسرع الخطى، ملأى بالجهد الشاق إلى أولئك الذين في الداخل وباللوعة إلى أولئك الذين في الخارج، وأخيراً فتحت البوابات الكبيرة على مصراعها ويندفع الجمهور الكبير من الطلاب المنهكين والمتعبين إلى الخارج للالتقاء بالجمهور الكبير أيضاً من الأصدقاء والتواقين والمتقنين. في الزحمة التي تتبع، ضياع باو أو Pao Yu عن ابن أخيه، وابن الأخ يصل البيت أولاً. هناك احتفال الترحيب قد نشر على الطاولات وأباريق النبيذ وضعت على النار. ولذلك كل فترة وأخرى أحدهم يخرج راكضاً ليرى أن كان باو أو Pao Yu قد أتى. لكن الوقت يمر ولم يأت بعد. التخوف على أمنة الشخصي بدأ يقفز إلى الواجهة وبالتالي أرسل المبعوثون في كل الاتجاهات. لكن باو أو Pao Yu لا يمكن إيجاده في أي مكان. الليالي تأتي وتذهب في اليوم التالي وفي اليوم الذي يليه ولا يزال باو أو Pao Yu لم يعد بعد. لقد اختفى دون أن يترك ورائه أي دليل عن مكان إقامته. في هذه الأثناء نشرت لائحة المرشحين الذين نجحوا وكان اسم باو أو Pao Yu السابع على اللائحة. أما ابن أخيه فقد كان رقمه على اللائحة 130. كم كان هذا النصر يعني للعائلة، وكم كانت نشوتهم ستكون لولا غياب باو أو Pao Yu الغامض.

وهكذا كان يظلل فرحتهم الأسي، حتى إذا جاء الأمل يقفز دوماً لينتفش فجأة. إن مقالة باو أو Pao Yu الرابعة جذبت انتباه الإمبراطور، فصدر جلالته أمراً لكتبتها أن يظهر في البلاط. إن الأمر الإمبراطوري قد لا يتم رفضه بسهولة؛ وكانت عائلته تأمل بحرارة أنه بهذه الأدوات يعود إليهم. هذا هو بالضبط كل ما كانوا يحتاجون إليه بتأمين الازدهار المتجدد للبيتين القديمين. وأخيراً وجدوا إن تيار الأحداث قد وضع بشكل ملائم لهم. أولئك الذي نفوا إلى الحدود قد امتازوا ضد الخارجين على القانون الذين دمروا البلد من حولهم. هنا كان نجاح باو أو Pao Yu وابن أخيه؛ وفوق ذلك الرأفة الكريمة التي منحهم إياها ابن السماء وتم إعطاؤها عفواً عاماً، وأعيدت لهم ممتلكاتهم المصادرة. والعائلتان نشجتا ثانية في وهج العطف الإمبراطوري. كانت باو تشاي Pao Chai على وشك أن تصبح أمماً؛ فالسلالة يمكن أن تستمر أخيراً. لكن باو أو Pao Yu أين هو؟ بقي هذا الأمر سرّاً غامضاً حتى أن الأمر الإمبراطوري ثبت أنه سدى.

وكان والد باو أو Pao Yu في رحلة العودة قد علم بنجاح وباختفاء ابنه. وكان ممزقاً بين المشاعر المتضاربة. فأخذ يسرع ليصل إلى البيت وليساعد في كشف سر مكان اختباء باو أو Pao Yu. في ليلة مقمرة توقف قاربه ورسى على الشاطئ الذي جعلته عاصفة اليوم السابق ملفوفاً بمعطف من الثلج. كان جالساً يكتب على طاولة، عندما فجأة من خلال الباب المفتوح نصف فتحة، باتجاهه من وراء مقدمة القارب، وظله وخياله محدد بقوة على الثلج المحيط بهم، فرأى شخصية راهب بوذي حليق الرأس. ركع الراهب على الأرض وضرب رأسه أربع مرات على الأرض، ثم دون أن ينبس ببنت شفة، استدار إلى الخلف ليلتحق براهبين آخرين كانا ينتظرانه وكما أتوا بشكل غير ملحوظ فقد اختفوا، قبل، وبالفعل، أن يستطيع الأب المندهش أن يدرك أنه كان وجهاً لوجه مع باو أو Pao Yu للمرة الأخيرة.

الفصل الثاني

الإمبراطوران كانغ هسي Kang Hsi وتشيان لونغ Chien Lung

الإمبراطور الثاني في سلالة المانتشو Manchu أتى إلى العرش في 1662 عندما كان عمره فقط ثماني سنوات، وبعد ذلك بست سنوات استلم مقاليد الحكم. كان طويلاً نسبياً، ومتناسباً في حجمه، وكان يحب جميع التمارين الرجولية وكرس ثلاثة شهور سنوياً للصيد. عيون منيرة كبيرة أنارت وجهه، الذي انتشر فيه الجدري، المراقبون المعاصرون له تزاحموا على مدح فطنته وتفهمه وانفتاح فكره. لا يتعب من الحكم، وأبقى على المراقبة الشديدة لوزارته، وكان حبه لشعبه يقوده إلى تفضيل الاقتصاد على الضرائب. كان من ناحية شخصية مقتصدًا، إلا أنه صرف على الأعمال الحكومية المال الكثير. رعى اليسوعيين الذين وظفهم في مسح الإمبراطورية، في علم الفلك، وفي سبك المدافع؛ مع أنه وجد في زمان من الضروري أن يفرض قيوداً على دعايتهم. بالرغم من الحرب والثورات التي حدثت بشكل جدي في وقته، إلا أنه وجد الوقت الكافي ليبدأ وينفذ، بمساعدة العلماء القياديين في ذلك الوقت، العديد من الأعمال الأدبية العظيمة التي لم يراها العالم قطعياً من قبل. أهم هذه الأعمال هي (1) كانغ هسي تسو تيان Kang Hsi Tsu Tien، القاموس الموحد العظيم للغة الصينية. (2) باي ون اون فو Pai Wen Yun Fu وهو فهرس ضخمة للأدب جميعها، مجلد في أربع وأربعين مجلداً مطبوعاً بشكل متراس؛ (3) بيان تسو لاي بيان Pien Tzu Lei Pien وهو عمل مماثل، بترتيب مختلف مجلد بست وثلاثين مجلداً ضخماً؛ (4) يوان تشيان لاي هان Yuan Chien Lei Han وهي موسوعة مجلدة في أربع وأربعين مجلداً و(5) تو شو تشي تشنغ Tu Shu Chi Cheng، وهي موسوعة مصورة بشكل واف، في 1628 مجلداً كل واحد منها في 200 صفحة. وإلى ما سبق يجب أن نضيف مجموعة محترمة من الموروثات الأدبية،

نثراً وشعراً، التي كانت بالطبع من أعمال الإمبراطور نفسه. ولا يمكن القول أن هذه الموروثات كانت جميعها ذات مستوى عالٍ، أو أنها كانت معروفة لدى الجمهور ككل باستثناء واحد وتافه. ما يسمى بالمرسوم المقدس معروف من هذا الطرف في الصين إلى ذاك الطرف. وكان يتضمن بالأساس ستة عشر مبدأ أخلاقياً صدرت في عام 1670 في شكل من أشكال الفارامانات من قبل الإمبراطور كانغ هسي. وجلالته قد وصل نفسه، إلى سن النضوج السادس عشر. وربما اكتشف وقتها إن أخلاق الناس لم تكن كما كانت في أيام «الملوك الأقدمين» وبجدية صيانية حاول أن يعمل جهداً لطيفاً للشعب الذي كانت رفاهته مقدراً لها أن تكون لسنوات عديدة موضع اهتمامه الرئيس والمستحوذ عليه. أما المبادئ فهي عادية تماماً. ولكن لصالح الإمبراطور العظيم الذي أحب «أبناءه» أكثر من نفسه، ثم رفع هذه المبادئ إلى أقوال قاربت على المقدس. فيما يلي المبدأ الأول والسابع والحادي عشر كعينات:-

«انتبه كثيراً لحب الوالدين والطاعة الأخوية، حتى تعطي الثقل المناسب للعلاقات الإنسانية.»

«انبذ العقائد الغريبة حتى تمجد التعاليم الأورثوذكسية.»

«رب أبنائك وإخوتك الأصغر كي تعيقتهم عن عمل ما هو خاطئ.»

توفي كانغ هسي Kang Hsi في عام 1722 بعد أن أنهى دائرة كاملة من ستين سنة كجالس على عرش التنين. ابنه وخليفته، **يونغ تشنغ Yung Cheng**، اختار مائة عالم وطلب منهم أن يقدموا مقالات يتوسعون فيها على مبادئ أبيه، ومن بين هذه تم اختيار الستة عشر مبدأ «الأفضل»، وفي 1724 صدر أمر بوجوب أن تقرأ علناً على الشعب في اليوم الأول والخامس عشر من كل شهر في كافة المدن والبلدات في الإمبراطورية. هذا القرار لا يزال سارياً حتى الآن. ولاحقاً تم إعادة صياغة وإعادة شرح الستة عشر مبدأً في اللهجة العامية؛ والآن إن المبادئ والمقالات والصياغة المعادة، جميعها مع بعض كانت تؤلف مجلداً تقريباً يمكن أن يقال عنه أنه يحتوي على جميع مهمات الإنسان.

في 1735 توفي الإمبراطور يونغ تشنغ Yung Cheng وخلفه ابنه الرابع الذي حكم تحت اسم تشيان لونغ Chien Lung. كان حاكماً قديراً وبعطش لا يرتوي إلى المعرفة وإداري لا يكل ولا يتعب، وكان ينافس شهرة جده كملك وكراعي للأدب. ظهرت طبقات جديدة للأعمال التاريخية الهامة، وللموسوعات بأمر إمبراطوري وتحت إشراف الإمبراطور نفسه. حدث في 1772 تفتيش عام على جميع الأعمال الأدبية التي تستحق الحفظ، وبعد عشر سنوات صدرت مجموعة ضخمة منها تحتضن الكثير من الكتب النادرة وأخذت من الموسوعة العظمى للإمبراطور يونغ لو Yung Lo وتم تأليف كاتالوغ - فهرس وصفي للمكتبة الإمبراطورية تحت عناوين أربعة من الكلاسيكيات، التاريخ والفلسفة، والأدب العام، ما بين 1772-1790. وتم إعطاء تاريخ كل عمل، وتم كذلك انتقاده. إن سعة هذا الفهرس أدت إلى نشر مختصر عنه يسقط جميع الأعمال التي لم تحفظ، حقيقة، في المكتبة. إن الكتابات الشخصية لهذا الإمبراطور ضخمة جداً، وتتكون من مجموعة عامة تتضمن ملاحظات مختلفة عن مواضيع معاصرة أو قديمة، مقدمات للكتب، وما شابه، وكذلك مجموعة شعرية. ومن الكتب الأخيرة هذه تم نشر تلك التي صدرت بين 1736 و1783 ووصل مجموعها الذي لا يصدق إلى حوالي 33.950 قطعة منفصلة. ولسنا بحاجة إلى أن نضيف أن معظمها تقريباً كان قصيراً جداً. وحتى مع ذلك يجب اعتبار هذا الناتج رقماً قياسياً بغض النظر عن حقيقة أنه في زمن حكمه كان هناك مدد وافر من الحرب والثورة. أجبرت بورما ونيبال على دفع الجزية؛ والسيادة الصينية تم تأسيسها على التثبيت؛ وخولجا وكشغار اضيفتا إلى الإمبراطورية. في 1795 عندما أتم دورته الستين سنة في الحكم، تنازل الإمبراطور لصالح ابنه، وتوفي بعد ثلاث سنوات من ذلك.

كانت قصائد جلالته، بالرغم من أنها صحيحة من ناحية اصطناعية، متوسطة للغاية. إن المقطع الشعري التالي، «عند سماع السيكاذا»،⁹¹ هو مثل جيد، يتلائم مع جميع قواعد قرض الشعر، لكنه فاقد لتلك الصفة التي تجعل من «التوقف القصير» ما هو عليه، أي ذلك الذي «بالرغم من أن الكلمات تنتهي، إلا أن المعنى لا يزال مستمراً»:-

91 زيز الحصاد / المترجم.

الموسم مرّ عليه شهر
في بلد النسيم الشمالي،
عندها أسمع لأول مرة صوت السيكاذا الحاد
تصرخ من خلال الشجر.
أبحث عنها لكنني لا أستطيع تبيان شكلها
في وسط أوراق الشجر الكثيف، -
لا شيء لكن ومضة ظل
ترفرف هنا وهناك.»

وهنا، عوضاً عن أن يكون منجرفاً وراء نمط مقترح من حبل الأفكار، فالقارئ له
الحق أن يسأل «ماذا بعد؟»

التالي هو نوع من الإنتاج الحاد. إنها أغنية كتبها تشيان لونغ Chien Lung،
لإدخالها في مسرحية بعنوان «التقاط الذهب»، ويغنيها شحاذ كان سعيد الحظ
عندما تعثر بقطعة كبيرة من التبر:-

قبعة من اللباد ليس لها حد ملتصقة برأسي،
لا معطف - عوضاً عنه بطانية مرقعة برقع كثيرة؛
في يدي عصا من الخيزران؛
وصندل من القنب في رجلي؛
وأنا أمشي مترهلاً على الطريق،
«أشفقوا على شحاذ مسكين،» أنادي على المارين،
متأملاً أن أحظى بكسرة طعام وتفيل من النبيذ.
ثم عندما تسقط ظلال الليل المعتمة.
يا سعادتي، يا سعادتي، أضحك
وأسكر حتى أنام ياويني مقام قديم.
سوداء، سوداء الغيوم، تحاصرنا من كل جانب،
خيط رقيق من لعاب الشمس يتفرق طائراً في كل اتجاه.

أواه! أليس هو يشب الذي يغطي فجأة الأفريز؟
أه، تبدو لي الشوارع مرصوفة بالبلاط الفضي،
أه، في أي ملابس مجيد قد تم ترتيب الطبيعة،
مظهرة قسماات خيالية على الوجه الحسن!
لكن ابق! فالليل يقترب بسرعة؛
لا شيء يبقى ليقود طريق العودة إلى البيت؛
انظر كيف أن الثلج الناعم يضع ثقله على جريد شجر النخيل!

أهذا رأسي وأصفق بيدي، ها! ها!
أصفق بيدي وأهز رأسي، ها! ها!
هناك في الانجراف توجد كتلة نصفها قد غرق؛
إن حظ الشحاذ قد أتى بالورقة الراححة أخيراً!
أواه الذهب - لأنكم أيها الأقارب الأعزاء ستفترقون،
أيها الأصدقاء انسوا ساعة الصداقة التي مرت،
الزوج والزوجة مزقوا قلوب بعضكم بعضاً،
الأب والابن اقطعوا العلاقات الحميمة في الحياة؛
أما لك، أيها السارق الخسيس كل شريعة وقانون يتم تحديها.

إن ما يحبه ناس هذا العالم أكثر هو الذهب؛
الشياطين في أعماق بقعة من الجحيم يحبون الزبالة؛
حيثما يوجد الذهب هناك الآلهة تجري في أعقابها.
الآن هل علي ألا أنتج بعد الآن الأفاعي؛
أقف وأشحذ حيث لا تلتقي الطرق أبداً؛
أو اجعلني أرتجف لأنام في الكوخ الذي عمل على عجل
وشديد الرطوبة وبارد؛
أو أستند إلى باب الغني أو الفقير.

ابتعدي عني يا طاستي الصفراء، ويا زيري الطيني!
انظر، هكذا أمزق جراي وأرمي بعيداً قنينتي التي تشبه حبة القرع!

طاقية وحزام رسمي سوف ألبس،
وهذا الساق الذي تقلص في الحذاء العالي الذي عليه
نعل مبيض؛
في الحفلات والأعياد كم سأكون فرحاً،
وسأنضم إلى أصدقائي في الحانة أو في المقهى على فنجان شاي؛
تبختر، تبختر، تبختر، بهذا الجو والبركة.
وفي بعض الأحيان سيحملني جواد ناعم يقول «يا صاحب
السعادة» لي؛
أو سوف أركب محفة كما يحلو لي،
أحد الخدم سيحمل عليه الطواقي ويبقى قريباً خلف الكرسي،
بينما آخر سيحمل شنطي على كتفيه.»

الفصل الثالث الأدب الكلاسيكي والمتعدد – الشعر

في مقدمة علماء السلالة الحالية يأتي اسم **كو تشانغ Ku Chang** (1612-1681). بقي مخلصاً لآل مينغ بعد سقوطهم فغير اسمه إلى **كو ون فو Ku Wen Fu**، ولمدة طويلة تجول في البلد وهو متخفٍ. رفض أن يعمل تحت إمرة المانتشو، واعتاش على الزراعة. كان طالباً متبحراً، وقد سجل له أنه في تجولاته كان يحمل معه دائماً عدة أحمال من الكتب تحملها الأحصنة، لاستشارتها عندما تخونه الذاكرة. إن كتاباته الكلاسيكيات، والتاريخ وعلم طبقات الأرض، والشعر لا تزال تقدر حتى اليوم. للأجانب إن أفضل ما عرف فيه هو أنه كان مؤلف **جيه تشيه** **لو Jih Chih Lu**، الذي يتضمن ملاحظاته بالأساس حول الكلاسيكيات والتاريخ، التي جمعها في قراءاته التي امتدت أكثر من ثلاثين عاماً. وكتب كذلك عدة أعمال في موضوع الأصوات والقافية القديمة.

عندما كان **تشو يونغ شون Chu Yung Shun** طفلاً كان طري العود، وكذلك أجبرته أمه أن يمارس الفن الطاوي من أجل إطالة أمد الحياة بلا نهاية، الذي لم يكن يعنى سوى أنه كان نظاماً للتنفس الطبيعي مع استنشاق عميق. وقد كان أصيل بلدة في مقاطعة **كيانغ سو Ki-ang Su** والتي عندما نهبها التتار المنتصرون هلك والده عوضاً من أن يخضع للسلالة الجديدة، وتبعاً لوفاة والده فقد رفض باستمرار أن يحتل منصباً عاماً، مكرساً حياته للدراسة والتعليم. وكان مشهوراً لتأليفه التعليقات على التعليم الكبير ونظرة الوسط وغيرها من أعمال؛ لكن كل هذه الأعمال لم تكن مشهورة شهرة مبادئ العائلة، كتاب قصير الذي نسب بسبب اسم المؤلف غالباً إلى المعلق العظيم **تشو هسي Chu Hsi**. إن حدة هذه المبادئ تختفي بالترجمة

بسبب أنها تنشغل أكثر بالشكل الأدبي منه في الموضوع. التالي هو عيّنتان:-

«انس الأعمال الجليلة التي قمت بها؛ تذكر اللطف الذي حصلت عليه.»

«التفت إلى عملك، اتبع قدرك، عش وفقاً للعصر، واترك الباقي للرب. الذي يستطيع أن يفعل ذلك هو قريب حقاً.»

وكانت أفضل مقولاته التالي:-

«أن تعرف ما يجب أن تعرفه وأن تعمل ما يجب فعله، يكفي ذلك. لا يوجد وقت لأي شيء آخر.»

ثلاثة أيام قبل وفاته جاهد حتى يصل إلى قاعة الأسلاف وهناك أمام الواح العائلة نادي أرواح أجداده ليشهدوا بأنه لم يجرح أي واحد منهم لا قولاً ولا عملاً.

لان تينغ يوان Lan Ting Yuan (1680-1733) الذي اشتهر باسمه لان لو تشو Lan Lu Chou كرس نفسه كشاب إلى الشعر والأدب، والاقتصاد السياسي. ورافق أخاه إلى تايوان (فورموزا) كسكرتير عسكري، وروايته عن الحملة جذبت انتباه العامة، أوصى به للإمبراطور، فعين حاكماً لـ بو لين Pu lin وامتاز بإدارته العادلة وغير الفاسدة كما بمقدرته الأدبية. لكنه استطاع أن يربي الأعداء بين الضباط السامين، وخلال ثلاث سنوات كان قد طرد من عمله بسبب عدم الطاعة وزج به في السجن. ثم وضعت لاحقاً قضيته أمام الإمبراطور الذي لم يطلق سراحه فحسب وإنما عينه حاكماً لكانتون Canton، مانحاً إياه في الوقت نفسه بعضاً من دواء ثمين، وصورة منسوخة عن الشعر وثوباً أسوداً، وبعضاً من عود البخور، والمراكات المبتغاة من العطف الإمبراطوري. لكن كل ذلك ذهب سدى. فقد مات من قلب كسير بعد شهر من استلام منصبه. إن جميع أعماله نشرت في عشرين مجلداً صغير من الحجم الثماني، وأشهر هذه الأعمال قاطبة هو رسالته حول التدريب اللائق للنساء التي تملأ مجلدين من المجلدات المذكورة أعلاه. وهذه مقسمة تحت أربعة عناوين أي، الفضيلة، الخطابة، المظهر الشخصي والواجبات، وتعليم ممتد بالمعنى التثقيفي لم يحسب له حساب في المدى المنظور للكاتب. فصول الكتاب قصيرة،

وكثير منها يتم تقديمه ببضعة أمثال أو حكم قديمة، مشكلةً مشجباً ملائماً يجري عليه تعليق الدروس الأخلاقية وعمل مقتطفات وافرة من العمل المسمى الليدي بان Lady Pan من سلالة هان.

قد تكون عدة سطور من مقدمته لافتة للنظر:-

«الحكم السديد في الإمبراطورية يعتمد على الأخلاق؛ وصحة الأخلاق تعتمد على الترتيب الصحيح للعائلة، والترتيب الصحيح للعائلة يعتمد على الزوجة.... إن كانت الستارة التي تفرق الرجل عن المرأة شفافة جداً بحيث أنها لا تفرق بينهما، فإن سوء الحظ سيحط على هذه العائلة وعلى الدولة. إن تطهير الأخلاق، منذ وقت الخليقة وحتى الآن، أتى من المرأة. ليس كل النساء متشابهات؛ بعضهن جيد والبعض الآخر سيء. وحتى جلبهن سوياً إلى اتساق سليم فليس هناك أفضل من التربية. في الأيام القديمة، جرى تربية الأولاد والفتيات... لكن الكتب التي كانت تستعمل لم تعد موجودة أبداً، ونحن لا نعرف تفاصيل النظام. ... إن تربية المرأة ليست كتربية زوجها والتي يمكن أن يقال عنها أنها ستستمر في الحياة كلها. لأنه هو بإمكانه أن يتناول كتاباً من الكلاسيكيات أو كتاب تاريخ أو أن يعرف نفسه بأعمال كتابٍ متعددين؛ بينما تربية المرأة لا تدوم أكثر من عشر سنوات، وبعد ذلك تتحمل المسؤوليات العديدة في البيت. وبالتالي هي لا تستطيع أن تبحث ملياً، وتكون النتيجة أن تعليمها غير كافٍ وغير شامل ليتمكنها من فهم المبادئ. إنها كما يقال، تبدو محمولة على طوفان، دون أمل في العودة، ومن الصعب عليها الاستعارة من أي كمية كانت من التربية التي حصلت عليها. وبالتأكيد إن العمل على تربية النساء هو أمر مرغوب فيه جداً.»

التالي يشرح كيف يتم تصوير مرحلة من الفضيلة النسائية من خلال الأطروفة:-

قتل رجل في شجار، تم إلقاء القبض على شقيقين بتهمة القتل وجلبا إلى المحكمة. كل واحد منهما أقسم أنه شخصياً كان القاتل وإن الأخير كان بريئاً. وهكذا لم يستطع القاضي أن يحكم في القضية ورفعها إلى الأمير. طلب الأمير منه أن يستدعي أمهما ويسألها من منهما عمل الفعلة. «عاقب الأصغر،» أجابت والدموع تنهمر

من عينيها. «الناس عادة يحبون الأصغر،» لاحظ القاضي، كيف تودين مني أن أعاقبه؟ «هو ابني» أجابت المرأة؛ الأكبر هو ابن زوجة زوجي الأولى. عندما توفي زوجي رجاني أن أهتم بالصبي. ووعدته أنني سأفعل. أما الآن إذا تركت الكبير يعاقب بينما أدع الصغير يهرب، فإنني بذلك أشبع مشاعري الخاصة وأظلم الميت. لا يوجد أمامي خيار.» وبكت حتى صارت ثيابها منقوعة بالدموع. في هذه الأثناء أعلم القاضي الأمير، واندعش الأخير من كرم أخلاقها فسامح كلا المتهمين.

اثنان من المجلدات العشرين كرسن لأبرز القضايا الجنائية التي حكم فيها هو خلال عمله القصير كقاضي. مقتطف من المقدمة (1729) لأعماله الكاملة، كتبها معجب متحمس ستعطي فكرة عن التقدير الذي حفظت فيها هذه:-

«إن المقدررة القضائية لسيدي، هي مقدررة ذات منزلة عالية على نحو لافت للنظر، كما لو كان معطف باو هسياو سو⁹² Pao Hsiao Su نزل عليه. في القضايا الصعبة جداً يقوم بالتحري بنزاهة وبهدوء، مظهراً أنه يمتلك نوعاً من الطريقة غير النمطية لتسخين الحقيقة؛ حتى أن أكثر المحامين دهاءً وأكثر الأوغاد تجربة، الذين منطقتهم لا يوقعهم في شرك ولا يخيفهم أي أم، وإذا ما ظهرها أمامه، يجدون أنفسهم قد تخلى عنهم مكرهم السابق، فيعترفون طواعية دون انتظار تطبيق التعذيب. وأنا بالفعل كنت أتعجب دائماً كيف يتم طلب الصرف في كثير من التحقيقات القضائية. وحتى تحت تأثير الآلات الخشبية الثلاثة.» أي البراهين ستكون موجودة لا يمكن انتزاعه؟- حتى لا نقول شيئاً عن المخاطر الناجمة عن أي خطأ والأم الذي لا يمكن السكوت عنه والذي تم اعترافه ضد الروح المغادرة إلى العالم السفلي. أما الآن، فمعلمي في تحقيقه وتقرير القضايا، كان متخوفاً فقط لئلا يحصل شعبه على استماع كامل وعادل؛ فقام بالتالي بمناقشة كل نقطة معهم بهدوء ولطف إلى أن تم التزامهم كلية بموقف معين، دون أي إمكانية منهم للتراجع، وبعد ذلك يقرر في القضية وفقاً لمزاياها كما هو منصوص. وبهذه الآلية لم يترك لأولئك الذين خدعوا سبباً للشكوى، وأولئك الذين أدينوا بالموت، ماتوا دون استياء من حكمهم؛ الناس

92 كان قاضياً يتشبه بعدله، سليمان الملك في سلالة سونغ.

لم يستطيعوا خداعه وحتى أنهم لم يجرأوا على عمل المحاولة. وهكذا استجاب هو إلى مذهب كونفوشيوسي يقول باحترام المشاعر الشعبية.⁹³ وإذا كان جميع موظفي القضاء يحكمون على كل القضايا بالطريقة المشابهة الحذرة وغير المنحازة، فلن يكون هناك مدّع واحد مجروحاً تحت قبة السماء.»

التالي هو عينة عن قضية تتعلق بالتأثيرات الشيطانية للمبادئ الخرافية:-

«إن الشعب في مقاطعة تشاو يانغ **Chao Youg** هم شعب عظيم فيما يتعلق بالغيلان ويحبون التحدث عن الأرواح وبوذا. الطبقة العليا ونساؤهم يكرسون أنفسهم لـ **تا تيان Ta Tien**، لكن نساء الأحياء بشكل عام يأتون جماعات إلى المعابد ليحرقوا البخور ويعلنوا عن حبهم لبوذا. مشكلين حياً لا ينقطع على الطريق. ومن هنا، يتم نشر وتوزيع الترهات عن الأشباح والخوارق، وهكذا أخذت طائفة **هو تيان Ho Tien** تزدهر. أنا لا أعرف شيئاً عن أصل هذه الطائفة. وكانت هذه الطائفة قد بدأت لدى شعب **تشاو يونغ Chao Yung** من قبل رجلين، اسماهما **ين Yen** و**تشو Chou** وبالتالي قالوا أنهما أمرا من قبل أحد الخالدين وكان له لحية بيضاء، والذين عندما حصلت محاولة لإلقاء القبض عليهما من قبل سلف لهما كان لا يزال يعمل، واختفيا مع عائلتيهما وبقيا متوارين، عن الأنظار. تدريجياً عادا كلاهما وأطلقا على نفسيهما **الزنبقة البيضاء** أو **شجرة الحور البيضاء**. أعتقد أن **الزنبقة البيضاء** هي التسمية الحقيقية، والتغيير في الاسم كان ببساطة للخدع. إن «التهتم» كانت زوجة **ين Yen**، وكانت تتظاهر أن بمقدورها استدعاء، الريح وتنزيل المطر وحبس الغيلان وتطهير الأرواح وكان يساعدها في عملها حبيبيها، شخص يسمى **هو Hu** الذي كان يطلق على نفسه **الخالد على قمة قلم الرصاص**.

وكان يساعد في كتابة التعاويذ، وتدفق الماء، ومعالجة المرضى، والصلاة للورثة، وكان باستطاعته تمكين الأرامل من إجراء محادثة مع زيجانهن المتوفين. المقاطعة كلها خدعت بهؤلاء الناس، وكانوا يتبعونهم بجنون، وكان أناس يسافرون إليهم من

93 بالاستماع للمحاكمة فأنا مثل أي جسم آخر. ما هو ضروري هو أن لا تجعل الشعب يتقاضى.» (لج).

بعيد ليتعبدوا معهم بصفتهم أدلاء روحانيين، وبتقديمت كثيرة من المال واللحم والنبيد ويسجلون أنفسهم كتلاميذ متواضعين لهم، حتى يقول أحدهم أن اليوم هو السوق التجاري في الحي. سمعت عن أعمالهم يوماً ما وأنا عائد من مدينة الولاية. وكانوا قد ثبتوا أنفسهم في بناية واسعة تقع إلى الشمال من المقاطعة؛ وفتحوا قاعة ليعظوا فيها، وجمعوا عدة آلاف من الأشخاص وكانوا طوال اليومين السابقين قد وضعوا أنفسهم تحت تصرف عدد من الممثلين ليغنون ويمثلوا على مآذبهم. فأرسلت دركين لإلقاء القبض عليهم، لكن الدرकिन تخوفوا من تكبد استياء الأرواح، ولأنه كان مقبوضاً عليهم من قبل جنود المناطق الشيطانية، وبينما كثير من الحماية كان يعطى للعائلات المتعددة في الثروة والمكانة، مما مكن الأطراف المذنبه في منع اعتقال أي واحد من أعدادهم. ولذلك ذهبت أنا بنفسي إلى مؤسساتهم قرعت الباب وقبضت على الآلهة التي وضعتها تحت تحقيق كامل بالنسبة لأماكن تواجد شركائها؛ لكن داخل المكان كان، كما هو عليه، خليط من الممرات المحيرة تماماً، تتفرع في كل اتجاه، عندما التقطت مصباحاً وسرت في الطريق حتى وإن تعثرت باي واحد منهم، فقد فروا بلحظة قبل أن أتمكن من رؤية إلى أين فروا. كان عشاً حقيقياً من الشر السري، وواحد شعرت أنه يجب أن يتم تفتيشه حتى الزاوية الأخيرة منه. وبالتالي من سرير الإلهة في غرفة مظلمة ونائية جررت حوالي عشر أو اثنا عشر رجلاً، بينما من غرفة نوم الخالد جلبت معي ختماً خشبياً وممتلكات العمل لسيدة القمر، وكذلك نسخة من شعائرهم السحرية، وكمية من المنومات، والباروكات، والثياب، والحلي والتي كنت أجهل استعمالاتها، إضافة إلى ذلك فقد جاهدت جهاداً عظيماً لتأمين شخص الخالد نفسه، وعندما رأى أصدقاؤه ومؤيدوه الأغنياء أن اللعبة انتهت سلموه للعدالة. في التحقيق معه عزى نفسه بطريقة لا مثيل لها، وهكذا كانت في الحقيقة الوسائل الرئيسة التي اعتمد عليها، إلى جانب المعلومات والثياب الجميلة، ليخدع أعين وآذان الجمهور. أما الساذجون سريعو التصديق، الذكور والإناث منهم، عندما سمعوا لأول مرة باسم سيدة القمر بدا عليهم نوع من الرعب؛ ولكن تدريجياً، عندما رأوا أن الإلهة هي بالتأكيد امرأة، بدأوا يستعيدون شجاعتهم، أما الخالد نفسه، بشعره المنتوش ووجهه المطلي

بالبودرة وتنورته تخفق جيئةً وذهاباً، كان يحوم حول الالهة ويتصرف بغرور كما الجميلة الخارقة، ولطالما أقنع المشاهدين أنه هو سيده القمر وأزاحهم عن عقب جنسه الحقيقي، ثم ينفضون الآن إلى واحدة من أبعد الشقق، ليبدأوا صلاة ميثراي بوذا⁹⁴ يرافقها تلاوة سوترا، وبعدها يتم إشعال بخور من المنومات، والضحايا يوضعون في نوم عميق. هذا المنوم أو مشوش الروح، كما يسمى خارج هذا الإطار، يجعل الناس يشعرون أنهم تعبون وناعسون هم يسترجعون عن طريق تعويذة وشربة ماء بارد، إن الورثة الموعودين، واللقاءات مع الأزواج الذين توفوا من المفروض أنهم كلهم يفيقون خلال فترة الغيوبة وهي خداع فضائي الذي من أجله ستعلق رؤوس أولئك الأشرار في الشوارع، وهي بالكاد عقوبة كافية لهم. لكن بعد أن فكرت أن الأمر سيكون ذا مظلمة شديدة للناس، إن وجدوا أنفسهم متورطين بقضية بعد حصاد سيء، وأنه من بين عدد كبير من الذين انتسبوا للجمعية سنجد عائلات قديمة ومحترمة، قررت خطة بموجبه ستضع حداً لعلاقتهم دون أي إشاعة مغرصة. أنا حرقت جميع الوثائق التي كتبت فيها الأسماء ولم آخذ أي خطوات غيرها ضد الأشخاص المذكورين. أصدرت أوامري للإلهة وحيبها أن يتحملا الكأس الطافح من الكلمات أي مائة كلمة وإن يتم معاقبتهم بالكانجو⁹⁵ الشديد، وبوضعهم على بوابة مقر الحاكم أجعل الناس يشتمونهم ويسبونهم ويمزقوا لحمهم ويكسروا رؤوسهم حتى تخرج أرواحهم إلى جنتهم الموعودة. الزوج وحوالي عشرة آخرين من العصابة وضعوا في الكانجو، وضربوا بالخيزران، وعوقبوا بالطريقة نفسها؛ أما بالنسبة للآخرين، سمح لهم أن ينجوا بهذه الفرصة لآخر مرة ويقلبوا صفحة جديدة. أنا صادرت العمارة، ودمرت مخابئها الفاضحة، وغيرت المنظر العام كله للمكان وحوالته إلى مؤسسة أدبية وأوقفته على خمسة ابطال مشهورين في الأدب، ونظفتها وطهرتها من كل وصمة. وفي الأول والخامس عشر من كل شهر، عندما لا أكون مشغولاً أنغمس مع علماء المقاطعة في أنشطة ترفيهية

94 الذي سيحل مكان بوذا، بعد خمسة آلاف عام على وفاته / المترجم.

95 إحدى أدوات التعذيب حيث يتم وضع الرقبة واليدين في فتحات في لوح خشبي

ويغلق عليهم / المترجم.

أدبية. وبالْحَقِيقَة، أسست نادياً أدبياً، واستأجرت قطعة أرض للفلاحة وأوقفت عائداتها على المظاهرات السنوية لكونفوشيوس ولدفع أجره البروفسور المنتظم. وهكذا، النظرية الحقّة كان لها سبب لتزدهر، وهذه الأعمال الخارقة لتختفي من الساحة. إن صوت الجماهير عاد وارتفع وأخلاقية المكان تحسنت كثيراً.

عندما سمع الفريق واللواء ما تم عمله، فقد أثنيا على عملي قائلين، «لو لم يتم هزيمة هذه الطائفة فستكون النتائج الشيطانية رهيبية؛ ولو أنكم راسلتم بالقضية في الطريقة العادية، وطلبتهم إعدام هؤلاء المجرمين لكانت كفاءتكم عظيمة؛ أما الآن ودون النظر بأنانية إلى مصالحكم الخاصة لقد أظهرتم أنكم لا تريدون اصطيد ضحايا أكثر من اللازم أو أن تظهروا هذه الأعمال بطريقة قد تؤدي إلى انتحار الأشخاص المتورطين. مثل هذا الاهتمام بشهرة هؤلاء الناس يستحق كل ثناء.»

وبالرغم من أن الأهمية الوطنية نفسها لم ترتق بعد إلى مستوى هذه الأيام، فإنه من غير الممكن أن لا يلاحظ المسألة الأجنبية رجل متيقظ بمقدرة لان تينغ يوان **Lan Ting Yuan**. وقد ازدهر في وقت كان فيه انتشار الديانة الكاثوليكية الرومانية⁹⁶ يوفر أسساً ثابتة للقلق لدى رجال الدولة الصينيين عميقي التفكير. وبالتالي نجد بين أعماله الكاملة ملاحظتين قصيرتين متخصصتين لاعتبار التجارة والتبادل العام مع أمم متعددة من البرابرة. أنهما موضع اهتمام لأنهما رأيان من الآراء الحرة لأعظم عالم صيني على قيد الحياة حتى تاريخه عندما تمت كتابتها، أي في 1732. التالي هو إحدى هذه الملاحظات:-

«أن يتم السماح للبرابرة أن يقيموا في كانتون كان خطأ. منذ أن سلمنا ماكاو **Macao** في عهد تشيا تشينغ **Chia Ching** (1522-1567) من سلالة مينغ **Ming**، إلى البرابرة ذوي الشعر الأحمر، كل أنواع الأمم استمرت، دون توقف، أن تتجمع هناك. أنهم يبنون القلاع والتحصينات ومستوطنات كثيفة من البيوت. أن ذريتهم سوف تلقي بظلالها على الأرض، وجميع البلدان الواقعة خلف هسيانغ **Hsiang Shan** ستتحول إلى مملكة الشياطين. «ذوو الشعر الأحمر» هو

96 المعروفة في فلسطين باسم كنيسة اللاتين / المترجم.

المصطلح العام للبرابرة القادمين من الجزر الغربية. من بينهم يوجد الهولنديون، الفرنسيون، والأسبان والبرتغاليون، والانكليز وأو سو لا Yu Su La (الإسلام؟)، وكل هذه الأمم عنيفة بشكل شرس. أينما يذهبون يتجسسون على من حولهم بهدف الاستيلاء على أراضي الشعوب الأخرى. هناك سنغافورة التي كانت في الأصل بلد مالايي. ذهب البرابرة ذوو الشعر الأحمر إليها للتجارة، وتدرجياً استولوا عليها وحولوها إلى سوق تجاري كبير لهم. وكذلك مع الفلبين التي تم استعمارها من قبل المالايين؛ ولأن الدين الكاثوليكي كان يمارس هناك قام الأجانب الغربيون بضمها بطريقة مشابهة لهم. الدين الكاثوليكي ينتشر الآن في الصين. في هوبه Hupeh، هونان Hunan، هونان Honan، كيانغسي Kiangsi، فوكيان Fuh Kien وكوانغ سي Kuangsi ولا توجد أماكن لم يصلوها بعد. في أول سنة من حكم الإمبراطور يونغ تشنغ Yung Cheng (1736) اشتكى نائب الملك في فوكيان Fuh Kien، مان باو Man Pao من أن الأجانب الغربيين كانوا يبشرون بدينهم ويعبثون بالناس وهو ما يشكل انتقاصاً كبيراً من المحليات المعنية. والتمس أن يتم تحويل الكنائس الكاثوليكية في المقاطعات المتعددة إلى قاعات للمحاضرات أو مدارس، ويمكن إرسال جميع الأجانب الغربيين إلى ماكاو Macao للانتظار حتى تأتي فرصة لترحيلهم إلى بلدانهم. لكن نائب الملك في كوانغ تونغ Kuang Tung، انطلاقاً من لطفه الخاطئ، وجه للعرش مذكرة رسمية أن من البرابرة ناس كهول ومرضى وليسوا على استعداد أن يرحلوا، قد يسمح لهم البقاء في المؤسسة الكاثوليكية في كانتون، على شرط أن لا يأخذوا بالتبشير لنشر دينهم أو يرتلوا من كتبهم المقدسة، وبالعكس ذلك يتم معاقبتهم فوراً وإبعادهم. المشروع كان مشروعاً ممتازاً ولكن ماذا كانت نتائجه؟ حالياً هناك أكثر من عشرة آلاف إنسان قد انضموا إلى الكنيسة الكاثوليكية في كانتون، وكذلك توجد دائرة للنساء حيث جمّعوا بالطريقة نفسها حوالي 2000 امرأة. هذه إهانة عظيمة للصين وتضر تراثنا الوطني بجدية كبيرة، وتكفي لتجعل كل إنسان عنده مشاعر يصر على أسنانه بالغضب. القضية لا تسمح البتة «بالدراسة قبل العقاب».

«الآن، هؤلاء التجار يقطعون المسافات الشاسعة بهدف جمع المال. ما هي إذا

فكرتهم من دفع مبالغ كبيرة حتى يجذبوا الناس إلى ديانتهم؟ والآلاف المؤلفة ينضمون إليهم ولا يكونون راضين حتى يشترتوا المقاطعة كلها. هل هناك إمكانية أن يتم إغلاق العينين وإيقاف الأذنين عن السمع، متظاهرين أنه لا يعلم شيئاً حول الموضوع ولا يقوم بأي تحريات البتة؟ هناك قول مأثور لدى الشعب-خذ الأمور في أوقاتها. إن جدولاً صغيراً، أن لم يوقف، قد يصيح نهراً عظيماً.» إذاً كم من الحيلة والحذر تصبح ضرورية، عندما يكون هناك طوفان عام، وتكون قلوب الناس قلقة ومضطربة؟ في كانتون إن عدد المتحولين إلى الكاثوليكية عال جداً؛ وأولئك الذين في ماكاو Macao موجودون في قلاع حصينة. هناك تبادل مستمر للسلاح بين الاثنين، وأن برزت أي مشكلة مثل تلك في الفلبين وسنغافورة فلا أستطيع التكهن كيف سنجابهاها. في اللحظة الحالية، وفي نسق من الفضيلة الإمبراطورية للجالس على العرش، الذي قد تغلغلت قوته وجلاله إلى أقصى المناطق بعداً، فإن هذا المخطط الأخرق للبرابرة، يجب على أي حال من الأحوال، أن لا يتم احتمالها. وسيكون جيداً للرجال الحكماء أن يكونوا جاهزين ضد اليوم الذي قد يصبح فيه من الضروري لنا أن نتقاعد قبلهم، منظمين البلد ونحن ذاهبون.»

المقتطف التالي من رسالة إلى صديق كتبها لان تينغ يوان Lan Ting Yuan في 1724، وتثبت أن اعتراضه على المسيحية لا يعني أنه يحتمل مثقال ذرة من البوذية:-

«من بين المقاطعات الثمانية عشرة، تشكل تشيه كيانغ Cheh Kiang المكان الوحيد الذي يوجد فيه الرهبان والراهبات البوذيات بكثرة. في الولايات الثلاثة، هانغ تشو Hang Chow. وتشيا هسينغ Chia Hsing وهو تشو Hu Chou، هناك يوجد عدة آلاف مؤلفة منهم قد أقسم طواعية منهم عدد لا يزيد عن العشر، الآخرون تم إعطاؤهم للرهبان وهم أطفال إما بسبب أن آباءهم كانوا فقراء جداً لا يستطيعون إطعامهم، و مقابل عمل ما من اللطافة، وعندما كبر الأطفال لم يستطيعوا أن يتحرروا. أما الراهبات البوذيات تم الاعتناء بهن، في أغلب الحالات، عندما كن طفلات كطريقة لعمل عرض واسع للديانة، وهن يمنعن من الهروب بكل عناية. لا يعطون للزواج - وهي رغبة تزرع بطريقة ما في كل صدر إنسان

وموجودة حتى لدى الأنبياء والحكماء. وهكذا يتم الحكم على آلاف وعشرات الآلاف من الناس ليبقوا في الرتبة المضجرة للمعبد، مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم يمارسن بصراحة قسمهن الديني، وهذا أكثر من كاف للتدخل بجدية في توازن الكون. وبالتالي تحدث الفيضانات، والمجاعات والكوارث، حتى لا نقول شيئاً عن أثم الراهبات المعنيات.

.

«عندما مررت بـ سو تشو **Soo Chow** وهانغ تشو **Hang Chow** رأيت عدة إعلانات مشينة قطعت أنفاسي لانحرافها الواضح؛ وقد أعلمني الناس هناك أن هذه الأعمال الوحشية كان يقوم بها المقيمون في المعابد وهو مصطلح ينطبق ببساطة على اسم آخر للبيت سيء السمعة. إن الناس الذين يتواجدون في المعابد يقومون بأفعال كثيرة شريرة بين السكان، يبددون جوهر البعض من جهة ويختلسون من الآخرين سمعتهم الطيبة من جهة ثانية.

ابتدأت مينغ تشي كانغ مو **Ming Chi Kang Mu** أو تاريخ سلالة مينغ، في 1689 عندما كلفت لجنة من ثمانية وخمسين عالماً، ووضعت أمام الامبراطور فقط في 1742 من قبل تشانغ تينغ أو **Chang Ting Yu** (1670-1756) وزير دولة وأكثر كاتب مثقف، ومحرر مشارك في كتاب الشعائر، وشعائر سلالة تشو **Chow** والكلاسيكيات الثلاثة عشرة، وتواريخ الأربعة والعشرين، وقاموس المعاني المترادفة للأسلوب اللغوي المميز، وموسوعة الاقتباسات، والأدب المتطابق، وغيرها. إلا أن هذا العمل لم يلق الموافقة الإمبراطورية وحل مكانه تونغ تشيان كانغ مو سان بيان **Tung Chien Kang Mu San Pien**، الذي نشر لأول مرة في 1775. من بين المشاركين الأساسيين في تشانغ تينغ أو **Chang Ting Yu** يجب أن نذكر أو ار تاي **O-ERH Tai** المونغولي (توفي في 1745)، وتشو شيه **Chu Shih** (1736-1666)، وكلاهما كان مشاركاً وافر الإنتاج في الأدب الكلاسيكي.

ولحق بهؤلاء تشن هونغ مو **Chen Hung Mou** (1695-1771)، الذي إلى جانب كونه مؤلف أوراق الدولة الممتازة، كان معلقاً على الكلاسيكيات، ويعالج

فقط الكتب الأربعة، وكاتباً في مواضيع متعددة، وإدارياً ناجحاً بجد. ارتقى إلى المناصب العالية وقد عرف عنه أن الخرائط كانت دائماً تتدلى من غرفته المملأى بخرائط المقاطعات التي كان يخدم فيها حتى يصبح على معرفة كاملة بجغرافيتها. ولكنه طرد من منصبه الهام كنائب للملك لمقاطعتين تحملان الاسم نفسه والذي يبدأ باسم **Kuang** كوانغ لعدم مقدرته المزعومة في التعامل مع طاعون الجراد.

يوان ماي Yuan Mei (1715-1797) هو دون شك أكثر كاتب له شعبية في الزمن الحديث. في سن التاسعة المبكر ألهم بحب عميق للشعر ما فتىء أن برع في هذا الفن. وبعد تخرجه في 1739 تم إرساله بعد ذلك بفترة وجيزة إلى **كيانغ نان Kiang nan**، ثم أصبح قاضياً في **نانكينغ NanKing**، حيث برز بحيوية وعدالة إدارته. وقد أقعده مرض خطير عن العمل لبعض الوقت؛ وعندما أخذ بالتعافي تم إرساله إلى (مقاطعة) **شان سي Shan Si** فدخل في خلاف مع نائب الملك هناك. وفي عمر الأربعين المبكر تقاعد من الساحة الرسمية وقاد حياة اتسمت بالسهولة المثقفة في حديقته الجميلة في **نان كينغ Nan King**. إن رسائله التي نشرت تحت عنوان **هسيانغ تشان فانغ تشيه تو Hsiao Tsang Shan Fang Chih Tu** جداً ظريفة ومسلية، وفي الوقت نفسه تشكل نموذجاً في الأسلوب. وعدد كبير من الرسائل هي تافهة وخشنة، ما يكفي لتصنيفها مع بعض من أدب القرن الثامن عشر في هذا الجزء من الكرة الأرضية؛ إن ملح الجميع يفقد طعمه في الترجمة. التالي هي عينات:-
«لقد استلمت رسالتكم التي تهنتوني فيها على ازدهاري الحالي، وأنني ممتن لك للغرض نفسه.

«إلا أنكم في نهاية الرسالة تذكرون أن عندكم لي كيس من التبغ سيتم إرساله حالما أوجه لكم مقطعاً شعرياً. بالتأكيد هذا يذكر الواحد فينا بالأيام الشريفة **لتشو Chou** و**تشنغ Cheng** عندما أخذت كل دولة التعهدات من الأخرى. وهذا بالتأكيد مخالف لتعاليم الحكماء، أي أن على الأصدقاء أن يكونوا أول من يعطي. لماذا إذاً تهمل ذلك التعليم لصالح عادة من عصر الانحطاط؟

«إن كنت تصر أنه من أجل كيس من التبغ يجب أن تحصل على مقطع من

الشعر، فمن أجل قبعة أو زوج حذاء عالٍ فإنك ستطلب على الأقل قصيدة؛ بينما أخوك قد يرسل لي عباءة أو معطفاً ويتوقع أن يحصل على ملحمة كاملة بالمقابل! وبهذه الطريقة لا يساوي الازدهار الذي هنأتني به شيئاً.

«شون أو تان Shun Yu Tan القديم ضحى بسلطانية من الأرز وبطائر من أجل مائة عربة مملوءة بالحنطة؛ لقد عرض القليل ليأخذ الكثير. أو لم تسمع كيف أن ألف قطعة حرير أعطيت من أجل كلمة واحدة؟ وبتنين جميلتين من أجل مقطع شعري؟- مقارنة بكيس التبغ الذي سيبدو بالفعل قليلاً. قد يكون هذا ناجم عن كونك رجلاً عسكرياً معتاداً على تدريب الجنود، فأنت تكافئهم بمدالية فضية عندما يصيبون الهدف، ولذلك اعتبرت في النهاية أنها المعاملة الصحيحة لصديق قديم.

ألم يمنعنا منسيوس من افتراض أي شيء طارئ؟ وإن كان الأصدقاء لا يستطيعون الافتراض على القيمة أو الموقع فكم بالحري على كيس من التبغ؟ فكيس التبغ، مهما كان جميلاً إلا أنه لا يعدو أن يكون تطريزاً يدوياً لخدمة، بينما أبياتي الشعرية، مهما كانت باطلة هي نتاج ملكتي الفكرية. ولذلك يكون تبادل عمل أصابع الخادمة مع عملي الذهني هو بمثابة مدح عظيم ولكنه قليل بالنسبة لي. ليس كذلك إذا أنت رميت الرمح والسيف، ومسكت الإبرة والحرير، وحولتني إلى كيس من التبغ من أعمالك. وعندها لو طلبت مني حتى عشر مقطوعات شعرية لكنت مددتها لك طواعية. لكن الجنرال العظيم يعرف قوته كما يعرف قوة أعدائه. ومن غير المناسب لي استمالتك من عمل الرجالة إلى عمل النساء، وأن أضع على رأسك طاوية ملفوفة بشريط كيف إذن تتجرأ على معاملتي كتساو تساو Tsao Tsao (في معاملته للمحظيات على سرير الموت)، بإعطائي كيساً من التبغ غير ذي بال؟

«وبما أنه لا يوجد شيء أعمله، فقد سلبت نفسي، على حسابك، بعدد قليل من أبيات الشعر. إن أخذته بسوء نية فبالطبع لن أحصل أبداً على الكيس. لكن إن تستطيع أن تسوي طرقك الشيطانية، إذاً أسرع بكيس التبغ وثق بحظك بشأن الأبيات الشعرية.»

أرسل صديق إلى **Yuan Mei** **ماي** رسالة مع هدية لا تشبه الصينيين في شيء، من السلطعون والبطة. بطتين وسلطعون واحد كانوا سيكونون أكثر تقليدية، وحتى سلطعونين اثنين وبطة واحدة. وبخطاً أو غيره وصل السلطعون لوحده. وبالتالي أرسلت الدعاية التالية كجواب:-

«إن ثقل الإنسان إلى السلطعون هو أمر مسل للغاية للإنسان، لكن لتقل سلطعوناً لإنسان هو أمر مسل لكل العائلة. وأنا أعرف أن أبنائي الاثنين في هذه الليلة سوف يثيان ساعديهما مثل مخالبا السلطعون (أي على شكل التحية الصينية)، متمنين لك كل النجاح في الحياة.

«في قافية الشعر لا تستخرج نسخ (أي لا يكون الصوت نفسه مكرراً)، ولا تستخدم جملتين حيث تكفي جملة (في الإنشاء). وحقيقة أن البطة لم تظهر بعد تعني أنك تعرف جيداً كيف «تفعل الأمر بالتدرج». ولا داعي لذكر أنك تتسبب في أن يمد الطائر الضخم ذو الرقبة الطويلة رقبتة في انتظار شيء آخر.

«أنت تذكر كيف أن الشاعر **شن Shen** هزم منافسه بسبب بيت واحد من الشعر:-

«لا تتأوه بسبب القمر الآفل

إن المصباح الجوهرة سوف يلحق به قريباً.»

إذن، إن سلطعونك يشبه القمر الآفل، بينما البطة تذكرني بالمصباح الجوهرة؛ ونحن نستخلص من ذلك أنك ستتمتع بالحظ الجيد مثل **شن Shen**.

«مرة أخرى، يضطر السلطعون، حتى في وجود ملك المحيط، أن يسافر بشكل مائل؛ وبالعلامة نفسها فأنا أثق أنكم وبالتدرج، بشهرتكم ستسافرون بشكل مائل كل الكرة الأرضية المسكونة.

شعر **Yuan Mei** **ماي** يعجب الناس كثيراً ويقراً على نطاق واسع. هو واحد من قلة من الشعراء، القلة القليلة منهم، الذين ازدهروا تحت حكم المانتشو.

فيما يلي بعض الأبيات الساخرة التي كتبها:-

«لو تفكرت مطلقاً أن الامر يبدو غريباً

كيف أن جميع الناس يبجلون رباً ما،

وكيف يقضون حياتهم سدى لمصلحته

ويحنون رؤوسهم حتى يتألموا.

من الواضح لي أن الآلهة تصنع

من المادة نفسها كالريح والظلال. ...

أواه، لو أنهم يأتون لكل من ينادي عليهم،

لكنت أعلاهم صيحاء!»

قد يكون محزناً في بعض المرات، كما أظهر ذلك في رثاء ابنته الصغيرة ذات الأعوام الخمسة، أن يستذكر جهودها الطفولية مع فرشاة الدهان، مخبراً كيف أنها قصت ثياباً من الورق، أو جلست وراقبت والدها وهو يقوم بالتأليف. وكان كذلك، مثله مثل جميع الشعراء الصينيين يتحمس في حب الطبيعة، وشتاء تزهر فيه شجرة البرقوق، أو هبة ريح شديدة تنثر أوراق الشجر المميته، سوف يطلقون كل خيوطه الشعرية ويجعلونها مثيرة مرة أخرى. إن الأمر قد يبدو أنه هبوط مفاجئ لو أضفنا أن صاحب المقالات الرائعة هذا، وكاتب الرسائل وقارظ أبيات الشعر المنتهية ربما يدين بالجزء الأساس في شهرته إلى كتاب طبخ، إلا أن الأمر هو كذلك. **يوان ماي Yuan Mei** كان **بريلات سافارين الصين**⁹⁷ وفي فن الطبخ فالصين تقف إلى جانب فرنسا. إن كتابه في الطبخ عمل قصير ثرثار وهو مكتوب بطريقة لا يستطيع أحد غير هذا العالم أن يكتبها فيه، بأسلوب يستثمر فيه الموضوع فوراً، بكرامة واهتمام.

«كل شيء» يقول **يوان ماي Yuan Mei**، في فصله الافتتاحي، «له تكوينه الأصلي

97 هو الفرنسي جان انثلم بريلات- سافارين (1755-1826) كان محامياً وسياسياً وذواقه للطعام / المترجم.

الخاص به، تماماً مثل إنسان له مزايا طبيعية محددة. إن كانت المقدرات الطبيعية لهذا الإنسان ذات مستوى واطئ، فإن كونفوشيوس ومينسيوس بنفسيهما لا ينفعان لتلقيه أي شيء. وإذا كانت سلعة طعام هي نفسها قد فسدت فحتى أي - يا Ya - I (توم سوير الصين) لا يستطيع أن يطبخها بطعمها.

«إن الجومبون هو جومبون؛ من ناحية إتقان الصناعة فإن اثنين من الجومبون سيفترقان بشكل شاسع مثل السماء والبحر. إن سمك الاسقمري هو سمك اسقمري، لكن من ناحية الاتقان فإن اثنين من سمك الاسقمري سيكونان مختلفين مثل الثلج والفحم الذي يوقد كالجمر. وأشياء أخرى بطريقة مشابهة. حتى يمكن تقسيم رصيد العشاء الجيد بين الطباخ والمضيف - بنسبة أربعين بالمائة للمضيف وستين بالمائة للطباخ.

«الطبخ مثل الزواج، فأى شيئين يقدمان سوية يجب أن يتوافقا. الصافي يجب أن يذهب مع الصافي، والكثيف مع الكثيف، والقاسي مع القاسي والناعم مع الناعم. وقد عرفت أناساً يخلطون الكركند المقشور مع عش العصافير والنعنع بالدجاج أو اللحم أو لحم الخنزير.

«إن طباخي اليوم لا يعتقدون بخلط لحمة الدجاج، والبط، والخنزير والأوز في الشوربة. إلا أن الدجاج والبط والخنزير والإوز لها دون شك أرواح. وهذه الأرواح ستقدم بالتأكيد شكوى في العالم الآخر على الطريقة التي عوملوا بها في هذا العالم. إن الطباخ الجيد سيستخدم الكثير من الصحون المختلفة، كل سلعة من الطعام عليها أن تظهر سماتها البارزة بينما كل صحن معمول سيتم تمييزه بطعم طاعٍ واحد. ثم يجيب حنك الذواقة دون كلل، وزهور الروح ستزهر.

«قدم السمك المملح أولاً، وبعد ذلك الطعام ذو الطعم السلبي. ودع الطعام الثقيل يسبق الخفيف. واسمح للصحون الناشفة أن تسبق تلك التي مع صلصة اللحم «الغريفي». لا تدع أي نوع من مركبات النكهة يتغلب على الآخر. إن كان الضيوف يشبعون من أكل الطعام الشهي فإن معدتهم ستتعب. الأطعمة ذات النكهة المالحة يجري تخفيفها بإضافة طعام مر أو طعام سيجعل المعدة كسولة. وستحتاج إلى طعام حامض حلو لإعادة إثارتها وتنشيطها.

«في الشتاء علينا أن نأكل لحم البقر والخروف. في الصيف علينا أن نأكل الوجبات الناشفة والمحفوظة. بالنسبة للتوابل، فإن الخردل يخدم على وجه الخصوص بالصيف والفلفل في الشتاء.

«لا تقطع أغصان الخيزران (وهي المعادل الصيني للهلين) بسكين عليها رائحة البصل. ... الطاهي الجيد غالباً ما يمسح سكينته، وغالباً ما يستبدل قطعة القماش الماصة، وغالباً ما يكشط اللوحة الخاصة به، ويغسل يديه باستمرار إن كان الدخان أو الرماد من غليونه، وقطرات من العرق من رأسه، أو حشرات من الحائط، أو تفحم من طنجرة يختلط بالطعام، مع أنه قد يكون من أعظم الطهارة، وهل سيتمنع الناس عن التدخل أو يتوقفون عنه.

لا تجعل صلتك الكثيفة دسمة ولا تلك الخفيفة دون طعم. من يريد الدسم يمكنه أن يأكل من لحم الخنزير، بينما تكون شربة الماء أفضل من شيء ليس له طعم البتة... لا تكثر من تمليح شوربتك؛ لأن المالح يمكن أن يضاف إلى الطعم ولكن لا يمكن أبداً إزاحته.

«لا تأكل بأذنك»، وأعني بها لا تضع نصب عينيك أن يكون عندك طعام استثنائي وغير مألوف، فقط لتدهش ضيوفك؛ فهذا يعني أن تأكل بأذنك، وليس بفمك فجينة فول الصويا إن كانت جيدة، ستكون بالفعل أطيب من عش العصفور وأفضل من بزاقات البحر التي ليست من المرتبة الأولى، لكنها صحن لأغصان الخيزران.

«إن الدجاج والخنزير والسمك والبط تشكل الأبطال الأربعة على الطاولة، إن بزاقات البحر وعش العصفور ليس لها مذاق مميز. إنهم فقط مغتصبوا البيوت. حدث مرة أن تناولت طعام العشاء عند صديق الذي قدم لنا عش العصافير في سلطانيات أقرب ما تكون إلى الأحواض، تحمل كل منها حوالي أربعة أونسات من السلعة المسلوقة تلك. الضيوف الآخرون حيوا بقوة، لكنني ابتسمت وقلت «أنا أتيت إلى هنا لأكل عش العصافير وليس لأطلب طليبة منه بالجملة.

«لا تأكل بعينيك؛ واعني بذلك أن لا تغطي الطاولة بصحون عدة ولا تضاعف الوجبات بلا حصر لها. فهذا يعني أن تأكل بعينيك وليس بفمك.

كما أن الخطاط لا يجب أن يتعب يده ولا الشاعر فمه، فالطاهي الجيد لا يستطيع أن ينتج في يوم واحد أكثر من أربعة إلى خمسة صحون مميزة. كنت أتناول العشاء مع تاجر صديق كان يطلب ليس أقل من ثلاث إزالات (وهي وجبة من ثمانية أطباق يتم تقديمها بشكل منفصل)، وستة عشر نوعاً من الحلويات، حتى إذا ما انهينا أكلنا نكون قد أكلنا حوالي أربعين صنفاً. وكان مضيفي يتفاخر بكل ذلك، ولكن عندما كنت أصل إلى المنزل كنت متعوداً أن آخذ سلطانية عصيدة أرز. كنت أشعر أنني جائع كثيراً.

«وحتى تعرف الصحيح من الخطأ على الإنسان أن يكون يقظاً. فقط الرجل اليقظ يمكنه أن يفرق المذاق الجيد من السيء. وقيل أن الكلمات غير كافية لتصف الفروقات الدقيقة في الطعام. فكم بالحري كيف ستعجب سكيراً يتثتى!

«لقد رأيت أنصار أصابع المخمنين يبلعون الطعام المختار كما وأنه مثل نشارة الخشب، ففعلهم مشغولة بلعبتهم. الآن أقول كلُّ أولاً ثم بعد ذلك اشرب الماء. بهذه الطريقة ستكون النتائج أقوى من كل اتجاه.»

يوان ماي Yuan Mei يحتج على العادة المرهقة لإجبار الضيوف على الأكل، وعلى العادة الأكثر غباءً في تكديس قطع منتقاة ووضعها على الصحون الصغيرة التي تستعمل كصحون كبيرة، أو حتى وضعها في فم الضيف كما لو أنه طفل أو عروس، وكأنهم يستحون جداً من خدمة أنفسهم بأنفسهم.

كان هناك رجل في **تشانغ أن Chang An** كما يخبرنا هو، يحب جداً أن يقيم مادب العشاء، لكن الطعام كان مقرفاً. في أحد الأيام قام ضيف بالسقوط على ركبته أمام هذا السيد وقال له، «ألست أنا صديقك؟»

«حقاً إنك كذلك»، أجاب مضيفه:

«لذلك علي أن أطلب منك مزية»، قال الضيف، «ويجب أن تمنحني إياها قبل أن

أنهض من الركوع.» «حسناً، ما هي؟» استفسر مضيفه باستغراب.

«إن لا تدعوني البتة بعد اليوم إلى العشاء!» صاح الضيف، وهنا انفجر الجمع كله بالضحك.

لا يجب السماح لعدم الاكتراث أن يتسلل إلى أي جزء من حياتك؛ وليس إلى أقل من نطاق الطبخ. الطهارة هم أناس منحطون؛ وإذا ما مرّ يوم دون مكافأتهم أو إنزال عقاب بهم، فإن ذلك اليوم سيظهر من خلال الإهمال أو عدم الاكتراث من جانبهم. وإذا ما تم بلع الطعام غير المطبوخ بشكل جيد بهدوء فإن هذا الإهمال ما يفتأ أن يصبح عادة. يضاف إلى ذلك فإن المكافئات والعقوبات العادية لا تنفع. إن كانت أكلة جيدة فيجب التنبيه على لماذا وإلى أين. إذا كانت سيئة يجب القيام بجهد لاكتشاف أين كان الخطأ.

«إنني لست بشارب للنبيد، ولكن هذا يجعلني أكثر خاصة. فالنبيد مثل المنحة: إنها تنضج مع العمر؛ وأفضله يأتي من زير فتح حديثاً. وكما يقول المثل رأس زير النبيد وقعر إبريق الشاي.

نشر تشن هاو تسو **Chen Hao Tsu** في 1783 الذي كان يعيش إلى جانب البحيرة الغربية في هانغ تشو **Hang Chow**، وأطلق على نفسه اسم ناسك الزهور، عملاً قصيراً فيه من القيل والقال الكثير عن البستنة وهوايات البلد تحت عنوان «مرآة الزهور». إنه نوع من القراءة غالباً ما تجده في أيدي القراء الصينيين. وقد كتب المقدمة بنفسه ب:-

«منذ صباي وطالماً لم أهتم بشيء سوى بالكتب وبالزهور. لقد مر علي ثمانية وعشرون ألف يوم وصرفت الجزء الأكبر منها بالنظر بإمعان فيها على السجلات القديمة، والباقي صرفته في الاستمتاع شخصياً في حديقتي بين النباتات والطيور.»

يتميز الصينيون بالبستنة والحب المتقد للزهور وهو حب موجود لدى كل الطبقات وسمة من السمات الوطنية. لكن الصيني له وجهة نظر خاصة بها. إن الباقة الصغيرة الدارحة أو الباقة المتعلقة بالأغنياء لا تجذبه قطعياً.

أنه يستطيع أن يرى زهرة واحدة على حدة كل مرة. إن أفضل مزهرياته هي تلك التي تحمل زهرة واحدة منسقة للتزيين والمزهريات الأكبر، لها في العادة أغشية، ثقب حتى يتم عزل كل عينة على حدة. فزهرة الريح عند حافة النهر بالنسبة له تصبح قصيدة كاملة. وإذا ما حكم عليه بحياة مستقرة، فهو يحب أن تكون زهرة إلى جانبه على الطاولة. أن يستجلب من أوراقها السرور وحتى الإلهام. وهو يأخذ زهرة معه إذا ما خرج للتمشي ويتوقف مراراً وتكراراً ليتحدث عن جمالية نموها. وهكذا مع الطيور. إنه أمر عادي أن تلتقي، في أمسية لطيفة، بصيني يحمل قفص العصافير الخاص به متديلاً من نهايته عصاً قصيرة. وسيتوقف على إحدى الزوايا البهيجة خارج البلدة، ويستمتع بطرب إلى سقسقة الطيور. لكن لنعود إلى المقدمة. ويتابع مؤلفنا قائلاً أنه في وسادته المعمولة من الخيزران المجوف يحتفظ دائماً بشيء من العمل في موضوعه المحبب له.

«الناس يسخرون مني ويقولون أنني مخبول بالزهور ومجنون كتب؛ لكن بالتأكيد إن الدراسة هي الوظيفة الصحيحة لرجل مثقف، أما بالنسبة للبهستنة فهذه ببساطة راحة لعقلي واسترخاء في سنواتي الآفلة. ماذا يقول **تاو تشيان Tao Chien**؟»

«أنا لا أحب الغنى والمناصب

وليس لي أمل في السماء فوقنا...»

يضاف إلى ذلك فأنا أكرس نفسي فقط في ساعات الراحة لتنمية الزهور.

ثم أن **تشن هاو تسو Chen Hao Tsu** يعدد الفصول الأربعة مظهراً أن كل واحدة منها لها سحرها، مضيئة إلى نتاج تلك الملذات الصافية التي تشكل أفضل ترياق لأمراض كبر السن. ثم ينطلق ليتعامل مع الأزمنة والفصول، مظهراً ماذا تعمل في كل شهر، تماماً مثلما تفعل كتب الحدائق الخاصة بنا. بعدها تأتي فصول قصيرة عن كل شجرة رئيسية، شجيرة ونبات من الصين، مع تلميحات كيف تعاملها تحت ظروف مختلفة، ويختتم الجميع بجزء منفصل مخصص للطيور والحيوانات والأسماك والحشرات. ومن ضمن هذه تجد الكركي والطاووس، والبيغاء والسمنة،

والبوم السلوي، والميناه **Mainah**، والسنونو، والغزال، والأرنب، والقرد، والكلب والقطة والسنجاب، والسمك الذهبي - ذكر لأول مرة من قبل **سو شيه Su Shih**.

«على الجسر طوال النهار

أقف هناك أراقب لعب السمك الذهبي» -

النحل، الفراشات والباحب (سراج الليل)، الخ... إجمالاً هناك الكثير لتتعلمه من وايت أصيل سلبورن الصيني،⁹⁸ والقارئ يضع الكتاب جانباً وهو يشعر أن الكاتب لم يجنح كثيراً عندما قال، «إن كان المنزل ليس له حديقة وشجرة قديمة، لا أرى من أين ستأتيه مباحج الحياة اليومية.»

قيل أن **تشاو أي Chao I** (1814-1727) كان يعرف عدة آلاف من الأحرف الصينية عندما كان ابن ثلاث سنوات فقط، - وهو العمر الذي كان فيه جون ستيوارت ميل يعتقد أنه بدء تعلم اللغة اليونانية. ولم يحصل على شهادته النهائية إلا في 1761 وقد ظهر الثاني في اللائحة. بالواقع كان هو الأول لكن الامبراطور وضع **وانغ تشيه Wang Chieh** في ذلك المكان حتى يشجع أهل **شن سي Shensi** التي كان منها الأخير. أن يكون **وانغ تشيه Wang Chieh** موضع ذكرى يعود بالأساس إلى تلك الحادثة المذكورة أعلاه، وليس إلى مجلدين من المقالات تركهما خلفه. كتب **تشاو أي Chao I** تاريخ حروب السلالة الحالية، ومجموعة من الملاحظات على مواضيع مغامرة تهم الأيام التي كان فيها، وانتقادات تاريخية وغيرها من الأعمال. وكان أيضاً شاعراً ساهم في مجلد ضخم من الشعر أخذنا منه العينة التالية عن فنه:-

الإنسان بالفعل مخلوق سماوي،
بالرغم من أنه يبدو ترابياً من التراب؛

98 هو الإنجليزي جيلبرت وايت عالم للطبيعية وعالم طيور عاش من 1720 إلى 1793. أشهر أعماله التاريخ الطبيعي لآثار سيلبورن. *Natural History of Antiquities of Selborn*. المترجم.

السماء ليست إلا بساط الرحمة الكثيف
من الهواء الشفاف الذي يغطي الجميع.
كما هذا الهواء كذلك السماء؛
لماذا تطلق على هذا وضيعاً وذاك عالياً؟
«إن قطرة الندى تتألق في الفنجان -
لاحظ كيف أن الزهور التواقّة تنمو؛
قيدها واحبسها في غرفة،
فهي تذبل وتجد هلاكها السريع.
إنها عند أقدامنا ذاتها
الأرض والسماء تلتقيان.

«الطفل عند الولادة يشير باتجاه السماء أيضاً،
محاط بالأزرق الأبدي؛
كالسمك في الماء ينتظر،
كذلك السماء من كل صوب تحيط؛
إلا أن الناس يستمرون بالخطيئة لأنهم يقولون
الرب العظيم في السماء بعيد جداً.

كان «التوقف القصير» ذو حظوة كبيرة عنده. يمكن أن يتم قياس مستواه من خلال العينة التالية، التي كتبها وهو على وشك الانطلاق إلى موقع بعيد في الشمال:-

«انظر أين، مثل لطخات الربيع تتجمع في السماء،
في طريقها الشمالي الطويل تطير الإوزات البرية؛
وسويا سوف نطفو على النهر. ...
أواه، هي تتجه إلى الأمام وأنا أنتجه بعيداً عن البيت!»

وفيما يلي شعر آخر لكن بنبرة فكاهية:-
المطر كان يهطل معظم النهار،
وأنا كنت أجهد وأعمل....
ما هي المشكلة، أيها الطاهي؟ ألا يوجد عندك دخن في المخزن؟
حسناً، كتبت كتاباً سيشتري لنا بعضاً منه.

إذا ما أخذناهم مع بعض، فإن الشعر في السلالة الحالية، وخاصة تلك التي جاءت في القرن التاسع عشر، يجب أن نكتب عنها أنها ليست أكثر من أبيات شعرية مصطنعة، وهي من ناحية فنية حتى لا تخبئ نفسها، لكنها تعرض امتيازها بشكل فظ إلى أكثر المراقبين غباوة. نشرت مجموعة من المقتطفات من حوالي ألفي شاعر ممثل في 1857، إلا أن ذلك شكل قراءة بليدة، واي أفكار، فيما عدا العادية منها جداً، قليلة ومتباعدة، وكما في كل المجموعات المشابهة، خصص مكان للشاعرات، وربما تكون فانغ واي أي Fang Wei I مثلاً مناسباً. إنها تنحدر من أسرة جيدة وكانت تزوجت حديثاً من موظف شاب واعد عندما توفي الأخير، وتركها أرملة حزينة ومن دون أولاد. وأتاها النور في الظلمة، ودون اكتراث لنداءات أبيها وأمها، قررت أن تصبح راهبة وتكرس ما بقي لها من حياة لخدمة بوذا. هذه هي أبياتها الوداعية:-

«الحديث لدى العامة كيف أن الفراق يحزن الحياة:
فليس لنا فراق بعد الموت.
لكن دع ذلك يمر؛ فأنا لم أعد زوجة،
وسأواجه القضايا المصيرية إلى آخر نفس عندي.

«الريح الشمالي يصفر عبر بستان التوت،
ويسبب لي كل نهار وكل ليلة الأنين؛
أنظر إلى السماء المتغيرة فوقنا،

لا ثراثاً صغيراً يبتسم على ركبتي.
«إن أحلى ما تعطيه الحياة هو أن تموت...»
إن والديّ اللذان يبكيان لا يزالان يكرهان الاستسلام
ومع ذلك في الشرق وفي الغرب لا تزال الفراخ دون خبرة للطيران

والراعي في الخريف يتجول في الحقول.
«ماذا ستجلب لي الحياة حتى أبقى؟
ماذا سيغلب لي الموت حتى أبقى؟
هذه الأفكار تجيش فيّ في وضوح النهار،
وتجعلني أعي بأنني أخيراً أعرف.»

أحد أعظم علماء السلالة الحالية كان **يوان يوان Yuan Yuan** (1764-1849).
حصل على الشهادة الثالثة في 1789، وفي الامتحانات النهائية صعد الامبراطور
الذي شاخ، **تشيان لونغ Chein Lung** من موهبته فقال باندهاش، «من كان
سيفكر أنني بعد أن أقضي السنة الثمانين من عمري سأجد رجلاً مثل هذا الرجل؟»
وقد استلم عدة مناصب عليا بالتتابع بما فيها منصب حاكم **تشه كيانغ Che**
Kiang الذي عمل فيه بقوة ضد قراصنة ولاية **أنام Annam**، واستطاع **تساي**
تشيان Tsai Chien، أن يقيم نظام العشر والكليات، والمدارس، ومطابخ الشوربة،
هذا إلى جانب تكريس نفسه للحفاظ على الآثار القديمة. وبصفته نائباً للملك
في المقاطعتين التي فيها كلمة **كوانغ Kuang⁹⁹**، وغالباً ما تصادم مع المصالح
البريطانية، وقام بأقصى جهده لابقاء يده محكمة على التجار البرابرة. وقد كان
كاتباً غزيراً في الكلاسيكيات، وعلم الفلك والآثار الخ. ونشر عدة مجموعات
مهمة متعددة تحت رعايته. ومن بين هذه يمكن أن نذكر **هوانغ تشينغ تشينغ**
تشيه Huang Ching Ching Chieh، ويتضمن أكثر من 180 عملاً مستقلاً
وتشو جن تشوان Chou Jen Chuan، قاموس للسيرة الذاتية لأشهر الرياضيين
في علم الرياضيات لكل العصور بما في ذلك اقليدوس، ونيوتن، وريتشي، الأب

99 وهي كوانغ تشو Kuang Chow وكوانغ تونغ Kuang Tung / المترجم.

اليسوعي. ونشر كذلك علم تضاريس الأرض في كوانغ تونغ **Kuang Tung** وكيانغ سي **Kiang si** ومجموعة كبيرة تضمن النقوش على الأجراس وعلى المزهريات، وكذلك حرر كشاف - كتلوج المكتبة الإمبراطورية، والموسوعة الضخمة المعروفة باسم **تاي بينغ أو لان Tai Ping Yu Lan** وغيرها من الأعمال المهمة. عملان دينيان لهما علاقة بطاوية هذه الأيام الحديثة، واللذان أصبح لهما منذ مدة طويلة شعبية عبر الصين، يمكن أن نذكرهما هنا، لا يمكن الحصول عليهما في الدكاكين ولكن يمكن الحصول عليهما في المعابد، حيث توضع أعداد كبيرة منها من قبل المحسنين لأهداف التوزيع مجاناً. الأول هو **كان ينغ بيان Kang Ying Pien**، أو كتاب **المكافئات والعقوبات**، المنسوب من قبل المجنون إلى شخص **لاو تسو Lao Tsu**. أن التاريخ الحقيقي له غير معروف؛ والكتاب المعتدلون يضعونه بين أعمال سلالة **سونغ Sung Dynasty**، لكن حتى ذلك يبدو مبكراً كثيراً. ومع أنه اسماً له أصل **طاوي Taoist**، فإن هذا العمل يجري عادة تنقيحه بطريقة بوذية معروفة، والحقيقة أن الطاوية والبوذية أصبحت اليوم مخلوطين جداً لدرجة أنه من الصعب أن ترسم خطأً حدياً للحد بين الاثنين. يقول **تشو هسي Chu Hsi**، «إن البوذية سرقت أفضل السمات من الطاوية، والطاوية سرقت أسوأ سمات البوذية؛ إنه يبدو وكان الواحد منهما سرق جوهرة من الآخر، وأن الخاسر استرجع خسارته بحجر.» في التقديم لكتاب **كان ينغ بيان Kang Ying Pien** ستجدون أن هناك طريقة بوذية لتنظيف الفم والجسد قبل البدء بقراءة النص، ويناشد **مايترايا بودا Maitreya Buddha** و**أفالوكيتاسفارا Avalokitesvara**. وينصح النساء المتزوجات والبنات بأن لا يترددن على المعابد فيصبحن فرجة للرجال. «إن كان ولا بد أن تتعبد لبوذا فتعبد إذلاً لكلا البوذيين اللذين على قيد الحياة عندكم في البيت، الوالدين؛ وإن كان ولا بد أن تحرق بخور، فأحرقه على مذبح العائلة.» ويتم إعلامنا أيضاً أنه لا يوجد وقت لا يجب أن يقرأ فيه؛ ولا مكان لا يجب أن يقرأ فيه؛ ولا أي إنسان لا يمكن أن يقرأه بريح. وتتم نصيحتنا لدراسته عند الصيام، وليس بالضرورة أن نصيح به عالياً حتى يسمعنا الرجال وإنما أن نفكر فيه في قلوبنا. النص يحتوي على تهديد يقال أنه تم لفظه من قبل **لاو تسو Lao Tsu** نفسه، وموجه لكل فاعلي الشر من

جميع الأنواع. في الفقرات الافتتاحية يتم الانتباه إلى كائنات روحية متعددة الذين يسجلون الأعمال الصالحة وجرائم الناس، فيطولون أو يقصرون من حياتهم وفقاً لذلك. ثم يلحق بها لائحة طويلة من الأعمال الشريرة التي لا مناص إلا أن تجلب لهم العقوبة في أذيالها. وتتضمن هذه مخالفات عادية معترف بها من الرموز الأخلاقية في كل أنحاء العالم، كل شكل من أشكال الظلم والقمع، الكذب والسرقة سويًا مع أخرى كثيرة، لها شخصية ذات خطيئة بسيطة لترى العقل الغربي. من بين الأخيرة تعشيش الطيور، والدعس من فوق الطعام أو الكائنات البشرية، الطبخ بحطب قذر، والبصق على النجوم الساقطة أو التأشير على قوس قزح أو حتى على الشمس والقمر والنجوم. في كل هذه الحالات، سيتم اقتطاع فترات من حياة المذنب، وإذا استنفذ حياته بينما هناك لا يزال يوجد ذنب غير مسدد فالعقوبة سوف تنقل إلى حساب ذريته.

العمل الثاني من بين العاملين تحت الدراسة هو **أو لي تشاو تشوان Yu Li Chao Chuan**، هو وصف للمحاكم العشرة في المطهر في العالم الآخر، الذي من خلاله، يصبح الجميع أو البعض، من الأرواح المخطئة عليه المرور قبل السماح له أن يولد من جديد في هذا العالم، في شكل مختلف، أو أن يبقى باستمرار منقلاً إلى السعادة الأبدية المحجوزة للبررة فقط.

في **المحكمة الخامسة** على سبيل المثال، فإن الخطاة ينقلون على عجل من قبل شياطين لهم رأس ثور ووجه حصان إلى مصطبة شهيرة حيث يكون عقابهم الجسدي قد تفاقم بالقاء نظرة على منازلهم القديمة:-

«هذه المصطبة تكون ملوية من الأمام مثل القوس، إنها تطل شرقاً وغرباً وجنوباً. إنها تبلغ واحداً وثمانين لي من جانب إلى آخر، إن الجانب الخلفي يشبه الوتر على القوس؛ إن حائطاً فيه سيوف حادة يحيط به. إنه يبلغ بالارتفاع 490 قدماً، جوانبه هي نصلات سكاكين، وكلهم في ثلاثة وستين طابقاً. لا ظل جيد يأتي إلى المصطبة ولا أولئك الذين عندهم التوازن الدقيق بين الصالح والطالح. إن الأرواح الشريرة فقط التي ترى بيوتها قريبة وتستطيع أن ترى وتسمع ما يدور. إنهم يسمعون الشيوخ والشبان يتحدثون مع بعضهم البعض، ويرون أن رغباتهم أهملت وتعليماتهم

عُصيت. ويبدو أن كل شيء تغير. الأملاك التي جمعوها بكثير من العناء قد تبددت وذهبت. الزوج يفكر بالزواج من زوجة ثانية، والأرملة تتأمل بزفاف ثانٍ، عزاب يمتلكون المزرعة القديمة؛ لا يوجد شيء لتقسيمه بين الأطفال. الديون التي دفعت منذ زمن جلبت مرة أخرى لتسويتها، والناجون يدعون للاعتراف بالادعاءات على أولئك الذين غادروا. والديون التي لك فقدت لأنها بحاجة إلى شهود، مع اتهامات مضادة لا تنتهي، الاساءات والفوضى العامة، التي كلها تقع على رؤوس عائلات الموتى الثلاثة. وهم في غضبهم يسيئون بالكلام عن ذلك الذي توفي. وقد رأى أولاده وقد فسدوا وأصدقائه يتعدون عنه. البعض منهم، ربما، فقط من أجل الأيام الخوالي قد يحسون التابوت ويدعون دمعة تسقط، ويغادرون بسرعة وعلى وجههم ابتسامة صفراء. وأساء من ذلك الزوجة ترى زوجها يعذب في مقر الحاكم؛ والزوج يرى زوجته ضحيته لمرض خبيث، الأراضي ذهبت، والبيوت دمرها الفيضان أو النار، وكل شيء في فوضى عارمة - مكافأة الخطايا السابقة.

المحكمة السادسة هي جهنم شاسعة وصاخبة، كثير من العناصر في المدى، وحولها يوجد ستة عشر جناحاً.

«في الأول، تجبر الأرواح على الركوع لفترة طويلة تحت الضرب. في الثاني يتم وضعهم حتى الرقبة في الأوساخ. في الثالث، يتم ضربهم حتى يجري الدم خارجاً؛ في الرابع يتم فتح أفواههم بكماشة حديدية ويعبأ بالإبر. في الخامس، يتم عضهم من قبل الجرادين. في السادس، يغلق عليهم في شبكة من الشوك ويقرضون من الجراد. في السابع يطحنون حتى يصبحوا هلاماً. في الثامن يتم تمزيق جلدهم ويضربون على اللحم الخام. في التاسع، يتم ملأ أفواههم بالنار. في العاشر، يتم لعقهم من السنة النار، في الحادي عشر يتم اخضاعهم لروائح كريهة. في الثاني عشر، يتم نطحهم من الثيران والاحصنة تدوس عليهم، في الثالث عشر، يتم خدش قلوبهم، في الرابع عشر، يتم فرك رؤوسهم حتى تسقط جماجمهم. في الخامس عشر يتم قطعهم إلى نصفين من الوسط. في السادس عشر، يتم أخذ جلدهم ولفه في رقاقت.

«أولئك غير الراضين الذين يشتمون السماء ويلعنون الأرض، الذين يجدون دائماً أخطاء إما في الرياح، الرعد، السخونة والبرودة، الطقس الجيد أو في المطر؛ أولئك

الذين تنسكب دموعهم باتجاه الشمال؛ الذين يسرقون الذهب من الداخل أو يحفون الطلاء بالذهب من الصور في الخارج؛ أولئك الذين يسمون سدى بأسماء مقدسة، الذي لا يظهرون الاحترام للورق المكتوب، الذين يرمون الأوساخ والقمامة قرب الباغودات او المعابد، الذين يستعملون بيوتاً قذرة للطبخ، ومواقد لتحضير لحمة الأضاحي، الذين لا يمتنعون عن أكل لحم البقر ولحم الكلاب؛ أولئك الذين يملكون في حوزتهم كتباً فيها تجديف على الله، أو كتب فاحشة، ولا يدمرونها، الذين يزيلون أو يمزقون الكتب التي تعلم الإنسان أن يكون صالحاً، الذين يحفرون على مواد الاستخدام البيتية العامة رمز أصل جميع الأشياء، الشمس والقمر والنجوم السبعة، الأم الملكية، وإله طول العمر على المواد نفسها، أو أي تمثيل لأي من الخالدين؛ أولئك الذين يطرزون الصليب المعكوف على مطرقات فاخرة أو يضعون الأحرف على الحرير والساتان أو القماش، على الرايات، والأسرة والكراسي والطاولات أو أي نوع من الأغراض البيتية؛ أولئك الذين يلبسون خلسة ثياباً يزينها التنين والعنقاء التي يتم دوسها تحت الأقدام، الذين يشترتون القمح كله ويمسكون به حتى يرتفع إلى ارتفاعات مبالغ فيها - كل هؤلاء سيتم رميهم في جهنم الكبيرة والصاخبة، حيث يتم التحقيق معهم بأعمالهم الشريرة، ويتم بعد ذلك وضعهم في أحد الستة عشر جناحاً، الذين مع انتهاء مدتهم سيرسلون لمزيد من الاستجواب في المحكمة السابعة.»

المحكمة العاشرة تتعامل مع مرحلة التقمص الأخيرة التي تتم قبل إعادة الولادة في العالم، ويبدو أن في العصور البدائية كان الإنسان يستطيع أن يتذكر حيواتهم السابقة على الأرض حتى بعد أن يمروا عبر المطهر، وأن الأشخاص عصاة القلوب غالباً ما استفادوا من هذه المعرفة، وحتى يتم إصلاح ذلك، تم بناء **مصطبة النسيان**، وجميع الأنواع ترسل إلى هناك ويجبرون على شرب كأس النسيان قبل أن يمكنهم الولادة من جديد.

«إن كان هؤلاء يبلعون الكثير أم القليل فلا يهم ذلك؛ لكن في بعض الأحيان هناك شياطين منحرفين الذين يرفضون أن يشربوا ذلك جملة وتفصيلاً. بعد ذلك، تبدأ تحت أقدامهم بالنمو شفرات حادة ويتم إجبارهم على إدخال أنبوب نحاسي في

حنجرتهم والذي من خلاله يعني أنهم مجبرون على شرب بعضه. وعندما يشربون يتم رفعهم من قبل المرافقين الذين يرافقونهم إلى الطريق نفسها. ثم بعد ذلك يدفعون إلى جسر الخيزران المر العائم مع سيول مداراة من الماء الأحمر من كلا الجانبين. وفي منتصف الطريق يلاحظون أنه مكتوب بأحرف صينية كبيرة على تلة حمراء في الجهة المقابلة الأبيات التالية:-

«أن تكون رجلاً هو أمر هين، وإنما لتعمل وفقاً لمسؤولياتك هو أمر صعب؛

لكن أن تعود إنساناً مرة أخرى قد يكون أصعب.

لأولئك الذين سيولدون من جديد في إحدى الدول السعيدة لا توجد صعوبة كبيرة.

إنه ضروري فقط أن تحفظ فمك وقلبك في انسجام.» «وعندما قرأت الظلال هذه الكلمات، حاولت أن تقفز إلى الشاطئ، إلا أنها ضربت وعادت إلى الماء من قبل شيطانين ضخمين. واحد منهما له طاقة رسمية سوداء وثياب مطرزة؛ وفي يده يمسك بقلم رصاص من الورق، وعلى كتفه يحمل سيفاً بتاراً. وتتدلى من وسطه أدوات التعذيب؛ وبشدة يتوهج مخرجاً عينيه الكبيرتين المستديرتين فيضحك ضحكة فظيعة اسمه الحياة القصيرة. أما الثاني فله وجه قدر ملطخ بالدم؛ يلبس معطفاً أبيض، ومعداته في يده وكيس أرز على كتفه. وحول عنقه يتعلق حبل من النقود الورقية؛ وحاجباه يتقلصان بشكل مخيف ويتلفظ بتنهدات طويلة. اسمه لقد حصلوا على مكافأته، ووظيفته هي دفع الظلال إلى الماء الحمراء. إن عصاة القلوب والمجانين يفرحون من إمكانية أن يولدوا مرة أخرى كبشر، لكن الظلال الأفضل سيكون ويحزنون لأنهم في الحياة لم يؤكدوا على تخزين أعمال فضلى، وهكذا انتقلوا إلى مرحلة البشر إلى الأبد. ومع ذلك، كلهم يحثون الخطى للولادة مثل جمهور من المهووسين أو السكارى، ومرة أخرى، في طفولتهم الجديدة يشاققون إلى الطعام الممنوع. ثم بغض النظر عن النتائج يبدأون بتدمير الحياة وبالتالي يضعون جميع الادعاءات لرحمة ورأفة الله. فهم لا يفكرون بالنتيجة التي يجب عليهم إدراكها؛ وفي النهاية، إنهم يجلبون أنفسهم مرة أخرى إلى محنة شنيعة مشابهة.»

الفصل الرابع

أدب الحائظ - الصحافة - الظرافة والفكاهة - الامثال والمبادئ

إن موت **يوان يوان Yuan Yuan** في 1849 يقربنا من الفترة عندما كانت الصين تبحث عن ذاتها لأول مرة وجهاً لوجه مع الأجانب. إن فتح مينائين في 1842 أمام التجارة الحرة نسبياً، تبعها فتح موانئ أكثر وحق الإقامة في بكين من 1860، خلقت نقاط اتصال وأثارت تعقيدات أجنبية لحكام الصين الذين لغاية الآن غير معتادين عليها. إن **هوراس الصيني** قد يشتهي بان حاضنات إنكلترا الجريئة قد أدخلت باحتيال خبيث الصحافة إلى الإمبراطورية، ومن أن شراً أسوأ من الاستهلاك ومن الحمى تبعث ذلك في أعقابها.

منذ الزمن الغابر أصبح أدب الحائظ صفة عن الحياة في المدينة الصينية سابقاً بمدها ونوعيته ذلك من أي أمة أخرى، وفي بعض الأحيان لعب دوراً محفوفاً بكثير من المخاطر للمجتمع بشكل عام. إن أدب الحائظ يغطي كثيراً من الأرضية نفسها مثل أي صحيفة إنكليزية عادية، من عامود «العذاب» نزولاً. لأنها وقد اختلقت مع إعلانات الممتلكات الضائعة التي تتكون في بعض الأحيان من بشر، وإعلانات عن جميع أنواع التجارة، مثل تلك التي يجدها المرء في بيان أو منشور أدبي لأي مدينة، ويمكن أن نجد إعلانات عن أدوية جديدة أو صاعقة لأضرار متعددة أو حبوب لا تخطئ من أجل شفاء المحرومين من مدخني الأفيون، ولوائح طويلة من أسماء المشتركين بأي مهرجان قادم أو إلى ترميم ورع لهيكل محلي، وعظات لا تنتهي موجهة ضد سوء استخدام الورقة المكتوبة، وفي بعض المرات ضد وأد البنات، أو تحذيرات مثل تلك التي يحذر منها **كمينغ Cumming** عن ألفية قادمة، التي سيحصل فيها قساة القلوب على مكافأتهم على جرائمهم، وفقاً للترتيبات البشعة

للمطهر البوذي الطاوي. أحياناً يتم إعطاء شخص بغيض نصيحة عبر إعلان مجهول للامتناع عن نهج يشار إليه بأنه هجومي، وبالطريقة نفسها، لكن أكثر ندرة، يتم انتقاد عمل موظف أو مسؤول بشكل قاس أو مدان. إن الإعلانات الرسمية حول النشاطات العامة بالكاد يمكن تصنيفها كأدب حائط، ربما باستثناء عندما، يكون هذا غير غريب، يكتبون أبيات هزلية بهدف جذب القارئ غير المتعلم بطريقة أكثر مباشرة، إن الإعلان التالي الذي يؤسس مكتب تسجيل للقوارب في تيان تسين Tien Tsin يعطي فكرة عن هذه الوثائق الغريبة، والذي يوازيها في الغرب فقط أبيات من الشعر شهيرة أصدرها مجلس التجارة لاستخدام ربان البحر:-

«الأخضر إلى الأخضر والأحمر إلى الأحمر

آمنة جداً، اذهب،»

إن هدف مكتب التسجيل هذا كان ظاهرياً لإنقاذ البحارة الفقراء من التعامل معهم دون إنصاف عندما يطبعون في خلداهم على أخذ أجرة اسمية للخدمات الحكومية، لكن بالحقيقة لتمكين المسؤولين المسؤولين من معرفة أين بالضبط يمكنهم أن يضعوا أيديهم على القوارب عندما يطلب ذلك منهم:

«إنها بلدة مشغولة تين سين Tein Tsin،

طرق برية ومائية؛

التجار في كثافة الغيم يتهافتون عليها

السواري ترتفع في الغابات في كل مكان

«كرسي المسؤول، طاقة العدا،

تخفق مارة من أمامه مثل المطر أو الثلج المتساقط،

ويفكر في نصيب البحار

حصته المشكوك فيها في السراء والضراء،

«لاحظت الصعلوك الذي يعيش

على عصر ما يكسبه بصعوبة؛

أيها البحارة من أجلكم أنا أعطي
السجل العام لكم.

«أذهبوا فوراً هناك، واكتبوا اسمائكم
وعلى الكتاب أثيروا السجل؛
لا أحد يجزؤ على ادعاء الرشوة السيئة،
أو يهدر وقتكم في تأخير طويل.

«الخدمات التي ينادي بها بلدكم
سيتم تنفيذها من الجميع بالتناوب
إن حشد أسماء البحارة
سيتم نشره على حائط مقر الحاكم.

«وعندما تنهون عملكم الرسمي،
اعملوا لأنفسكم بكل قواكم
اجروا بقواربكم لأي كان؛
وأنا سأعطي ترخيصاً لكل انسان.

«ودع قدرك يصعب حمله
فدفع الأموال الرسمية سيكون بسخاء؛
دع هؤلاء الذين يلحظون أي شيء غير عادل
يعلموني بالقضية فوراً.

«سيردع المذنب
في المستقبل، إذا كان ذنبه واضحاً؛
لأن الأوقات صعبة، كما سمعت،
والطعام والكساء سيصبح نادراً.

«وهكذا راقفة بيليتكم،
إن ميزان العدالة بيدي،

أنا أنقذكم من العدو-المقر الرسمي للحاكم،
فرقة التهديد من جنود المعسكر.

«ولن يتجرأوا بعد اليوم أن يلعبوا
الاعبيهم المخزية، التي اكتشفت حديثاً،
المكتب يطرد
القوارب - وبناء على أوامر تم ختمها بالحق.

«وهكذا سيتم عمل قانون واحد للجميع،
فالأشياء لن تضيع بعد اليوم؛
أيها البحارة، أنا أناديكم
لإظهار امتنانكم على هذا.

«وحتى لا يكون بينكم واحد يدعي الجهل،
فأنا أصدر هذا على أمل إخافة
هؤلاء المجانين الذين يعتقدون أنهم سينجون
بمحاولاتهم تجنب القانون.

«وإذا ما قبضت عليهم، لا ينتظرهم
قدر خفيف في ذلك اليوم غير المحظوظ؛
لذلك من تاريخ هذا الإعلان
دع الجميع ينصاعون بالخوف والرعب.»

بالكاد من الضروري أن أضيف أن أدب الحائط غالباً ما كان يوجه ضد الأجانب،
وبشكل خاص ضد البعثات التبشيرية. لكن العقوبات لتعليق إعلان مجهول هي
عقوبات شديدة القساوة، وخلال السنوات الأخيرة قد تحقق الهدف نفسه بشكل
أكبر فعالية من خلال توزيع منشائر فاحشة، غالباً بصورة ودايماً مقرفة.

برهنت الصحافة أنها ستكون شوكة مؤلمة للجانب الرسمي، لقد تم إدخالها لأول

مرة في الصين تحت رعاية الإنكليزي الذي كان المحرر الأسمي لصحيفة **شن باو Shen Pao** أو أخبار شنغهاي التي لا تزال صحيفة مؤثرة. لمدة طويلة حاربت السلطات من أجل الخلاص من هذه اليومية غير المرغوب بها، التي بين الفينة والأخرى، تحدثت ببضع حقائق محرجة، وتضمنت مقالات كثيرة كتبت بشكل مقتدر من قبل علماء وطنيين من الدرجة الأولى. وأخيراً تم نشر صحيفة رسمية في المعارضة ومنذ ذلك الحين ظهرت صحف غيرها. أسبوعية صينية مصورة قامت ببداية جيدة في شنغهاي ولكن للأسف ما لبثت أن انجرفت وراء الخرافة وعدم التسامح والابتذال.

تم القيام بمحاولات لتزويد الصينيين بترجمات لأعمال أوروبية بارزة، ومن بين أولئك التي أنتجت يمكن ذكر **تقدم الحاج The Pilgrim's Progress** مع صور توضيحية لأن الممثلين المتعددين كانوا في ثياب صينية؛ إن «التربية» لدى السيد هيربرت سبنسر قدمت فيها الجملة الأولى بشكل غير مفهوم؛ «ومغامرات البارون مونشهووزن» وغيرها. في كل حالة منها، ما عدا واحدة، رفضت هذه الجهود من قبل الصينيين بسبب الأسلوب الضعيف. وكان الاستثناء الوحيد ترجمة خرافات **إيسوب Aesop's** التي نشرت في عام 1840 من قبل **روبرت ثوم Robert Thom** كما وضعت باللغة الصينية من قبل عالم وطني مشهور. هذا العمل جذب كثيراً من اهتمام الشعب بشكل عام، لدرجة أن المسؤولين فزعوا وقاموا بجهود شاقة لقمعها. السنوات الأخيرة شهدت إصدار «**فاتيك Vathek**» باللغة الصينية التي قدم مثقف سام فيها النقد التالي:- «إن الأسلوب الذي كتبت فيه هذه ليس سيئاً، لكن الموضوع لا أهمية له.» والحقيقة هي من أجل إشباع ذائقة القارئ الصيني المثقف يكون المطلب الأول هو الأسلوب. كما رأينا في حالة **لياو تشاي Liao Chai**، فالصينيون سيقرواون تقريبا كل شيء إذا ما تم وضعه بإطار صائب. فهم لن ينظروا إلى أي شيء يخرج من مصادر أجنبية تهمل هذه الرغبة العظيمة.

إن الزمن الحالي لم يرَ مولد كاتب أصيل عظيم من أي منحى من مناحي الأدب، ولا إنتاج أي من الأعمال الأصيلة العظيمة جدير بتلطixه بزيت شجرة الأرز كي تبتهج لذلك الأجيال القادمة.

من العادة بعد الموت، وأحياناً خلال حياته، أن يقوم رجل دولة قيادي بنشر مجموعة من مذكراته إلى العرش، مع ربما، عدد من المقالات وبعض القصائد، مثل هذه ستلاقي احتراماً عميقاً **Succes d'eastime** ثم بعد ذلك يتم استخدامها من قبل المجلدين لتسمين الورق المطوي لأي من التحف القديمة. إن المرشحين الناجحين للحصول على الشهادة أو الدرجة النهائية عادة يطبعون المقالات الناجحة، وفي بعض الأحيان القصائد، بالأساس لتوزيعها على الأصدقاء. عدة مفكرات لوزراء خاطبوا البلدان الأجنبية وكتب مشابهة، ظهرت في السنوات الأخيرة، مسجلة اندهاش الكتاب من العادات الاجتماعية غير العادية التي تسيطر بين البرابرة. لكن في هذه الأيام فالصيني الذي يرغب بقراءة كتاب لا يجلس لكي يكتب واحداً منها. فهو مضغوط للغاية من الأبعاد الشاسعة لأدبه الموجود، ومن قبل قلة الأمل في منافسه، وأكثر من ذلك من قلة الأمل على التفوق، على أولئك الخالدين الذي أتوا من قبل.

سيكون واضحاً أنه من غير الإنصاف وصف الشعب الصيني بأنه يحتاج إلى الطرافة لأنه ببساطة يتدغدغ من النكات والتي لا تتحرك من أجلها. وكذلك بعض من قصصنا المسلمية لا يمكن أن تتجح في امتحان تحويلها إلى الصيغ الصينية. التالي هي عينات من الطرافة الكلاسيكية، وهي، كما هي، يمكن تقديمها في أي تقرير عن السيرة الذاتية لأفراد معينين.

تشون أو كون Chun Yu Kun (من القرن الرابع قبل الميلاد)، هو الظريف الذي سبق ذكره، والذي حاول أن يورط مينسيوس في حديثه. في إحدى المناسبات عندما كانت دولة تشو **Chu** على وشك أن تهاجم دولة تشي **Chi** صدرت له الأوامر من أمير تشي **Chi**، الذي كان حموه، بالذهاب إلى دولة تشاو لطلب جيش قد يوافقون على إرساله لمساعدتهم، ولهذا الهدف زوده الأمير بمائة باوند من الفضة وعشر عربات كعطية لحاكم تشاو **Chao**. وهنا ضحك تشون أو **Chun Yu** بشكل مفرط أجبره على حل رباط طاقيته، وعندما سأله الأمير على ما تضحك قال، «عندما أتيت هنا في هذا الصباح، رأيت فلاحاً يضحى بقدم خنزير وكاس واحد من النبيذ، وبعدها أخذ يصلي قائلاً «يا الله دع مصطبتي العليا تملأ السلال

ودع مصطبتى الدنيا تملأ العربات؛ اجعل حقولي تزهو بالغلال وحظائري تتدفق بالحنطة!» فلم أستطع إلا أن أضحك من رجل قدم القليل ويريد الكثير.» فهم الأمير التلميح وحصل على المساعدة التي طلبها.

تاو كو Tao Ku (970-902 ميلادية) كان موظفاً مرموقاً وكان اسمه معروفاً شعبياً فيما يتعلق بسرعة الخاطر التالية. بعد أن طلب خادمة تم شراؤها مؤخراً لتجلب بعضاً من الثلج وتحضر الشاي على شرف عيد الأنوار (الفوانيس) فسألها بطريقة استعراضية، «هل كانت هذه العادة في موطنك السابق؟» فأجابت البنت، «آه، لا، لقد كانوا جماعة خشنين، كانوا يلطخون الخيمة بالذهب وبعضاً من الموسيقى والنيذ المعتق.»

لي تشيا مينغ Li Chia Ming (القرن العاشر الميلادي) كان ظريفاً في بلاط آخر حكاهم سلالة تانغ. في مناسبة ما لفت الأخير الانتباه إلى بعض من الغيوم التي تتجمع وتتهياً وكأنها ستمطر. قال لي تشيا مينغ **Li Chia Ming**، «يمكنهم القدوم، لكنهم لن يجرأوا على دخول المدينة.» سأل الأمير، «لماذا؟» «لأنه،» قال الظريف، «رسم الدخول عالٍ جداً.» صدرت الأوامر بعد ذلك بأن الواجبات يجب تخفيضها إلى النصف. في مناسبة أخرى، كان الأمير يصطاد السمك مع عدد من مرافقيه الذين كلهم اصطادوا شيئاً، بينما هو نفسه لضيقة العظيم لم يحصل على واحدة منها. إثر ذلك أخذ لي تشيا مينغ **Li Chia Ming** القلم وكتب الأبيات التالية:-

«إنها نشوة الطرب في أيام الربيع الدافئة أن تسقط الذبابة المغرية في البركة الخضراء حيث تقع المياه السوداء عميقة وساكنة؛ وإذا كانت الأسماك لم تجرؤ على لمس الطعم الذي تطرحه سموكم، فلأنهم يعلمون أن التينيات وحدها هي رياضة ملائمة للملوك.»

ليو تشي Liu Chi (القرن الحادي عشر الميلادي) كان شاباً نوعاً ما سيء السمعة بسبب حبه لاستخدام الكلمات الغربية، والتي كانت مستهجنة بشكل واسع من قبل العظيم أو يانغ هسيو **Ou Yang Hsiu**. عندما كان الأخير كبير الممتحنين، أحد المرشحين أرسل ثلاثية مضحكة كالتالي:-

«الكون في مخاض،

جميع الأشياء تولد،

من بينها الحكيم.»

«هذا بالتأكيد ليو تشي Liu Chi»، صاح أو يانغ Ou Yang وحمل قلم حبر أحمر ولطخ به موضوع الإنشاء الذي كتبه ليو تشي Liu Chi مضيفاً هذين البيتين:-

«الطالب الذي لم يتخرج بعد، يمزح،

الممتحن يحرث.»

لاحقاً في سنة 1060 كان أو يانغ مصدوماً جداً من مقال لمرشح معين، ووضعه الأول على اللائحة، عندما تمت تلاوة الأسماء اكتشف بأن الرجل الأول كان ليو تشي Liu Chi الذي قام بتغيير اسمه إلى ليو أون Liu Yun.

كان تشانغ هسوان تسو Chang Hsuan Tsu من ظرفاء سلالة هان Han. عندما كان عمره ثمانية سنوات، ضحك منه أحدهم بسبب سقوط عدة أسنان له فقال له «ماذا تفعل ثقوب الكلب هذه في فمك؟» فأجابه تشانغ Chang «إنها هناك لتسمح للجراء من أمثالك أن تخرج وتدخل.»

مجموعات من الظرافة والهزل من نوع جو ميللر Joe Miller غالباً ما ترى في أيدي القراء الصينيين ويمكن شراؤها في أي كشك لبيع الكتب مثل كثير من الروايات الرخيصة وذات المستوى الرخيص، والتي لا يمكن التحدث عنها مع روائع القصة الموصوفة في هذا المجلد فهذه المجموعات لا تتلائم مع الترجمة بشكل كبير. كل الأدب في الصين هو أدب خالص. الروايات والقصص لا تعتبر أدباً؛ فالكتاب لا يجدون الرغبة عندهم لوضع اسمهم على مثل هذه الأعمال والنتيجة هي سقطة كبيرة عما يعتبر المستوى الوطني. حتى أن حلم المقصورة الحمراء هونغ لو منغ Hung Lou Meng تتضمن حكايات يشوبها بشكل كبير جمالية الكل. أحد الأعدار في هذا الصدد هو أنها حكايات من واقع الحياة. وبالتالي فإن إلغاء الضعف العادي الإنساني سيكون نتيجته إنتاج صورة غير كاملة وردية.

التالي هي عينات قليلة لحكايات ظريفة أخذت من هسياو لين كوانغ تشي
Hsiao Lin Kuang Chi، عمل حديث في أربعة كتب قصيرة حيث تم تصنيف
القصص تحت اثني عشر عنواناً مثل الفنون، النساء والرهبان.

لاحظ عريس وجود تجاعيد عميقة على وجه عروسه، فسألها عن عمرها كم هو،
فأجابت أنها تبلغ حوالي الخامسة والأربعين أو السادسة والأربعين. «فرد عليها،» إن
عمرك المذكور في وثيقة الزواج هو الثامن والثلاثون، لكنني على ثقة أنك أكبر من
ذلك، أما الآن أخبريني الحقيقة.» أجابت العروس أنه بالحقيقة أربعة وخمسون.
إلا أن العريس لم يعجبه ذلك فقرر أن يضع لها مصيدة. قال لها، «أواه، على رسلك،
يجب أن أذهب وأغطي زير الملح وإلا فإن الجراذين ستأكل كل فتات فيه. إلا أن
العروس صاحت بغتة وقالت «حسناً! أبدا! فأنا عشت ثمانية وستون عاماً ولم أسمع
أبداً من قبل أن الجرذان تأكل الملح.»

امرأة كانت تستضيف حبيبها خلال غياب زوجها صدمت عندما دق الأخير على
باب البيت. فبسرعة حزمت الرجل داخل كيس أرز وخبأته في زاوية من الغرفة.
لكن عندما دخل زوجها رأى الحزمة فسأل بصوت جريء «ماذا لديك في ذلك
الكيس؟» كانت الزوجة مرتعبة من الإجابة؛ إلا أنه بعد فترة حرجة سمع صوت
من الكيس يقول «فقط أرز.»

كان هناك أزعز يحمل ضغينة ضد رجل غني ففتش على ساحر وطلب منه
المساعدة. «يمكنني أن أرسل جنود الشيطان وبسرية تامة يمكنني أن اقطعه، قال
الساحر. لكن الآخر أجاب أي نعم، لكن أبناءه وأحفاده سيرثون. هذا لا يصح.»
فقال الساحر، «يمكنني أن أسحب النار من السماء وأحرق بيته وأغراضه الثمينة.»
أجاب الرجل، «حتى عندها، إن أرضه المملوكة ستبقى؛ فهذا لا ينفذ.» فصاح
الساحر، «أواه! إن كان كرهكم له عميق إلى هذا الحد، فأنا عندي شيء ثمين هنا أن
استطعتم إقناعه باغتنام الفرصة فإن ذلك سيحطمه تماماً. وبناء على ذلك أعطى
الزبون المسرور رزمة مغلقة إغلاقاً محكماً وعندما فتحها وجدها تحتوي على قلم.
فسأله الرجل، «أي مقدررة روحية توجد في هذا؟» «آه!» تنهد الساحر، «يبدو أنك

لا تعرف كم من الناس تسبب لهم بالدمار هذا الشيء الصغير.»

عن طبيب أساء التعامل مع إحدى الحالات، قبضت عليه العائلة وربطته. في الليل تمكن من تحرير نفسه وهرب عندما سبح عبر النهر. عندما وصل بيته، وجد ابنه، الذي بدأ لتوه في دراسة الطب وقال له، لا تكن على عجل مع كتبك. فأول وأهم شيء هي أن تتعلم السباحة.»

أرسل ملك المطهر مساعديه إلى الأرض ليحضروا طبيباً ماهراً. قال لهم الملك عليكم أن تبحثوا عن واحد لا يوجد على بابه أي أرواح ظلمت لمرضى متقطعي الأوصال.» انطلق المساعدون، فوجدوا أن كل منزل لطبيب زاروه هنا جمهور من الأرواح الباكية تتسكع. وأخيراً وجدوا طبيباً على بابه يوجد فقط ظل واحد، فصرخوا «هذا الرجل بكل تأكيد هو الرجل الماهر الذي نبحت عنه.» وعندما استفسروا اكتشفوا بأنه بدأ فقط ممارسة مهنته في اليوم السابق.

تم الضغط على جنرال في المعركة وكان هو على شفير الاستسلام عندما ظهر له فجأة روح جندي لينقذه ويمكنه من كسب نصر عظيم. انبطح على الأرض وسأل عن اسم الروح. فأجابته الروح، «أنا إله الهدف.» فسأل الجنرال، «بأي طريقة استحققت حظوة مساعدتكم الكريمة؟» قال الروح، «أنا ممتن لكم لأنكم في أيام التدريب لم تصيوني أبداً.»

لم يكن عند رسام للصور الشخصية كثير من الأعمال، فأسدى له صديق النصيح أن يرسم صورة له ولامرأته، ويعلقها في الشارع كإعلان. فعل ذلك، وبعد فترة قصيرة أتى حموه. فحدق في الصورة لبعض الوقت، فسأله الأخير في النهاية، «من هي تلك المرأة؟» فرد الفنان عليه قائلاً، «لماذا، إنها ابنتك،» فاستفسر والدها ثانية «ماذا تعمل، جالسة هناك مع غريب؟»

رجل حكم عليه بلبس كانغو، أو الياقة الخشبية، شاهده بعض من أصدقائه. فسألوه، «ماذا كنت تفعل حتى تستحق ذلك؟» أجاب، «أواه! لا شيء، انا فقط التقط قطعة حبل قديمة فقالوا له، «أمن الممكن أن تعاقب بهكذا عقاب قاسٍ لأنك

التقطت نهاية حبل؟» «حسناً أجب الرجل، «الحقيقة أنه كان هناك عجل مربوط على الطرف الآخر...»

رجل طلب من صديق له البقاء وشرب الشاي. وللأسف لم يكن هناك شاي في البيت، لذلك تم إرسال خادم ليستعير، شيئاً منه. قبل أن يعود الأخير، كان الماء يغلي، وأصبح من الضروري سكب ماء بارد أكثر. هذا حصل عدة مرات وفي النهاية كان السخان قد طفح بالماء، لكن لا يوجد شاي. ثم قالت الزوجة لزوجها، « بما أنه يبدو أننا لن نحصل على الشاي، من الأفضل لك أن تدعو صديقك على حمام!»

تم جلب قرد بعد موته إلى ملك المطهر، استجدي أن يبعث من جديد على الأرض كإنسان. فقال الملك، «في تلك الحالة يجب اقتلاع شعرك كله من جسدك،» وأمر مساعديه الشياطين أن يقتلعوها مباشرة. إلا أن القرد، في الشعرة الأولى، زعق، وقال أنه لا يستطيع تحمل الألم. «يا حيوان!» زمجر الملك، «كيف تريد أن تصبح إنساناً إذا لم تكن قادراً حتى عن الافتراق عن شعره واحدة.»

لاعب شطرنج مغرور لعب ثلاث لعبات مع غريب وخسرهما كلها. في اليوم التالي سأله صديق كيف انتهت اللعبة. «آه،» قال هو «لم أربح اللعبة الأولى وخصمي لم يخسر الثانية، أما بالنسبة للثالثة أردت التعادل لكنه لم يوافق.»

إن أكثر المخطوطات بساطة في الأدب الصيني قد لا تكون بالكاد مكتملة دون إيماءة لأمثال الصين ومبادئها. إن هذه لا توجد فقط وبشكل كبير منثورة في كل فرع من فروع الكتابة، الكلاسيكية والشعبية، ولكن يمكن دراستها في المجموعات، إجمالاً في باب العروض. وبالتالي إن مينغ هسيان تشي Ming Hsien Chi، لناخذ مثلاً على ذلك، التي يمكن شراؤها في أي مكان بحوالي «بنس»، تتألف من ثلاثين صفحة من الأمثال وما شابه، مرتبة بمجموعات متضادة من خمس أو ستة أو حتى من سبعة أحرف صينية للسطر الواحد. يطلب من الأطفال حفظها عن ظهر قلب. والصينيون العاديون الناضجون قد نقول عنهم أنهم يفكرون بالأمثال، لا يوجد أدنى شك أنه بالنسبة للأجنبي سيكون مخزناً واسعاً من الأمثال. يحفظ في الذاكرة ويقوم بتعقل، مساعداً عظيماً لمحادثة ناجحة. التالي هي مجموعة صغيرة من معين لا

ينضب، يحذف، بشكل كبير تلك التي تجد لها بديلاً متكافئاً في الإنكليزية:-

تعامل مع أخطاء الآخرين بلطف كما تتعامل مع أخطائك أنت.
بالكلمات الكثيرة تفقد الطرافة.

إن كان لا بد من أن تنحني فانحني بانخفاض.

إن أخذت الثور، فيجب أن تعطي الحصان.

الرجل يعتقد أنه يعرف، لكن المرأة تعلم بشكل أفضل

الكلمات التي يهمس بها على الأرض تبدو وكأنها رعد في السماء.

إن ضحك الحظ - من لا يفعل؟ وإذا الحظ لم يضحك من يفعل.

الرجال الأثرياء دائماً يسمع لهم.

الطبيعة أفضل من طبيب متوسط.

ابق في البيت واحترم أبويك؛ لماذا تسافر بعيداً لتعبد الآلهة؟

رجل أنفه مثل الزجاج قد يكون رجلاً ممتنعاً عن تناول الخمر، لكن لا أحد يعتقد ذلك.

من الأسهل لك أن تمسك النمر على أن تطلب معروفاً.

بالمال يمكنك أن تزحزح الآلهة، دونه

لا تستطيع أن تزحزح انساناً.

اخفض رأسك إن كانت حواف السطح منخفضة

لا تسرج الحصان بسرجين.

يتم الاحتفاظ بالجيوش لسنوات، لكي تستخدم في يوم واحد.

لسوء الحظ، الذهب يبدو خافتاً؛ في السعادة

فالحديد يتوهج.

هناك شجر أكثر استقامة من الرجال.

إن تخف أن الناس سوف يعرفون ما تفعله، إذا لا تفعله.

إن الزيارات الطويلة تجلب ثناءً قصيراً.

إن كنت مستقيماً ودون خداع أي إله سيحتاجك

لتصلي طالباً السماح؟

بعض الدراسات تظهر الحاجة لدراسات أكثر.
إن كلمة لطيفة واحدة ستبقيك دافئاً لثلاث فصول شتاء.
إن أطول قلعة تبدأ من الأرض.
لا توجد إبرة حادة من الجهتين.
الشجر المستقيم يقع أولاً.
لا صانع صور يتعبد للآلهة. إنه يعرف من أي مادة هم مصنوعون.
نصف برتقالة طعمها حلو كما واحدة كاملة.
إننا نحب تشكيلنا، لكن زوجات الرجال الآخرين.
إن الجالسين الأحرار في مسرحية هم دائماً الأكثر تأффاً.
ليس النبيذ الذي يسكر الإنسان، إنه الإنسان نفسه.
من الأفضل أن تكون كلباً في السلام عن أن تكون رجلاً في الحرب.
كل واحد يعطي دفعة إلى الحائط الساقط.
نظف الثلج من أمام مدخلك.
إن الذي يمتطي نمرأ لا يستطيع النزول.
الأدب قبل القوة.
الكلب ينبح على شيء والآخرين ينبحون عليه.
أنت لا تستطيع أن تصفق بيد واحدة.
اسحب قوسك ولكن لا تطلقه.
إن انساناً جيداً آخر على الأرض أفضل من ملاك إضافي في السماء.
الذهب يتم فحصه بالنار أما الإنسان فبالذهب.
أولئك الذين ذاقوا المرارة الأكثر مرارة في الحياة
لا يمكنهم أن يتذوقوا أحلى الحلويات في الحياة
المال يجعل الشخص الأعمى يرى.
الإنسان هو الله على ميزان صغير. الله هو الإنسان على ميزان كبير.
جار قريب أفضل من قريب بعيد.
دون الأخطاء لا يوجد شيء مثل الحقيقة.

ملاحظات بليوغرافية

الذي حققه الطلاب الأجانب في دائرة الأدب الصيني من القرن السادس عشر نزولاً حتى الأيام الأخيرة، ظاهر جداً في المجلدات الثلاثة الكبيرة التي تشكل الـ *Dictionaire Bibliographique de Ouvrages Relatifs à l'empire Chinois* أو *Bibliotheca Sinica* من قبل هنري كوردييه: الصادر في باريس من قبل دار النشر آرنست ليرواه، عام 1878؛ مع محقق صدر عام 1895. هذا العمل تم تنفيذه بطريقة كاملة ودقيقة لا تدع شيئاً لترغب به، وهو ضرورة لكل العاملين المنهجين في الحقل الصيني.

ومن أهم الكتب المذكورة في المجموعة أعلاه هو ترجمة شاملة للقوانين الكونفوشوسية من قبل المرحوم الدكتور جيمس لج من أبردين بعنوان عام اسمه الكلاسيكيات الصينية. إن إصدار هذا العمل، الذي يشكل أكبر معلم موجود للدراسات الانجلو - صينية استمر من 1861-1885.

إن منهج الأدب الصيني من تأليف الأب اليسوعي بـ تسوتولي، شنغهاي، 1879 - 1882 هو سلسلة شاملة من الترجمات إلى اللاتينية من جميع فروع الأدب الصيني وهو مخطط له على وجه الخصوص أن يتم الإفادة منه من قبل البعثات التبشيرية الكاثوليكية (*neo-missionariis accommodatus*).

عمل آخر مهم جداً واقترب من الاتمام السريع هو ترجمة من البروفسور أي. شفانيس، كولدج دي فرانس، عن التاريخ المهم الموصوف في الكتاب الثاني الفصل الثالث تحت عنوان المذكرات التاريخية لـ سيما تسيان، المجلد الأول المؤرخ في باريس 1895.

ملاحظات حول الأدب الصيني من قبل أ وايلي، شنغهاي 1867 يحتوي على ملاحظات وصفية من حوالي 2000 عمل صيني مستقل مرتب تحت كلاسيكيات! التاريخ، الفلسفة والأدب كما هو بالكاتالوج الإمبراطوري. أخذين بعين الاعتبار التاريخ الذي كتب فيه فان هذا الكتاب استحق تصنيفه بين أعلى الجهود من نوعه. إنه لا يزال من أعظم الكتب قيمة للطلاب، مع أنه بحاجة إلى إعادة صياغة حذرة.

الكاتالوجات التالية عن المكتبات الصينية في أوروبا تم نشرها في السنوات القليلة الماضية:

Catalogue of Chinese Printed Books, Manuscripts, and Drawings
.in the Library of the British Museum. By R. K. Douglas, 1877
Catalogue of the Chinese Books and Manuscripts in the Library
.of Lord Crawford, Haigh Hall, Wigan, By J. P. Edmond, 1895
Catalogue Of the Chinese and Manchu Books in the Library of
.the University of Cambridge. By H. A. Giles, 1898
Catalogus des Livres Chinois, Coreens, Japonais, etc, in the Bib-
liotheque Nationle. By Maurice Courant, Paris, 1900. (Fasc. i. pp.
(.vii, 148, has already appeared

إن الدوريات الرئيسية، المتخصصة بالدراسات في الأدب الصيني هي كالتالي:-
«مخزن الإيداع الصيني» تنشر شهريا في كانتون من أيار (مايو) 1832 إلى كانون
أول (ديسمبر) 1851.

مجلة فرع الشمال - الصين للجمعية الملكية الآسيوية، تصدر سنويا في شنغهاي
من 1858 حتى 1884، ومنذ ذلك التاريخ تصدر في ملازم على فترات متقطعة خلال
كل سنة.

تشاينا ريفيو تصدر كل شهرين في هونغ كونغ من حزيران (يونيو) 1872 إلى الوقت الحاضر.

ثم هناك تشاينيز ريكورد، الموجود منذ 1868 والآن يجري نشره في شنغهاي كل شهرين مرة. هذا العمل هو مجلة تبشيرية، لكنها غالباً ما تحتوي على أوراق ثمينة عن الأدب الصيني ومواضيع متقاربة.

فاريتيه سينولوجيك «متفرقات صينية» هو عنوان سلسلة من الأوراق حول مختلف المواضيع الصينية كتبها ونشرها على فترات متقطعة الآباء اليسوعيون في شنغهاي منذ 1892 وتميزت بالإدراك والصحة لجميع كتابها.

